

3.6.2016

كافكا على الشاطئ

هاروكي موراكامي

رواية



المركز الثقافي العربي

كافكا على الشاطئ

رواية

هاروكي موراكامي

ترجمة: إيمان رزق الله

مراجعة: سامر أبو هواش



هاروكي موراكامي

كافكا على الشاطئ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة عن النص الإنكليزي لكتاب
KAFKA ON THE SHORE
Haruki Murakami

الكتاب

كافكا على الشاطئ

تأليف

هاروكي موراكامي

ترجمة

إيمان رزق الله

الطبعة

الثالثة، 2013

عدد الصفحات: 624

القياس: 21.5 x 14.5

الترقيم الدولي:
ISBN: 978-9953-68-283-9

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب : 4006 (سيدنا)
42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651
فاكس: 305726 522 212+
Email: markaz.casablanca@gmail.com

بيروت ـ لبنان

ص.ب : 5158 ـ 113 الحمراء
شارع جاندارك ـ بناية المقدسي
هاتف: 01 750507 ـ 01 352826
فاكس: 343701 1 961+
Email: cca _casa_bey@yahoo.com



الفتى المدعو كرو

«لقد حللتَ مشكلة المال إذن؟»،

يسأل الفتى المدعو كرو (Crow - الغراب) بصوته الاعتيادي البليد الذي يشبه شخصاً استيقظ تواً من النوم وما زال فمه ثقيلاً. لكنه يتظاهر بهذا فحسب، فهو صاحٍ كلياً. كعادته.

أومئ برأسي إيجاباً.

«كم؟».

أراجع الرقم في ذهني. «حوالى 400,000 ين ، بالإضافة إلى ما يمكن سحبه من ماكينة الصراف الآلي. أعرف أنه ليس بالمبلغ الكبير، لكنه يكفي في الوقت الحالي».

«ليس سيئاً في *الوقت الحالي*»، يقول الفتى المدعو كرو.

أومئ مجدداً.

«أحسب أنك لم تتلقَّ هذا المبلغ هدية ميلاد من بابا نويل».

«صحيح»، أجيبه.

يتبسّم كرو بتكلّف ويجيل نظره في الغرفة، «أرى أنك بدأت بنبش الأدراج، أليس كذلك؟».

لا أجيب. فهو يعرف نقود مَنْ التي نتحدَّث عنها، ولا داعي لأيّ استجوابات مطوّلة. إنه يستفزّني فحسب.

«لا يهم»، يقول كرو، «أنت في حاجة فعلية إلى هذه النقود،

وسوف تحصل عليها، سواء اضطررت إلى تسوّلها أم اقتراضها أم سرقتها. إنها نقود أبيك، ولا دخل لأحد بهذا؟ أليس كذلك؟ خذ المتوافر لك الآن، وسوف تتدبّر أمرك. في *الوقت الحالي*. ولكن ماذا ستفعل بعد نفاد النقود منك؟ فهي كما تعلم لا تنبت كالفطر في الغابة. وكما تعلم ستحتاج إلى المأكل والمأوى، ويوما ما ستنفد نقودك».

«سأفكر في ذلك في أوانه».

«في *أوانه*»، يكرّر كلماتي كأنه يَزِنها بيديه.

أومئ.

«كأن تحصل على وظيفة أو شيء كهذا؟».

«ربما».

يهزّ كرو رأسه. «أتعلم، لا يزال أمامك الكثير لتتعلمه عن الحياة. اسمع- أيّ وظيفة يمكن لفتى في الخامسة عشرة أن يحصل عليها في مدينة بعيدة لم يذهب إليها من قبل قط؟ أنت لم تنهِ تعليمك حتى؟ من في اعتقادك سيرضى بتوظيفك؟».

يحمرّ وجهي قليلا. في الحقيقة وجهي يحمرّ بسهولة. «لا تشغل بالك»، يقول كرو، «ما زلتَ في بداية الطريق، ولا يجوز أن أثبط عزيمتك الآن بكل هذه الهموم، لقد حسمتَ أمرك بالفعل، وما عليك سوى أن تنطلق. أقصد هذه حياتك *أنت* في الأساس، ولك أنت أن تفعل بها ما تراه مناسباً».

هذا صحيح. هذه حياتي أنا في نهاية الأمر.

«ومع هذا أقول لك شيئاً واحداً: عليك أن تصبح أكثر صلابة إذا أردت أن تفلح».

«إنني أبذل قصارى جهدي».

«وأنا واثق من هذا، فقد ازددت صلابة خلال السنوات الأخيرة، أعترف لك بذلك».

أومئ ثانية.

«ولكن لنواجه الحقيقة- أنت ما زلت في الخامسة عشرة»، يتابع كرو، «وقد بدأت حياتك للتو، وهناك آلاف الأشياء في العالم التي لم ترها من قبل. أشياء تفوق خيالك».

كعادتنا، نجلس متجاورين على الأريكة القديمة في مكتب أبي. يحبّ كرو هذه الحجرة المحتشدة بالأشياء الصغيرة. يلعب الآن بثقالة ورق زجاجية على هيئة نحلة، لكن لو كان أبي في المنزل، فمن المؤكد أن كرو ما كان ليقترب من هذه الحجرة.

«لكنني يجب أن أرحل من هنا»، أقول له، «ما من سبيل آخر».

«نعم، أحسب أنك مصيب». يعيد كرو وضع ثقالة الورق على المكتب، ويشبك يديه خلف رأسه، «وهذا لا يعني أن الهروب هو الحلّ لكل شيء. لا أريد أن أفسد عليك خططك، لكنني لو كنت مكانك فلن أهرب من مكان كهذا. مهما ابتعدت فلن تحلَّ المسافات شيئاً».

يتنهّد الفتى المدعو كرو، ويغمض عينيه ويضع سبّابة على كل منهما ويحدثني من ظلماته.

«ما رأيك في أن نلعب لعبتنا؟»، يسألني.

«وهو كذلك»، أقول وأغمض عينيّ وآخذ نفساً عميقا.

«تخيل عاصفة رملية رهيبة. . ولا تفكّر في أي شيء آخر».

أفعل كما يقول. أخرج من دماغي كل شيء آخر ، حتى أنني أنسى من أكون. أصبح صفحة بيضاء، وحينها تأخذ الأشياء في الطفو على السطح، أشياء في وسعنا نحن فقط- هنا على هذه الأريكة الجلدية القديمة في مكتب أبي- رؤيتها.

«القدر، أحياناً، كعاصفة رملية صغيرة لا تنفكّ تغير اتجاهاتها»، يقول كرو.

القدر أحيانا كعاصفة رملية صغيرة لا تنفك تغير اتجاهاتها. وانت تغير اتجاهاتك، لكنها تلاحقك. تراوغها مرة بعد أخرى، لكنها تتكيف

وتتبعك. تلعب معها هكذا مراراً، كرقصة مشؤومة مع الموت في الفجر. لماذا؟ لأن هذه العاصفة ليست شيئاً يهبّ فجأة من بعيد، ليست شيئاً لا يمتّ لك بِصِلَة، إنها أنت. إنها شيء ما في *داخلك*. وكل ما عليك فعله هو أن تستسلم لها. أدخل إليها مباشرة. أغمض عينيك، وسدّ أذنيك حتى لا تتسلل الرمال إليهما، وسر في العاصفة، خطوة بعد خطوة. ليس من شمس هناك، ولا قمر، ولا اتجاهات، ولا إحساس بالزمن. فقط دوامة من الرمال البيضاء الناعمة تصعد إلى السماء كعظام مطحونة، هذه هي العاصفة التي عليك أن تتخيلها.

وهذا بالضبط ما أفعله، أتخيل قمعاً أبيض يرتفع إلى أعلى كحبل سميك. أغمض عينيّ بقوة، وأسدّ أذني حتى لا تتسلل الرمال إلى داخلي. بثبات تدنو العاصفة الرملية مني. أشعر بالهواء يلفح بشرتي. ستبتلعني العاصفة حقاً.

يضع الفتى المدعو كرو يده على كتفي برقّة، فتتلاشى العاصفة.

«من الآن فصاعداً- مهما حدث- لا بدّ من أن تصبح أقوى فتى في الخامسة عشرة في العالم كله. هذا سبيلك الوحيد لكي تنجو، ولكي تصير هكذا عليك أن تكتشف ماذا يعني أن تكون قوياً. أتفهم هذا؟».

أبقي عينيّ مغمضتين، ولا أجيب. كل ما أرغب فيه أن أغط في النوم على هذه الحال، يداه على كتفي. أسمع رفرفة واهنة لأجنحة.

«سوف تصبح أقوى فتى في الخامسة عشرة في العالم»، يهمس كرو بينما أغفو، وكأنه ينقش الكلمات على جدار قلبي بوشم أزرق داكن.

*

وعليك أن تنجو وسط تلك العاصفة الباطشة الميتافيزيقية الرمزية، بِغَضّ النظر عن مدى ميتافيزيقيتها أو رمزيتها. الخطأ ممنوع: ستقطّع العاصفة اللحم كآلاف الأنصال. وسينزف الناس هناك، وستنزف *أنت* أيضاً،

ستنزفون جميعاً دماً أحمر حاراً. وستتلقف أنت هذا الدم بيديك، دمك، ودم الآخرين.

ولحظة انتهاء العاصفة، لن تتذكر كيف نجوتَ منها، لن تتذكر كيف تدبّرت أمرك لتنجو، ولن تدرك هل انتهت العاصفة أم لا. ستكون متيقناً من أمر واحد فقط: حين تخرج من العاصفة، لن تعود الشخص نفسه الذي دخلها، ولهذا السبب وحده، كانت العاصفة.

في عيد ميلادي الخامس عشر سأهرب من البيت. سأرحل إلى بلدة نائية، وأعيش في مكتبة صغيرة. يحتاج سرد الأمر، بكل تفاصيله، أسبوعاً. لهذا أقول فقط العنوان الرئيسي: **في عيد ميلادي الخامس عشر، سأهرب من البيت، وأرحل إلى بلدة نائية، وأعيش في مكتبة صغيرة.**

قصة تشبه القصص الخرافية. لكن صدقوني ليست كذلك. أياً يكن تأويلكم لها.

1

حين أغادر المنزل، لا آخذ من مكتب أبي مالاً فحسب. بل أيضاً ولاّعة ذهبية صغيرة قديمة - يعجبني شكلها وملمسها- ومطواة بطول خمس بوصات ذات شفرة حادة صنعت لسلخ الغزلان ولها ملمس محبّب هي الأخرى. على الأرجح أنه اشتراها خلال إحدى أسفاره. كما آخذ من دُرج آخر مصباحاً يدوياً متيناً وقوي الإشعاع، ونظّارة شمسية سماوية اللون من نوع «ريفو» لأخفي بها سنّي الحقيقية.

أفكر في أخذ ساعة الـ «سي أويستر رولكس» المفضلة لدى أبي. ومع أنها جميلة، غير أنه لن يكون من شأنها سوى لفت الأنظار إلي. ساعتي الـ «كاسيو» البلاستيكية الرخيصة، ذات المنبّه ومقياس السرعة، سوف تفي بالغرض، وقد تكون عملياً مفيدة أكثر. أعيد الرولكس إلى الدُرج على مضض.

أسحب من عمق دُرْجٍ آخر صورة فوتوغرافية تجمعني وأختي الكبرى حين كنا صغيرين. إننا نقف على الشاطئ في مكان ما ونبتسم. تقف هي جانبياً فيغطي الظلّ نصف وجهها ويشطر ابتسامتها إلى نصفين، تماماً كأقنعة الدراما اليونانية التي يراها المرء في الكتب حيث يكشف نصف القناع وجهاً والنصف الآخر عكسه. النور والظلام. الأمل واليأس. الضحك والحزن. الثقة والوحدة. أما أنا فأنظر مباشرة إلى الكاميرا. كلانا يرتدي ثوب السباحة - ثوبها هي أحمر اللون من

قطعة واحدة، مزين بالزهور، أما ثوبي فكناية عن سروال أزرق قصير فضفاض وقديم. أحمل عصا بلاستيكية. زبد الموج يغسل أقدامنا. ولا أحد سوانا على الشاطئ.

من الذي التقط لنا هذه الصورة؟ وأين؟ ومتى؟ ليس لدي أدنى فكرة. ولِمَ أبدو سعيداً هكذا؟ ولماذا احتفظ أبي بهذه الصورة دون سواها؟ الأمر كله غامض تماماً. لا بدّ من أنني كنت في الثالثة من عمري، وأختي في التاسعة. هل كنا على وفاق هكذا حقاً؟ لا أتذكر البتة أنني ذهبت إلى الشاطئ مع أسرتي. لا أذكر ذهابي معهم إلى أي مكان. ومع ذلك لا يهم. يستحيل أن أتركها له. أضعها في محفظتي. ليس لدي صورٌ لأمي. رماها أبي كلها.

بعد تفكير، آخذ أيضاً الهاتف المحمول. على الأغلب حين يكتشف أبي أنني أخذته سيتصل بشركة الاتصالات ويطلب منهم أن يقطعوا الخط. ومع هذا، أرميه داخل حقيبتي، ومعه الشاحن. لِمَ لا؟ فلن يثقل الحمل كثيراً. عندما تنقطع الخدمة سأرميه فحسب.

أحتاج إلى الضروريات فقط. اختيار الملابس هو الأصعب. سأحتاج إلى سترات، وملابس داخلية، وماذا عن القمصان والبناطيل والقفازين، وربطات الرأس، والسراويل القصيرة، والمعطف؟ سلسلة لا تنتهي. لكنني واثق من أمر واحد فقط، وهو أنني لا أريد السير في مكان غريب حاملاً على ظهري حقيبة ضخمة تصرخ: *انظروا أيها النّاس إلى هذا الهارب!* إذا ما لفتّ أنظار أحدهم إليّ على هذا النحو، فسرعان ما سأجد نفسي محاطاً برجال الشرطة الذين سيعيدونني مباشرة إلى البيت. هذا إذا لم ينتهِ بي الأمر في قبضة عصابة ما.

أقرّر استبعاد الأماكن الباردة. مسألة بسيطة جداً. أختار العكس: مكاناً دافئاً. هكذا أستطيع أن أتخلى عن المعطف والقفازين، وأن أدبّر أمري بنصف كمية الملابس. أختار ملابس لا تحتاج إلى كيّ بعد

غسلها، أخفّ ما لدي، أطويها بنظام وأدسها في الحقيبة. آخذ أيضاً حقيبة نوم لكل الفصول، من النوع الذي يمكن لفه بنظام ودقة، وأدوات الاستحمام، وسترة، ودفتر ملحوظات وقلماً ومشغّل «ووكمان» وعشرة أقراص مدمجة - يجب أن تكون موسيقاي معي- وبطاريات احتياط قابلة للشحن. هذا كل شيء. لا داعي لأي أجهزة طبخ، فهي ثقيلة جداً وستحتل مساحة كبيرة، خصوصاً أنه يمكنني شراء الطعام من المتجر.

يستغرقني الأمر وقتاً طويلاً، لكنني في النهاية أحذف أشياء كثيرة من القائمة. وأضيف أشياء أخرى، وأحذفها، ثم أضيف أشياء أخرى، وأحذفها أيضاً.

عيد ميلادي الخامس عشر هو الوقت المثالي لكي أهرب من المنزل. قبل ذلك سيكون مبكراً جداً، وبعده سأكون قد فوّت الفرصة.

طوال مرحلة الصفين السابع والثامن، قمت بممارسة التمارين الرياضية استعداداً لهذا اليوم. بدأت أتمرن على «الجودو» في أوّل سنتين من الإعدادية، واستمررت قليلاً خلال الثانوية، لكنني لم ألتحق بأي فريق مدرسي. كنتُ كلما سنحت لي الفرصة أمارس الجري في ملعب المدرسة، أو السباحة، أو أتمرّن في صالة الجمنازيوم المحلية. وقد أعطاني المدرّبون الشبان هناك دروساً مجانيّة، وعلّموني أفضل التمارين لشدّ العضلات، وكيفية استخدام المعدّات الرياضية لتنمية العضلات. تعلّمت منهم أيّ العضلات نستخدمها يومياً، وأيها التي لا يمكن تنميتها سوى بالمعدّات الرياضية، حتى أنهم علموني الطريقة الصحيحة للقيام بتمارين الضغط. ينبغي أن أشير إلى أنني طويل القامة، وبمساعدة التمارين أصبح لدي كتفين عريضين وعضلات صدر واسعة. معظم الذين لا يعرفونني يحسَبونني في السابعة عشرة. ولكم أن تتخيلوا حجم المشكلات التي كنت سأواجهها خلال فراري لو بَانَ للآخرين شكلي الحقيقي.

نادراً ما أتحدث مع الآخرين، باستثناء المدربين في الجمنازيوم، والخادمة التي تأتي إلى منزلنا يوماً بعد يوم - وبالطبع الحد الأدنى من المحادثات اللازمة لسير الأمور في المدرسة. ولفترة طويلة بقينا - أنا وأبي - نتجنب رؤية بعضنا مع أننا نعيش تحت سقف واحد. لكن نظامنا اليومي مختلف تماماً، فهو يقضي معظم وقته في محترفه، وأنا أفعل ما في وسعي لكي أتجنّب رؤيته.

المدرسة التي أرتادها خاصة بأبناء الطبقة العليا، أو بالأغنياء على الأقل. وهي من المدارس التي - إن لم يفسد الطالب فيها الأمر حقاً - تؤهّله تلقائياً للمرحلة الدراسية التالية. جميع الطلبة أنيقو المظهر، متناسقو الأسنان، ومملّون إلى أقصى الحدود. فبديهي ألا يكون لي بينهم أي أصدقاء. لقد أحطت نفسي بجدار لا أدعو أحداً إلى داخله، ولا أغامر بالخروج منه. ومن يمكن أن يحبّ شخصاً مثلي؟ لذلك يراقبونني عن بعد. ربما يكرهونني، أو حتى يخشونني، لكنني مرتاح لأنهم لا يزعجونني. فثمة مئات الأمور التي تشغلني، منها قضاء معظم أوقات فراغي في التهام الكتب في مكتبة المدرسة.

ومع ذلك فإنني أنصت جيداً لما يقال في الصفّ، عملاً بنصيحة الفتى المدعو كرو:

إن المعلومات أو التقنيات التي يعلمونك إياها في الفصل لن تفيدك كثيراً في العالم الحقيقي. بصراحة، المدرّسون ليسوا سوى حفنة من المهرّجين. لكن تذكر جيداً أنك ستهرب من المنزل، وقد لا تتاح لك فرصة الدراسة مرة أخرى. ولهذا، شئت أم أبيت، وما دامت الفرصة سانحة لك، فمن الأفضل لك أن تستوعب أكبر قدر ممكن من المعلومات. فلتكن مثل ورقة النسخ التي تمتص كل شيء. وفيما بعد يمكنك أن تقرر ما الذي تريد الاحتفاظ به وما الذي تريد التخلص منه.

عملتُ بنصيحته؛ كما أفعل غالباً. حوّلت دماغي إلى إسفنجة تمتص كل ما يقال في الصفّ، مدركاً معانيه، ودامغاً إياه في ذاكرتي،

ولذلك نادراً ما اضطررت إلى الدرس خارج الصفّ، وغالباً ما كنت أحصل على أعلى العلامات.

كانت عضلاتي تشتدّ كالفولاذ، حتى وأنا أزداد هدوءاً وانطوائية على نفسي. حاولت جاهدا ألا أظهر مشاعري لأحد- سواء زملاء أو مدرسين- حتى لا تكون لديهم أدنى فكرة عما أخطّط له. فسرعان ما سأنطلق إلى عالم الكبار الخشن، وقد أدركت أنه عليّ أن أكون أقوى من أي شخص آخر إذا ما أردت النجاة في هذا العالم.

عيناي في المرآة باردتان كعينَيْ سحلية. تعبيرات وجهي جامدة لا تنمّ عن شيء. لا أتذكر متى كانت آخر مرة ضحكت فيها، أو حتى أظهرت بوادر ابتسامة لشخص آخر، أو حتى لي أنا نفسي.

لا أزعم أنني قادر على الاحتفاظ بهذه الهيئة الهادئة المنعزلة طوال الوقت. فأحيانا يتهاوى الجدار الذي بنيته من حولي. لا يحدث هذا كثيراً، لكن أحياناً، وقبل أن أنتبه للأمر حتى، أجد نفسي عارياً وعاجزاً ومرتبكاً جداً. وفي مثل هذه الأوقات أشعر بنذير شؤم يناديني، كبركة ماء مظلمة تحاصرني.

بركة ماء مظلمة تحاصرني.

على الأرجح أنها موجودة طوال الوقت. مختبئة في مكان ما. لكن عندما يحين الوقت، تندفع مياهها في صمت، تقشعر كل خلية في جسمك. تغرق في ذلك السيل الجارف، محاولاً التنفس. تحاول الوصول إلى منفذ ما عند سطح الماء، تكافح، لكنّ الهواء الذي تفلح في تنفّسه جاف يلسع حنجرتك. ماء وعطش، برد وحرارة- أضداد تجتمع ضدّك.

العالم فضاء واسع، لكن الفضاء الذي سيحتويك - والذي ليس بالضرورة أن يكون كبيراً جداً- لا وجود له. تبحث عن صوت. فماذا تجد؟ الصمت. تبحث عن الصمت، فماذا تسمع؟ ليس إلا نذير الشؤم

إياه يعيد نفسه مراراً. وأحياناً يضغط على زرٍّ سِرّي في أعماق دماغك.

قلبك نهر واسع بعد وابل من المطر. تفيض المياه على ضفتيه. تختفي علامات الطريق، يطمسها أو يجرفها السيل الجارف. ويستمر المطر بالهطول على النهر. في كل مرة ترى فيها فيضاناً كهذا في نشرة الأخبار تقول لنفسك: ها هو ذا. إنه قلبي.

قبل فراري من المنزل أغسل يديّ ووجهي وأقصّ أظافري وأنظّف أذنيَّ وأسناني. آخذ وقتي في هذه العملية. فأن يكون المرء نظيفاً هو أهم ما في الوجود أحياناً. أتأمل وجهي في المرآة. هذه الجينات التي ورثتها عن والديّ - وإن كنت لا أتذكّر شكل أمي - هي التي كوّنت وجهي هذا. أستطيع أن أبقيه جامداً لا يكشف أي عاطفة، وأن أبقي عينيّ باردتين لا تفصحان عن شيء. أستطيع تنمية عضلاتي، لكن لا يسعني شيء حيال هيئتي. لقد كان قدري أن أرث حاجبي أبي الطويلين الكثّين وتلك الخطوط العميقة بينهما. قد أكون قادراً على قتله، إن أردت- بالتأكيد لدي ما يكفي من القوة لفعل هذا- وقد أستطيع محو أمي من ذاكرتي. لكن من المحال أن أمحو الحمض النووي (DNA) الذي ورثته عنهما. إذا أردت أن أزيله، فعلي أن أتخلص مني *أنا*.

ينطوي ذلك على شؤم. آلية مدفونة في داخلي.

آلية مدفونة في داخلك.

أطفئ النور وأخرج من الحمّام. سكون ثقيل يخيّم على المنزل. همسات أناس ما عادوا موجودين. أنفاس موتى. أتسمّر في مكاني وأَنْظُرُ حولي وآخذ نفساً عميقاً. يشير عقربا الساعة إلى الثالثة عصراً، يبدوان بعيدين وباردين كأنهما لا يكترثان بالأمر، لكني أعلم جيداً أنهما ليسا إلى جانبي. حان الوقت تقريباً لأقول وداعاً. أحمل الحقيبة وأعلّقها على ظهري. لقد حملتها كثيراً في السابق، لكنها الآن أثقل.

أقرر أن «شيكوكو» هي وجهتي. ليس من سبب محدد لهذا الخيار، سوى أنني حين نظرت إلى الخريطة، شعرت أن «شيكوكو» هي

المكان الذي يجب أن أتوجه إليه. كل مرة كنت أنظر فيها إلى الخريطة أشعر بهذه المدينة تجرّني إليها. إنها مدينة بعيدة تقع إلى جنوب طوكيو، وتفصلها المياه عن البر الرئيسي، وجوّها دافئ. لم أذهب إليها سابقاً، وليس لي فيها أصدقاء أو أقارب، فإذا بدأ أحدهم بالبحث عني- وهو أمر مشكوك فيه - فستكون «شيكوكو» آخر مكان يخطر بباله.

آخذ التذكرة من مكتب الحجوزات وأصعد إلى الحافلة الليلية. إنها أرخص طريقة للذهاب إلى تاكاماتسو- بكلفة 10,000 ين وبعض الفكة - لا ألفت أنظار أحد، ولا أحد يتساءل عن سني، أو يرمقني متشككاً. أما سائق الحافلة فيدقق في تذكرتي بطريقة آلية.

ثلث المقاعد مشغول فقط. معظم المسافرين بمفردهم مثلي، والحافلة هادئة بشكل مدهش. سنصل تاكاماتسو في الصباح الباكر بعد 10 ساعات كما يشير الجدول. لا مانع لدي. أمامي الوقت كله. تغادر الحافلة المحطة عند الثامنة، فأرجع مقعدي إلى الوراء، وما إن أستلقي حتى يبدأ وعيي بالتلاشي تدريجياً مثل بطاريات فَرُغَ شحنها. ثم أغفو.

يهطل مطر غزير عند منتصف الليل تقريباً. أصحو من حين لآخر لكي أزيح الستارة البالية عن النافذة وأتأمل الطريق تجري أمام ناظرَيَّ. تتساقط قطرات المطر على زجاج النافذة، وتغشي مصابيح الإنارة الممتدة على طول الطريق على مسافات متساوية، كما لو كان الهدف منها قياس المسافة. كل مرة يلمع ضوء إنارة جديد ثم يصبح خلفي. أنظر إلى ساعتي، تجاوزنا منتصف الليل. يخطر لي فجأة: ها قد أتى عيد ميلادي الخامس عشر.

«هاي، كل سنة وأنت طيب»، يقول الفتى المدعو كرو.

«شكراً».

لا يزال نذير الشؤم يصحبني كالظل. أتأكد من الجدار حولي؛ لا يزال قائماً. أقفل الستارة وأعود إلى النوم.

2

هذه الوثيقة مصنفة «سري للغاية» في وزارة الدفاع الأمريكية، وقد أصبحت متاحة للعموم عام 1986 بموجب قانون حرية تداول المعلومات، وحُفظت بإدارة الوثائق الوطنية بواشنطن حيث يمكن الإطلاع عليها.

أجريت التحقيقات الواردة أدناه بإشراف الرائد جيمس بي وارين، خلال شهري مارس وأبريل من العام 1946. وذلك في مقاطعة [الاسم محذوف] بإقليم ياماناشي، وقد أجراها الملازم ثاني روبرت أوكونور والعريف أول هارولد كاتاياما. وقام بإجراء كافة المقابلات الملازم أوكونور. وقام بالترجمة عن اليابانية العريف أول كاتاياما وأعدّ الوثائق المجنّد ويليام كوهين.

استغرق إجراء المقابلات إثني عشر يوماً، وتمّت في ردهة الاستقبال بقاعة بلدية [الاسم محذوف] بإقليم ياماناشي. وأجرى الملازم أوكونور التحقيق مع الشهود التاليين كلّ على انفراد: مُدرّسة في مدرسة [الاسم محذوف] الحكومية، بمقاطعة [الاسم محذوف] بإقليم ياماناشي، وطبيب مقيم في البلدة نفسها، وشرطيا دورية تابعان لمديرية الشرطة المحلية وستة أطفال.

قام المعهد الطبوغرافي التابع لوزارة الداخلية بتوفير الخرائط الملحقة (1 : 10,000 و 1 : 2,000) للمنطقة محل التحقيق.

قسم المخابرات - جيش الولايات المتحدة: تقرير
التاريخ: 12 مايو 1946
العنوان: تقرير حول واقعة «رايس باول هيل»، 1944
رقم الوثيقة: PTYX-722-8936745-42216-WWN

في ما يلي مقابلة مسجلة مع سيتسوكو أوكاموتشي (26 عاماً)، مُدرّسة فصل (٤- ب) في المدرسة العامة ببلدة [الاسم محذوف] بمقاطعة [الاسم محذوف]. ويمكن الحصول على الشرائط التسجيلية للمقابلة باستخدام رمز الدخول PTY-722-SQ-118.

انطباعات المحقق المسؤول عن المقابلة الملازم أوكونور: سيستوكو أوكاموتشي شابة ضئيلة الحجم، جذابة وذكية، وتتمتّع بحسّ عال بالمسؤولية. وقد أجابت عن الأسئلة بدقة وأمانة، على الرغم من تأثرها بالصدمة التي سبّبها لها الحادث. تتوتر بشدة عندما تحاول أن تتذكّر، وتميل عندها إلى التحدث ببطء.

لا بدّ من أن الساعة كانت بعيد العاشرة صباحاً حين رأيت ضوءاً فضياً يومض عالياً في السماء. نعم، بالتأكيد، كان ضوءاً فضياً ينبعث من جسم معدني. تحرك هذا الضوء ببطء شديد من الشرق إلى الغرب. وظننّا جميعاً أنه طائرة ب- 29. كان فوقنا مباشرة، بحيث اضطررنا إلى أن ننظر عامودياً لكي نراه. وكانت السماء زرقاء صافية، والنور يلمع بشدة، وكل ما استطعنا رؤيته هو هذا الجسم الذي يشبه الألومنيوم أو الفضة.

لكننا لم نتبيّن شكله جيداً، لأنه كان بعيداً جداً، وخمّنت أنهم هم أيضاً لا يستطيعون رؤيتنا من هذا الارتفاع. ولهذا لم نخف ولم نتوقع هجوماً أو قنابل تنهمر فجأة فوق رؤوسنا. فلا فائدة من قذف القنابل هنا في الجبال على أي حال. قدّرت أن الطائرة متجهة لقصف مدينة كبرى في مكان

ما، أو ربما عائدة من إحدى المهمّات، فواصلنا سيرنا. وكل ما فكرت فيه هو كيف ينطوي هذا الضوء على جمال غريب.

طبقا لسجلات الجيش، لم تعبر أي قاذفة أمريكية أو غيرها من الطائرات أجواء تلك المنطقة في ذلك التوقيت (العاشرة صباحاً في السابع من نوفمبر عام 1944).

لكنني رأيتها بوضوح، وتلاميذي أيضاً رأوها، وظننا أنها لا بدّ من أن تكون ب 29، فقد سبق أن رأينا نماذج كثيرة من هذه الطائرة، وهي الوحيدة، أغلب الظن، القادرة على التحليق على مثل هذا الارتفاع. وهناك قاعدة جوية صغيرة في إقليمنا، وكنت أرى كل فترة الطائرات اليابانية تحلق في الجو، لكنها كانت صغيرة ولا تحلق على مثل هذا الارتفاع. ثم أن انعكاس الضوء على الألومنيوم مختلف عن انعكاسه على المعادن الأخرى، والطائرات الوحيدة المصنوعة من هذا المعدن هي ب 29. وفكرت أنه من الغريب حقاً أنها تحلّق بمفردها لا ضمن سرب.

هل ولدتِ في هذه المنطقة؟

لا، ولدت في هيروشيما، وتزوجت عام 1941، وأتيت إلى هنا مع زوجي، كان مدرِّس موسيقى في مدرسة إعدادية في هذا الإقليم. وتم استدعاؤه إلى الجيش عام 1943 ومات في الحرب في ليزون في يونيو 1945. عرفت لاحقاً بعد أنه قتل أثناء غارة أمريكية فجرت مخزن الذخيرة الذي كان يحرسه على الحدود مع مانيلا. ولم ننجب أطفالًا.

على ذكر الأطفال، كم طفلًا كانوا معك في تلك النزهة؟

16 طفلًا، صبياناً وبنات. كان هناك اثنان متغيبان فقط من الفصل. فبقي ثماني بنات وثمانية صبْية. منهم خمسة نازحين من طوكيو.

انطلقنا من المدرسة في التاسعة صباحاً. كانت نزهة كغيرها من

النزهات المدرسية، وكانوا جميعاً يحملون مطرات الماء ووجبات الغداء. لم نكن ننوي دراسة شيء محدد، كنا فقط سنصعد التلال لجمع الفطر والنباتات البرية القابلة للأكل، فقد كانت الأراضي المحيطة بنا زراعية، ولهذا لم نكن في عوز كبير للطعام، وهذا لا يعني أنه كان لدينا وفرة منه في ظل نظام الترشيد الغذائي الصارم الذي كان يطبق في المنطقة، فكنا جميعاً جائعين معظم الوقت.

ولهذا كنا نشجع الأطفال على البحث عن الطعام أينما أمكن ذلك. على كل حال كانت البلاد في حالة حرب، حيث تتخذ مسألة الطعام أولوية على الدراسة. وكان الجميع يخرج في مثل هذه النزهات المدرسية - *جلسات دراسة خارجية*- مثلما كنا نسمّيها. وبما أن مدرستنا كانت محاطة بالتلال والغابات، فقد كان هناك الكثير من المواقع اللطيفة التي اعتدنا التردد عليها. أعتقد أنها نعمة خاصة، حيث كان الناس في المدن يتضورون جوعاً. وكانت إمدادات الطعام وقتها قد انقطعت من تايوان ومن سائر أنحاء القارة، وكانت المناطق الحضرية تعاني بشدة من نقص في الطعام والوقود.

ذكرت أن خمسة من تلاميذك كانوا نازحين من طوكيو. فهل تكيفوا مع الأطفال من أبناء المنطقة؟

أجل، على الأقل في فصلي. بالطبع نشأت كل مجموعة في بيئة مختلفة كلياً عن الأخرى - واحدة في الريف النائي، والأخرى في قلب طوكيو. فكان الأولاد في كل من المجموعتين مختلفين في طريقة الكلام، وحتى في أزيائهم. كان معظم الأطفال من أبناء المنطقة أبناء مزارعين، بينما يعمل آباء معظم الأطفال الذين نزحوا من طوكيو في شركات أو في الخدمة المدنية. لهذا لا أجزم أنهم تفهموا بعضهم البعض كثيراً.

خاصة في البداية، كان يمكنك أن تشعر ببعض التوتر بين المجموعتين. لا أقصد أنهما كانتا تتقاتلان، فهما لم تفعلا هذا في الحقيقة، ما أعنيه فقط أن كل مجموعة بدت غير فاهمة لطريقة تفكير المجموعة

الأخرى، ولهذا كانوا يفضلون الانعزال، أبناء المنطقة مع أبناء المنطقة، وأطفال طوكيو في مجموعتهم الصغيرة وحدهم. واستمر هذا خلال الشهرين الأولين فقط، وبعدها بدأوا يتواصلون مع بعضهم بطريقة جيدة، أنت تعرف كيف هم الأطفال، ما إن يبدأوا باللعب معاً ويستغرقوا تماماً في ذلك، حتى لا تعود تعنيهم مثل هذه الاختلافات.

أريد منك أن تصفي - بأدق التفاصيل الممكنة - الموقع الذي أخذتِ فصلك إليه في ذلك اليوم.

إنها ربوة اعتدنا الذهاب إليها في نزهاتنا. مستديرة مثل الطبق المقلوب. وكنا نسميها أوان ياما (ربوة طبق الأرز). يستغرق الذهاب إليها رحلة قصيرة إلى غرب المدرسة، ولم تكن بالمرتفعة، فيستطيع أي شخص الصعود إليها. ولكن مع الأطفال كنا نستغرق نحو ساعتين للوصول إلى أعلى. وفي الطريق يجمعون الفطر ونتناول غداء خفيفاً. وكان الأطفال بطبيعة الحال يستمتعون بهذه النزهة الخارجية أكثر بكثير من الدراسة في الفصل.

لوهلة ذكّرتنا الطائرة اللامعة التي رأيناها في السماء بالحرب، لبرهة قصيرة فقط، ثم نسينا الأمر وعدنا لمزاجنا الجيد. لم تكن هناك غيوم أو رياح، وكان كل شيء هادئاً من حولنا، وكان كل ما نسمعه صدح الطيور في الغابة. وبدت الحرب كأنها تحدث في بلاد بعيدة عنا. رحنا نغني أثناء صعودنا إلى الربوة، مقلّدين أحياناً أصوات الطيور التي نسمعها. وفيما عدا حقيقة أن الحرب كانت مستمرة، كان صباحاً رائعاً.

ودخلتم مباشرة إلى الغابة بعد رؤيتكم لهذا الجسم الذي يشبه الطائرة، صحيح؟

هذا صحيح، أعتقد أننا بدأنا بالسير في الغابة بعد أقل من خمس دقائق من رؤيتنا له. تركنا الطريق الرئيسية إلى الربوة وسلكنا درباً يصل إلى الغابة، وكان شديد الانحدار. وبعد أن سرنا لمدة عشر دقائق، وصلنا إلى منطقة

فسيحة وخالية ومسطحة كسطح منضدة. وكانت الغابة هادئة تماماً، ومع تواري الشمس خلف الأشجار، أخذ الجو يبرد، ولكن عندما دخلنا إلى هذه المنطقة الخالية، شعرنا أننا في ساحة مدينة، وكانت السماء منيرة فوقنا. دائماً يتوقف فصلي في هذه البقعة عندما نصعد إلى «أوان ياما»، حيث للمكان تأثير مهدئ، وبطريقة ما شعرنا أننا في مزاج جيد وكأننا في منزلنا.

جلسنا نستريح فور وصولنا إلى هذه الفسحة. وضعنا أحمالنا، ثم ذهب الأطفال في مجموعات من ثلاثة أو أربعة للبحث عن الفطر. جمعتهم كلهم قبل أن ينطلقوا وأكدت عليهم ألا يبتعدوا كثيراً عن بعضهم، وتأكدت من أنهم فهموا ذلك جيداً. كنا نألف المكان جيداً، لكنه يظل غابة، ولو غاب أحدهم عن نظري أو انفصل عن الآخرين، فسنضطر إلى تمضية وقت مرعب بحثاً عنه. ومع هذا يجب أن تتذكر أنهم أطفال صغار، وفور أن ينطلقوا في البحث عن الفطر، فإنهم ينسون هذه القاعدة، ولهذا كنت دائماً أراعي ألا يغيبوا عن عيني بينما أبحث أيضاً عن الفطر، محصية باستمرار عدد الرؤوس التي أراها.

وبعد نحو عشر دقائق من بداية البحث عن الفطر، بدأ الأطفال في الانهيار. في البداية، عندما رأيت ثلاثة منهم مرميين على الأرض، كنت متيقنة من أنهم أكلوا فطراً ساماً. وهناك الكثير منه في منطقتنا. وبعضه يسبب الموت. والأطفال من أبناء المنطقة يعرفون أي الأنواع يقطفونها، ولكن هناك القليل من الأنواع التي لا يمكنهم تمييزها، ولهذا كنت دوماً أحذّر الأطفال من تناول أي منها حتى نعود إلى المدرسة ويقوم شخص خبير بأنواع الفطر بفحصها. ولكن لا يمكنك دائماً توقّع الطاعة من الأطفال، أليس كذلك؟

هرعت إليهم وحملت المرميين على الأرض. كانت أجسادهم مخدرة ولينة كالمطاط المتروك في الشمس. شعرت أنني أحمل صدفة فارغة- وكأن قوتهم قد سحبت منهم. ولكن كان تنفّسهم عادياً، ونبضهم طبيعياً ولم تكن حرارة أحدهم مرتفعة. بدوا هادئين، ولا يبدو على وجوههم أي ألم على

الإطلاق. ظللت أقلّب الاحتمالات في رأسي: أتراها تكون لسعة نحلة أو ثعبان. ولكنهم كانوا فاقدي الوعي فقط.

كان الأغرب شكل عيونهم. ففي حين كانت أجسادهم واهنة خدرة، وكأنهم في غيبوبة، كانت عيونهم مفتوحة، تبدو تنظر إلى شيء ما، وكانوا يرمشون كل فترة، لهذا لم يبدوا نائمين. وكانت حدقات عيونهم تتحرك ببطء شديد من جانب إلى جانب وكأنهم يجيلون نظرهم في الأفق البعيد. عيونهم، على الأقل، لم تكنِ غائبة عن الوعي. لكنهم في الواقع ما كانوا ينظرون إلى شيء محدد، أو على الأقل إلى شيء أستطيع أن أراه أنا. حركت يدي أمام عيونهم، لكنهم لم يظهروا أي رد فعل. حملت طفلًا بعد آخر من الأطفال الثلاثة، وكانوا جميعا في الحالة نفسها تماماً، فاقدي الوعي، وعيونهم تتحرك ببطء من جانب إلى آخر، كان هذا أغرب ما رأيته في حياتي.

صفي المجموعة التي انهارت أولًا؟

كانت مجموعة فتيات، ثلاث فتيات صديقات، ظللت أنادي عليهن، وأصفع خدودهن - بقوة في الحقيقة، دون أن يصدر عنهن أي رد فعل، لم يشعرن بشيء، انتابني إحساس غريب بأنني ألامس الفراغ.

أول ما خطر ببالي أن أرسل في طلب المساعدة من المدرسة، إذ كان مستحيلًا أن أحمل الأطفال الثلاثة وحدي، فرحت أبحث عن أسرع الأطفال في الفصل، أحد الصبيان، وعندها وجدت جميع الأطفال فاقدي الوعي. الستة عشر طفلًا ارتموا على الأرض. كنت الوحيدة التي ما زلت محتفظة بوعيي. بدا المشهد كأنه ساحة معركة.

هل لاحظت أي شيء غير اعتيادي في المشهد حولك؟ أي رائحة غريبة أو صوت غريب أو ضوء غريب؟

[تفكر للحظات]. لا، مثلما قلت من قبل، كان الجو رائعاً وهادئاً، لم يكن هناك أي رائحة أو صوت أو ضوء خارج عن المألوف. كان الشيء الوحيد

غير الطبيعي هناك هو أولئك الأطفال الذين وقعوا فاقدي الوعي. شعرت أنني وحدي تماماً، وكأنني آخر من بقي حياً على وجه الأرض. لا أستطيع وصف شعور الوحدة التامة هذه. أردت فقط أن أتبخّر في الجو وألّا أفكر في أي شيء.

وبالطبع لم أستطع أن أفعل هذا- فأنا مسؤولة كمدرّسة. فاستجمعت رباطة جأشي وهبطت الربوة بأسرع ما أمكنني لطلب النجدة من المدرسة.

3

صحوتُ قرابة الفجر. أزحت الستارة ونظرت إلى الخارج. لا بدّ من أن المطر توقف للتو عن الهطول إذ ما زالت الأشياء تقطر بللاً. السحب في شرق السماء واضحة المعالم يؤطرها الضوء. والسماء نفسها تبدو منذرة بالشؤم في لحظة، ومبتسمة بترحاب في لحظة أخرى. يعتمد الأمر على الزاوية التي تنظر منها.

تقطع الحافلة الطريق السريعة بإيقاع ثابت، وتهمهم عجلاتها برتابة، ومثلها المحرك الذي يبدو صوته كجاروش يُطحن فيها الزمن ووعي الركاب على حدّ سواء. الركاب الآخرون يغطّون في النوم، غاطسين في مقاعدهم وستائرهم مسدلة بإحكام. الوحيدان المستيقظان هما أنا والسائق. وجميعنا نمضي إلى وجهتنا بهمّة وخدر.

أشعر بالعطش، فآخذ عبوة مياه معدنية فاترة من جيب الحقيبة وأشرب، ومن الجيب نفسه أخرج كيس مقرمشات بالصودا وأمضغ القليل منها مستمتعاً بالطعم الجاف الأليف. تشير ساعتي إلى 4:32، أنظر إلى تاريخ اليوم واسمه فقط من باب التأكد. ثلاثون ساعة مرّت على تركي للبيت، لم يقفز الوقت أكثر مما يجب، ولم يحدث أي تغيير مفاجئ. ما زال اليوم عيد ميلادي، وما زال اليوم الأول في حياتي الجديدة. أغمض عيني. أفتحهما مرة أخرى. أنظر في ساعتي لأتحقق

ثانيةً من الوقت والتاريخ. ثم أضغط على زر الإضاءة. أخرج كتاباً وأشرع بالقراءة.

بعد الخامسة مباشرة، ودون سابق إنذار، تخرج الحافلة عن الطريق السريعة وتركن أمام استراحة على جانب الطريق. يفتح الباب الأمامي للحافلة فيتسرّب منه الهواء. تومض الأنوار بالداخل ويقوم السائق بإعلان قصير «صباح الخير، أرجو أن تكونوا قد أمضيتم رحلة مريحة، نحن نسير طبقا للمواعيد المحددة وسوف نصل إلى محطتنا الأخيرة، تاكاماتسو، بعد ساعة، سنتوقف هنا لمدة 20 دقيقة، وننطلق مجدداً الساعة 5,30 بالضبط، أرجو أن تكونوا هنا في الوقت المحدد».

يستيقظ معظم الركاب، ويبدأون في التساقط من الحافلة وهم يتثاءبون ويجاهدون بصمت لتنشيط أقدامهم. هنا يمكنهم أن يرتّبوا مظهرهم قبل الوصول لتاكاماتسو. أنزل أيضاً واستنشق الهواء بعمق مرات عدة. أقوم بعدة تمارين مد في هواء الصباح المنعش، ثم أتوجه إلى حمام الرجال وأرش وجهي بالماء. أين نحن بحق الشيطان. أخرج من الحمام وأنظر حولي، لا شيء يميّز هذا المكان، فقط المشهد الجانبي المعتاد الذي تراه على الطريق. بيد أن منظر الجبال ولون الأشجار هنا مختلفان عن الجبال والأشجار في طوكيو. وقد يكون هذا كله محض تهيؤات.

كنت أرشف من الشاي المجاني في الكافتيريا، عندما اقتربت هذه الفتاة وألقت بنفسها على الكرسي البلاستيكي بجانبي. تحمل بيدها اليمنى كوب قهوة كرتوني يتصاعد منه بخار، اشترته من ماكينة المشروبات الآلية، وبيدها الأخرى علبة ساندويتشات- على ما يبدو منها أنها قطعة أخرى من السلع الرائجة في ماكينات الطعام الآلية.

شكلها طريف إلى حدّ ما. وجهها غير متناسق- جبين عريض،

أنف مسطح، خدّان منمشان وأذنان صغيرتان، ذلك النوع من الوجوه الذي اجتمعت عناصره مع بعضها بصعوبة، والذي لا يمكنك المرور به دون أن تلحظه. ومع هذا ليست دميمة. لا تبدو من الفتيات اللواتي يشغلهن مظهرهن، بل إنها منسجمة مع نفسها، وهذا هو الأهم. فيها ملمح طفولي له تأثير مهدئ. ليست طويلة، على الأقل بالنسبة إلي. ساقاها جميلان، ومؤخرتها لطيفة بالنسبة إلى جسمها النحيل.

يصدر من قرطيها المعدنيين الرفيعين بريق يشبه الألومنيوم. تترك شعرها البني الداكن المصبوغ بالأحمر منسدلاً على كتفيها، وتلبس كنزة خفيفة طويلة الكمين، ذات فتحة رقبة مستديرة وخطوط عريضة. وتتدلى من كتفها حقيبة ظهر جلدية وسترة خفيفة معقودة حول رقبتها، وتلبس تنورة قصيرة كريمية اللون، من دون جوربي نايلون. يبدو من خصلات الشعر الرفيعة الملتصقة بجبينها الواسع مثل جذور النباتات أنها غسلت وجهها لتوها. ولدهشتي، تجذبني إليها تلك الخصلات الهاربة.

« كنت في الحافلة؟ أليس كذلك؟»، تسألني بصوت فيه بحة خفيفة.

«صحيح».

تقطب حاجبيها وهي ترشف قهوتها، «كم عمرك؟».

«17»، أكذب.

«في الثانوية يعني؟».

أومئ.

«وإلى أين أنت ذاهب؟».

«إلى تاكاماتسو».

«وأنا أيضاً.. زيارة؟ أم تعيش هناك؟».

«زيارة».

«وأنا أيضاً، لي صديقة هناك، وأنت؟».

«أقارب».

تومئ كما لو أنها تقول «آه فهمت». وتتوقف عن طرح الأسئلة.
فجأة تقول كأنها تذكرت لتوها، «لي أخ أصغر مني في مثل عمرك.. لكنني لم أره منذ وقت طويل. أتعرف؟ أنت تشبه ذاك الشاب. ألم يخبرك أحد بهذا من قبل؟».

«أي شاب؟».

«ذاك المغنّي! عندما رأيتك في الحافلة فكرت أنك تشبهه، لكنني لا أتذكر أسمه. مهما حاولت لا أستطيع تذكّر اسمه، يحدث هذا أحياناً، أليس كذلك؟ تكون الكلمة على طرف لسانك، لكنها لا تخرج. ألم يخبرك أحد من قبل أنك تشبه أحدهم؟».

أهزّ رأسي، لم يقل لي أحد من قبل هذا. وما زالت تمعن النظر فيّ زامّة عينيها عن عمد، «من تقصدين؟»، أسألها.

«هذا الشاب الذي يظهر في التلفزيون».

«شاب يظهر في التلفزيون؟».

«أجل»، تقول وهي تقضم من الساندويتش بشراهة، وتتبعها برشفة قهوة ثم تتابع: «ذلك المغنّي... .يا للمصيبة. لا أذكر اسم فرقته أيضاً. ذاك الشاب الطويل الذي يتحدث بلهجة منطقة كانساي، أليس لديك أي فكرة عمن أتحدث؟».

«آسف، لا أشاهد التلفزيون».

تقطب حاجبيها وترمقني بصرامة، «لا تشاهد التلفزيون أبداً؟».

أهزّ رأسي بصمت. لحظة، أيجب أن أهزّ رأسي أم أن أومئ؟ أختار أن أومئ.

«أنت لا تحب الكلام. أليس كذلك؟. أأنت هادئ هكذا طوال الوقت؟».

يحمرّ وجهي. أنا فعلاً شخص هادئ، لكن جزء من عدم كلامي يعود إلى صوتي الذي لم يبلغ بعد تماماً. إنه منخفض نوعاً ما، لكنه

أحياناً ينقلب عليّ أحياناً ويفلت نوعاً من الأطيط. لهذا أحاول الاكتفاء بما قل ودل.

«عموماً»، تتابع، «أقصد أنك تشبه هذا المغني صاحب اللهجة الكاناسية كثيراً، لا اقصد أن لك لهجة كانساي طبعاً، لكن فقط لا أعرف، فيك شيء يشبهه كثيراً. يبدو شاباً لطيفاً حقاً. هذا كل ما في الأمر».

تظهر ابتسامتها للحظة، وتختفي ثم تعاود الظهور. وأنا منشغل بمسألة احمرار وجهي. تقول: «أتعرف أنك ستشبهه أكثر لو غيرت تسريحة شعرك.. دعه يطول قليلاً، واستخدم القليل من مصفّف الشعر لكي تجعله يقف قليلاً، أتمنى لو أجرب هذا بنفسي، فأنا مصففة شعر أساساً».

أومئ وأرشف الشاي. يغمر الكافتيريا صمت مميت. لا وجود للخلفية الموسيقية المعتادة في هذا النوع من الكافتيريات، ولا من يتحدث سوانا.

«أظن أنك لا تحب التكلم كثيراً؟»، تقول وهي تسند رأسها بإحدى يديها وتنظر إليّ بجدّية.

أهزّ رأسي. «لا، غير صحيح».

«هل تعتقد أن الكلام مع الناس مؤلم؟».

هزة رأس أخرى.

تأخذ ساندويتشها الآخر، مربى فراولة، تعقد حاجبيها وتنظر إلي بدهشة وكأنها لا تصدق. «أتأكل هذا بدلاً مني؟ منذ صغري وأنا أكره مربى الفراولة أكثر من كل شيء في الدنيا».

آخذ منها الساندويتش، ساندويتشات مربى الفراولة ليست تحديداً من ضمن أفضل عشرة أكلات لدي، لكني أكله بصمت. تظل ترقبني حتى أنتهي من آخر قضمة، ثم تقول «ممكن أن أطلب منك خدمة؟».

«خدمة؟».

«هل أستطيع الجلوس بجانبك حتى نصل إلى كاتاماتسو؟ كل ما في الأمر أنني لا أستطيع الاسترخاء حين أجلس وحدي، أخشى أن يأتي غريب ما ويجلس بجانبي، فيهرب مني النوم. قالوا لي عندما حجزت التذكرة إن المقاعد كلها مفردة، لكن عندما صعدت إلى الحافلة وجدتها مزدوجة. لا أريد سوى أن آخذ قيلولة قبل أن نصل، وأنت تبدو شاباً لطيفاً، ألديك مانع؟».

«أبداً، لا مشكلة».

«شكراً.. على رأي المثل، وفي السفر الرفيق...».

أومئ. أومئ. أومئ- هذا كل ما يبدو أنني قادر عليه، وماذا عساي أقول؟

«ما تكملته؟»، تسألني.

«تكملة ماذا؟».

«في السفر الرفيق؟ لا أتذكر تكملة المثل. لست بارعة كثيراً في الأمثال اليابانية».

«في السفر الرفيق وفي الحياة التعاطف».

«في السفر الرفيق وفي الحياة التعاطف»، تكرر المثل لتحفظه. لن أندهش إذا ما أخرجت ورقة وقلماً وسجّلته، «وما الذي يعنيه هذا المثل ببساطة؟»

أستغرق وقتاً لكي أستجمع أفكاري وأشرح لها، بينما تنتظرني بهدوء.

«أظن أن معناه ببساطة أن الصدفة تساعدنا على الاستمرار».

تفكر في الأمر لفترة، ثم تضع يديها ببطء على المنضدة وتريحهما برقة قائلة «معك حق والله- الصدفة فعلاً تساعدنا على الاستمرار».

أنظر إلى الساعة، إنها الخامسة والنصف، «أظن أنه علينا العودة إلى الحافلة».

«نعم، معك حق، هيا بنا»، لكنها تظل جالسة.

«بالمناسبة، أين نحن؟»، أسألها.

«لا فكرة لدي»، تقول وهي ترفع رقبتها وتجيل نظرها في المكان، بينما يتأرجح قرطها جيئة وذهابا مثل فاكهة نضجت وأوشكت على السقوط، «بحسب الوقت، اعتقد أننا قريبون من كيوراشيكي، لا يهم، استراحة الطريق مجرد مكان تمر به في طريقك من هنا إلى هناك». ترفع سبابتيها اليمنى واليسرى بمسافة حوالى 12 بوصة بينهما.

وتتابع «وما أهمية الاسم أساساً؟. . لديك حمامك وطعامك. لمباتك الفلورسنت وكراسيك البلاستيكية. قهوتك المقرفة وساندويتشات مربى الفراولة، الأمر كله بلا معنى - على فرض أنك تحاول أن تجد له معنى ما، إننا آتون من مكان، ومتجهون لآخر. هذا كل ما تحتاج إلى معرفته، أليس كذلك؟».

أومئ. وأومئ. وأومئ.

نعود إلى الحافلة ونجد كل الركاب الآخرين بانتظارنا. يرمقنا السائق الشاب بنظرة حادة تشبه نظرة بوّاب ممتعض. نظرة تأنيب دون كلمات، لكن الفتاة ترشقه بابتسامة بريئة تقول (متأسفان). يقفل الباب الأوتوماتيكي. تحضر الفتاة حقيبتها وتجلس إلى جواري- حقيبة سفر رخيصة، لا بدّ أنها اشترتها أثناء التخفيضات من مكان ما- آخذها عنها وأضعها على الرف. فهي ثقيلة عليها قياساً إلى حجمها. تشكرني وتدفع كرسيها إلى الوراء وتغمض عينيها. ما إن نجلس حتى تنطلق الحافلة. أُخْرِج كتابي وأستأنف القراءة من حيث توقفت.

تغطّ الفتاة سريعاً في النوم. رأسها يرتطم بكتفي عند كل منعطف، وفي النهاية يستند كلياً عليه. فمها مغلق وتتنفس من أنفها بهدوء، يصل تنفسها إلى كتفي بانتظام. أختلس النظر إلى حمالة نهديها من فتحة كنزتها، بيج رفيعة، أتخيل القماش الرقيق في نهاية هذه

الحمالة، والصدر الناعم الذي يملؤه، والحلمتين الورديتين تستثيرهما أطراف أناملي. تأتيني هذه التخيلات دون مجهود، ما باليد حيلة - ينتصب عضوي بقوة وصلابة إلى درجة تحيرني أنا نفسي وتجعلني أتساءل كيف يمكن لجزء من جسدك أن يكون صلبا كالحجر هكذا؟ تخطر لي فكرة صاعقة: احتمال- مجرد احتمال- أن تكون هذه البنت أختي، فهي في نفس سنها. شكلها الغريب لا يشبه الفتاة في الصورة، ولكن هذا مجرد تفصيل. الناس أحياناً يبدون مختلفين تماما بحسب زاوية النظر إليهم. وهي الأخرى قالت إن لها أخاً في سني لم تره منذ زمن. أليس من الممكن أن يكون هذا الأخ أنا- نظرياً على الأقل؟

أتأمل صدرها. حين تتنفس يرتفع نهداها ويهبطان كالموج. تذكّرني، بطريقة ما، بمطر يهطل بهدوء على سطح بحر واسع. وأنا البحّار الوحيد، أقف هناك، وهي البحر. يذوب لون السماء الرمادي في لون البحر حتى يصير صعباً التمييز بينهما. وبين البحّار والبحر. وبين الواقع وأعمال القلب.

لا تضع خاتم خطوبة أو زواج. فقط خاتمين رخيصين، من تلك الإكسسورات التي تجدها في بوتيكات البنات. أصابعها طويلة ونحيلة لكن قوية. وأظافرها قصيرة مقلمة بأناقة ومطلية بلون وردي لامع. تستريح يداها على ركبتيها البارزتين من تنورتها القصيرة. أرغب في لمس هاتين اليدين، طبعاً لا أنفّذ رغبتي. تبدو وهي نائمة طفلة رضيعة. تبرز أذناها الصغيرتان من شعرها كفطر صغير نبت فجأة.

أغلق كتابي وأنظر من النافذة. وسرعان ما أغفو.

4

تقرير وحدة المخابرات بجيش الولايات المتحدة الأمريكية

بتاريخ: 12 مايو 1946

العنوان: تقرير واقعة «رايس باول هيل»، 1944

رمز الوثيقة: PTYX-722-8936745-42216-WWN

في ما يلي حوار مسجل مع د.جوشي ناكازاوا (53 عاماً)، الذي كان مدير العيادة الطبية المحلية ببلدة [الاسم محذوف] عند وقوع الحادثة. ويمكن الحصول على المواد المتعلقة بهذه المقابلة باستخدام الرمز PTY-722-SQ-162 to 183.

انطباعات الشخص الذي أجرى المقابلة الملازم روبرت أوكونور: الدكتور ناكازاوا رجل ضخم الجثة أسمر البشرة، يشبه المزارع أكثر مما مما يشبه الطبيب. طباعه هادئة لكنه سريع البديهة ومحدد العبارة يعبر عما يفكر فيه بدقة. ومن خلف نظارته تبدو نظراته حادة متحفزة، ويبدو أنه يتمتع بذاكرة يمكن الركون إليها.

هذا صحيح- في الساعة 11 من صباح يوم 7 نوفمبر 1944 تلقيت مكالمة هاتفية من ناظر المدرسة الابتدائية المحلية. كنت أعتبر طبيب المدرسة، ولذلك اتصلوا بي أولًا.

كان الناظر مرتبكاً جداً، وأخبرني أن تلاميذ فصل كامل قد سقطوا مغشيّاً عليهم أثناء نزهة مدرسية إلى التلال لجمع الفطر. وحسب ما قاله لي فقد كانوا فاقدي الوعي كلياً، وأن مدرّسة الفصل فقط لم تفقد الوعي، وأنها هرعت لتوّها إلى المدرسة لكي تطلب النجدة. كانت مرتبكة جداً هي الأخرى، ولم أستطع أن أستوضح منها شيئاً، إلا حقيقة واحدة واضحة أكيدة: 16 طفلًا سقطوا مغشياً عليهم في الغابة.

كان الأطفال في نزهة خارجية لجمع الفطر. فكان أول ما ورد لذهني أنهم تناولوا بعض الفطر السام وأصيبوا بالشلل. ولو كان الأمر كذلك لكان من الصعب جداً علاجهم، حيث تختلف درجات السمّ بين نوع فطر والآخر، وبالتالي تختلف طرق العلاج، وأقصى ما يمكن فعله في مثل هذه الحالة هو غسيل المعدة. أما في حالة التسمم الشديد، فيحتمل أن يكون السم قد دخل إلى الدم بسرعة ويكون قد فات الأوان تماماً. ففي منطقتنا يموت عدة أشخاص سنوياً بسبب تناول الفطر السام.

وضعت بعض الإسعافات الأولية في حقيبتي وركبت دراجتي الهوائية إلى المدرسة بأقصى سرعة ممكنة. وكانوا هم قد اتصلوا بالشرطة وحضر بالفعل شرطيّان. وكان علينا أن نعيد الأطفال فاقدي الوعي إلى البلدة ولذا كنا في حاجة إلى كل مساعدة ممكنة. كان معظم الشبان خارج البلدة بسبب الحرب، لذا هرعنا إلى الغابة بمن توافر من الرجال: الشرطيّان ومدرِّس عجوز ومساعد الناظر والناظر وفرّاش المدرسة ومدرّسة الفصل التي كانت مع الأطفال بالطبع. أخذنا الدراجات المتوافرة، لكنها لم تكن كافية، فاضطر كل اثنين منا إلى ركوب دراجة واحدة.

ومتى وصلت إلى موقع الحادثة؟

كانت الساعة 11:55، أتذكر هذا لأنني نظرت إلى ساعتي لحظة وصولنا إلى هناك. ركبنا دراجاتنا حتى أسفل التّل، وهو أبعد ما يمكننا الوصول إليه، ثم أكملنا بقية الطريق صعوداً سيراً على أقدامنا. عندما وصلت إلى هناك كان بضعة أطفال قد استعادوا وعيهم جزئياً. ثلاثة أو أربعة منهم حسبما أذكر.

لم يكونوا واعين تماماً وكانوا ما زالوا يشعرون بالدوار. أما بقية الأطفال فكانوا ما زالوا فاقدي الوعي. وبعد فترة وجيزة بدأ أطفال آخرون يستعيدون وعيهم، وكانت أجسادهم تختلج مثل كومة من الديدان الضخمة. كان المشهد بالغ الغرابة. مكان غريب في الغابة، مسطح ومفتوح، ويبدو أن الأشجار فيه قد أزيلت بترتيب، وضوء شمس الخريف يسطع بهدوء، وفي هذا المكان تجد 16 تلميذاً في المدرسة الابتدائية مرميين على الأرض في حالة إغماء. بدأ بعضهم يتحرك، وبقي الآخرون بلا حراك. ذكّرني الأمر كله بمسرحية تجريبية غريبة.

للحظة سهوت عن أنه يفترض بي معالجة الأطفال، ووقفت هناك جامداً مذهولًا. ولم يكن هذا حالي أنا فقط، بل جميع من حضروا للإغاثة، تسمّرنا هناك للحظة مأخوذين بما نراه. ربما تكون طريقة غريبة في التعبير، لكن الأمر بدا وكأن هناك خطأ ما جعلنا نرى ما لا يجب أن يراه البشر. كان زمن حرب، وكنت كطبيب في حالة تأهُّب ذهني دائم للتعامل مع أي طارئ، على الرغم من ندرة احتمال حدوث شيء خطير هنا في البلدة. وكمواطن ياباني كنت مستعداً لتلبية نداء الواجب إذا ما استدعت الضرورة ذلك. ولكن عندما رأيت هذا المشهد في الغابة تخشّبت، بكل بمعنى الكلمة تخشّبت.

وسرعان ما أفقت على نفسي، وانحنيت على طفلة صغيرة. كان جسدها طرياً، ليس فيه ذرة قوة كما لو أنه دمية من القماش. ومع أنها كانت تتنفس بانتظام فقد كانت لا تزال فاقدة الوعي. ورغم حالها هذه كانت عيناها مفتوحتين تتبعان شيئاً ما يميناً ويساراً. وجّهت ضوء مصباح يدوي صغير أخذته من حقيبتي إلى بؤبؤي عينيها، فلم تصدر أي رد فعل. كانت عيناها تعملان جيداً، تراقبان شيئاً ما، لكنهما لم تتفاعلا مع الضوء. فحصت أطفالًا آخرين وكانوا جميعاً في الحالة نفسها، لا استجابة. كان شيئاً بالغ العجب.

ثم فحصت نبضهم ودرجة حرارتهم. كان يتراوح نبضهم ما بين 50

و55، ودرجة حرارتهم جميعاً دون الـ 97 درجة مئوية، 96 وكسور حسبما أتذكر. نعم هذا صحيح- بالنسبة إلى أطفال في سنهم، كان هذا النبض أقلّ من الطبيعي بالتأكيد، ودرجة الحرارة أعلى من المعدل الطبيعي بدرجة واحدة. شممت رائحة نَفَسهم، وكانت طبيعية وكذلك الأمر بالنسبة إلى حناجرهم وألسنتهم.

تأكدت فوراً من أنها ليست أعراض تسمم، فلا قيء ولا إسهال، ولم يبدُ على أي منهم الإحساس بالألم. فمن المتوقع، إذا كان الأطفال قد تناولوا طعاماً ساماً - وبعد مرور كل هذا الوقت- ظهور عارض واحد على الأقل من أعراض التسمم. فشعرت بارتياح بالغ لأنه لم يكن تسمّماً، لكنني ارتبكت بعدها لأنني لم أعرف ما قد يكون حدث لهم.

كانت حالتهم تشبه أعراض ضربة الشمس التي تسبّب غالباً الإغماء للأطفال في فصل الصيف. وهي تشبه العدوى، ما إن يغمى على طفل منهم، حتى تجد جميع أترابه يفعلون مثله بالتتابع. ولكننا كنا في نوفمبر، وكان الجو لطيفاً في الغابة. يمكن أن أتخيل أن يصاب طفل أو اثنان بضربة شمس، ولكن أن يسقط 16 طفلًا دفعة واحدة فهذا ما لا يمكن تخيّله.

فكرت عندها في احتمال تأثير نوع ما من الغازات السامة أو غيرها من غازات الأعصاب، التي إما أن تكون نتجت بصورة طبيعية أو من صنع الإنسان. لكن كيف يمكن أن يظهر الغاز وسط الغابة في مثل هذا المكان البعيد عن البلدة؟ لذا لم أُعِرْ هذه الفكرة اهتماماً كبيراً. بيد أن الغاز السام يمكن أن يفسّر منطقياً ما رأيته ذلك اليوم. الجميع تنشَّق هذا الغاز وفقدوا وعيهم فوراً. أما المدرّسة فلم تفقد الوعي لأن الغاز لم يكن مركّزاً كفاية بحيث يؤثّر على شخص بالغ.

وقعت في حيرة تامة بخصوص كيفية معالجة الأطفال. فأنا مجرد طبيب ريفي بسيط وغير متخصّص في الغازات السامة، ولهذا لم أكن واثقاً مما يجدر بي فعله. ولأننا في بلدة بعيدة لم أستطع الاتصال بطبيب

متخصّص. بعد ذلك أخذ الأطفال في التحسن التدريجي، وتوقعت أنه ربما مع مرور الوقت سيستعيد جميع الأطفال وعيهم. أجل، بالغت في التفاؤل، لكن لم يكن بيدي حيلة، ولذا اقترحت أن نتركهم راقدين على حالهم لفترة من الوقت ونرى ما سيحدث.

هل لاحظت أمراً غير اعتيادي في الجو؟

أنا أيضاً طرحت هذا السؤال على نفسي، واستنشقت بعمق مرّات عدة محاولًا التقاط أي رائحة غير مألوفة، لكنني لم أشمّ سوى الروائح المعتادة التي يمكن اشتمامها على ربوة في غابة. فقط رائحة أريج الأشجار المنعشة. ولم يكن هناك أي شيء غير اعتيادي في رائحة الأزهار والنباتات حولنا، ولا أي تغيير في المنظر أو الألوان.

فحصت الفطر الذي جمعه الأطفال كلّ على حدة، لم يكن هناك الكثير منه، فاستنتجت أنهم قد سقطوا بعد وقت قصير من بداية جمعهم له، وكان كل ما جمعوه قابلًا للأكل. عملت هنا كطبيب لفترة طويلة نسبياً وأعرف جيداً مختلف أنواع الفطر. وبالطبع ولمزيد من الطمأنينة، أخذت الفطر الذي جمعوه إلى أحد الخبراء ليفحصه. فأفادني بأنه من النوع العادي والقابل للأكل.

قلت إن حدقات عيون الأطفال المغشي عليهم كانت تتحرك يساراً ويميناً، ولكن عدا هذا هل لاحظت أي ردود فعل غير اعتيادية؟ كتغيير ما في حجم البؤبؤ مثلًا، أو في بياض العين أو في طرف الرموش؟

لا، لم يكن هناك أي شيء غير اعتيادي سوى حركة أحداقهم التي كانت تشبه في تنقّلها ضوء المنارة. وكانت جميع وظائف العين الحيوية الأخرى طبيعية. كان الأطفال ينظرون إلى شيء ما. أو بالأحرى، ما كانوا ينظرون إلى شيء نراه، وإنما إلى شيء لا نستطيع أن نراه، وبدوا أشبه بمن يتبع شيئاً لا بمن ينظر إلى شيء. ولكن بصورة عامة بدوا هادئين، وليسوا خائفين أو

متألمين. ولهذا أيضاً قررت أن ندعهم راقدين وننتظر ما سيحدث. قلت لنفسي إذا كانوا لا يشعرون بالألم فلندعهم قليلًا.

هل ذكر أحدهم أن الأطفال قد استنشقوا الغاز؟

نعم. بعضهم قال هذا، ولكن مثلي لم يستطع تحديد كيفية حدوث ذلك. أقصد أنه لم يسبق لأي منا أن سمع عن أحد خرج في نزهة إلى الغابة واستنشق غازاً ساماً. فقال أحدهم، أعتقد أنه كان مساعد الناظر «ربما كان غازاً أسقطه الأمريكان، لا بدّ من أنهم رموا قنبلة غاز سام»، حسب قوله. فتذكرت مدرّسة الفصل أنها رأت جسماً يشبه طائرة ب- 29 تحلق فوقهم مباشرة وذلك قبل أن يبدأوا في صعود التل. فأيقن الجميع أن هذا هو السبب، قنبلة غاز اخترعها الأمريكان حديثاً، وكانت قد وصلت الشائعات حول القنبلة الجديدة التي يطورها الأمريكان إلى منطقتنا هذه حتى. ولكن لِمَ يُسقط الأمريكان أحدث اختراعاتهم هنا في بقعة نائية كلياً عن العالم؟ هذا ما لم استطع أن أجد له تفسيراً. ولكن الأخطاء جزء من الحياة، وأعتقد أن هناك أشياء يجب ألا نحاول فهمها.

هل استعاد الأطفال وعيهم تدريجياً بعدها؟

أجل. لا تتصوّر مدى الراحة التي شعرت بها حينها، في البداية أخذوا ينهضون من حولنا، وجلسوا متقلقلين، ثم بدأوا باستعادة وعيهم تدريجياً. و لم يشكُ أحدهم من أي ألم، حصل كل شيء بهدوء كأنهم كانوا يستيقظون من نوم عميق. وحين أفاقوا عادت حركة أحداقهم إلى طبيعتها، وتجاوبوا بصورة طبيعية مع الضوء المسلّط على عيونهم. أخذ الأمر بعض الوقت قبل أن يبدأوا بالتكلم بصورة طبيعية مجدداً- تماماً مثلما يحدث حين تصحو من النوم.

سألناهم تباعاً عما حدث، وبدوا جميعاً محتارين وكأننا نسألهم عن أشياء لا يتذكرونها. تذكروا الصعود إلى الربوة والبدء في جمع الفطر فقط،

وكل ما يلي ذلك كان بياضاً تاماً، لم يشعروا بحدوث شيء بين تلك اللحظة ولحظة استيقاظهم. فقط بدأوا في جمع الفطر، ثم أسدلت ستارة، وهاهم يرقدون على الأرض محاطين بكل هؤلاء البالغين، لم يفهم الأطفال لماذا نحدّق بهم والقلق مرتسم على وجوهنا. بدوا خائفين منا أكثر من أي شيء آخر.

وللأسف، بقي طفل واحد مغشيّاً عليه. أحد الأطفال النازحين من طوكيو، أظن اسمه ساتورو ناكاتا، طفل صغير شاحب الوجه، كان الوحيد الذي ظل راقداً على الأرض فاقد الوعي وحدقتا عينيه تتحركان يساراً ويميناً. حملناه وهبطنا الربوة. وسار الأطفال الآخرون على أقدامهم معنا كأن شيئا لم يكن.

وفيما بعد، *ألم يظهر على الأطفال الآخرين غير ناكاتا أي أعراض أخرى؟*

بالنسبة إلى الأعراض الظاهرية على الأقل، لا. لم تظهر عليهم أي أعراض غير طبيعية. ففور عودتنا إلى المدرسة أحضرت الأطفال إلى غرفة التمريض، وفحصتهم تباعاً، وقست درجات حرارة، ونبض، ونظر كل واحد منهم، فعلت كل ما أمكنني فعله وقتها، وطرحت عليهم بعض المسائل الحسابية البسيطة، وطلبت منهم الوقوف على ساق واحدة مغمضي العيون، وأشياء من هذا القبيل. كانوا جميعاً، من الناحية الطبية، بخير. لم يبدوا مرهقين، وكانت شهيتهم طبيعية، كانوا قد فوّتوا موعد الغداء فكانوا جميعاً جائعين، قدمنا لهم كرات الأرز ، فالتهموها بنهم.

مررت على المدرسة بعد عدة أيام لأطمئن إلى حالهم، واستدعيت بعضهم إلى حجرة التمريض وطرحت عليهم بعض الأسئلة، وأيضاً بدا كل شيء طبيعياً. لم تترك هذه الحادثة العجيبة أي أثر عليهم سواء على المستوى البدني أم النفسي. حتى أنهم لم يتذكروا حدوثه. عادوا إلى حياتهم الطبيعية من دون أن يتأثروا بالحادث أدنى تأثر، وظلّ أداؤهم الدراسي كالمعتاد، يغنّون الأناشيد ويلعبون في الفسحة، ويفعلون كل شيء تماماً

كالأطفال الطبيعيين. على عكس مدرِّستهم التي ظلت تحت تأثير الصدمة.

أما ناكاتا فظلّ فاقد الوعي. فأخذوه في اليوم التالي إلى المشفى الجامعي في «كوفو»، ثم حوّلوه من هناك إلى المشفى العسكري ولم يعد إلى بلدتنا مرة أخرى. ولم أسمع عنه منذ ذاك الحين.

لم يصل خبر الحادث إلى الصحف أبداً، وفي ظنّي أن السُّلُطات حظرت أي ذكر له منعاً لإثارة البلبلة، لا تنسَ أنه كان زمن حرب، وكانت السلطات العسكرية تحاول إخفاء كل ما تعتبره شائعات لا أساس لها من الصحة. فلم تكن الحرب تسير جيداً، بعد انسحاب الجيش من الجبهة الجنوبية، وتوالي عمليات الهجوم الانتحارية والهجمات الجوية على المدن وازديادها سوءاً بمرور الوقت. وكانت السلطات العسكرية قلقة خاصةً من ظهور مشاعر مناهضة للحرب أو داعية إلى السلام. وقد حضرت الشرطة بعد أيام من الواقعة وحذَّرتنا ألا نتحدث عما رأيناه تحت أي ظرف كان.

كانت المسألة برمتها غريبة ومزعجة، وما زالت ذكراها تُثْقِلُ على قلبي.

5

كنت نائماً حين عبرت الحافلة الجسر الضخم الجديد فوق البحر الداخلي[1]. كنت قد رأيت هذا الجسر في الخرائط فقط وكنت أتطلع إلى رؤيته عن كثب. يلكزني أحدهم برفق في كتفي فأستيقظ.

«وصلنا»، تقول الفتاة.

أتمطّى وأفرك عينيّ وأنظر من النافذة. تركن الحافلة في ما يشبه الميدان أمام محطة. شمس الصباح المنعش تنير المكان، ونورها قوي يغشى العين لكنه لطيف نوعاً ما، ومختلف أيضاً عن الضوء الذي اعتدت عليه في طوكيو. أنظر إلى ساعتي: 6:32 صباحاً.

«يا إلهي، كم كانت رحلة طويلة!»، تقول الفتاة بإرهاق، «ظننت أن أسفل ظهري سيصاب بالشلل، ورقبتي تؤلمني بشدة، لن أذهب في رحلة ليلية في حافلة بعد الآن. من الآن فصاعداً سأسافر بالطائرة ولو كانت مكلفة. سواء في الأجواء العاصفة أم حتى تحت تهديد حوادث الاختطاف، لن أركب إلا الطائرة».

أنزل حقيبة سفرها وحقيبة ظهري من الرف العلوي، «ما اسمك؟»، أسألها.

---

(1) البحر الداخلي: مساحة مائية تفصل ثلاثة جزر باليابان هونشو وشيكوكو وكيوتشو، وهو طريق مائي يصل بين المحيط الهادئ وبحر اليابان. (المترجم)

«اسمي؟».

«أجل».

«ساكورا. . وانت؟».

«كافكا تامورا».

تسرح في الاسم «كافكا تامورا. . اسم غريب لكن يسهل تذكره».

أومئ موافقاً. قد يكون من الصعب أن يصبح المرء شخصاً آخر، أما أن يبدّل اسمه فغاية في السهولة.

تنزل من الحافلة، تطرح حقيبتها أرضاً ثم ترتمي فوقها. تخرج دفتر ملحوظات من جيب حقيبة ظهرها الصغيرة، وتخربش بالقلم شيئا ما على الورقة ثم تنزعها وتناولني إياها. يبدو أنه رقم هاتف.

«هذا رقم موبايلي. . إنني أعيش مؤقتاً في شقة صديقة لي، إذا شعرت بالحاجة إلى رؤية أحدهم اتصل بي، يمكن أن نخرج معاً ونتناول الطعام أو نفعل شيئاً كهذا. لا تشعر بالخجل، حسناً؟ فحتى لقاءات الصدفة. . ما هي تتمة العبارة؟».

«هي نتائج الكارما».

« صح. . صح. . ولكن ما معنى هذا؟».

«أن الأشياء التي تحدث لنا في حياتنا مكتوبة في حياتنا السابقة، وأنه حتى في أصغر الأشياء لا وجود للصدفة».

قاعدة على حقيبتها الصفراء، وفي يدها دفتر الملحوظات، تفكّر قليلاً في الأمر «ممم. . . هذا نوع من الفلسفة أليس كذلك؟ ليست طريقة سيئة للتفكير في الحياة، شيء يشبه البعث أو العهد الجديد. ولكن كافكا، تذكر هذا جيّداً؟ أنا لا أعطي رقم موبايلي لأي شخص كان، أتفهمني؟».

أقول لها إنني أقدّر هذا. ثم أطوي الورقة وأضعها في جيب سترتي، وبعد أن أفكر قليلاً في الأمر أعاود وضعها في محفظتي.

تسألني ساكورا «وكم ستبقى في تاكاماتسو؟».

«لا أعرف بعد. . يعتمد ذلك على سير الأمور».

تحدّق بي باهتمام، مميلة رأسها جانباً، وكأنها تقول في سرّها حسناً، لا يهمّ، قبل أن تقفز في سيارة أجرة وتلوّح لي سريعاً وتختفي.

ها أنا وحدي من جديد. ساكورا، أفكّر بالاسم. ليس اسم أختي. ولكن يسهل على المرء أن يغيّر اسمه، خصوصاً عندما يكون هارباً.

لدي حجز في فندق بتاكاماتسو أرشدتني إليه «جمعية الشبان المسيحيين» في طوكيو، وأمّنت لي تخفيضاً على الأجرة لأول ثلاثة أيام فقط، ثم يكون عليّ أن أدفع السعر الاعتيادي.

لو كنت أنوي التوفير حقاً لنمت على أي مقعد خارج المحطة، خصوصاً أن الطقس دافئ، أو ربما كنت نمت في حقيبة نومي في أي حديقة عامّة. ولكن عندها ستأتي الشرطة وتطلب هويتي- وهذا ما عليّ تجنّبه بأي ثمن، لذا اخترت الفندق، على الأقل لثلاثة أيام، وبعدها سأجد حلاً ما.

في المحطة، أسرع إلى أول مقهى صغير تقع عليه عيناي وأملأ معدتي بالأودون[2]. لم أتناول هذه الكمية من الأودون في حياتي لأنني ولدت وتربيت في طوكيو، ولكنني الآن في شيكوكو - مركز الأودون وأمامي كمية من «النودلز» لم أرَ مثلها في حياتي؛ مقرمشة وطازجة، وتفوح من الحساء المرافق لها رائحة شهية. أما السعر فأرخص ما يكون. أجد مذاق الطعام رائعاً فأطلب مرة ثانية، ولأول مرة منذ زمن لا أذكره أشعر بالشبع. بعد هذا أرتمي على مقعد في الميدان القريب من المحطة وأروح أنظر إلى السماء المشمسة. أُذكّر نفسي: *أنا حُرّ*، كتلك السحب السابحة في السماء، وحدي تماماً وحرّ كلياً. أقرر أن أبدّد

---

(2) أودون - udon: أكلة يابانية شعبية مكونة من الشعرية المصنوعة من القمح الأبيض بمرقة لحم خفيفة. http://en.wikipedia.org/wiki/Udon

الوقت حتى المساء في مكتبة. منذ صغري وأنا أحب قضاء معظم وقتي في المكتبات. ولذا قبل مجيئي إلى تاكاماتسو تزوّدت بالمعلومات عن كل المكتبات الموجودة في المدينة وجوارها. فكّر في هذا: فتى لا يود الرجوع إلى المنزل وليس لديه أماكن كثيرة يمكنه الذهاب إليها، لا يسمح له بالدخول إلى المقاهي والسينما. لا يبقى أمامه غير المكتبات، مكان مثالي- الدخول مجاني، ولا أحد ينزعج إذا دخل إليها فتى مثلي. فقط تجلس وتقرأ قدر ما تشاء. اعتدت أن أذهب بدراجتي الهوائية بعد المدرسة إلى المكتبة العامة في الحي،، دائماً تجدني هناك حتى في العطل.. كنت ألتهم جميع أنواع الكتب من روايات وسير ذاتية وتاريخ- كل ما هو متوافر. وحين انتهيت من قراءة كتب الأطفال، بدأت بكتب البالغين، ومع أنني لم أكن أفهم منها الكثير، غير أنني كنت أقرأها حتى الصفحة الأخيرة، وعندما أتعب من القراءة أذهب إلى إحدى الكبائن السمعية وأضع سماعتي الأذنين، واستمتع بالموسيقى. وبما أنني جاهل في الموسيقى، فقد كنت أجول بين الأقراص المدمجة وأسمعها تباعاً، وهكذا تعرفت على ديوك إلينغتون، والبيتلز، وليد زيلن.

كانت المكتبة بمثابة بيتي الثاني. أو لعلها كانت بيتي الحقيقي أكثر من المكان الذي عشت فيه. وبما أنني من الرواد الدائمين فقد تعرفت على جميع السيدات العاملات هناك، وكنّ يحيينني بالاسم، مع أنني كنت بالكاد أردّ عليهن بسبب خجلي الشديد.

قبل مجيئي إلى تاكاماتسو، اكتشفت أن أحد الرجال الأغنياء من عائلة عريقة في الضواحي أعاد تأثيث مكتبته الخاصة التي تحتوي على الكثير من الكتب النادرة وحوَّلها إلى مكتبة عامة. وقد عرفت أيضاً أن المبنى نفسه والحديقة المحيطة به يستحقان الزيارة. وذات مرة شاهدت صورة فوتوغرافية للمنزل الضخم في مجلة «تايو». عمارته على الطرز الياباني التقليدي، وبه قاعة قراءة أنيقة تبدو أشبه ببهو، حيث يجلس

القراء حاملين كتبهم على الأرائك التي تبدو مريحة جداً. لسبب ما احتفظت بهذه الصورة، وتمنيت أن تتاح لي الفرصة يوماً لزيارة المكان. مكتبة كوميورا التذكارية. هذا هو اسمها.

أقصد مكتب الاستعلامات في المحطة لأستعلم عن الطريق إلى هناك. تشير لي شابة بشوشة إلى الموقع على خريطة السواح، وتدلني أيضاً على القطارات الذاهبة إلى هناك، وتخبرني أن الوصول إليه يستغرق ثلث ساعة بالقطار. أشكرها وأراجع جدول الرحلات المعلق في المحطة. ينطلق قطار كل 20 دقيقة، لديّ وقت إذن، فأشتري وجبة سريعة للغداء من أحد المحال الصغيرة.

القطار مكون من عربتين صغيرتين متصلتين. يمر أولاً بشارع تجاري مزدحم، ثم بخليط من المحال الصغيرة والبيوت والمصانع والمخازن. ثم بمنتزه وبمبنى سكني قيد الإنشاء. أمدّ وجهي من النافذة لأمعن النظر في المشاهد غير المألوفة، نادراً ما خرجت من طوكيو، فكل ما أراه الآن يبدو طازجاً وجديداً. ينطلق القطار من البلدة فارغاً تقريباً من الركاب، لكن الأرصفة المقابلة تزدحم بالتلاميذ بزيّهم المدرسي وحقائبهم المتدلية من أكتافهم. إنهم متجهون إلى مدارسهم، على عكسي. أنا الوحيد الذي يمضي في الاتجاه المعاكس، وبأكثر من معنى. فجأة أشعر بالهواء ثقيلاً، ويجثم إحساس قاتم على صدري. هل أفعل الشيء الصواب حقا؟ يشعرني هذا الخاطر بالعجز والوحدة، فأدير ظهري لتلاميذ المدارس وأتحاشى النظر إليهم طوال الطريق.

يمضي القطار لفترة بمحاذاة البحر، ثم أعمق في المدينة، عابراً حقول ذرة طويلة، وكروم عنب، وأشجار برتقال على تلال ممهدة، ومن وقت لآخر تلوح بركة ري تتلألأ مياهها تحت الشمس. نمرّ بنهر يجري في أرض مسطحة ويبدو متعشاً ومغرياً، ثم بأرض فارغة إلا من حشائش الصيف البرية. ثم أرى كلباً واقفاً على سكة الحديد يحدّق ببرود في

القطار المندفع. يغمرني الدفء والهدوء من جديد. فآخذ نفسا عميقا وأحدّث نفسي ستكون بخير. ما عليك سوى أن تمضي قدماً.

حين أصل إلى المحطة أتبع الخريطة وأتجه شمالاً ماراً بصفوف من المتاجر والبيوت القديمة. البيوت على جانبي الطريق محتجبة بجدران من مختلف الأنواع والألوان، جدران سوداء، أخرى بيضاء، ثالثة من الجرانيت، رابعة من الطوب تعلوها النباتات. المكان ساكن لا يعبره سواي، ونادراً ما تمرّ سيارة. والهواء ينضح برائحة البحر الذي يبدو قريباً، أنصت جيداً، لكنني لا أسمع هدير الموج، بل أزيز منشار كهربائي آت من بعيد، ربما من موقع بناء. ثمة أسهم صغيرة تشير إلى موقع المكتبة، وبذا لا أضل الطريق.

ثمة، أمام البوابة الأمامية المهيبة لمكتبة كوميورا التذكارية، شجرتا برقوق شذّبتا بعناية. أما الطريق إلى الداخل فتمضي عبر ممرّ رملي اصطفت على جانبيه مجموعة من الأشجار والنباتات المشذّبة بعناية هي الأخرى - أشجار صنوبر وماغنوليا و كيريا وأضاليا، لا تجد ورقة واحدة منها على الأرض. يبرز من بين الأشجار مصباحان أعلى سارين حجريين، وتبرز كذلك بركة صغيرة. أخيراً أصل إلى المدخل المزدان بزخرفات دقيقة. أتسمّر متردداً للحظات أمام الباب الأمامي المفتوح. لا يشبه هذا المكان أي مكتبة زرتها من قبل. ولكن بما إنني قطعت كل هذه المسافة، أحسم أمري وأدخل، فيطالعني على الفور شاب جالس خلف مكتب الاستقبال. أضع حقيبة ظهري وأخلع نظارة الشمس والقبعة.

«هذه زيارتك الأولى؟»، يسألني بصوت خفيض، ينطوي على بعض الحدة، لكنه ناعم ومهدئ. أومئ موافقاً لكن الكلمات تأبى أن تخرج من فمي. يفاجئني السؤال ويوتّرني قليلاً. يحدّق الشاب في وجهي لبرهة. القلم الرصاص الذي يحمله أصفر وينتهي طرفه الآخر بممحاة. وجه الشاب صغير وملامحه عادية. ينطبق عليه وصف

«ظريف» أكثر من «وسيم». يرتدي قميصاً قطنياً أبيض بأزرار مقفولة وبنطالاً زيتونياً، مكويين جيداً. وعندما ينظر إلى أسفل ينسدل شعره الطويل على وجهه، وبين الحين والآخر يلاحظ ذلك فيرجعه بأصابعه إلى الوراء. يطوي كمي قميصه حتى كوعيه، كاشفاً عن معصم أبيض نحيل. تكمل ملامحه نظّارات جميلة رفيعة الإطار. تفيد البطاقة البلاستيكية المعلقة على صدره بأن اسمه «أوشيما». بصورة عامة لا يشبه موظفي المكتبات الذين أعتدت رؤيتهم.

«تستطيع البحث عما شئت من الكتب»، يقول لي، «وحين تختار واحداً يمكنك قراءته في قاعة القراءة. أما الكتب النادرة فعليها ختم أحمر، وإذا أردت قراءة أحدها فعليك ملء استمارة معينة. حجرة المراجع هناك إلى يمينك، ويمكنك البحث عبر فهرس البطاقات أو الكومبيوتر. غير مسموح بإخراج الكتب، أو إدخال الصحف والمجلات. لا يسمح أيضاً إدخال الكاميرات أو تصوير صفحات من أي كتاب. تستطيع تناول المأكولات والمشروبات على الشرفة، ونحن نغلق الساعة الخامسة». ثم يضع قلمه على المكتب، ويضيف «هل أنت في الثانوية؟»

«نعم. في الثانوية»، أجيب بعد نفس عميق.

«هذه المكتبة مختلفة قليلا عن المكتبات التي ربما اعتدتَ عليها»، يقول، «نحن متخصصون في أنواع معينة من الكتب، الكتب القديمة بشكل أساسي، تلك الخاصة بشعر التانكا والهايكو. ولدينا طبعاً مجموعة من الكتب العامة. معظم الذين يقصدوننا من مناطق بعيدة هم باحثون يعدّون أبحاثا في هذه المجالات، فلا أحد يأتي إلى هنا لقراءة أحدث روايات ستيفن كينج. وأحياناً أيضاً يأتي بعض الخريجين الجامعيين، ولكن يندر أن يأتي أحد في مثل سنك، فهل تعدّ بحثاً عن التانكا أو الهايكو إذن؟».

«لا».

«توقعت ذلك».

«أما زال بمقدوري الدخول؟»، أسأله، مجاهداً ألا يفضح صوتي ارتباكي.

«بالطبع»، يبتسم ويضع كلتا يديه على المكتب، «نرحّب هنا بجميع محبي القراءة. أنا نفسي، بيني وبينك، لست شديد الشغف بشعر التانكا والهايكو».

«لكنه بناء جميل حقاً».

يومئ موافقاً ثم يشرح لي: «لقد عرفت عائلة كوميورا بصناعة شراب الساكي منذ حقبة إيدو[3]، وقد كان رب العائلة السابق محباً للكتب، واشتهر في أنحاء البلاد ببحثه الشغوف عنها، وكان والده نفسه شاعر تانكا، وكان يستضيف الكثير من الكتّاب في شيكوكو، وعلى سبيل المثال فإن واكاياما بوكوسوي[4]، أو إيشيكاوا تاكوبوكو[5]، وشيجا ناويا[6]، ممن ارتاحوا هنا، فأقاموا ردحاً من الزمن. عموماً، أنفقت العائلة مبالغ طائلة على الآداب. وما يحدث غالباً مع عائلة كهذه، أن يبدد أحد الأحفاد الميراث، ولكن لحسن الحظ لم يكن هذا قَدَرُ عائلة كوميورا. فقد تمتعوا بحبهم للآداب وحافظوا في الوقت نفسه على ازدهار أعمالهم التجارية».

«لقد كانوا أغنياء إذاً»، أقول مستنتجاً ما هو واضح.

---

(3) فترة إيدو، أو فترة طوكيوجاوا، وهي فترة حكم الشوجان إيدو، وقد انتهت باستعادة الحكم الإمبراطوري، وتعد أيضا بداية الفترة الحديثة لليابان.

(4) Wakayama Bokusui: 1885-1928، كاتب ياباني، من أحد شعراء التانكا من المدرسة الطبيعية، في بداية القرن العشرين.

(5) Ishikawa Takuboku: 1886-1912، شاعر ياباني معروف بكونه من شعراء التانكا وكذلك الشعر الحر، وبدأ كأحد أبناء مجموعة ميوجو للطبيعيين، لكنه التحق فيما بعد بمجموعة الشعراء الاشتراكيين وأقلع عن مدرسة الطبيعية.

(6) Shiga Naoya: 1883-1971- روائي وكاتب قصص قصيرة ياباني عاصر فترتي التايشو والشوا.

«إلى حدّ كبير»، يكوّر شفتيه قليلاً، «لكنهم ما عادوا أثرياء كما كانوا قبل الحرب، بل فقط ميسوري الحال إلى حدّ كبير، ولهذا يمكنهم الحفاظ على مثل هذه المكتبة الرائعة. وبالطبع تحويلها إلى مؤسسة يساعدهم على تخفيض ضريبة الميراث، ولكن هذه قصة أخرى. إذا كنت مهتماً حقاً بالمبنى فأقترح عليك الانضمام إلى الجولة الأسبوعية القصيرة التي تتمّ كل ثلاثاء عند الثانية ظهراً، أي اليوم. تستطيع أن تشاهد مجموعة فريدة من اللوحات في الطابق الأول، كما أن عمارة المبنى نفسها رائعة، أنا واثق من أنك ستستمتع».

«شكرا لك».

يجيبني بابتسامة تعني «على الرحب والسعة». ثم يحمل قلمه من جديد ويطرطق بالممحاة على سطح المكتب وكأنها إشارة تشجيعية.

«هل أنت الدليل في الجولة؟».

يبتسم أوشيما «لا، أخشى أنني مجرد مساعد أدنى مقاماً، الآنسة سايكي هي المسؤولة هنا، وهي رئيستي في العمل، وقريبة لعائلة كوميورا أيضاً، وهي الدليل في الجولة، بالتأكيد ستحبها، فهي شخص رائع».

أجول بين رفوف الكتب المرتفعة إلى السقف باحثاً عن كتاب يبدو مثيراً للاهتمام. عوارض خشبية سميكة تمتد عبر السقف، ومن النافذة يسطع الضوء الخفيف لأول الصيف، بينما تُسمع زقزقة طيور آتية من الحديقة. معظم الكتب، كما أخبرني أوشيما، يتمحور حول الشعر الياباني، التانكا والهايكو، ومقالات في الشعر، وسير ذاتية لشعراء شتى. هناك أيضا كتب كثيرة عن التاريخ المحلي. وعلى رف خلفي توجد كتب في العلوم الإنسانية - مجموعات من الأدب الياباني والعالمي، وأدباء فرادى، وكتب كلاسيكية، ومؤلفات في الفلسفة، والمسرح، وتاريخ الفنون، والاجتماع، والتاريخ، والأحياء، والجغرافيا... معظم الكتب، حين أفتح صفحاتها، تنبعث منها رائحة

الأزمنة الغابرة - ذلك العبق الخاص بالمعرفة والعواطف الراقدة بِدَعَةٍ منذ زمن في طيات الكتب. أتنشق العبق الخاص بكل كتاب وأتصفحه ثم أعيده إلى مكانه. وأخيراً أتوقف عند مجموعة من المجلدات ذات الأغلفة الجميلة، ألف ليلة وليلة، ترجمة بورتون[7]، فآخذ أحد الأجزاء وأذهب إلى قاعة القراءة. لقد كنت راغباً منذ زمن في قراءة هذا الكتاب. بما أن المكتبة قد فتحت لتوها، فلا أحد سواي في قاعة القراءة الأنيقة، إنها لي وحدي. تماماً كما رأيت صورتها في المجلة- أجد القاعة واسعة وحميمة وعالية السقف. وبين الحين والآخر تهبّ نسمة رقيقة من البحر عبر النافذة المفتوحة، فتتمايل الستارة البيضاء. أحب تلك الأريكة الوثيرة. وفي زاوية القاعة ينتصب بيانو قديم، والمكان كله يشعرني وكأنني في منزل صديق.

وبينما أنا جالس على الأريكة أتأمل القاعة يباغتني هذا الخاطر: هذا هو بالضبط المكان الذي كنت أبحث عنه طوال حياتي. مخبأ صغير في مغارة في مكان ما، غالبا ما كنت أفكر فيه كمكان خيالي وسرِّي، ولا أستطيع أن أصدِّق أنه موجود فعلاً. أغلق عينيّ وأتنهّد، شاعراً بروعة هذا كله يطفو فوقي كسحابة رقيقة. أتحسّس ببطء قماش الأريكة الكريمي، ثم أتجه إلى البيانو، وأرفع غطاءه، وبأصابعي العشرة أضغط على المفاتيح الصفراء الباهتة. أقفل الغطاء وأمشي على السجادة العنابية العتيقة إلى النافذة وأجرّب مقبضها القديم. أضيء مصباح الإنارة وأطفئه، ثم أتفرج على اللوحات المعلقة على الحوائط. وأعود فأرتمي على الأريكة وأستأنف قراءة ألف ليلة وليلة من حيث توقفت، مركزاً لبعض الوقت.

---

(7) Sir Richard Francis Burton: 1821-1890. مستكشف بريطاني ومترجم، وعسكري ومستشرق، وعالم أعراق، وعالم لغوي وشاعر، ومنوّم مغناطيسي، ومبارز ودبلوماسي. عرف بأسفاره في آسيا وأفريقيا وكذلك سعة علمه في اللغات والثقافات. ويقال إنه سافر متنكراً إلى مكة لترجمة ألف ليلة وليلة.

عند الظهر أحمل عبوة المياه المعدنية ووجبة الغداء إلى الشرفة المطلة على الحديقة. شتى أنواع الطيور تحلِّق فوقي من شجرة لأخرى، أو تحط على البركة لتشرب وتنعش نفسها. بعضها أراه للمرة الأولى. وحين يظهر قِطّ بني ضخم تكون تلك إشارة الطيور لإخلاء المكان، رغم لا مبالاة القط بها، فهو لا يريد سوى التمدّد على أحجار الممشى والاستمتاع بدفء الشمس.

«مدرستك مقفلة اليوم؟»، يسألني أوشيما عندما أمرّ به لأودع حقيبتي قبل الدخول ثانية إلى قاعة القراءة.

«لا»، أجيبه، منتقياً كلماتي بعناية، «لقد قرّرت فحسب أن أمضي بعض الوقت وحدي».

«ألا ترغب في الذهاب إلى المدرسة؟».

«أظن هذا».

يحملق بي أوشيما باهتمام جلي، «تظن هذا!»

«ليس رفضاً للذهاب. لكنني قررت ألا أذهب فحسب».

«بكل هدوء، ومن تلقاء نفسك قررت ألا تذهب للمدرسة؟».

بالكاد أومئ برأسي. لم أعد أعرف كيف أجيبه.

«يقول ريستوفانيس، في «*الوليمة*» لأفلاطون، إنه في غابر الزمان، في عالم الأساطير، كان الناس ينقسمون إلى ثلاثة أنواع» يقول أوشيما، «أتعرف هذا؟».

«لا».

«قديماً لم يكن الناس ينقسمون ببساطة إلى رجال ونساء، بل إلى ثلاثة أنواع: رجل/رجل، ورجل/ امرأة، وامرأة/ امرأة. بمعنى آخر كان كل شخص شخصين. وكان الجميع سعيداً بهذا دونما كثير تفكير به. ثم أخذ الرب سكيناً وقطع الجميع إلى نصفين متساويين تماماً. فصار العالم منقسما فقط إلى نساء ورجال، وهكذا صار الجميع يقضون أعمارهم سعياً، كلّ وراء نصفه الآخر».

«ولِمَ فعل الرب هذا؟».

«قسم الناس إلى نصفين؟ لا أعرف.. للرب طرق غامضة في فعل الأشياء، هناك ذلك الكلام الكثير عن سخط الرب، تلك المثالية المفرطة وما إلى ذلك، لكن في ظني كان الأمر عقاباً على أمر ما، مثل قصة طرد آدم وحواء من الجنة وسقوطهما إلى الأرض في الكتاب المقدّس».

«الخطيئة الأولى»، أقول.

«هذا صحيح، الخطيئة الأولى». يمسك أوشيما بالقلم بين سبابته وخنصره ويؤرجحه بخفة شديدة كأنه يختبر التوازن. «على أي حال ما أقصد قوله هو أن الوحدة مريرة حقاً».

أعود في قاعة القراءة إلى «حكاية أبو الحسن الخراساني»، لكنني أشرد عن الكتاب. رجل/رجل، *أورجل/ امرأة، أوامرأة/ امرأة؟*

عند الثانية ظهراً، أضع الكتاب وأترك الأريكة لأنضم إلى الجولة على المبنى. الآنسة سايكي المرشدة امرأة نحيلة، أظن أنها في عقدها الرابع، طويلة نسبياً مقارنة بجيلها، ترتدي فستاناً أزرق قصير الكمّين، وسترة خفيفة حليبية اللون، ولها طلة رائعة. شعرها الطويل ينعقد بإهمال إلى الخلف، ووجهها ينم عن ذكاء وعذوبة، وعيناها جميلتان، وثمة ابتسامة خفيفة لا تفارق شفتيها، يوحي لي تناسقها الفائق هذا ببقعة أرض صغيرة مشمسة، ذلك النوع من نور الشمس الذي لا تجده إلا في مكان ناء ومنعزل. ثمة في حديقة منزلنا في طوكيو فسحة كهذه في الحديقة، وقد أحببت منذ صغري تلك الفسحة الصغيرة المنيرة.

تثير مشاعر قوية في نفسي؛ مشاعر توق وحنين. ألن يكون رائعاً لو كانت هذه المرأة أمي؟ ولكن هذا ما أفكر به كلما صادفت سيدة جميلة في منتصف العمر، أدرك أن احتمال أن تكون الآنسة سايكي أمي معدوم. ولكنني- وبما أنني ليس لدي أدنى فكرة عن شكل أمي أو

عن سنها الحقيقي- أدرك أيضاً أن هذا الاحتمال يظلّ وارداً، أليس كذلك؟ فليس ثمة ما ينفيه كلياً.

بالإضافة إلي لا يوجد في الجولة سوى زوجين في منتصف العمر من أوساكا. الزوجة قصيرة ومكتنزة وتضع نظارات طبية غليظة أشبه بزجاجة كولا، والزوج نحيف وشعره خشن جداً - أراهن أنه يحتاج إلى فرشاة حديدية لكي يمشّطه- وعيناه ضيقتان وجبهته عريضة، يذكرني بتمثال رأيته ذات مرة في جزيرة جنوبية يشخص بعينيه نحو الأفق. زوجته تحادثه من طرف واحد، ومن فترة لأخرى يمنّ عليها إما بكلمة من مقطع واحد يطمئنها فيها إلى أنه لا يزال حياً، أو بإيماءة يعبّر بها عن إعجابه بما يراه، أو يهمهم بتعليق سريع لا أسمع منه شيئاً. كلاهما يرتدي ملابس تليق بتسلق الجبال أكثر مما بزيارة مكتبة: سترة مضادة للماء دون أكمام وتحتوي على مليون جيب، وجزمة صلبة تعقد بأشرطة، وقبعة تسلق جبال، قد يكون هذا ما اعتادا ارتداءه في الرحلات، من يعرف؟ لكن لا بأس بهما- ليس لدرجة أن أتمنى لو كانا والديّ - لكنني على الأقل مرتاح لأنني لست الوحيد في هذه الجولة.

تبدأ السيدة سايكي بسرد تاريخ المكتبة الذي أطلعني أوشيما على خطوطه العريضة. كيف أتاحوا للعموم جميع الكتب واللوحات التي جمعها سليل العائلة رقم كذا، وكرّسوا المكتبة للتنمية الثقافية في المنطقة. وقد تمّ إنشاء مؤسسة اعتماداً على ثروة عائلة كوميورا تدير المكتبة حالياً وتموّل من وقت لآخر المحاضرات وأمسيات موسيقى الحجرة وما شابه. أما المبنى نفسه فيعود تاريخ إنشائه إلى بداية حقبة مييجي[8]، حيث أنشئ ليكون مكتبة العائلة ومضافة. وفي حقبة تايشو

---

(8) Meiji Period: تشير إلى حكم الإمبراطور ميجي بين عامَي 1868 و1912 والتي حققت فيها اليابان تحديثها وارتقت إلى مصاف القوى العالمية. وتسمّى «فترة الحكم المستنير»، وتلاها فترة التايشو، وهي فترة حكم الإمبراطور تايشو.

أعيد بناؤه كلياً فصار مكوناً من طابقين، وأضيفت إليه غرف فاخرة للضيوف من الكتاب والفنانين. وقد خلّف الكثير من مشاهير الفنانين الذين زاروا المكان منذ حقبة تايشو وحتى بدايات حقبة شوا(9) وصولاً إلى زوار آل كاميورا، الكثير من القطع التذكارية من قصائد واسكتشات ولوحات- تعبيراً عن امتنانهم لاستضافتهم هنا.

«تمكنكم مشاهدة مختارات من هذه المجموعة القيمة في المعرض المقام بالطابق الأول». تضيف الآنسة ساييكي، «قبل الحرب العالمية الثانية نشأت حركة ثقافية محلية ناشطة، ليس بجهود الحكومة المحلية بل برعاية أولئك الأثرياء من محبّي الفن كآل كوميورا. فقد كانوا باختصار رعاة حقيقيين للفنون. وخرج من إقليم كاجاوا عدد كبير من شعراء التانكا والهايكو، وهذا يعود، بين أسباب أخرى، إلى التفاني والدعم اللذين وفرهما آل كوميورا للأنشطة الفنية المحلية. وقد نشر العديد من الكتب والمقالات والمذكرات عن التاريخ الحافل لتلك الحلقات الفنية، وجميعها متوافر في المكتبة، أرجو أن يسمح لكم وقتكم بإلقاء نظرة عليها.

«على مرّ السنين، كان كبراء آل كوميورا خبراء حقيقيين في الفنون، وكانوا يكنّون تقديراً خاصاً للمتميّز منها. لعل هذا يأتي بالوراثة. فكانوا رعاة للفنون، وذواقين متميزين لها، يدعمون الفنانين الواعدين الذين قدموا أهم الأعمال وأكثرها تميزاً. ولكن، وكما تعلمون جيداً، ليس ثمة في الفن حصافة مطلقة، لذا ولسوء الحظ، لم ينل بعض الفنانين الاستثنائيين إعجاب آل كوميورا أو لم يتلقوا منهم الاهتمام

---

(9) الإمبراطور شوا (1901-1989) هو الإمبراطور رقم 124 لليابان، حكم منذ عام 1926 حتى 1989، ويُعرف باسمه الشخصي هيروهيتو، إلا أنه في اليابان تعد الإشارة إلى امبراطور باسمه الشخصي أمراً غير لائق، وكان حكمه أطول من حكم أي امبراطور آخر، وشهد المجتمع الياباني في عهده تغييرات جذرية.

الذي يستحقونه، ومن هؤلاء شاعر الهايكو تانيدا سانتوكا[10]. وبحسب سِجِلّ الضيوف أقام الأخير هنا مرات عدة تاركاً وراءه كل مرة قصائد ورسومات، بيد أن رأس العائلة كان يعتبره مجرد «متسول مغرور»، ولم يكن يختلط به كثيراً، وقد رمى في الواقع الكثير من أعماله».

«خسارة كبيرة»، تعلّق المرأة من أوساكا بأسف حقيقي، «أعمال سانتوكا اليوم تساوي ثروة».

«معك حق»، تجيب الآنسة سايكي مبتسمة، «لكن حينئذ لم يكن سانتوكا معروفاً، ولا حيلة لأحد في ذلك، هناك أشياء كثيرة لا نستطيع أن نراها بوضوح إلا بعد زمن».

«أوافقك تماماً على هذا»، يقول الزوج فجأة.

بعد ذلك تصحبنا الآنسة سايكي في جولة على الطابق الأرضي، بين المكتبة وقاعة القراءة ومجموعة الكتب النادرة.

«قرر كبير العائلة لدى بنائه المكتبة ألا يتبع الطرز الأنيق السائد الذي كان يفضله فنانو كيوتو، بل اختار تصميماً أشبه بتصميم منزل ريفي، ومع هذا، وكما ترون، يتسم الأثاث وأطر اللوحات بالفخامة، بعكس طراز المبنى نفسه، النقوش على هذه الألواح الخشبية مثلاً في غاية الأناقة. فقد اجتمع أفضل وأمهر الحرفيين في شيكوكو للعمل في هذا البناء».

تبدأ مجموعتنا بارتقاء السلّم إلى الطابق العلوي. يعلو السلم سقف مقبب، ويلتمع الدرابزين المصنوع من خشب الأبنوس نظافة، حتى لتخشى أن تترك يدك اثراً عليه لو لمسته. وعلى نافذة بزجاج مبرقش في صحن السلّم مباشرة ثمة منحوتة تمثل غزالاً يمدّ رقبته ليطاول عنقود عنب. يتكوّن الطابق الأول من صالونين وقاعة فسيحة

---

(10) Taneda Santoka (1882-1940) كاتب ياباني وشاعر هايكو معروف بشعره الحر، واسمه الحقيقي تانيدا شويشي Taneda Shouichi.

ربما كانت في ما مضى مفروشة بحصر القش الفاخرة من أجل الولائم والحفلات. أما الآن فالأرضية خشبية والحوائط علقت عليها لوحات من فن الخط ولفائف ورقية ورسومات يابانية كلاسيكية. ويتوسط القاعة صندوق زجاجي تعرض فيه تذكارات متنوعة ونبذة عن كل منها. أحد الصالونَيْن صُمِّم على الطرز الياباني التقليدي والآخر على الطرز الغربي، وفي هذا الأخير منضدة كتابة كبيرة وكرسي دوّار يبدو أنه لا يزال صالحاً للاستعمال، ويلوح من النافذة خلف المكتب صف من أشجار الصنوبر يبرز لمحاً من بينها خط الأفق.

يتجول الزوجان في الصالون مدقّقين في كل شيء، وقارئين بحرص المعلومات المدوّنة على البطاقات. وفي كل مرة تعلِّق الزوجة يؤيّد زوجها كلامها بسرعة. زوجان محظوظان حقاً، متفقان في كل شيء. أما أنا فلا تهمّني المعروضات كثيراً. فأنشغل بتأمل عمارة المبنى، وفيما أجول في الصالون الغربي، تتقدّم مني الآنسة سايكي قائلة «تستطيع الجلوس على هذا الكرسي إن أردت. لقد جلس إلى هذا المكتب من قبل شيجا ناويوا وتانيزاكي[11]، وإن لم يكن بالضرورة على هذا الكرسي نفسه».

أجلس على الكرسي الدوّار وأضع يديّ بهدوء على المكتب.

«ماذا إذن؟ أتشعر برغبة في الكتابة؟».

يحمَرُّ وجهي قليلاً وأهزّ رأسي. فتضحك الآنسة سايكي وتعود إلى الزوجين. ومن مكاني على الكرسي أراها وهي تمشي وتتحرك بإباء وأناقة وعفوية. بالتأكيد، فيها شيء خاص، لا أستطيع وصفه بوضوح، كما لو أن هيئتها وهي تبتعد عني تحاول إخباري شيئاً لا تستطيع هي التعبير عنه مباشرة، ولكن ما هو هذا الشيء؟ لا أدري. أُذكِّر نفسي:

---

(11) Junichiro Tanizaki (1886-1965) أحد أهم كتاب الأدب الياباني الحديث، ترجمت أحد أعماله (فتاة اسمها ناعومي) إلى العربية.

واجه الحقيقة، بالفعل هناك آلاف الأشياء في العالم التي ليس لديك أدنى فكرة عنها.

أجول بعينيّ في القاعة بينما أنا جالس على الكرسي. على الحائط لوحة زيتية، يبدو أنها تمثّل الشاطئ القريب من هنا، ومع أنها رُسِمَت بالطريقة التقليدية، لكن ألوانها ما زالت طازجة حيّة. وعلى المكتبة طفّاية سجائر ضخمة، ومصباح أخضر. أضغط على زرّه فيضيء، وعلى الحائط أمامي ساعة حائط سوداء، تبدو تحفة عتيقة أيضا رغم أن عقاربها تشير إلى الوقت الحالي بالضبط. ثمة بعض التآكل في الأرضية هنا وهناك، فتصدر صريراً خافتاً عند السير عليها.

في نهاية الجولة يشكر زوجا أوساكا الآنسة سايكي ويختفيان، وأكتشف أنهما عضوان في حلقة شعراء التاناكا في منطقة كانساي، ترى ماذا يكتبون؟ وخاصة الزوج، فالهمهمات والإيماءات لا تعدّ شعراً، لعل الشعر يساعده على إظهار موهبة ما في داخله.

أعود إلى قاعة القراءة واستأنف من حيث توقفت. خلال فترة الظهيرة، يأتي القليل من الزوار، معظمهم يضعون نظارات كالتي يضعها العجائز، ولهذا يبدون جميعاً من نمط واحد تقريباً. يمرّ الوقت بطيئاً، لا أحد ينبس بكلمة، الجميع مستغرق في القراءة. أحدهم يجلس إلى الطاولة ويخط بعض الملاحظات، والجميع يجلس بسكون واستغراق تامّين. مثلي.

في الخامسة مساء أغلق كتابي وأعيده إلى مكانه على الرف، وفي طريقي إلى الخارج أتوقف عند مكتب الاستقبال واسأل: «متى تفتح المكتبة صباحاً؟».

«عند الحادية عشرة»، يجيب أوشيما، «هل ستأتي غداً؟».

«إذا لم يكن هناك إزعاج في هذا».

يزمّ أوشيما عينيه ويحدق بي. «بالطبع لا، المكتبة مفتوحة لكل محبّي القراءة، وسأكون مسرورا إذا زرتنا مرة أخرى. أرجو ألا يكون

لديك مانع من سؤالي، ولكن هل تحمل هذه الحقيبة دائماً؟ إنها ثقيلة جداً. ما الذي قد يكون في داخلها ويثقلها هكذا؟ سبائك ذهب أفريقية؟».

يحمرّ وجهي.

«لا تقلق، لا أريد أن أعرف ماذا فيها حقاً». يضغط أوشيما ممحاة قلمه الرصاص على صدغه، «عظيم. إلى اللقاء غداً إذن».

«إلى اللقاء».

يلوّح لي بقلمه بدلاً من يده.

أستقلّ القطار إلى محطة تاكاماتسو، وأدخل مقهى رخيصاً بالقرب من المحطّة لأتناول العشاء، أطلب ربع دجاجة وسَلَطة، ثم طبق أرز وكوب حليب ساخن. ومن محل صغير على الناصية أشتري عبوة مياه معدنية وكرتي أرزّ تحسباً إذا ما جعت ليلاً، ثم أتوجه إلى الفندق، لا أسير بسرعة ولا ببطء، بل أحافظ على إيقاع عادي مثل الجميع حتى لا ألفت الأنظار إليّ.

الفندق كبير حقاً. نموذج لفندق استثماري من الدرجة الثانية، أملأ الاستمارة عند مكتب الاستقبال فأكتب اسم كافكا بدلاً من اسمي الحقيقي، وأضع عنواناً وسناً زائفين، وأدفع أجر ليلة واحدة، شاعراً ببعض التوتر، ولكن لا يرتاب أيّ من موظفي الاستقبال في أمري، أو يهتف: «أنت.. لن تخدعنا بهذه الحركات أيها الهارب ابن الخمسة عشر عاماً». كل شيء يسير بسلاسة تامة.

يقرع جرس المصعد عند بلوغه الطابق الخامس. غرفتي صغيرة جداً، وفيها سرير لا يغري إطلاقاً بالنوم عليه، ووسادة قاسية كالحجر، وشيء ما يشبه المكتب، وتلفزيون صغير، وستائر باهتة بفعل الشمس. أما الحمّام فلا يتجاوز حجم خزانة، وليس فيه تلك الكماليات من شامبو وبلسم. تطلّ الحجرة على منور المبنى المجاور. لا يحق لي أن

أتذمر، فها أنا يعلو رأسي سقف، ولديّ ماء ساخن في الصنبور. ماذا أريد أكثر من هذا؟ أفرغ محتويات حقيبتي على الأرض، وأجلس على الكرسي محاولاً التكيّف مع محيطي الجديد.

يراودني الخاطر: *أنا حرّ*، فأغمض عينيّ وأروح أتأمّل بعمق هذه الفكرة. لكني لا أدرك حقا ما قد يعنيه هذا. كل ما أعلمه أنني وحدي، وحدي تماماً في مكان لا آلفه، كمستكشف معزول أضاع بوصلته وخريطته. أهذا ما يعنيه أن تكون حراً؟ لا أدري شيئاً، فأتخلى عن التفكير بهذا الأمر.

آخذ حمّاماً ساخناً وطويلاً، أغسل أسناني بعناية أمام المغسلة، ثم أقفز في السرير وأقرأ حتى الضجر، فأشاهد نشرة الأخبار في التلفزيون. مقارنة بما مررت به اليوم من أحداث، تبدو الأخبار قديمة ومملة. أطفئ التلفزيون وأنسلّ تحت الأغطية، إنها العاشرة مساء وأجدني عاجزاً عن النوم، يوم جديد في مكان جديد، واليوم عيد ميلادي الخامس عاشر- وبالإضافة إلى قضائي معظمه في تلك المكتبة الساحرة والعجيبة. فقد التقيت بعض الأشخاص الجدد، ساكورا، أوشيما، والآنسة سايكي، ولا واحد منهم يشكّل تهديداً. أحمد الله، أهو فأل خير؟

أفكر في منزلي هناك في نوغاتا بطوكيو، وفي أبي، ما كان شعوره حين اكتشف أمر اختفائي؟ أتراه ارتاح أم ارتبك؟ ربما لا يكون شَعَرَ بأي شيء. أراهن أنه لم يلاحظ غيابي أصلاً.

فجأة أتذكر موبايل أبي، فأنهض وأحضره من الحقيبة، أفتحه وأتصل برقم المنزل، يرن الجرس، وعلى الرغم من أنني على بعد 450 ميلاً، غير أن رنين الجرس واضح كأنني أتصل من الغرفة المجاورة. تخيفني تلك الفكرة فأقطع الاتصال بعد رنتين، وقلبي يخفق بقوّة، الموبايل لا يزال يعمل، ما يعني أن أبي لم يلغ الاشتراك، ربما لم يكتشف اختفاء الجهاز من مكتبه بعد. ألقيه في جيب الحقيبة، وأطفئ النور وأغمض عيني. لا أحلم. أفكّر في أنني لم أحلم منذ زمن طويل.

6

«مرحباً»، هتف العجوز.

رفع القط الأسود الكهل الضخم رأسه قليلاً، وردّ التحية مستغرباً بنوع من الهمهمة.

«الطقس رائع اليوم، أليس كذلك؟».

«ممم».

«ولا سحابة في السماء».

«. . . حتى الآن».

«سيسوء الجو إذن؟».

«أشعر أنها ستغيّم في المساء». مطّ القط الأسود قائمتيه الخلفيتين ببطء، ثم زمّ عينيه ونظر ثانية إلى العجوز نظرة طويلة فاحصة، قابلها الرجل بابتسامة عريضة. تردد القط برهة، ثم حسم أمره وتحدّث «ممم. . . تستطيع أن تتحدث إذن؟».

«هذا صحيح». أجابه العجوز بحياء وتهذيب، ورفع قبعته القطنية الرثة، «بالطبع لا يمكنني محادثة كل قط أقابله. فقط إذا سارت الأمور جيداً، مثلما يحدث الآن».

«شيء مثير للاهتمام»، رد القط ببساطة.

«هل تمانع لو جلست هنا لدقيقة؟ ناكاتا متعب قليلاً من المشي».

نهض القط الأسود متكاسلاً، وهزّ شاربيه، وتثاءب وِسْعَ فمه

حتى بدا أن فكيه قد انفصلا عن بعضهما. «لا مانع عندي، الأصح أن هذا ليس من شأني، تستطيع الجلوس أينما شئت، لا أحد يهتم لهذا».

«شكرا جزيلاً لك»، قال الرجل وهو يجلس بجانب القط «يا للهول، منذ السادسة صباحاً وناكاتا في الخارج».

«إممم.. أفهم أن اسمك السيد ناكاتا؟».

«صحيح. اسمي ناكاتا، وأنت...؟».

«أنا؟ لقد نسيت اسمي»، أجاب القط، «كان لي اسم، أنا واثق من هذا، ولكن في مرحلة ما من حياتي لم أعد بحاجة إليه، ففرّ من ذاكرتي».

«أجل، أعرف، من السهل جداً نسيان الأشياء التي لم نعد بحاجة إليها. ناكاتا مثلك تماماً في هذه الناحية»، قال الرجل وهو يحكّ رأسه، ثم أردف « ما تقوله لي إذن أيها السيد أنك لا تنتمي إلى أسرة ما؟».

«كان لي عائلة قبل زمن بعيد، ولكن ليس الآن، بعض الأسر القريبة من هنا يطعمونني من حين لآخر، لكنني لا أقيم مع أي منها».

أومأ ناكاتا برأسه، وبقي صامتاً لفترة، ثم قال «أتمانع إذن لو دعوتك أوتسوكا؟».

نظر القط إليه متفاجئاً «أوتسوكا؟ ما الذي تقوله؟ ولِمَ يكون اسمي أوتسوكا؟».

«ليس لسبب محدّد. مجرّد اسم خطر ببالي. ناكاتا اختار الاسم هكذا عشوائياً. أن يكون لك اسم يسهّل الأمور كثيراً عليّ، فهكذا يستطيع رجل مثلي لا يتمتع بكثير من الفطنة أن ينظّم أموره، فأقول مثلاً إنه في اليوم الفلاني من الشهر الفلاني تكلمت مع القط الأسود أوتسوكا في الأرض الخلاء في الحي الثاني، هذا يساعدني على التذكّر».

«هذا مثير للاهتمام»، أجابه القط، «أنا بالطبع لا أفهم هذا تماماً، فالقطط تستطيع العيش بلا أسماء، لأننا نعتمد على الروائح والأشكال وأشياء من هذا القبيل. فما دمنا نعرف أنفسنا لا تقلقنا هذه الأمور».

«ناكاتا يفهم هذا جداً، ولكن أتعرف يا سيد أوتسوكا، البشر ليسوا هكذا، نحن نحتاج إلى تواريخ وأسماء لكي نتذكر الأشياء».

ضحك القط باستهزاء، «إذا أردت رأيي، فهذا شيء مؤلم».

«معك حق تماماً، هناك بالفعل الكثير من الأشياء التي نحتاج إلى تذكّرها، وهذا مؤلم فعلاً، ناكاتا مثلاً يجب أن يتذكر اسم المحافظ، وأرقام الحافلات... ولكن هل لديك مانع في أن أدعوك أوتسوكا؟ أم أن هذا يزعجك؟».

«إذا كنت تصرّ، أظن أنه ليس أمراً ساراً جداً، لكنه ليس مزعجاً أيضاً، أتفهمني؟ ولهذا أظن أنني لا أمانع حقاً، أتود أن تدعوني أوتسوكا؟ تفضل، لا فرق عندي، لكنه مع هذا لا يبدو بالأمر الصائب».

«ناكاتا مسرور جداً، شكرا جزيلاً لك يا سيد أوتسوكا».

«ومع هذا لا بدّ من أن أقول إن لك طريقة غريبة في الكلام مقارنة بالبشر».

«أجل، يقولون لي ذلك. لكن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يستطيع ناكاتا التكلّم بها، أحاول التكلّم كسائر البشر، ولكن هذا ما يحدث، ناكاتا ليس فطناً جداً كما ترى، لكنني لم أكن هكذا دائماً، حين كنت صغيراً وقع لي حادث ومن حينها صرت مغفلاً هكذا. ناكاتا لا يستطيع الكتابة، أو قراءة كتاب أو صحيفة».

«ليس زهواً أو خلافه، لكنني مثلك لا أجيد الكتابة»، أجاب القط وهو يلعق باطن قائمته اليمنى، ثم أضاف «أستطيع القول إنني متوسّط الذكاء، بيد أنني لا أجد ذلك أمراً مزعجاً».

«يمكن توقع ذلك في عالم القطط»، قال ناكاتا، «أما في عالم البشر، فجهل القراءة والكتابة، يعدّ غباء. كان والد ناكاتا الذي مات منذ زمن بعيد أستاذاً جامعياً معروفاً. كان متخصصاً في شيء اسمه نظا- رية

الفنون الجميلة. ولي أخان يصغرانني سناً، وكلاهما ذكي. فأحدهما يشغل منصب رئيس قسم في إحدى الشركات. والثاني يعمل في مكان اسمه وز اااااارة التجارة والصن- آعة. كلاهما يعيش في منزل كبير ويأكل الحنكليس. ناكاتا هو الوحيد الذي يفتقر إلى الذكاء».

«لكنك تستطيع محادثة القطط».

«صحيح»، أجاب ناكاتا.

«إذن لست غبيا لهذه الدرجة.»

«أجل. لا.... أقصد، ناكاتا ليس واثقاً من هذا الأمر. لكن منذ صغري والناس ينادونني «أيها المغفل، أيها المغفل»، ولهذا أظن أنني مغفّل حقا، فأنا لا أستطيع قراءة أسماء المحطات، ولا شراء التذكرة أو ركوب القطار. ولكن إذا قدّمت لهم بطاقة الموتا-خا لفين يسمحون لي بركوب الحافلة».

«هذا مثير...»، أجاب القط دون اهتمام كبير.

«وإذا كنت لا تعرف القراءة والكتابة فلا يمكنك العثور على وظيفة».

«وكيف تعيش إذن؟».

«أتلقى معو-نة».

«معونة ؟».

«أجل، المحافظ يعطيني نقوداً. وأعيش في حجرة صغيرة في مسااااا-كن نوغاتا، وآكل ثلاث وجبات في اليوم».

«تبدو حياة جيدة حقاً، بالنسبة إليّ علي الأقل».

«معك حق. إنها فعلاً حياة لطيفة. ناكاتا محميّ من الرياح والمطر، ولدي كل ما أحتاج إليه. وأحياناً، كما الآن، يطلب مني الناس أن أبحث لهم عن قططهم، ويعطونني هدية عندما أجدها، ولكن هذا يتمّ سراً حتى لا يعلم المحافظ، ولهذا أرجوك لا تخبر أحداً بهذا، يمكن أن يقطعوا عني المع -ونة لو عرفوا أنني أجني نقوداً برّانية. إنها

ليست بالكثيرة، لكنها تتيح لي أن آكل الحنكليس من وقت لآخر، ناكاتا يحب الحنكليس كثيراً».

«وأنا أيضاً أحب الحنكليس، ولو أنني لم أتذوقه إلا مرة واحدة فقط، وكان ذلك منذ وقت طويل جداً، حتى أنني ما عدت أذكر طعمه».

«الحنكليس لذيذ، مختلف عن الأطعمة الأخرى، بعض الأطعمة يأتي قبل الآخر، لكن بالنسبة إلي، لا شيء يعلو على الحنكليس».

يمرّ، في الطرف المقابل من الشارع، شاب يجرّ كلب لابرادور ضخماً، ذا شعر بني لامع ووشاح أحمر حول رقبته. يرمق الكلب أوتسوكا بنظرة، ثم يتابع سيره. وفي الأثناء يصمت العجوز والقط حتى يختفي الكلب وسيده.

«قلت إنك تبحث عن القطط؟»، يسأل أوتسوكا.

«هذا صحيح، أبحث عن القطط التائهة، يمكنني أن أتحدث مع القطط قليلاً، لهذا أتجول هنا وهناك لأجد تلك التائهة منها، وقد سمع الناس بأن ناكاتا ماهر في هذا الأمر، فصاروا يأتون إليّ ويطلبون مني البحث عن قططهم التائهة، فبتّ أقضي في الخارج وقتاً أطول من السابق بحثاً عن القطط، لكنني لا أحب الابتعاد كثيراً، ولهذا أبحث عنها فقط في حي ناكانو، وإلا لتهت أنا نفسي ولصارت القطط تبحث عني».

«وأننت الآن تبحث عن قط تائه إذن؟».

«أجل، أبحث عن قط مشمشي عمره سنة واحدة، واسمه جوما، هذه صورته»، يخرج ناكاتا صورة ملونة من حقيبة كتفه القماشية ويعرضها أمام أوتسوكا، «إنه يضع طوقاً مضاداً للبراغيث».

يمد أوتسوكا جسمه لينظر إلى الصورة ثم يهز رأسه قائلاً: «لا، أخشى أنني لم أقابل هذا القطّ من قبل، أنا أعرف أغلب القطط هنا، لكنني لا أعرف هذا القط، لم أره من قبل، ولم أسمع عنه حتى».

«أحقاً؟».

«هل تبحث عنه منذ وقت طويل؟».

«ربما، اليوم يكون، دعني أفكّر. . . يوم، اثنان، ثلاثة. . اليوم هو اليوم الثالث».

يصمت أوتسوكا متفكّراً، «أظن أنك تعلم جيداً أن القطط لها عادات غريزية، وغالباً ما تكون منظمة جداً، وهي تحبّ عموماً الحفاظ على روتينها المعتاد، إلا إذا حدث أمر استثنائي، ولا يغير من روتينها عادةً سوى واحد من اثنين: إما ممارسة الجنس وإما التعرض لحادثة ما».

«ناكاتا يظن هذا أيضاً».

«حين يتعلّق الأمر بالجنس، ليس عليك سوى الانتظار حتى تفرغ جسدها منه وتعود وحدها، أنت تفهم ما هو الجنس، أليس كذلك؟».

«لم أمارسه بنفسي، لكن أعتقد أنني أفهم ما هو، هو أمر له علاقة بالحمامة، أليس كذلك؟».

أومأ أوتسوكا بجدية. «هذا صحيح، الحمامة هي كل شيء». ثم أضاف، «أما إذا تعرض القط لحادث ما، فلن تراه ثانية أصلاً».

«صحيح».

«زد على ذلك أنه في بعض الأحيان عندما تخرج القطط طلباً للجنس، قد تواجه صعوبات في طريق عودتها إلى المنزل مرة أخرى».

«وناكاتا أيضاً يواجه صعوبة في العودة إذا ابتعد كثيراً عن حي ناكانو».

«حدث لي هذا بضع مرات، كان ذلك من وقت طويل طبعاً، عندما كنت أصغر من هذا بكثير»، قال أوتسوكا وهو يزمّ عينيه مستدعياً ذاكرته «عندما تضلّ طريقك، تصبح مذعورا ويائساً من كل شيء، ولا تعرف كيف تتصرّف، كم أكره هذا الشعور، وعندما يحدث هذا يصير الجنس ألماً محضاً، لأنك عندما تحتاج إليه لا يمكنك إلا أن تفكر فيما تحت أنفك - الجنس. : آه وهو كذلك - فلنعد إلى تلك القطة التائهة- ذكرني باسمها؟».

«أتقصد جوما؟»

«آه. نعم، طبعاً، جوما، كنت أودّ أن أساعدك لكي تجدها، قطة مشمشية صغيرة مثلها، ولها أسرة لطيفة تعتني بها، لن تكون قادرة أبداً على التكيف مع هذا العالم، لن تتمكن من العراك أو تجنّب الأذى. تلك المسكينة، ولسوء الحظ لم أرها من قبل، أظن أنك يجب أن تبحث عنها في مكان آخر».

«حسناً إذن، أظن أنني يجب أن أعمل بنصيحتك وأبحث عنها في مكان آخر، ناكاتا آسف حقاً لأنني قاطعت قيلولتك، سأعود مرة أخرى في وقت ما، وإذا صادفت جوما في الأثناء فأرجو أن تخبرني، أود مكافأتك على مساعدتك لي».

«لا داعي لذلك، لقد استمتعت بالحديث معك، عد متى شئت، ستجدني هنا غالباً في الأيام المشمسة، وفي الأيام الماطرة ستجدني في هذا المخبأ هناك تحت السلم».

«حسن، شكراً جزيلاً لك، فرصة سعيدة لناكاتا أيضا أن يتحدث معك يا سيد أوتسوكا، فأنا لا أستطيع أن أتحدث بسهولة مع كل القطط التي أقابلها. أحياناً عندما أحاول محادثة قط ما يخاف ويهرب مني دون أن يقول كلمة، لمجرد أنني قلت له مرحبا...».

«هذا طبيعي، فالقطط أنواع، كالبشر تماماً».

«هذا صحيح تماماً. هذا رأي ناكاتا أيضاً، العالم مليء بكافة أنواع البشر، وكافة أنواع القطط أيضاً».

تمطّى أوتسوكا ونظر إلى السماء، غمر ضوء الشمس الذهبي الأرض الخلاء، بيد أن الهواء يحمل إنذاراً خفيفاً بالمطر، استطاع أوتسوكا استشعاره. «أقلت أنك عندما كنت صغيراً وقع لك حادث جعلك محدود الذكاء؟».

«صحيح، هذا ما قاله ناكاتا بالظبط، كان هذا عندما كنت في التاسعة».

«ما هي هذه الحادثة؟».

«ناكاتا لا يتذكر حقاً. وهم أيضا لا يعرفون السبب. لكني أصبت بحمّى شديدة لثلاثة أسابيع، وظللت فاقد الوعي طوال هذا الوقت، قالوا لي إنني كنت نائماً في السرير في المستشفى وكانوا يطعمونني بالأنابيب، وعندما صحوت أخيراً، لم أتذكر شيئاً، كنتُ قد نسيت وجهي أبي وأمي، والقراءة والحساب، ونسيت البيت، واسمي حتى، بات رأسي فارغاً تماماً، مثل حوض الحمام حين تنزع سدّادته، ولكنهم أخبروني أن ناكاتا قبل الحادث كان دائماً يحصل على درجات جيدة. ولكني وقعت مغشيا عليّ، وعندما استيقظت لم أعد ذكياً جداً، توفيت أمي منذ فترة طويلة، وكانت تبكي كثيراً لأنني أصبحت غبياً. ولكن أبي لم يكن يبكي أبداً بل كان دائما غاضباً».

«بيد أنك عوضاً عن الذكاء وجدت نفسك قادراً على محادثة القطط».

«صحيح».

«شيء مثير...».

«وفوق ذلك، أنا دائماً بصحة جيدة، لم أمرض مرة واحدة، ولا واحد من أسناني مسوس، ولا أضع نظارات طبية».

«بالنسبة إلي، أرى أنك ذكي إلى حد معقول».

أمال ناكاتا رأسه قائلاً: «أحقا؟.. ناكاتا تجاوز الستين من عمره يا سيد أوتسوكا، وصرت معتاداً على الأمر، وعلى عدم رغبة الناس في التعامل معي، يستطيع المرء أن يتدبر أمره من دون ركوب القطار، وأبي مات فلم يعد أحد يضربني بعد الآن، وأمي أيضاً ماتت فلم تعد تبكي. لهذا إذا كنت تعتبرني ذكياً حقاً فهذا أمر محزن جداً، هل فهمتني؟ فلو لم أكن غبياً لما منحني المحافظ مع - ونة، ولا كان معي بطاقة خاصة لركوب الحافلة. وإذا قال المحافظ *أنت لست غبياً على كل حال*، فناكاتا لن يعرف بماذا يجيب. لذلك فمن الأفضل أن أكون غبياً».

«ما أقصده أن مشكلتك الحقيقية ليست في أنك غبي»، قال أوتسوكا بصدق ودفء.

«أحقا؟».

«مشكلتك أن ظلك- كيف أقولها؟ شاحب قليلاً. لقد لاحظت هذا فور أن وقعت عيناي عليك أول مرة، إن الظل الذي تلقيه على الأرض له فقط نصف كثافة ظلال البشر العاديين».

«فهمت...».

«لقد قابلت شخصاً كهذا ذات مرة».

«لقد بدا أن ظلّ ذاك الشخص أيضاً قد انفصل نصفه عنه، وكان شاحباً كظلّك».

«فهمت».

حملق به ناكاتا مشدوهاً بعض الشيء «أتقول إنك قابلت شخصاً مثل ناكاتا؟».

«نعم، قابلت شخصاً مثلك من قبل، لهذا لم أفاجأ عندما رأيت أنك تستطيع أن تتحدث معي».

«ومتى كان هذا؟».

«منذ وقت طويل، عندما كنت أصغر من هذا، ولكنني لا أذكر التفاصيل- لا أذكر وجهه أو اسمه أو متى قابلته أو أين. كما قلت لك من قبل القطط لا تتمتع بذاكرة قوية».

«أجل، مفهوم».

«إليك ما أعتقد أنه عليك فعله: يجب أن تتوقف عن البحث عن القطط التائهة، وتبدأ بالبحث عن نصف ظلك الآخر».

ربّت ناكاتا مرات عدة على طرف قبعته التي يحملها في يديه، «أقول لك الحق، لقد لاحظ ناكاتا هذا من قبل، إن ظلي باهت، قد لا يلاحظ الأخرون هذا ولكنني لاحظته».

«هذا رائع»، قال القط.

«لكنني عجوز، وقد لا أعيش طويلاً. مات أبي وماتت أمي. وسواء كان المرء غبياً أم ذكياً، يقرأ أم لا، له ظل أم لا، فعندما يحين أجله سيمضي، تموت ويحرقونك، وتتحول إلى رماد، أو يدفنوك في مكان يدعى كاراسوياما في حي سيتاجايا، وعندما يدفنونك هناك، ربما لا يعود في مقدورك التفكير في أي شيء، وإذا كنت لا تفكّر، فلن ترتبك. أليست هذه طريقة لطيفة لكي أكون بخير؟ وماذا في يدي لأفعله؟ وأنا على قيد الحياة، لا أخرج من حي ناكانو، وحين أموت سأضطر للذهاب إلى كاراسوياما، ما باليد حيلة».

«أنت حُرٌّ في طريقة تفكيرك بالطبع»، قال أوتسوكا، ثم راح يلعق باطن قائمته مرة أخرى، ثم أردف «ولكن عليك أن تضع في اعتبارك شعور ظلك حيال الأمر، ربما كان يعاني من عقدة ثقة ظليّة أو شيء من هذا القبيل. لو كنت مكان هذا الظل، لم أكن لأرضى بأن أكون نصف ما يجب أن أكون عليه».

«أجل، مفهوم طبعاً، ربما تكون مصيباً. ناكاتا لم يفكر في هذا من قبل، وسأفكر فيه أكثر عندما أصل إلى البيت».

«فكرة ممتازة».

يصمت الاثنان لفترة، ثم يقف ناكاتا وينفض بعناية ما علق ببنطاله من حشائش، ويعتمر قبعته البالية، معدلاً إياها مرات عدة حتى تصل إلى الزاوية الصحيحة، ثم يحمل الحقيبة القماشية على كتفه قائلاً: «شكرا جزيلا لك. ناكاتا يقدر آراءك حقاً يا سيد أوتسوكا. أرجو أن تبقى سعيداً وبخير».

«وأنت أيضاً».

حين يغادر ناكاتا، يعود أوتسوكا إلى رقدته على العشب ويغمض عينيه. يعلم أنه بقي له بعض الوقت قبل أن تأتي الغيوم المحمّلة بالمطر، فيغفو خالي الذهن تماماً.

7

في تمام السابعة والربع أتناول إفطاري في المطعم المجاور لردهة الاستقبال في الفندق، والمكون من الخبز المحمّص والحليب الساخن واللحم المدخّن والبيض. أنهي هذا الإفطار المجاني بسرعة هائلة من دون أن أقترب حتى من الشبع. فأنظر حولي وأفكر في طلب المزيد من الخبز المحمّص المجّاني، ولكن لا يبدو أن هذا ممكن، أتنهّد وألوذ بالصمت.

«وماذا عساك تفعل؟»، يقول الفتى المدعو كرو.

يجلس قبالتي.

«لم تعد يا صديقي في منزلك حيث كنت تحشو معدتك بكل ما لذ وطاب»، يقول، «ألا تدرك؟ لقد هربت من البيت بالفعل. فتعامل إذن مع هذا الواقع. كنت معتاداً على النهوض باكراً وتناول وجبة إفطار عظيمة، لكن هذه الأيام قد ولّت. ومن الآن فصاعداً عليك أن ترضى بالفتات. أتعلم ما يقولونه عن حجم معدة الإنسان وكيف تتكيف تلقائياً مع كمية الطعام التي تتناولها؟ أنت على وشك أن تختبر هذا عملياً. ستصير معدتك أصغر حجماً، رغم أن هذا يتطلب وقتاً، أتظن أنك تستطيع احتمال الأمر؟».

«أجل، أستطيع»، أجيبه.

«هذا حسن، فعليك أن تصبح أقوى فتى في الخامسة عشرة من عمره في العالم. أتذكر؟».

أجيبه بإيماءة.

«حسن، ما قولك إذن أن تتوقف عن الحملقة في طبقك الفارغ وأن توجّه عجلتك إلى الأمام».

أتبع نصيحته وأذهب إلى مكتب الاستقبال لأتفاوض حول أجرة الغرفة، أنا طالب في مدرسة خاصة في طوكيو، وقد جئت إلى هنا للقيام ببحث التخرّج. (حبكت هذه الكذبة انطلاقاً من معرفتي بأن مدرستي تتبع هذا النظام). وأضيف أنني أجمع مادة بحثي من مكتبة كوميورا التذكارية، وقد وجدت أن المادة البحثية أكبر بكثير مما كنت أتوقع، ولذلك سأبقى في تاكاماتسو أسبوعاً آخر، لكن ميزانيتي لا تسمح بذلك من دون تخفيض سعر الغرفة، ليس فقط خلال الأيام الثلاثة الأولى، بل الأسبوع كله. وأعرض أن أدفع مقدماً أجرة كل يوم، وألا أتسبب في أي متاعب.

أقف أمام موظفة الاستقبال محاولاً قدر المستطاع الظهور بمظهر الشاب اللطيف ابن الناس، الذي يمرّ بمشكلة يحتاج إلى مساعدة في حلها، لا شعر مصبوغاً ولا أقراط أذنين، أرتدي كنزة بولو رالف لورين بيضاء نظيفة وبنطالاً وحذاء رياضياً جديداً تماماً، أسناني تلمع، وتفوح مني رائحة الصابون والشامبو، وأجيد التحدث بتهذيب، وحين أقرر أن أؤثر في شخص يكبرني سناً، فإنني أفعل ذلك بكل اقتدار.

تنصت إليّ الموظفة الضئيلة بشفتين ملويتين قليلاً. ترتدي الزي الرسمي للفندق المكون من كنزة بيضاء وسترة خضراء - تبدو نعسانة بعض الشيء لكنها تمارس واجباتها الصباحية بهمّة ونشاط، وهي من عمر أختي تقريباً.

«مفهوم، لكن عليّ أن أسأل المدير، وسأرد عليك ظهراً». رغم أنها تجيبني بنبرة عملية، لكنني أستطيع أن أجزم أنني فيما يخص التأثير عليها، فقد نجحت طبعاً. تسجّل اسمي ورقم غرفتي، لا فكرة لديّ ما إذا كانت هذه المفاوضات ستؤدي إلى نتيجة أم لا، ربما ينقلب الأمر

ضدّي- كأن يطلب المدير الإطلاع على بطاقة هويتي، أو يحاول الاتصال بوالدي. (دوّنت في استمارة التسجيل رقم هاتف زائف طبعاً). لكن ميزانيتي القليلة تضطرني إلى هذا. الأمر إذن يستحق المخاطرة.

أتصفّح الدليل وأتصل بصالة جمنازيوم، لأستفسر عن آلات حمل الأثقال التي لديهم، وأجد أنه يتوافر لديهم أغلب ما أحتاج إليه، وأن الاشتراك يكلف 500 يناً في اليوم فقط. يصفون لي الطريق إلى الصالة من المحطة فأشكرهم وأغلق الخط. أعود إلى حجرتي لآخذ حقيبتي ثم أنطلق. أستطيع أن أترك حاجياتي في الغرفة، أو في خزانة الفندق، لكننى أرتاح أكثر في حملها معي، وكأنها بالفعل جزء لا يتجزأ مني.

في الحافلة من المحطة إلى النادي أحسّ وجهي مشدوداً من شدة التوتر. ماذا لو تساءل أحدهم لماذا يأتي فتى في مثل سني إلى صالة الجمنازيوم في منتصف النهار؟ أنا غريب هنا، ولا أعرف طريقة تفكيرهم. ولكن لا أحد يرمقني بنظرة ثانية، وكأنني الرجل الخفي. أدفع رسم الدخول، ولا أحد يسألني شيئاً، آخذ مفتاح خزانة. وبعد أن أغير ملابسي وأرتدي كنزة خفيفة وسروالاً قصيراً، أقوم في حجرة الخزائن ببعض تمارين التمدد، وحين تسترخي عضلاتي، أشعر بالاسترخاء. ها أنا، آمن داخل الحاوية التي هي *أنا*. وبكبسة زر بسيطة، يتكيف هذا الكائن - *أنا*- في الداخل، وينغلق عليّ، علينا معاً بإحكام، تماماً مثلما أريد. وبذا أجد نفسي حيث أنتمي.

أبدأ بسلسلة التمارين المعتادة بينما صوت برينس[1] يعصف في الووكمان. أمضي ساعة أنجز خلالها دورتي المعتادة على الآلات السبع. قبل أن آتي كنت واثقاً أن صالة جمنازيوم في بلدة صغيرة كهذه

---

(1) برينس روجرز نيلسون - Prince: وملقب أيضا «بالفنان»، موسيقى أمريكي شهير ولد عام 1985. بموسيقاه ألوان عديدة تتنوع ما بين الموجة الجديدة، والبوب، والروك، والبلوز والجاز.

ستكون مليئة بآلات عفا عليها الزمن، لكنني وجدتها على أحدث طرز، تنبعث منها الرائحة المعدنية للفولاذ الجديد. أكتفي في الجولة الأولى بالأثقال الخفيفة، ثم أزيدها في الدورة الثانية، أعرف جيداً كم يناسبني من الأثقال. يبدأ جسدي في التعرق بعد وقت، وأتوقف كل فترة لأشرب الماء وأمتص برتقالة اشتريتها في طريقي إلى الصالة.

بعد أن أفرغ من التمارين، آخذ حماماً دافئاً بالصابون والشامبو اللذين أحضرتهما معي. أنظّف جيداً «عضوي» الذي لم تمض سنوات طويلة على خروجه من الشرنقة، وأنظف أيضاً تحت إبطيّ جيداً، وخصيتيّ ومؤخرتي. أزن نفسي، ثم أتأمل عضلاتي أمام المرآة، وختاماً أغسل الملابس الرياضية، وأعصرها ثم أضعها في كيس بلاستيكي.

أعود بالحافلة إلى المحطة وأتناول في المقهى نفسه الذي قصدته بالأمس طبق «أودون» حار. أتناوله بتأن، بينما أنظر من الواجهة إلى المحطة التي تعج ببشر يندفعون ذهاباً وإياباً، كلهم في أفضل حلة، يحملون حقائب سفر أو حقائب عمل، وجميعهم ذاهبين لقضاء أعمالهم الملحّة. يسرح ذهني في هذا الزحام الذي لا ينقطع، وأتخيل المشهد بعد مرور مائة عام من الآن، كل هؤلاء - ومن بينهم أنا- سيكونون قد اختفوا عن وجه الأرض وتحولوا إلى رماد أو تراب. خاطر غريب، يجعل كل ما أراه أمامي يتخذ مظهراً غير حقيقي، وكأنّ ريحاً ستهبّ وتذروه.

أبسط يديّ أمامي وأتأملهما. ما الذي يوتّرني بشدة هكذا طوال الوقت؟ لِمَ هذا النضال اليائس من أجل البقاء؟ أهز رأسي وأشيح بوجهي عن الواجهة، أصفّي ذهني من التفكير في ما ستكون عليه الحال بعد مائة عام. الأجدر بي أن أفكر في *الآن*، في الكتب التي تنتظرني في المكتبة لأقرأها، في الآلات الرياضية التي لم أتمرن عليها بعد. التفكير في أي شيء آخر لن يؤدي إلى أي نتيجة.

«هذه هي تذكرة الدخول»، يقول لي الفتى المدعو كرو، «لا

تنسَ، عليك أن تصير أقوى ولد في الخامسة عشرة من عمره على وجه الأرض».

مثلما فعلت بالأمس، أشتري وجبة غداء من المحطة وأستقلّ القطار. أصل إلى مكتبة كوميورا التذكارية في الحادية عشرة والنصف. أجد أوشيما هناك عند مكتب الاستقبال، يرتدي اليوم قميصاً مقلّماً أزرق مزرّراً بالكامل، وبنطال جينز أبيض، وحذاء رياضياً أبيض. يجلس وراء مكتبه مستغرقاً في قراءة كتاب ضخم، وبجانبه قلم الرصاص الأصفر. أحسب أنه القلم نفسه. شعره يغطي كل وجهه. حين أدخل يرفع نظره نحوي وترتسم على وجهه ابتسامة واسعة. يأخذ مني الحقيبة قائلاً «أرى أنك لم تذهب إلى المدرسة بعد».

«ولن أذهب إليها أبداً»، أعترف له.

«فالمكتبة إذن أفضل بديل»، ويلتفت ليرى كم الوقت في الساعة المعلقة خلفه، ثم يعود إلى القراءة.

أتجه إلى قاعة القراءة، إلى *ألف ليلة وليلة*. وكما يحدث دوماً، ما إن أبدأ في تقليب الصفحات، حتى لا أعود قادراً على التوقف. تضمّ ترجمة بورتون جميع القصص التي قرأتها طفلاً، لكنها أطول، وأكثر ثراء بالأحداث والحبكات، وأشدّ جاذبية بكثير، حتى ليصعب أن تصدق أنها القصص نفسها. حافلة بالفجور، والعنف، والجنس، قصص ماجنة بالأساس.. قصة ذلك الجني المحبوس في قمقم مثلاً، تنطوي على ذلك الحسّ الطازج باللعب، وبالحرية التي لا يستطيع المنطق العام تقييدها. لا أستطيع أن أتركها من فرط حبي لها، ومقارنة بقطعان البشر متشابهي الملامح الذين يهرولون في محطة القطار، فإن هذه القصص المجنونة، على الأقل بالنسبة إلي، حقيقية أكثر منهم بكثير. كيف هذا؟ لا أعرف، أمر غريب حقاً.

عند الواحدة ظهراً أخرج إلى الشرفة وأتناول غدائي، وفي

منتصف الغداء تقريباً يأتي أوشيما ويقول إن أحدهم يطلبني على الهاتف. «هاتف؟» أسأله مندهشاً: «لي أنا؟».

«ما دام اسمك كافكا تامورا».

يحمرّ وجهي. أقف لآخذ منه جهاز اللاسلكي. إنها موظفة الاستقبال في الفندق، يبدو أنها تتأكد من أنني أعد بحثاً في المكتبة حقاً. بدت مرتاحة لأنني لم أكذب عليها، «لقد تكلمت مع المدير، وقال إنهم لم يفعلوا هذا من قبل ولكن لأنك شاب صغير وظروفك خاصة فسوف يعتبر الأمر استثناء ويدعك تقيم بالأجرة المتفق عليها مع جمعية الشبان *المسيحيين*، وقال إننا لسنا في موسم مزدحم جداً الآن، ولذا يمكننا أن ننحّي القواعد جانباً في الوقت الحالي، وقال أيضاً إن المكتبات شيء لطيف جداً، وتستطيع أن تأخذ وقتك في إعداد بحثك».

أطلق تنهيدة ارتياح وأشكرها. لا أشعر بالراحة حين أكذب، ولكن ما باليد حيلة، أنا الآخر عليّ أن أنحّي بعض القواعد جانباً لكي أستمر في الحياة. أقفل الخط وأعيد الهاتف لأوشيما.

«أنت الطالب الوحيد الذي يأتي إلى هنا، لهذا قلت لا بدّ من أن المخابرة لك»، يقول أوشيما، «وقلت لها إنك منغمس منذ اليوم الأول في قراءة الكتب ولا شيء آخر. وهذا صدق».

«شكرا لك».

«كافكا تامورا؟».

«نعم. هذا هو اسمي».

«اسم غريب نوعاً ما».

«إنه اسمي»، أصرّ.

«أظن أنك قرأت بعض كتابات كافكا[2]؟».

---

(2) فرانز كافكا (1883-1924) كاتب تشيكي ، ورائد الكتابة الكابوسية، وأحد أهم أعلام فن الرواية في الأدب الألماني، يسود كتاباته إلى جنب الشعور العام =

أومئ موافقاً، «أجل قرأت *القلعة* و*المحاكمة* و*التحولات*، وتلك القصة الغريبة عن آلة الإعدام».

«مستعمرة العقاب»، يقول أوشيما «قصة كهذه لا يكتبها إلا كافكا».

«إنها المفضلة لدي بين قصصه».

«حقاً؟».

أجيب بإيماءة رأس.

«ولِمَ؟».

أستغرق وقتاً لاستجماع أفكاري. «أظنّ أنا ما يفعله كافكا هو شرح ميكانيكي محض لتلك الآلة المعقدة كبديل ما عن سرد واقع نعيشه نحن... أعني...»، أحتاج إلى التفكير أكثر في هذا، «أقصد أن هذه الآلة هي أداته لشرح الحياة التي نحياها. ليس عبر الحديث عن أوضاعنا نحن، بل عبر وصف تفاصيل تلك الآلة».

«وجهة نظر معقولة»، يقول أوشيما هذا ويضع يديه على كتفي، في إيماءة طبيعية، وودودة. مضيفاً «أتصور أن هذا هو أيضا رأي فرانز كافكا». ويأخذ جهاز اللاسلكي ويعود ليختفي في المبنى. أبقى على الشرفة قليلاً. أنهي غدائي وأشرب مياهاً معدنية، وأتأمل حركة الطيور في الحديقة، والتي هي طيور الأمس نفسها. السماء مغطاة بالغيوم، فلا يظهر منها شق أزرق واحد.

الأرجح أن أوشيما وجد تفسيري لكافكا مقنعاً، نسبياً على الأقل، ولكنني لم أستطع التعبير عما أردت قوله حقاً، لم أقصد قول

= بالذنب، واقع مبهم وكابوسي يصير الفرد فيه وحيداً وحائراً ومهدداً. رواية «التحولات» 1917 واحدة من الروايات القلائل التي نشرت في حياته، في حين نشرت روايات أخرى له مثل «المحاكمة» 1925 و«القلعة» 1926 بعد مماته، وقام بذلك صديقة الكاتب رود ماكس مخالفا بهذا وصية كافكا نفسه.

نظرية عامة عن روايات كافكا، بل كنت أتكلم عن شيء حقيقي جداً. آلة الإعدام التي يصفها كافكا، تلك الآلة المعقدة الغامضة، والتي ليست مجرد مجاز أو كناية - إنها هنا بالفعل. أشعر بها حولي، ولكنني لا أتصور أن يفهم أي شخص هذا. لا أوشيما، ولا سواه.

أعود إلى قاعة القراءة، أغوص في الأريكة وفي عالم *ألف ليلة وليلة*. وببطء، كما تتلاشى الصورة في فيلم سينمائي، يبدأ العالم الحقيقي في التبخر من ذهني. أصبح وحيداً. داخل القصة. وهذا إحساسي المفضَّل.

حين أغادر في الخامسة يكون أوشيما لا يزال وراء مكتبه يقرأ الكتاب نفسه، وما زال قميصه مكوياً جيداً، وكالمعتاد، خصلتان من شعره منسدلتان فوق جبينه. وما زالت عقارب الساعة خلفه تدق في صمت. كل ما يحيط به صامت ونظيف، ألا يتعرّق هذا الرجل أو يصاب بحازوقة؟ يرفع نظره نحوي ثم يحضر لي حقيبتي. يقطّب قليلاً كأنها ثقيلة جداً عليه ويسألني «أتركب القطار من هنا إلى البلدة؟».

أومئ.

«إن كنت ستأتي يومياً، فيجب إذن أن يكون معك هذا» ويناولني ورقة بجدول مواعيد القطارات من محطة تاكاماتسو إلى محطة المكتبة. مضيفاً، «غالبا ما تكون المواعيد دقيقة».

«شكراً»، أقول له وأنا أضع الورقة في الحقيبة.

«كافكا، أنا لا أعرف من أين أنت أو ما تنوي فعله، ولكن لا يمكنك ان تبقى في فندق للأبد. صح؟»، يقول أوشيما وهو يختار كل كلمة من كلماته بدقة وعناية. ممرراً أصابع يده اليسري على رؤوس أقلامه الرصاص، ليس لضرورة ما، إذ أنها كلها مبرية لأقصى درجة .

لا أرد.

«صدقني لا أريد أن أتدخل في ما لا يعنين، لكن خطر لي: ولد في سنك، غريب في مكان يأتي إليه للمرة الأولى، لا أتخيل أنه أمر سهل».

أومئ مرة أخرى.

«أأنت ذاهب إلى مكان آخر؟ أم ستبقى هنا لفترة؟».

«لم أقرر بعد، ولكن أعتقد أنني سأبقى هنا لفترة. لا يوجد مكان آخر أذهب إليه»، أعترف.

ربما عليّ أن أخبر أوشيما بكل شيء، أنا متأكد من أنه لن يُجلسني أمامه ويلقي على مسامعي محاضرة يجرّعني من خلالها بعض المنطق العام. ولكنني في الوقت الراهن أحاول أن أبقي تصريحاتي عن أي شيء في الحد الأدنى، بالإضافة لكوني لست معتاداً أساساً على التعبير عن مشاعري.

«إذن - على الأقل الآن- تتدبر أمورك جيدا؟».

أومئ إيماءة قصيرة.

«أتمنى لك حظاً سعيداً إذن».

ما عدا بعض التفاصيل الثانوية، أمضي الأيام السبعة التالية على المنوال نفسه، (إلا يوم الاثنين بالطبع، وهو يوم إجازة المكتبة، فأمضيه في مكتبة عامة)، وما عداه يمضي يومي كالتالي: يوقظني المنبه في الساعة 6:30، أبتلع ما يُدعى الفطور في الفندق، وإذا كانت موظفة الاستقبال ذات الشعر الكستنائي خلف مكتبها، ألوح لها بهدوء، ودائماً ترد عليّ بانحناءة رأس خفيفة وابتسامة. أظن أنها معجبة بي، وأنا أيضاً- تقريباً- معجب بها. هل يعقل أن تكون أختي؟ خاطر يعبر بالي.

أقوم ببعض تمارين التمدد اليسيرة كل صباح في حجرتي، وأحيانا أذهب إلى النادي الرياضي وأزاول دورة التمارين المعتادة، الأوزان نفسها دائماً، بلا زيادة ولا نقصان، آخذ حمّاماً وأغسل كل بوصة من جسمي جيداً، أزن نفسي لأتأكد من أنه لا يقل ولا يزيد، وقبل الظهر آخذ القطار إلى مكتبة كوميورا، أتبادل كلمات قليلة مع أوشيما حين أناوله الحقيبة وحين أستردها منه، أتناول غدائي على الشرفة. وأقرأ.

عندما انتهي من *ألف ليلة وليلة*، أبدأ في الأعمال الكاملة لناتسومي سوسيكي[3]- له أكثر من رواية لم أقرأها بعد- ثم أغادر المكتبة في الخامسة. معظم اليوم أمضيه بين المكتبة والنادي، لن ينشغل أحد بي ما دمت في أحد هذين المكانين. إذ لا يخطر ببال أحد أن يهرب فتى من المدرسة ليذهب إلى أي منهما. أتناول العشاء في المقهى أمام المحطة، وأحرص قدر المستطاع على تناول الكثير من الخضروات، وأحيانا أشتري فاكهة وأقشرها بالسكينة التي أخذتها من مكتب والدي، وأحياناً أشترى خياراً وكرفساً وأغسلها في مغسلة الغرفة وآكلها مغمّسة بالمايونيز. وأحياناً أيضاً أشتري علبة حليب من أي بقالة قريبة وأتناولها مع بعض الحبوب.

في غرفتي، أدوّن أحداث كل يوم، أسمع راديوهيد[4] في الووكمان، أو أقرأ قليلاً، ثم تنطفئ الأنوار في الحادية عشرة، أحياناً أمارس العادة السرية قبل النوم، متخيلاً موظفة الاستقبال، مستبعداً من ذهني احتمال أنها أختي، وبالكاد أشاهد التلفزيون أو أقرأ الصحف.

في مساء اليوم الثامن- كقدر لا بدّ من حدوثه آجلا أو عاجلا- تنفجر هذه الحياة البسيطة ذات المحور الواحد إلى شظايا.

---

(3) ناتسومي سوسيكي (1867-1916)، وهو اسم الشهرة لناتسومي كينوسوكي الذي يعد، على نطاق واسع، أشهر الروائيين اليابانيين في عصر ميجا، ومن أشهر أعماله رواية «أنا قطة» 1905.

(4) راديوهيد: فرقة روك إنجليزية بأوكسفورد شاير 1986. لم يتغير أعضاؤها ابداً، وقد أصدرت أول ألبوماتها عام 1992 «كرييب».

8

تقرير وحدة المخابرات بجيش الولايات المتحدة

في: 12 مايو (أيار) 1946

العنوان: تقرير حول واقعة «رايس باول هيل»، 1944

رمز الوثيقة: PTYX-722-8936745-42216-WWN

فيما يلي حوار مسجّل مع دكتور شيجينوري تسوكاياما (52 عاماً)، أستاذ في قسم الطب النفسي بكلية الطب، بجامعة طوكيو الإمبراطورية، وقد تم إجراء الحوار معه بالمقر الرئيسي لمكتب القائد الأعلى لقوات التحالف واستمر لمدة تتجاوز الثلاث ساعات. ويمكن الحصول على الوثائق المتعلقة بهذا الحوار باستخدام رمز الدخول: PTY-722-SQ-118 من 267 وحتى 291، (ملحوظة: الوثيقتان رقم 271 و278 مفقودتان).

انطباعات المسؤول عن إجراء المقابلة الملازم روبرت أوكونور: أظهر البروفسور تسوكاياما هدوءاً واسترخاء ملحوظين خلال المقابلة، مثلما يُتوقّع من خبير له ما للبروفسور من خبرة وباع طويلين في مجاله، إذ إنه واحد من رواد الطب النفسي في اليابان، وقد صدرت له عدة أعمال متميزة في هذا المجال، وخلافا لأغلب اليابانيين، يتحاشى البروفسور التصريحات المبهمة، بل يميز بشدة بين الحقيقة والفرضيات. وقد كان البروفسور، قبل الحرب،

أستاذاً زائراً في جامعة ستانفورد، ولذا فهو يتحدث الإنجليزية بطلاقة، وهو بالتأكيد محبوب ويحظى باحترام الكثيرين.

تلقّينا أوامر من الجيش بأن نبدأ فوراً في فحص الأطفال الذين تعرضوا للحادثة. كان ذلك في منتصف نوفمبر عام 1944، وكان أمراً مستغرباً جداً بالنسبة إلينا أن نتلقى الأوامر من الجيش. فالجيش بالتأكيد يملك مشفى شاملًا خاصاً به، وهو جهاز مستقل بذاته، والسرية أولوية بالنسبة إليه. لذا فغالباً ما يفضل مسؤولوه معالجة أمورهم بأنفسهم من دون كشفها للأجهزة الخارجية، هذا باستثناء المرات القليلة التي يحتاجون فيها إلى معرفة أو تقنية خاصة من تلك التي تتوافر فقط للباحثين أو الأطباء من الخارج، فنادراً ما يلجأ الجيش للأطباء والباحثين المدنيين.

ولهذا، عندما أخبرونا بذلك، توقعنا فوراً أن شيئاً ما استثنائياً قد حدث. بصراحة، لم أحبّذ قط العمل تحت إمرة الجيش، إذ إن أهدافه في معظم الحالات نفعية صِرف، دونما أدنى اهتمام بالسعي نحو الحقيقة الأكاديمية. في الجيش يهمهم فقط الوصول إلى الاستنتاجات التي تتفق ومفاهيمهم المسبقة، وليسوا من الذين يتصرفون على أساس المنطق، ولكننا تلقينا الأوامر منهم أثناء الحرب ولذا لم نكن قادرين بالطبع على الرفض، وكان علينا أن نلتزم الهدوء وننفذ الأوامر.

وكنا نواصل أبحاثنا برغم الغارات الجوية الأمريكية، رغم تجنيد معظم طلابنا الدارسين والمتخرجين، الذين لسوء الحظ لم يستثنى منهم طلبة قسم الطب النفسي. وحين تلقينا أوامر الجيش، تركنا كل شيء وركبنا القطار إلى [الاسم محذوف] بإقليم ياماناشي. كنا ثلاثة- أنا وزميل من قسم الطب النفسي وزميل باحث في قسم جراحة الأعصاب كان يشاركنا في البحث. وما إن وصلنا إلى هناك حتى تلقينا تحذيراً بأن ما سيطلعوننا عليه هو سرّ عسكري ليس لنا إفشاءه قط، ثم أخبرونا عن الحادثة التي وقعت في بداية الشهر، كيف أن 16 طفلًا قد سقطوا مغشياً عليهم في التلال، وقد

عاد 15 منهم إلى وعيهم بعد ذلك، من دون أن يتذكروا ما جرى، ما عدا طفل واحد فقط ظلّ فاقد الوعي يرقد في المشفى العسكري بطوكيو. ووافانا الطبيب العسكري الذي قام بفحص الأطفال بعد الحادثة مباشرة، وهو طبيب متخصص مقيم اسمه الرائد تویاما، بكل ما توصل إليه من تفاصيل نتائج الفحص. الكثير من أطباء الجيش يتصرفون كموظفين بيروقراطيين، يهتمون بالحفاظ على وظائفهم أكثر من اهتمامهم بالطب، ولكن لحسن الحظ لم يكن الرائد توياما من هؤلاء، كان أميناً وصريحاً ويبدو بوضوح أنه طبيب موهوب، ولم يحاول قط ممارسة سلطاته العسكرية علينا كأطباء مدنيين، ولم يحاول إخفاء شيء عنا- مثلما كان يمكن أن يفعل بعضهم. فوفّر لنا كل التفاصيل التي كنا في حاجة إلى معرفتها بأسلوب مهني محترم، وعرض علينا أيضاً الملفات الطبية للأطفال التي كان يحتفظ بها، وكان حريصاً على الوصول إلى الحقيقة مثله مثل أي واحد منا، وأثار إعجابنا بهذا.

من أهم الحقائق التي توصلنا إليها جميعاً بعد دراسة الملفات، وذلك من الناحية الطبية، أن الحادثة لم تتسبب في إحداث أي عارض صحي دائم لدى الأطفال. فقد أثبتت الفحوصات التي أجريت لهم بانتظام وثبات منذ وقوع الحادثة وحتى وقتنا هذا أنه ليس هناك أي شيء غير عادي سواء خارجياً أم داخلياً. كانوا جميعاً بصحة جيدة، تماماً مثلما كانوا قبل الحادث، وأثبتت الفحوصات الشاملة أيضاً أن عدداً من الأطفال لديهم طفيليات ولكن من دون وجود أي شيء خارج عن المألوف، وما عدا هذا كانوا جميعاً طبيعيين، لا صداع أو غثيان أو ألماً أو فقدان شهية أو أرقاً أو خمولًا أو إسهالًا أو كوابيس. لا شيء من هذا على الإطلاق.

الشيء الوحيد الملحوظ، مع هذا، أن فترة الساعتين التي أمضاها الأطفال مغشياً عليهم قد محيت كلياً من ذاكرتهم، وكأن هذا الجزء قد تم نزعه *بالكامل*. لم يكن فقدان ذاكرة بقدر ما هو فجوة في الذاكرة، وهذا ليس مصطلحاً طبياً، لكنني أستخدمه للإيضاح فقط، ولكن الفارق معروف

جيداً بين فقدان الذاكرة وبين النقص فيها أو حدوث فجوة. أظن أن الأمر يشبه... حسناً... تخيل قطاراً ماضياً في طريقه، وفجأة تختفي البضائع من إحدى عرباته - العربة وهي فارغة من الداخل هي فقدان الذاكرة، أما حين تختفي العربة كلها فهذا ما يسمى الفجوة أو النقص.

تناقشنا في احتمال أن يكون الأطفال قد استنشقوا غازاً ساماً، إلا أن الرائد توياما أخبرنا أنهم قد وضعوا هذا في حسبانهم بشكل بديهي. وقال إنه «لهذا السبب يهتم الجيش بالقضية»، وأضاف أيضاً «والآن سأفشي لكم سراً عسكرياً لا يمكنكم الإفشاء به لأحد، بالتأكيد يقوم الجيش بتطوير غاز سام وغير ذلك من الأسلحة البيولوجية، إلا أن هذا الأمر يتم في وحدة خاصة على الأراضي الصينية، وليس في اليابان نفسها. فهذا مشروع في غاية الخطورة بحيث لا ينبغي تجربته في مكان ذي كثافة سكانية عالية مثل اليابان، ليس من شأني أن أخبركم ما إذا كانوا يحتفظون بهذا النوع من الأسلحة في مكان ما داخل اليابان أم لا، لكنني أستطيع أن أؤكد لكم يقيناً أنهم لا يحتفظون به في أي مكان داخل إقليم ياماناشي».

إذن فقد أكد لكم أن هذا الصنف من الأسلحة الخاصة، ومن بينها الغاز السام، لا يتم الاحتفاظ بها في الإقليم؟

صحيح. لقد كان حاسماً في هذا الشأن، وأساساً لم يكن أمامنا إلا أن نصدقه، فقد بدا صادقاً. وكنا نحن أيضاً نستبعد جداً فكرة سقوط غاز سام من طائرة ب 29. فلو أن الأمريكيين قد توصلوا إلى تطوير مثل هذا السلاح بالفعل وأرادوا استخدامه، فمن الأجدر بهم استخدامه في مدينة ضخمة حيث سيكون التأثير على جماهير أكبر، فإسقاط غالون أو غالونين على مثل تلك المنطقة النائية لم يكن ليساعدهم على التأكد من نتائج سلاحهم. بالإضافة إلى حقيقة أخرى وهي أنه حتى لو سلمنا بسقوط غاز سام، فهذا الغاز الذي يُفقد الأطفال وعيهم لمدة ساعتين دون إحداث آثار مستدامة أخرى هو شيء بلا فائدة عسكرية. كما أننا نعلم بعدم وجود أي غاز، سواء

طبيعياً أم صناعياً، يسبّب مثل هذه الآثار، أقصد ألا يتسبب في أي نوع من الأعراض، وخاصة عندما يتعلق بالأطفال الذين يتميزون مقارنة بالبالغين بشدة حساسيتهم وضعف جهازهم المناعي. فإذا كان غازاً ساماً، فيجب أن يكون له بعض التأثيرات، وخاصة على العيون أو على الأغشية المخاطية. وهذا ما جعلنا نستبعد أيضاً احتمال تناولهم طعاماً مسموماً.

وبهذا لم يتبق لنا سوى المشكلات السايكولوجية أو المتعلقة بوظائف الدماغ. وفي هذه الحالة، لن يجدي المنهج الطبي المعتاد نفعاً في تحديد السبب، حيث أن الآثار لا تكون ظاهرة أو يمكن تحديد حجمها، وهذا ما جعلنا ندرك أخيراً لماذا طلب الجيش مشورتنا.

قابلنا جميع الأطفال الذين تعرضوا للحادثة ومدرِّسة الفصل التي كانت معهم وطبيب المدرسة. شارك في المقابلات الرائد تو‌ياما أيضاً، ولم تسفر المقابلات عن أي جديد، سوى تأكيد ما كان الرائد تو‌ياما قد أخبرنا به من قبل. لم يكن لدى الأطفال أي ذكرى عن الحدث، ولم يتذكروا سوى رؤيتهم شيئاً ما يشبه الطائرة يومض في السماء، ثم صعودهم إلى أوان ياما وجمع الفطر، ثم تلك الفجوة الزمنية، ولا يتذكرون بعد هذا سوى رقودهم على الأرض محاطين بمجموعة قلقة من المدرسين ورجال الشرطة. وكان الأطفال حينئذ بخير، لا ألم أو عدم راحة أو غثيان، فقط كان ذهنهم شارداً بعض الشيء، تماماً مثلما تشعر عندما تستيقظ من النوم صباحاً، هذا كل شيء. وكانت تلك الإجابة نفسها من كل طفل.

خلصنا بعد تلك المقابلات إلى أنها حالة تنويم مغناطيسية جماعية، ومن وصف مدرِّسة الفصل وملاحظات طبيب المدرسة، كان هذا هو التشخيص الأكثر معقولية؛ حركة العين المنتظمة، والانخفاض الطفيف في إيقاع التنفس وضربات القلب ودرجة الحرارة، والفجوة في الذاكرة - كل هذا يتناسب مع تشخيصنا، وكانت حقيقة أن المدرّسة هي الوحيدة التي لم تفقد الذاكرة لأي سبب كان هي ما أشار لنا إلى أن هذه الحالة من التنويم المغناطيسي لا تؤثر في البالغين.

مع ذلك لم نستطع تحديد السبب. بيد أنه بالإجمال يشترط التنويم المغناطيسي الجماعي وجود عاملين: الأول، أن يكون أفراد المجموعة قريبين من بعضهم البعض، ومن النوع نفسه، وفي بيئة مضغوطة. والثاني، وجود محفّز لرد الفعل، أي شيء ما يؤثر بشكل عفوي على المجموعة كلها. وفي حالتنا هذه يحتمل أن يكون هذا الشيء هو بريق الطائرة التي شاهدوها، وهذا كله مجرد فرضية- حيث لم يسعنا التوصل إلى تشخيص بديل- ومن المحتمل جداً أن يكون هناك محفّز آخر قد تسبب في الأمر. وقد تناقشت في فكرة التنويم المغناطيسي الجماعي مع الرائد توياما، موضحاً أنه مجرد تخمين، وأيدني في هذا بشكل عام زميلاي الآخران، وبالصدفة كان هذا الأمر مرتبطاً بشكل غير مباشر بموضوع بحث كنا نجريه معاً قبل مجيئنا.

«يبدو هذا منطقياً»، قال الرائد توياما بعد تقليب الأمر في ذهنه لفترة، «رغم أنه ليس مجال تخصصي، لكنه يبدو لي التفسير الأرجح، إلا أن هناك أمراً واحداً لا أستطيع فهمه، ما الذي أخرجهم من حالة التنويم المغناطيسي؟ لا بدّ أن هناك آلية تحفيز مضادة».

حقاً لا أعرف، أعترفت له بهذا. فكل ما كان يسعني فعله هو الافتراض، وكانت نظريتي أن هناك نظاماً ما في البيئة المحيطة يقوم بفك التنويم تلقائياً بعد مرور فترة معينة من الزمن، ذلك أن أجسادنا تتمتع بآليات دفاع طبيعية وقوية، فإذا ما سيطر عليها نظام خارجي ما على نحو مؤقت، وبعد فترة زمنية محددة، يكون الأمر كما لو أن جرس إنذار قد انطلق لتشغيل نظام الطوارئ الذي بدوره يقوم بفك شيفرة هذا الدخيل الذي يعوّق دفاعاتنا الداخلية - وهو التنويم المغناطيسي في حالتنا- ثم يقوم بإزالته.

للأسف لا تتوافر معي مواد البحث الآن، ولهذا لا أستطيع الإدلاء بالأرقام الصحيحة، ولكن، كما أخبرت الرائد توياما، هناك بلاغات عن حالات مشابهة حدثت في الخارج، وكلها في عداد الحالات الغامضة التي

ليس لها تفسيرات منطقية، حيث يفقد عدد كبير من الأطفال وعيهم في الوقت نفسه، ويستيقظون بعد ساعات عدة من دون أن يتذكروا شيئاً مما جرى.

بمعنى آخر، رغم أن هذه الحادثة غير مألوفة تماماً، إلا أن لها سوابق. وهناك مثال غريب على هذا وهو ما حدث حوالى عام 1930 على مشارف قرية صغيرة في ديفونشاير بإنجلترا، كان ثلاثون تلميذاً في المدرسة الإعدادية يسيرون في طريق زراعية، وسقطوا مغشياً عليهم دون سبب واضح، واحداً بعد الآخر، وبعد مرور عدة ساعات، وكما لو أنه لم يحدث شيء، استعادوا وعيهم وعادوا إلى المدرسة بحالتهم تلك، وقام طبيب بفحصهم على الفور ولم يجد بهم أي شيء، ولم يستطع أحد منهم تذكر ما حدث.

وفي نهاية القرن الماضي وقعت حادثة مشابهة في أستراليا خارج أديلاد. 15 فتاة من مدرسة للبنات في نزهة مدرسية سقطن جميعاً فاقدات الوعي، ثم عدن إلى وعيهن، ومجدداً لا إصابات ولا آثار لأي شيء، وانتهى الأطباء وقتذاك إلى تشخيص الحالة بأنها ضربة شمس. ولكن جميع الفتيات فقدن الوعي واستعدنه في الوقت نفسه تقريباً، ولم تظهر على أي منهن أعراض ضربة الشمس، وظل السبب الحقيقي غامضاً. بالإضافة إلى هذا، لم يكن يوم الحادث حاراً بشكل استثنائي، وربما لم يكن هناك أى تفسير واضح آخر لما جرى فقرروا أن ضربة الشمس هي أفضل تفسير.

هناك أوجه شبه عديدة في تلك الحالات وهي: وقوع تلك الحوادث لمجموعات من الصغار سواء الصبيان أو البنات، الذين يكونون بشكل ما في مكان بعيد عن المدرسة، ويفقدون جميعاً الوعي في الوقت عينه تقريباً، ثم يَصْحون يضاً في الوقت عينه تقريباً، ولا يترك الأمر على أي منهم أية آثار، وبالنسبة للبالغين الذين يكونون بصحبتهم، علمنا أنه في بعض الحالات سقط الكبار فاقدي الوعي، وبعضهم لم يفقده، في هذا الخصوص تختلف الحالات فيما بينها.

وهناك حالات أخرى مشابهة، ولكن تلك الحالتان هما الأفضل توثيقاً، ولهذا فهما الحالتان الممثلتان لأدبيات هذه الظاهرة. ومع هذا ينطوي ذلك الحدث الأخير في إقليم ياماناشي على عامل يجعله مختلفاً عن بقية الحالات الأخرى: وهو هذا الطفل الذي لم يستعد وعيه في ذلك اليوم، هذا الطفل هو مفتاح ما هو غامض من حقائق في هذه الحادثة. ولذا عدنا إلى طوكيو بعد إجراء مقابلاتنا في ياماناشي وتوجهنا مباشرة إلى المشفى العسكري لنرى الطفل.

الجيش إذن لم يكن مهتماً بتلك الحالة سوى لوجود شبهة استخدام غاز سام؟

هذا ما فهمته، ويُسأل في هذا الرائد توياما الذي يعرف أكثر عنه.

الرائد توياما قُتِل في مارس 1945 في طوكيو أثناء تأديته مهامه إثر غارة جوية .

خبر مؤسف حقاً، لقد فقدنا الكثير من الشباب الواعد في هذه الحرب.

وفي نهاية الأمر، مع هذا، قرر الجيش أن سبب وقوع الحادثة لا يعود إلى استخدام أية أسلحة كيماوية، وبرغم عدم تحديد السبب قرروا أنه لا يتعلق بالحرب، أكان الأمر هكذا؟

نعم، أعتقد أن هذا صحيح، عند هذا الحدّ كفوا عن التحقيق في الأمر، إلا أنهم سمحوا ببقاء الطفل ناكاتا في المشفى العسكري، لأن الرائد توياما كان مهتماً بهذا الأمر بصورة شخصية وكان له بعض المعارف في المشفى، ولهذا كان باستطاعتنا أن نذهب إلى هناك يومياً ونتناوب على مراقبة حالة الولد الغائب عن الوعي عن قرب ومن عدة زوايا.

كانت كل وظائفه الحيوية تعمل بشكل طبيعي على الرغم من فقدانه الوعي بصورة تامة، كانت تتم تغذيته بالأنابيب ويتخلص من البول على فترات

منتظمة، وكان يغمض عينيه ليلًا و ينام عند إطفاء الأنوار، ثم يعود ليفتحهما في الصباح، وفيما عدا فقدانه الوعي، كان يبدو بصحة جيدة. كان في غيبوبة، لكن من الواضح أنه لم يكن يحلم، فعندما يحلم الناس تظهر على وجوههم حركات وتعبيرات مميزة، كما تزداد ضربات قلبك بسبب تفاعلك مع ما تعيشه في المنام، لكننا في حالة ناكاتا لم نرصد أياً من تلك المؤشرات، كانت ضربات قلبه وإيقاع تنفسه ودرجة حرارته تحت الطبيعية بقليل إلا أنها، لدهشتنا، كانت مستقرة.

قد تستغرب الطريقة التي سأصوغ بها حاله، ولكن بدا الأمر كله كما لو أن ناكاتا الحقيقي قد غادر إلى مكان ما، تاركاً خلفه وعاءه الفيزيائي مؤقتاً، وظل هذا الأخير، أثناء غياب ناكاتا الحقيقي- محتفظاً بعمل وظائفه الحيوية بالحد الأدنى الذي يسمح ببقائه. مما يستدعي إلى الذهن مصطلح «خروج الروح»، هل سمعت عن خروج الروح من قبل؟ التراث الياباني حافل بأشياء من هذا القبيل، عندما تترك الروح الجسد لفترة مؤقتة وتذهب بعيداً لتقوم بمهمة حيوية ما ثم تعود لتتحد مرة أخرى مع الجسد. شيء شبيه بتلك الأرواح الانتقامية في *سيرة الأمير جينجي*[1]. فكرة أن الروح لا تترك الجسد في الموت فقط ولكن- مع وجود إرادة قوية بما يكفي- فالروح تقدر أحياناً على مغادرة الجسد من دون إماتته، وهذه الفكرة تجد جذورها في اليابان منذ زمن سحيق. ولا يوجد دليل علمي على حدوث هذا بالطبع، وأنا أتردد حتى في عرضي للفكرة.

كانت المشكلة العملية التي واجهتنا هي كيف نخرج هذا الطفل من غيبوبته، وظللنا نبحث عن حافز مضاد لإنهاء التنويم المغناطيسي، حاولنا

---

(1) سيرة الأمير جينجي: -أو جينجي مونوجوتاري- من كلاسيكيات الأدب الياباني، كتبتها وصيفة من وصيفات القصر تدعى موراساكي شيكيبو في بدايات القرن الحادي عشر، أوج عصر هايان، ويثار جدل أحيانا على كونها أول رواية في العالم أوّل رواية عصرية في العالم، أو أول رواية في الكلاسيكيات، وقد قام بترجمتها إلى العربية د. أحمد فتحي.

بكل السبل وجرّبنا كل شيء، ولعدة أيام كنّا نحضر والديه، ونجعلهما يناديان عليه. لكنه لم يأت بأي رد فعل. كما جربنا جميع الحيل المذكورة في الكتب بخصوص التنويم المغناطيسي، كالتصفيق بالأيدي في اتجاهات مختلفة أمامه، وشغّلنا الموسيقى التي يعرفها، وقرأنا له كتبه المدرسية بصوت عالٍ، وحاولنا أن نجعله يشم رائحة الأطعمة المفضلة لديه، حتى أننا أحضرنا له قطه الذي كان يحبه كثيراً، استخدمنا كل الطرق التي خطرت ببالنا لنعيده إلى الواقع، لكنّ أياً منها لم يجد نفعاً.

وبعد مرور أسبوعين تقريباً على هذا وعندما نفدت كل حيلنا لإيقاظه ونال منا الإحباط والتعب، أفاق الولد من تلقاء نفسه، وليس بفعل أي شيء قمنا به، ومن دون إظهار أي علامة مسبقة على الاستيقاظ، كما لو أن الوقت الذي كان مقدرا لاستيقاظه قد حان، فعاد لوعيه.

هل حدث ما هو خارج عن المألوف في ذلك اليوم؟

لا شيء يستحق الذكر، كان يوماً عادياً كسائر الأيام. في العاشرة صباحاً، دخلت الممرضة لتأخذ من جسده عينة من الدم. سعل الولد سعالًا خفيفاً فسقطت بعض قطرات من الدم على الملاءة. لم يكن دماً كثيراً، وقاموا فوراً بتغيير الملاءة. كان هذا تقريباً الأمر الوحيد المختلف ذاك اليوم، واستيقظ الولد بعدها بنحو نصف ساعة، بلا أي مقدمات، وجلس على السرير ومطّ جسمه ونظر إلى الغرفة حوله. وهكذا استعاد وعيه، ومن الناحية الطبية كان في أفضل حال، وسرعان ما اكتشفنا أنه فاقد الذاكرة، إذ لم يستطع تذكّر اسمه، أو أين يسكن، أو مدرسته أو وجوه أفراد أسرته- انمحت ذاكرته تماماً، ولم يعد قادراً على القراءة، حتى أنه لم يكن يعرف أنه في اليابان أو أننا على كوكب الأرض، لم يعد يعي حتى معاني كلمات مثل اليابان أو الأرض، فقط عاد إلى العالم بذهن ممسوح تماماً، أو مثلما يقول المثل: صفحة بيضاء.

9

أجدني، حين أستعيد وعيي، داخل دغل كثيف، راقداً كحطبة على الأرض الرطبة. ولا أرى سوى ظلام دامس يحيط بي.

رأسي إلى الأعلى. ملقى على نباتات شائكة، آخذ نفساً عميقاً وأشمّ رائحة نباتات وتربة تختلط فيهما رائحة براز كلب. أرى سماء الليل من بين فروع الأشجار، لا قمر ولا نجوم، لكن السماء منيرة بشكل غريب. والسحب كشاشة تعكس الضوء من الخلف. أسمع صوت سيارة إسعاف بعيداً، يتلاشى تدريجياً. أنصت إلى الأصوات القريبة، لا تلتقط أذناي سوى أصوات إطارات السيارات على الطريق، لا بدّ من أنني في ناحية ما بالمدينة.

أحاول أن أستعيد رباطة جأشي وأن الملم أشتات نفسي المنثورة حولي كقطع أحجية «بازل». هذه هي المرة الأولى التي ينتابني فيها مثل هذا الشعور، أم ماذا؟ أذكر هذا الإحساس، لقد انتابني من قبل في مكان ما، متى كان هذا؟ أبحث في ذاكرتي، لكن خيط الذاكرة الواهي لا يني يفلت مني، أغمض عينيّ وأدع الوقت يمر.

أرتعب فجأة: أين حقيبتي؟ أين تركتها؟ مستحيل أن أفقدها- ففيها كل ما أملكه، وكيف سأجدها في الظلام؟ أجاهد لكي أقف، لكن أصابعي فقدت كل قواها.

أجاهد لأرفع ذراعي اليسري، لماذا أصبحت ثقيلة هكذا فجأة؟

أقرّب ساعة يدي من وجهي، أحملق فيها. تقول الأرقام 11,26، 28 مايو. أتذكر يومياتي، 28 مايو... جيد، لم يفتني يوم كامل إذن، ولست راقداً هنا في العراء منذ أيام. لقد فارقت الوعي لعدة ساعات فقط، على أقصى تقدير، أربع ساعات تقريباً.

28 مايو... يوم كغيره من الأيام، الروتين المعتاد نفسه، لا شيء استثنائياً. ذهبت إلى صالة الجمنازيوم ثم إلى مكتبة كوميورا. قمت بالتمارين المعتادة على المعدّات. وقرأت سوسيكي على الأريكة نفسها، وتناولت العشاء بالقرب من المحطة، أتذكر أنني أكلت السمك، سلمون مع طبق أرز وحساء ميزو وسلطة. وبعد هذا... بعد هذا لا أعرف ماذا جرى.

أستعيد وعيي، ومعه الألم. كتفي الأيسر يؤلمني قليلاً، لا بدّ من أنني ارتطمت بشيء صلب للغاية. أدلّكه بيدي اليمنى، لا يوجد به أي جرح أو وَرَم، هل صدمتني سيارة؟ ربما؟ لكن ملابسي غير ممزقة، ولا أشعر بالألم سوى في كتفي الأيسر، قد تكون مجرد كدمة.

أتحسّس حولي، ليس هناك سوى الأغصان، أغصان خشنة وملتاعة كقلوب حيوانات صغيرة مذعورة. حقيبتي ليست هنا. أفتش في جيوب بنطالي، الحمد لله محفظتي موجودة، وبها بعض النقود وبطاقة الغرفة وبطاقة هاتفية، ومعي أيضا كيس عملات، ومنديل وقلم «بول بوينت»، على حد علمي لم أضع شيئاً في هذا الظلام، ما زلت أرتدي بنطالاً بيج وكنزة بيضاء قبّة سبعة وقميصاً مقلّماً طويل الكمّين، وحذاء البحّارة الأزرق. لكن قبعة فريق بايسبول النيويورك يانكيز قد اختفت. أنا واثق من أنني كنت أعتمرها عندما غادرت الفندق، لكنها ليست معي الآن، لا بدّ من أنها وقعت مني أو تركتها في مكان ما. هذا لا يهم، فهي لا تساوي الكثير.

في النهاية أجد حقيبتي، أستند إلى جذع شجرة صنوبر وأقف. ولا أعرف لماذا أتركها وأتحرك إلى هذا الدغل، فقط لأقع؟ وأين أنا

أساساً؟ ذاكرتي مجمّدة. على كل حال، ما يهم أنني وجدت الحقيبة، أخرج المصباح اليدوي من الجيب الجانبي وأتفقد محتويات الحقيبة، لا يبدو أن شيئاً مفقوداً، الحمد لله، ما زالت معي الحقيبة ونقودي كلّها.

أحمل الحقيبة على كتفي وأطأ العشب، مزيحاً الأغصان والفروع في طريقي حتى أصل إلى فسحة صغيرة، وأمامي مسلك ضيق، فأتبع ضوء المصباح إلى مكان يلوح منه الضوء، ويتضح أنه ساحة معبد شينتو[1]. لقد فقدت وعيي في غابة صغيرة خلف المعبد.

لمبة بيضاء على سارية عالية تنير المساحة الممتدة حولها وتلقي ما يشبه الضوء البارد داخل المعبد وعلى صندوق الصدقات وشواهد النذور. ظلي على الحجارة طويل غريب الشكل. أرى اسم المعبد على لوحة الشاهد وأسجّله في ذاكرتي. لا أحد غيري هنا. أرى على مقربة حماماً عمومياً وأدخله فأجده نظيفاً تماماً. أضع حقيبتي أرضاً وأغسل وجهي، ثم أنظر إلى وجهي في المرآة المغبشة فوق المغسلة. أهيئ نفسي لرؤية الأسوأ- ولا يخيب ظني- أبدو بشعاً، يقابلني في المرآة وجه شاحب غائر العينين، الطين على عنقي، وشعري منكوش.

ألاحظ بقعة داكنة على صدر كنزتي البيضاء تشبه فراشة ضخمة تبسط جناحيها. أحاول أن أزيلها لكنها لا تزول. ألمسها فأجد يدي

---

(1) شينتو: كانت الديانة الأم في اليابان وذات مرة ديانة الدولة، وتتضمن عبادة أرواح كآلهة الشمس على سبيل المثال. وأصل كلمة شينتو: (شين- الأرواح أو الآلهة عن الصينية ولم تتغير في اليابانية)، (وتو- الدرب أو الطريقة الفلسفية) أي أنها تعني بالعربية (طريقة الآلهة). وعلى خلاف المساجد والكنائس ليس لمعبد الشينتو قبة أو علامة معمارية ولا مكان للصلاة الجماعية، ولا يستخدم سوى للجلوس وعبادة الكامي، وقد كانت العادة في القرون الماضية بناء معبد الشينتو أثناء المهرجانات والاحتفالات الدينية على نحو مؤقت في الأماكن الطبيعية كالكهوف والجبال لاعتقادهم بأن الأرواح تتحرك بحريتها كالحيوانات ولا يمكن حبسها. (المترجم)

لزجة. عليّ أن أهدأ إذن. أتأنى متعمّداً، وأنزع الكنزة والقميص.

تحت ضوء الفلورسنت المغبش أدرك كنه هذا الشيء- دم داكن متغلغل في النسيج- لا يزال طازجاً ونديّاً، وهناك الكثير منه. أتشمّمه، ليس له رائحة، وقد طاول أيضاً القميص، القميص المقلّم، القليل منه فقط، ولا يبرز على الخطوط الزرقاء. أما بقعة الدم على الكنزة فأمر آخر، لا يمكن تجاهلها أو إخطاءها على هذه الخلفية البيضاء.

أغسل الكنزة في المغسلة فيمتزج الدم بالماء صابغاً البورسلان بالأحمر الفاتح. ومهما دعكت، لا تزول البقعة. أقرر أن أرمي الكنزة في سلة القمامة ثم أغيّر رأيي. إذا كنت سأرميها، فمن الأفضل أن أفعل ذلك في مكان آخر، فأطويها وأضعها في الكيس البلاستيكي مع بقية ملابسي المبللة وأدس الكيس في حقيبتي. أبلل شعري وأحاول أن أفك بعض عقده، ثم آخذ صابونة من كيس أدوات الاستحمام وأغسل يدي. ما زالت يداي ترتجفان قليلاً، لكنني أتمهل وأغسل ما بين أصابعي وتحت أظافري بحرص، وبفوطة مبللة أزيل الدم عن صدري، ثم أرتدي قميصي المقلّم وأعقد أزراره حتى الرقبة وأحشره داخل البنطال، لا أريد أن ألفت أنظار الناس إليّ، لذا على أن أبدو شبه طبيعي على الأقل.

لكنني مرعوب، وأسناني تصطك. أجاهد لإيقافها عن الاصطكاك. أبسط يداي أمامي وأنظر إليهما، ترتعشان قليلاً أيضاً، وأشعر أنهما لشخص آخر، ليستا يداي، بل حيوانان صغيران لهما حياة خاصة بهما، وأحس لسعاً في كفيَّ كأنني أمسكت بهما لوحاً معدنياً ساخناً.

أضع يديّ على المغسلة وأميل رأسي إلى الأمام في المرآة. أريد أن أبكي، وحتى لو بكيت، فلن يأتي لنجدتي أحد. لا أحد...

اللعنة، ما هذا الدم كله عليك؟ ماذا كنت تفعل بحق الجحيم؟ لكنك لا

تذكر شيئاً، أليس كذلك؟ لا جروح. أمر مطمئن. ولا ألم صارخاً أيضاً - باستثناء هذا النشيج في كتفك الأيسر، لا بدّ إذن من أنه دم شخص سواك..

عموماً، لا يمكن أن تظل هنا، فلو وجدتك دورية شرطة هنا مغطى بالدماء فستكون في مأزق، والرجوع إلى الفندق ليس فكرة جيدة بالطبع، إذ لا تدري من سيكون في انتظارك هناك، متربصاً ينتظر الانقضاض عليك. لا يمكنك إلا أن تكون حريصاً. ويبدو أنك تورطت في جريمة ما، في أمر لا تتذكره، ربما كنت *أنت الشرير*. من يعلم؟

لحسن الحظ أغراضك معك، كنت حريصاً كفاية بحيث وضعت كل ما تملكه معك داخل هذه الحقيبة الثقيلة. قرار حكيم وصائب. لا تقلق إذن. لا تخف. لكل مشكلة حل. وذلك لأنك- أعترف بهذا- أقوى فتى في الخامسة عشرة من عمره على وجه الأرض، أليس كذلك؟ تمالك أعصابك وتنفس بعمق، وأعمل ذهنك. كل شيء سيكون على ما يرام. ولكن عليك أولاً أن تكون بالغ الحذر، إننا نتحدث عن دم حقيقي هنا، ليس قطرة أو قطرتين، أراهن أنه فيما نتحدث الآن، يحاول أحدهم العثور عليك.

الأفضل إذن أن تتحرك، عليك أن تفعل شيئاً واحداً فقط: أن تحدّد مكاناً واحداً فقط تتجه إليه. أنت تعرفه.

أتنفّس بعمق لأهدأ، ثم أحمل حقيبتي وأخرج من الحمام. أسمع وقع خطواتي على الحصى، والضوء الزئبقي يسقط على رأسي، أحاول أن أشغّل دماغي، أضغط على الزر، أدير ذراع التحريك، أحاول تشغيل آلة التفكير القديمة، لكنها لا تعمل- ليس ثمة ما يكفي من السائل في البطاريات لتشغيل المحرك. أحتاج إلى مكان آمن ودافئ أستطيع أن ألوذ به لفترة أستجمع فيها نفسي. ولكن *أين*؟ المكان الوحيد الذي يخطر ببالي هو المكتبة. ولكن مكتبة كوميورا مغلقة حتى الحادية عشرة من

يوم غد وأنا في حاجة إلى مكان أمكث فيه حتى ذلك الحين.

أتوصّل إلى بديل. أقبع حيث لا يراني أحد وأخرج الموبايل من حقيبتي. أتحقق من أن الخط لا يزال شغالاً، ثم أخرج رقم ساكورا من محفظتي وأطلب الأرقام. ما زالت أصابعي ترتعش، فيتطلب الأمر محاولات عدة قبل أن يكتمل الرقم على الشاشة. الحمد لله، لا يطالعني البريد الصوتي. ترد هي بعد 12 رنة، فأخبرها من أنا.

«كافكا تامورا»، تردد ساكورا ورائي. لا تبدو سعيدة كثيراً بهذا، «هل لديك فكرة كم الساعة الآن، عليّ أن أستيقظ غداً مبكراً».

«أعرف، وآسف لاتصالي في هذا الوقت المتأخر»، صوتي يبدو متوتراً، «ولكن ليس أمامي حل آخر، إنني تقريباً في ورطة، وأنت الوحيدة التي استطعت التفكير باللجوء إليها».

لا استجابة على الطرف الآخر، يبدو أنها تزن نبرة صوتي في ذهنها.

«أحدث أمر... خطير؟»، تسألني أخيراً.

«لا أستطيع أن أخبرك الآن، لكنني أظن هذا، أنا في حاجة إلى مساعدتك، هذه المرة فقط، وأعدك أنني لن أزعجك بعدها أبداً».

تفكّر قليلاً، ليس ارتباكاً أو حيرة أو شيئاً من هذا القبيل، لكنها تفكّر فحسب. «أين أنت إذن؟».

أخبرها باسم المعبد.

«في تاكاماتسو؟».

«لست واثقاً من هذا تماماً، لكن أظن هذا».

«لا تعرف حتى أين أنت؟»، تسألني بعجب.

«إنها قصة طويلة».

تتنهّد. «خذ سيارة أجرة إلى سوبر ماركت «لوسونس» القريبة من شقتي. ستجد لافتة كبيرة، لن تضل عنها». ثم تصف لي الاتجاهات وتسألني «هل معك نقود لسيارة الأجرة؟».

«أجل معي».

«وهو كذلك»، تقول وتقفل الخط.

أخرج من بوابة التوري[2] الخاصة بالمعبد وأتجه مباشرة إلى الشارع العام لأؤشّر لسيارة أجرة. لا يستغرق الأمر طويلاً. أسأل السائق إذا كان يعرف سوبر ماركت «لوسونس» فيجيب أجل، فأسأله إن كانت المسافة طويلة فيجيب لا. مجرد توصيلة بـ 1000 ين فقط.

نتوقف عند «لوسونس» وأدفع الأجرة، ما زالت يداي ترتعشان، أحمل حقيبتي وأدخل إلى المكان. وصلت بسرعة ولم تصل ساكورا بعد، أشتري علبة حليب صغيرة وأدفئها في المايكروويف وأرشف منها ببطء. ينزل الحليب الدافئ إلى حنجرتي فيهدئ معدتي قليلاً. عندما أدخل إلى المحل ينظر الموظف إلى حقيبتي تحسباً لاحتمال أن أكون من لصوص المحلات، لكن بعد ذلك لا يعيرني أحد أي اهتمام. أقف عند حامل المجلات متظاهراً أنني أختار منها وأتفحص وجهي في الزجاج، لا يزال شعري منكوشاً قليلاً، والدم على القميص المقلّم بالكاد ظاهر، ولو لاحظه أحدهم فسيحسبه مجرد بقعة وسخة. ليس عليّ الآن سوى التوقف عن الارتجاف.

بعد عشر دقائق تدخل ساكورا مسرعة. الساعة تقريباً الواحدة بعد منتصف الليل، ترتدي كنزة رمادية فضفاضة، وبنطال جينز باهت اللون، وتعقد شعرها على شكل ذيل حصان وفوقه قبعة زرقاء كتب عليها اسم فريق «نيو بالانس». ما إن ألمحها حتى تتوقف أسناني عن الاصطكاك أخيراً، تدور حولي متمعنة فيّ وكأنها تتفحص أسنان كلب ستشتريه. تصدر أصواتاً نصفها تنهدات ونصفها الآخر كلمات فعلية. ثم تربت

(2) Torii: بوابة يابانية تقليدية لمعبد الشينتو، وكذلك المعابد البوذية، لها قائمتان عاليتان يعلوهما لوحان متقاطعان وغالبا ما تكون مطلية بلون قرمزي خفيف.

على كتفي برقة مرات عدة وتقول «هيا بنا».

تقع شقتها على بعد شارعين من «لوسونس» في بناية سكنية قديمة رثة. تصعد السلالم وتخرج المفاتيح من جيبها وتفتح الباب ذي الإطار الأخضر. شقة من حجرتين ومطبخ وحمام، حوائط رفيعة وأرضية تصدر صريراً، ومن الواضح أن الضوء الطبيعي الوحيد الذي يدخل إلى الشقة هو ضوء الغروب الكفيف. أسمع صوت شدّ «السيفون» في الشقة المجاورة، وخبط قاعدة التواليت في مكان ما. شقة قذرة، وهو كذلك.. على الأقل فيها ألفة أناس حقيقيين يحيون حياة حقيقية. أطباق مكوّمة في مغسلة المطبخ، عبوات بلاستيكية فارغة، مجلات نصف مقروءة، أزهار توليب نصف ذابلة في إناء، قائمة مشتريات معلقة على الثلاجة، ملابس داخلية على ظهر كرسي، صحف على الطاولة كلها مفتوحة على صفحة دليل القنوات الفضائية، علبة سجائر «فيرجينيا سليمس» رفيعة، طفاية. ولسبب ما كل هذا يشعرني بالارتياح.

«هذه شقة صديقتي»، تشرح لي ساكورا، «كانت تعمل معي في صالون حلاقة في طوكيو، واضطرت العام الماضي للعودة إلى هنا، ثم قالت إنها مسافرة إلى الهند لمدة شهر وطلبت مني أن أقيم بدلاً منها في الشقة وأحل محلها في العمل إلى أن تعود، هي أيضاً مصفّفة شعر، وظننت أنها قد تكون فرصة جيدة لتغيير الإيقاع، أن أترك طوكيو لمدة شهر، أما هي فلن تستطيع بكل أفكارها الغيبية أن تعود من الهند في غضون شهر واحد فقط».

تُجلسني إلى المائدة وتحضر لي علبة بيبسي من الثلاجة، بدون كوب، لا أشرب الكولا عادةً، لأن مذاقها مفرط الحلاوة وتفسد الأسنان، لكنني عطشان جداً فأشرب العلبة كلها.

«هل أنت جائع؟ ليس لدى سوى بعض النودلز لو أردت».

«لا، إنني بخير».

« منظرك مريع. أتعرف هذا؟».

أومئ موافقاً.

«ماذا حدث إذن؟».

«ليتني أعرف».

«ليس لديك فكرة عما حدث. ولا حتى أين كنت. والقصة طويلة»، تعدّد ساكورا الوقائع، «ومن المؤكد أنك في ورطة. صح؟».

«أجل، هذا مؤكد»، أجيبها، آملاً أن يمر هذا، على الأقل، بشكل معقول.

يسود صمت. وطوال الوقت ساكورا تحملق بي.

«ليس لك أقارب في تاكاماتسو كما قلت لي من قبل، صح؟ فأنت هارب من البيت».

أومئ مجدداً.

«مرة، حين كنت في مثل سنّك، فررت من المنزل، وأظن أنني أفهم حالك، ولهذا أعطيتك رقمي، ظننت أنك ربما ستحتاج إليه».

« أقدر لك هذا فعلاً».

«كنت أعيش في أيشيكاول بشيبا، ولم أكن على وفاق مع والديّ، وكنت أكره المدرسة، فسرقت بعض النقود منهما وفررت، وحاولت أن أبتعد قدر الإمكان. كنت في السادسة عشرة، ابتعدت حتى وصلت إلى أباشيري، حتى هوكايدو، وصادفت في طريقي مزرعة وسألت أصحابها إذا كان يمكنني العمل لديهم، قلت لهم إنني سأعمل في أي شيء، وسأعمل جيداً، ولا أريد راتباً ما دام هناك ملاذ وطعام. عاملتني سيدة المنزل بلطف وأجلستني وقدّمت لي الشاي وطلبت مني أن أنتظر فقط. ما أتذكره بعد هذا وقوف سيارة دورية بالخارج والشرطة تعيدني إلى البيت مرة أخرى، واضح أنها كانت معتادة على مثل هذا الموقف. عندها أدركت أنه عليّ تعلم صنعة ما، حتى إذا ذهبت إلى أي مكان وجدت عملاً، فتركت المدرسة الثانوية والتحقت بمعهد مهني

وأصبحت مصفّفة شعر»، تفتر شفتاها عن ابتسامة واهنة، «مقاربة صائبة للحياة، ألا تعتقد هذا؟».

أوافقها الرأي.

«هلا أخبرتني بالقصة من بدايتها؟»، تقول وهي تشعل سيجارة.

«لا أعتقد أنني سأنام طويلاً الليلة، وأريد أن أستمع إلى القصة كلها».

أروي لها كل شيء منذ أن غادرت البيت، استثني طبعاً الجزء المتعلّق بنذير الشؤم، والذي أعرف أنني لا أستطيع أن أخبر به أحداً.

10

«ألا تمانع إذن إذا دعاك ناكاتا باسم كاوامورا؟»، كرّر سؤال القط البني المخطّط، مردداً الكلمات ببطء، ليجعلها مفهومة قدر الإمكان.

هذا القط بالذات قال إنه رأى جوما- القطة المشمشية التي لم تكمل عامها الأول- في هذه النواحي. ولكنه - أي القط - يتحدث بطريقة غريبة جداً بالنسبة إلى ناكاتا. وهذا هو رأي القط حياله، إذ بدا أنه يجد صعوبة بالغة في فهم ناكاتا. كان حوارهما أشبه بحوار الطرشان.

«لا أمانع أبداً يا أطول الرؤوس».

«معذرة، لكن ناكاتا لا يفهم ما تقول. اعذرني، فأنا لست ذكياً».

«إنها تونة، من البداية حتى النهاية».

«أتقول إنك تريد أن تأكل التونة؟».

«لا، اليدان موثقتان، من قبل».

لم يكن ناكاتا يُقبل على محادثة القطط متوقعاً أن يتمّ التواصل بيسر وسلاسة تامين. فحين يتحاور البشر والقطط عليك أن تتوقع بعض الصعوبات. ناهيك عن عامل آخر ينمثّل في مشكلات ناكاتا نفسه في التحدث- ليس فقط مع القطط، بل مع الناس أيضاً. إذ كان الحوار السلس الذي أجراه مع القط أوتسوكا الأسبوع الماضي استثناءً مقارنة مع ما اعتاده، ذلك لأنه دائما وأبداً، يستغرقه جهد كبير لكي يوصل أبسط

الرسائل إلى محدّثه، وفي الأيام الصعبة، يبدو الأمر كما لو أنه ومحدّثه يقف كل منهما على ضفة مقابلة من ضفتي قناة ويصرخ أحدهما في الآخر وسط رياح عاتية. وكان هذا اليوم أحد تلك الأيام.

لم يفهم ناكاتا لماذا الأصعب عليه دائماً التقاط موجة تفكير القطط البنية. أما القطط السوداء فغالباً ما تسير الأمور معها جيداً. ويبقى التواصل مع السيامية منها هو الأسهل على الإطلاق. ولكن لسوء الحظ لم يكن هناك الكثير منها بين قطط الشوارع، ولهذا لم يحظَ إلا لماماً بفرصة محادثتها. فغالباً ما تبقى القطط السيامية تحت الرعاية في المنازل. ولسبب يجهله، فإن أغلبية قطط الشوارع هي من القطط البنية المخططة.

وعلى الرغم من توقّعه صعوبة التواصل فقد وجد ناكاتا استحالة في فك شيفرة ما يقوله كاوامورا، الذي كان يفتقر إلى القدرة على التعبير، فلم يفهم ناكاتا كلمة واحدة من كلامه أو الصلة بين كلماته. كان القط يردد عبارات أقرب إلى الأحجيات، ومع هذا فصبر ناكاتا ليس له حدود، وأمامه كل الوقت أيضاً. ظل يكرر أسئلته، ويتلقى من القط الردود نفسها. كانا يجلسان على حافة حجرية تحد حديقة صغيرة للأطفال في منطقة سكنية. وكانت قد مرت ساعة وهما يدوران في دوامة كلامية لا تنتهي.

«كاوامورا مجرد اسم سأدعوك به، وليس له أي معنى. ناكاتا يسمي القطط ليتذكر بسهولة. وأعدك ألا يتسبب لك الاسم في أي مشكلات، فقط أود أن أناديك به بعد إذنك».

أجابه كوامورا تمتمة فلم يفهم ناكاتا شيئاً مما قاله، وشعر أن القط لن يكف عن مثل هذا الكلام، فقاطعه محاولاً الوصول بالحديث إلى نقطة مفيدة فعرض على كوامورا صورة جوما الفوتوغرافية.

«سيد كاوامورا، جوما هذه، القطة التي يبحث عنه ناكاتا، قطة مشمشية عمرها سنة، كانت تعيش لدى أسرة السيد كوازومي في الحي

الثالث في نوجاتا، وقد تاهت منذ مدة، فقط فتحت السيدة كوازومي نافذة فقفزت منها القطة وهربت، مرة أخرى أسمح لي أن أسألك هل سبق أن رأيت هذه القطة؟».

نظر كوامورا إلى الصورة مرة أخرى وأومأ برأسه.

«لو أن هذه تونة، فكوامورا مقيّد، حاول أن تجدها وقيدها».

«أنا آسف ولكن كما أخبرتك لتوي، ناكاتا ليس ذكياً جداً، ولا يفهم جيداً ما تريد قوله، من فضلك كرر ما قلته».

«لو أن هذه تونة، فكوامورا مقيّد، حاول أن تجدها وقيدها».

«هل تقصد بالتونة سمك التونة؟».

«جرّب السمك، قيّدها، كاوامورا».

هرش ناكاتا شعره الحليق جيداً والذي بلون مزيج الملح والفلفل، محاولاً أن يحل هذه الأحجية. فظل يفكر في ما يمكن أن يفعله ليحل أحجية التونة هذه ويخرج من المتاهة التي تحولت إليها هذه المحادثة؟ لكنه رغم كل الجهد لم يتوصل إلى حل. فحل الأشياء بالمنطق لم يكن مما يتقنه ناكاتا على كل حال. أما بالنسبة لكوامورا فكان راضياً تماماً، وسعيدا بما يجري، وما كان منه سوى أن رفع قائمته الخلفية وهرش أسفل ذقنه بشدة. وحينئذ خيّل لناكاتا أنه سمع ضحكة قصيرة تأتي من خلفه. فالتفت ليجد قطة سيامية رشيقة وجميلة قاعدة على حائط إسمنتي واطئ بجانب منزل وتنظر إليه بعينين مزمومتين.

«عذراً، ولكن هل يصدف أنك سيد ناكاتا؟»، ماءت القطة بنعومة.

«صحيح، اسمي ناكاتا، تسرّني جداً مقابلتك».

«شعور متبادل بالتأكيد».

«الجو غائم منذ الصباح ولكنني لا أتوقع هطول المطر».

« آمل ذلك».

إنها قطة شابة في منتصف عمرها تقريباً، لها ذيل مستقيم ترفعه عاليا بكبرياء أنثى، وحول عنقها طوق يحمل اسمها. إنها نحيلة وبشوشة، بلا أي سمنة زائدة.

«نادني ميمي. أتعرف ميمي من أوبرا *البوهيمي*، لها أغنية أيضاً: مي كيامانو ميمي».

«أجل»، أجاب ناكاتا رغم أنه لا يعي شيئاً مما تقوله.

«أوبرا بوتشيني، أتعرفها؟ إن صاحبي من محبي الأوبرا»، قالت ميمي وشفتاها تفتران عن ابتسامة رقيقة. «كنت أود أن أغنيها لك لكنني لا أجيد الغناء».

« ناكاتا سعيد جداً بمقابلتك يا آنسة ميمي».

«وأنا أيضاً يا سيد ناكاتا».

«وهل تقيمين بالقرب من هنا؟».

«نعم، في هذا البيت من طابقين، منزل أسرة تانابيه. أتراه هناك؟ هذا الذي تقف أمامه سيارة بي أم دبليو 530 كريمية اللون».

«آه.. نعم»، أجاب ناكاتا، من دون أن تكون لديه أدنى فكرة عما هي هذه البي ام دبليو، لكنه بالفعل رأى سيارة كريمية اللون، فأدرك أنها التي تقصدها ميمي.

«سيد ناكاتا»، قالت ميمي، «من المعروف عني أنني لا أتدخل في شؤون غيري، أو يمكنك القول إنني قطة مختلفة، ولكن هذا الصغير- هذا القط الذي أراك تدعوه كواموراً- ليس ممن يمكنني وصفه بالذكي بكل معنى الكلمة. المسكين عندما كنا صغيرين صدمه طفل بدراجته، فارتطم رأسه بحائط، ومن حينها وهو لا يفهم الأمور تماماً، ولهذا حتى وإن كنت صبوراً جداً معه، وهذا ما أرى أنك تفعله، فلن تصل معه إلى أي نتيجة، وأخشى أنني لا أستطع الجلوس هنا دون أن أتدخل، أعرف أن هذا ليس من حقي، ولكن كان علي أن أقول شيئاً ما».

«لا، أرجوك لا تقولي هذا، أنا سعيد جداً لأنك أوضحت لي الأمر، ناكاتا بليد التفكير مثل كوامورا تماماً، آسف لهذا، فأنا لا أستطيع تدبير أموري من دون مساعدة الآخرين، أنا أحصل على مع-ونة من المحافظ كل شهر، وأنا سعيد جداً بسماع رأيك يا ميمي».

«فهمت مما قلته أنك تبحث عن قطة»، قالت ميمي، «عفواً، لم أقصد استراق السمع لحديثكما، حدث هذا صدفة بينما كنت آخذ قيلولة هنا، اسمها جوما على ما أظن؟».

«هذا صحيح».

«وهل رأى كوامورا جوما؟».

«هذا ما أخبرني به، ولكن ناكاتا لم يفهم ما قاله كوامورا بعد هذا».

«بعد إذنك يا سيد ناكاتا، يمكنني أن أتدخل وأحاول أن أفهم منه؟ عندما تتحدث قطتان يكون الأمر أسهل، وأنا اعتدت على طريقته في الحديث، ما رأيك أن أفهم أنا منه ثم أخبرك بما قاله بعدها؟».

«ستكون هذه خدمة جليلة بكل تأكيد».

أومأت القطة السيامية بخفة، وقفزت عن الحائط الأسمنتي برشاقة راقصة باليه، ومشت تتبختر وذيلها الأسود مرتفع كسارية علم، حتى وصلت إلى كوامورا وقعدت بجانبه. أخذ كوامورا يتشمّم مؤخرتها على الفور، لكنها برشاقة لكزته بيدها على خده فتراجع عما يفعله، وبعد لحظة توقف أخرى، لكزته ميمي مجدداً على أنفه.

«والآن انتبه إليّ أيها الأهثل الهلفوت!» همهمت ميمي، ثم استدارت موجهة كلامها لناكاتا، «لا بدّ من أن يعرف من البداية من هو الأقوى، وإلا فلن أصل معه إلى أي نتيجة، سيسرح بي في الفضاء ولن أحصل منه إلا على الهلوسات. بالطبع هذا ليس خطؤه. إنه طبعه، وأنا أشفق عليه حقاً، ولكن ماذا عساي أن أفعل؟».

«نعم. . بالطبع»، قال ناكاتا، وهو لا يعرف ما الذي يوافقها عليه.

راح القط والقطة يتحدثان، بسرعة وسلاسة كبيرتين حتى أن ناكاتا لم يفهم كلمة مما يقولانه. كانت ميمي تستجوب كاوامورا بحدة، والقط الصغير يجيبها بوجل، وكأنه يعرف أن أي تردد يبديه سيعود عليه بلكزة أخرى قاسية على وجهه. هذه القطة السيامية ماهرة ومثقفة أيضاً. لقد قابل ناكاتا قططاً كثيرة في حياته، لكن هذه أول مرة يقابل فيها قطة تسمع الأوبرا وتعرف أنواع السيارات، فظل يراقبها منبهراً وهي تتدبّر الأمر بحنكة وفعالية.

وعندما حصلت ميمي من القط الصغير على كل ما تريده صاحت به بعنف «هيا امضِ في طريقك»، وكأنها إن لم يفعل فستطارده، فانسحب القط بهدوء وخيبة أمل، وقفزت ميمي في حجر ناكاتا قائلة «أظن أنني حصلت منه على الكلام المفيد».

«أنا في غاية الامتنان»، أجابها ناكاتا.

«هذا القط - كوامورا، كما تناديه - رأى جوما مرات عدة في أرض عشبية تقع على الطريق، إنها أرض خلاء صغيرة كانوا يخططون للبناء عليها، وحصل مقاول أراض على ملكية مخزن شركة قطع غيار سيارات وهدمها ليبني فيها مركزاً تجارياً ضخماً. واحتج السكان على الأمر، وبعد معركة قضائية أوقفوا البناء، هذا يحدث دوماً هذه الأيام. وظلت الأرض مهجورة ونمت فيها بعض الحشائش، ونادرا ما يذهب الناس إليها، ولهذا فهي مكان مثالي لتتنزه فيه قطط الشوارع من هذا الحي، أنا لا أذهب إلى هناك إلا نادراً، إذ ليس لي أصحاب كثيرون لأنني لا أحب التقاط البراغيث، فهي رهيبة كما تعرف طبعاً. مثل الطبع السيئ، ما إن تلتقطه حتى لا يعود في مقدورك التخلص منه».

«صحيح»، قال ناكاتا.

«أخبرني الصغير أنه رأى قطة تشبه تلك التي في الصورة-

مشمشية وجميلة وخجولة وترتدي طوقاً مضاداً للبراغيث، ويبدو إنها لا تجيد الحديث هي الأخرى. من الواضح أنها قطة منزلية ساذجة ضلت طريقها ولا تعرف كيف تعود إلى البيت».

«ومتى رآها؟».

«رآها آخر مرة منذ حوالى ثلاثة أو أربعة أيام، وهو طبعا ليس متأكداً من هذا لأنه ليس فطناً، لكنه قال إنه رآها قبل المطر بيوم، لهذا أعتقد أنه كان يوم الإثنين لأنني أتذكر أنها امطرت بشدة يوم الأحد».

«ناكاتا لا يعرف أيام الأسبوع، لكنني أظن أنها أمطرت يوم الأحد تقريباً، وهو لم يرها منذ ذلك اليوم؟».

«كانت تلك آخر مرة رآها فيها، وقال إن القطط الأخرى لم ترها منذ ذلك اليوم أيضاً. إنه قط تافه أخرق، لكنني استجوبته جيداً، لهذا أثق في معلوماته».

« بودّي حقاً أن أشكرك».

«لا داعي لهذا - كان هذا من دواعي سروري - فأغلب وقتي هنا لا أرى سوى هذه المجموعة التافهة من القطط ونحن لا نتفق أبداً، شيء استفزازي بصورة لا تُصدق، لدرجة أنني ليس لدي من أتحدّث معه، ولهذا فالحديث مع إنسان حساس مثلك هو نسمة هواء منعشة».

«أجل»، قال ناكاتا، «ولكن هناك أمر ما زال ناكاتا لا يفهمه، السيد كوامورا ذكر التونة كثيراً، فهل كان يقصد سمك التونة؟».

رفعت ميمي قائمتها اليسري الأمامية برشاقة ونظرت إلى اللحم الوردي في باطنها وقهقهت قائلة: «أخشى أن مفردات الصغير ليست كثيرة ومتنوعة».

«مفردات؟».

«أقصد أن عدد الكلمات التي يعرفها محدود للغاية، ولهذا فكل

ما يمكن أكله هو التونة، التونة بالنسبة إليه مثل الكريم شانتييه، فهو لا يعرف أن هناك أشياء أخرى مثل السبيط والهلبوت وأصفر الذيل».

تنحنح ناكاتا وقال «في الحقيقة ناكاتا أيضاً يحب التونة جداً، وبالطبع أحب الحنكليس أيضاً».

«أنا أيضا أحب الحنكليس، رغم أنه ليس من المأكولات التي يمكنك تناولها دائماً».

«هذا صحيح، لا يمكنك أكل الحنكليس دائماً».

لفترة لم يجد الإثنان ما يقولانه، وظل الهواء للدقائق التالية مشحوناً فقط بحبهما المشترك للحنكليس.

«على كل حال، ما كان يريد القط قوله هو. . .»، قالت ميمي وكأنها تذكرت فجأة، «أنه بعد وقت قصير من اعتياد القطط على ارتياد هذه الأرض المهجورة، ظهر شخص شرير يصطاد القطط، وتظن القطط الأخرى أنه ربما أخذ جوما. فالرجل يغويها بالطعام ثم يلقي بها في حقيبة كبيرة، ويقولون إنه صائد قطط ماهر، وقد تقع قطة جائعة وبريئة مثل جوما في مثل هذا الفخ بسهولة، لدرجة أن قطط الشوارع التي تعيش هنا في الجوار، برغم أنها محنّكة وحريصة، إلا أننا فقدنا عدداً منها بسبب هذا الرجل. أمر مؤلم بصراحة، في رأيي، لا شيء أشدّ إيلاماً من السجن في حقيبة».

«أجل»، قال ناكاتا ومرّر كفه مجدداً على شعره ثم أردف: «ولكن ماذا يفعل هذا الرجل بالقطط التي يأخذها؟».

«هذا ما لا أعرفه، كانوا في ما مضى يصنعون آلة الشاميزين الموسيقية من جلد القطط، ولكن لم يعد الناس الآن يعزفون الشاميزين، وقد سمعت أنهم يصنعونها الآن من البلاستيك، وفي نواحي أخرى من العالم يأكلون القطط، ولكن ليس في اليابان طبعاً والحمد لله، يمكننا أن ننحي هذين الدافعين جانباً إذن، مما يتركنا لاحتمال. . دعني أفكر، هؤلاء الذين يجرون التجارب العلمية على القطط في

جامعة طوكيو. إنهم يستخدمون القطط كثيراً في التجارب العلمية، كان لي صديق استخدموه في تجربة نفسية في جامعة طوكيو، فظاعة، لكنها قصة طويلة لن أخوض فيها الآن، وهناك أيضاً - عفواً- المنحرفون، لكنهم ليسوا كُثراً، وهؤلاء يستمتعون بتعذيب القطط، كأن يصطادوا قطاً ويقطعون ذيله مثلاً».

«وماذا يفعلون بعد تقطيع ذيل القط؟».

«لا شيء. مجرد متعة تعذيب القطط وإيذائها تجعلهم، لسبب لا أعرفه، يشعرون أفضل، أخشى أن العالم مليء بهؤلاء المنحرفين». ظل ناكاتا يفكر في هذه المسألة لفترة متسائلاً: «كيف يمكن لشخص، تحت أي ظرف، أن يستمتع بتقطيع ذيل قطة؟». ثم قال لميمي: «تقولين إذن إنه قد يكون هذا *الشخص* المنحرف أخذ جوما؟». رفعت ميمي شواربها البيضاء الطويلة وقطبت. «لا أريد أن أتصور هذا، أو حتى أن أفكر فيه، لكنه احتمال وارد. سيد ناكاتا، برغم أنني ما زلت شابة، لكنني رأيت في حياتي أشياء رهيبة كثيرة لم أكن حتى أتخيلها. يقول الناس إن القطط تعيش في نعيم، فقط نرقد في الشمس غير مبالين بشيء، ولكن حياة القطط ليست بمثل هذا الخمول. القطط مخلوقات لا حول لها ولا قوة، مخلوقات صغيرة ضعيفة من السهل جداً إيذاؤها، فليس لنا صدف كالسلاحف، ولا أجنحة كالطيور، ولا نستطيع أن نحفر جحوراً لنختبئ فيها كفئران الحقل، أو أن نغير لوننا كالحرباء، ولا أحد في العالم يفكر في كم القطط التي تُجرَح يومياً، ولا أحد يفكر في الميتات البائسة التي تنهي حياة كثر منا. بالنسبة إلي، لقد كنت محظوظة كفاية بحيث عشت مع عائلة تانابيه، في جو عائلي دافئ، وأطفالهم يعاملونني برقة، ولا ينقصني شيء، ومع هذا لم تكن حياتي دائماً بهذه السهولة، فما بالك بقطط الشوارع؟ إنهم يمرون بأوقات بائسة حقاً».

«أنت ذكية حقاً، ألست كذلك يا ميمي؟»، قال ناكاتا منبهراً بفصاحة القطة السيامية ولباقتها.

«لا، ليس حقاً»، أجابته ميمي وقد زمّت عينيها حياء، «كل ما في الأمر أنني أمضي وقتاً طويلاً أمام التلفزيون- وهذا ما يحدث- يمتلىء رأسي بمعلومات لا قيمة لها. هل تشاهد التلفزيون يا سيد ناكاتا؟».

«لا، ناكاتا لا يشاهد التلفزيون، الناس في التلفزيون يتحدثون بسرعة شديدة، ولا أستطيع أن أتابعهم. إنني غبي، و لا أستطيع القراءة، وإذا كنت لا تقرأين فالتلفزيون لن يفيدك كثيراً، لكنني أحياناً أسمع الراديو، ولكن الكلمات فيه سريعة جداً أيضاً وترهقني. لذا أُفضِّل أكثر الاستمتاع بالحديث مع القطط في الخارج، تحت السماء».

«أحقاً؟»، قالت ميمي.

«أجل»، رد ناكاتا.

«أتمنى من كل قلبي أن تكون جوما بخير».

«ميمي، ناكاتا سيذهب ليلقى نظرة على تلك الأرض الخلاء».

«قال الصغير إن هذا الرجل طويل ويعتمر قبعة طويلة غريبة وحذاء عالياً، ويسير مسرعاً، ومظهره غريب جداً، حتى أنك ستعرفه فور أن تراه، أخبرني الصغير بهذا، عندما تراه القطط هناك تهرب متفرقة في جميع الاتجاهات، ولكن ربما قطة وافدة جديدة لا تدري بشأنه و...»

خزّن ناكاتا هذه المعلومات في رأسه بعناية، فاصلاً بعضها عن بعض في درج أمامي حتى لا ينساها. *الرجل فارع الطول، يعتمر قبعة طويلة وغريبة وحذاء عالياً...*

«أرجو أن أكون قد أفدتك يا سيد ناكاتا».

«ناكاتا ممتن جداً لمساعدتك القيمة، لولا تعاطفك هذا لكنت ما زلت أتحدث عن التونة حتى الآن، أنا شاكر لك جداً».

«ما أعتقده»، قالت ميمي محملقة في ناكاتا مقطّبة جبينها، «أن هذا الرجل سيثير المتاعب، ومتاعب كثيرة، إنه أخطر مما تتخيل، لو كنت مكانك لما اقتربت من هذه الأرض الخلاء قط، ومع هذا أرجو أن تتخذ كافة احتياطاتك».

«شكرا جزيلا لك، سأكون حريصاً قدر المستطاع».

«سيد ناكاتا، العالم مليء بالعنف الرهيب، ولا أحد يستطيع الهروب منه، أرجو أن تضع هذا في اعتبارك، لا يمكنك أن تكون حريصاً بما فيه الكفاية، وهذا ينطبق على القطط بقدر ما ينطبق على البشر».

«سأتذكر هذا»، أجابها ناكاتا.

إلا أنه لم يكن يدري شيئاً عن كيف وأين يمكن أن يكون العالم مليئاً بالعنف، العالم مليء بالأشياء التي لا يعيها ناكاتا، وأغلب الأشياء التي تمت بصلة للعنف هي من تلك الفئة.

بعد أن ودّع ناكاتا ميمي، ذهب ليرى تلك الأرض الخلاء، فوجدها بحجم ملعب صغير يحيطها سور خشبي طويل عليه يافطة تقول ابتعد- الموقع تحت الانشاء (وبالطبع لم يستطع ناكاتا أن يقرأها). سلسلة حديدية ثقيلة تقفل البوابة، ولكن هناك في الخلف فتحة في السور، لا بدّ أن أحدهم قام بفتحها. فدلف منها ناكاتا بسلاسة.

جميع المخازن التي كانت هناك في السابق قد هدمت، ولم يتمّ تمهيد الأرض بعد للبناء عليها، فكستها الحشائش، ونما نبات قضيب الذهب حتى صار بطول قامة طفل صغير، وراح الفراش يحلق فوقه، وتجمّد التراب بفعل المطر مكوناً في بعض الأماكن مرتفعات صغيرة، مكان مثالي للقطط حقاً. فهذا مكان لا يقصده البشر، وهناك كل أنواع المخلوقات الصغيرة التي تستطيع القطط أن تقتات بها، وأماكن كثيرة تستطيع الاختباء فيها.

لم يكن كوامورا هناك. فقط قطتان هزيلتان رثتا الفراء، عندما حياهما ناكاتا بتحية ودودة رمقاه ببرود واختفيا في العشب. وكان هذا طبيعياً- فهما لا يريدان الوقوع في الفخ والمعاناة من تقطيع ذيلهما، ناكاتا نفسه لا يرغب، بالتأكيد، في أن يحدث هذا له - مع أنه ليس له

ذيل. لذا، لم يكن مستغرباً أن تتوجس القطط خيفة منه.

جلس ناكاتا في مكان عال بعض الشيء وألقى حوله نظرة فاحصة، لا أحد سواه هنا، فيما عدا بضع فراشات ترفرف على أطراف العشب باحثة عن شيء ما. وجد ناكاتا موقعاً جيداً ليجلس فيه، فوضع حقيبته القماش على الأرض وأخرج منها فطيرتي مربى الفول، وتناول غداءه المعتاد. ثم صب شاياً حاراً من الترموس، ورشفه وهو يزم عينيه مع كل رشفة. مجرد بداية ظهيرة هادئة. كان كل ما حوله رائقاً ومنسجماً، حتى أنه وجد صعوبة في تصديق أن أحدهم قد يكمن للقطط ليعذبها ويمثّل بها.

أخذ يحكّ شعره بينما يمضغ طعامه. لو أن أحداً برفقته لكان فسر له ما استعصى عليه فهمه - *فناكاتا ليس نكياً*- ولكن للأسف كان ناكاتا وحده، وكل ما أمكنه فعله أن يهز رأسه بضع مرات ويواصل المضغ. وبعد أن انتهى من الطعام، طوى غلاف السلوفان إلى مستطيل، ووضعه في حقيبته، ثم أحكم إقفال غطاء الترموس وأعاده أيضاً إلى الحقيبة. كانت السماء مغطاة بالسحاب، لكن ناكاتا أدرك من لون السحاب أن الشمس عامودية تقريباً، فوقه مباشرة.

رجل فارع الطول يعتمر قبعة طويلة وغريبة وحذاء عالياً.

حاول ناكاتا أن يتخيل شكل الرجل، لكنه لم يستطع تخيّل شكل القبعة الغريبة أو الحذاء العالي الرقبة. فهو في حياته لم ير مثلهما. على كل حال فقد قال كوامورا لميمي إن من يرى هذا الرجل يعرفه فوراً، ولهذا قرر ناكاتا أنه ليس عليه سوى أن ينتظر هنا حتى يراه. وسيعرفه. هذه أفضل خطة بالتأكيد. وقف ناكاتا وبال على العشب - مفرغاً مثانته الممتلئة- ثم توجه إلى كومة عشب في ركن من الأرض المهجورة حيث لا يمكن أن يراه أحد وجلس هناك لبقية النهار منتظراً ظهور ذلك الرجل الغريب.

كان الانتظار مملاً. لم يكن لديه فكرة عن وقت ظهور الرجل

مرة أخرى- فقد يظهر غداً، وقد لا يظهر قبل أسبوع، وقد لا يظهر أبداً- هذا أحتمال وارد أيضاً. بيد أن ناكاتا كان معتاداً على الانتظار بلا هدف، وعلى قضاء الوقت وحده دونما فعل شيء، لهذا لم يزعجه الأمر بتاتاً.

لم يكن الوقت مسألة مهمة بالنسبة إليه، ولم يكن يحمل ساعة يد حتى، فهو يملك حسّاً خاصاً بالزمن؛ في الصباح تكون الدنيا منيرة، وفي المساء تذهب الشمس وتصبح الدنيا مظلمة، وعندما تُظلم عليه أن يذهب إلى الحمامات العمومية القريبة، وبعدها إلى البيت لينام. تغلق الحمامات العمومية في أيام معينة من الأسبوع، وفي تلك الأيام يسلم أمره ويذهب إلى البيت مباشرة. معدته تبلّغه بأوقات الطعام، وعندما يحين وقت تلقّيه المع-ونة (هناك دوما شخص عطوف بما يكفي ليذكره عندما يقترب هذا اليوم)، يعرف أن شهراً آخر قد مضى. فيذهب في اليوم التالي إلى حلاق الحي ويقص شعره. وكل صيف يدعوه أحد من مكتب الحي على وجبة حنكليس، وكل رأس سنة يرسلون له كعك الأرزّ.

ترك ناكاتا جسده يسترخي، وأطفأ ذهنه سامحاً للأشياء بأن تنساب من خلاله. كان هذا بالنسبة إليه شيئاً طبيعياً لطالما مارسه منذ طفولته دون وعي منه. عندما يسرح وعيه بعيداً هكذا، مثل الفراشات، يتجاوزه إلى كهف مظلم، ويحوم حول هذه الفتحة السوداء الغامضة. لكن ناكاتا لم يكن يخشى سطح الظلام أو أعماقه. ولِمَ يخاف؟ كان هذا العالم المظلم الذي لا قاع له، المحمّل بالصمت والفوضى، صديقه القديم، جزءاً حقيقياً منه. وكان ناكاتا يعي هذا العالم جيداً، حيث لا كتابة، ولا أيام أسبوع، أو محافظ مخيف، أو أوبرا، أو بي أم دبليو، أو مقصّات، أو قبعات طويلة. ومن ناحية أخرى ليس هناك أيضاً الحنكليس اللذيذ، ولا فطائر مربى الفول الشهية، هناك *الكل*، ولا *أجزاء*، وبما أنه لا أجزاء، فلا داعي إذن لاستبدال شيء بآخر، ولا داعي لإلغاء شيء أو لإضافة آخر. لا داعي للتفكير في الأشياء الصعبة،

فقط دع نفسك تمتص الكل. بالنسبة إلى ناكاتا، ليس هناك أفضل من هذا.

يشعر بالنعاس من وقت لآخر، لكنه يظل متيقظ الحواس، ولا تغفل عيناه عن الأرض الخلاء، حتى إذا جاء أحد ما أو حدث شيء ما نهض للقيام بما يتوجب عليه القيام به. السماء مكسوة بغطاء رقيق من الغيوم الرمادية، لكن - على الأقل- لا يبدو أنها ستمطر. جميع القطط تعرف ذلك. وكذلك ناكاتا.

11

عندما أنتهي من الكلام يكون الوقت قد تأخر كثيراً. تنصت ساكورا لي طوال الوقت باهتمام وهي تسند رأسها بيديها على طاولة المطبخ. أخبرها أن عمري الحقيقي 15 عاماً، وأنني طالب في الإعدادية، وأنني سرقت نقود أبي وهربت من بيتي بحي ناكانو بطوكيو، وأنني أقيم في فندق بتاكاماتسو وأقضي وقتي في المكتبة أقرأ. أخبرها أنني فجأة وبلا أي مقدمات وجدت نفسي فاقداً الوعي قرب معبد ومغطى بالدم. أخبرها بكل شيء... حسناً. تقريباً بكل شيء، وأستثني الأشياء المهمة التي لا أستطيع أن أتحدث عنها.

«إذن فقد تركت والدتك البيت مع أختك الكبرى عندما كنت في الرابعة، وتخلت عنكما أنت ووالدك». أخرج من محفظتي الصورة التي تجمعني وأختي على الشاطئ وأريها إياها. «ها هي أختى»، أقول، فتنظر ساكورا إلى الصورة برهة ثم تعيدها من دون تعليق.

«لم أرها منذ ذلك الحين، ولا رأيت أمي أيضاً، لم تتصل بنا أبداً، ولا أعرف مكانها، ولا أتذكر شكلها حتى، لم تبق ولا صورة واحدة لها. لكنني أتذكر رائحتها وملمسها، ولكن ليس وجهها».

«ممم»، تقول ساكورا وما زالت تسند رأسها بيديها، تزم عينيها وتنظر إليّ، «لا بدّ من أن هذا صعب عليك».

«أجل. أظن ذلك...».

تستمر في تأملي بصمت، وبعد وقت تسألني «وأنت ووالدك ألستما على وفاق؟».

لسنا على وفاق؟ بمَ أجيبها؟ لا أجيب. فقط أهز رأسي.

«سؤال سخيف، أعرف، بالطبع لستما على وفاق وإلا لما كنت هربت»، تقول ساكورا ثم تردف: «عموماً، تركت البيت إذن، واليوم، فجأة وبلا مقدمات، فقدت الوعي أو الذاكرة أو ما شابه».

«أجل».

«هل حدث لك هذا من قبل؟».

«أحياناً»، أجيب، «أحيانا أستشيط غضباً وكما لو أن فيوزاتي تنفجر، كأن أحدهم يكبس على زرّ في دماغي فيسبق جسدي دماغي إلى الحركة. كأنني هنا ولكن بطريقة ما لا أعود أنا».

«أي أنك تفقد السيطرة على نفسك وتصبح عنيفاً جداً، أهذا ما تقصده؟».

«حدث هذا بضع مرات، أجل».

«وهل أذيت أحداً في تلك المرات؟».

أومئ. «مرتان، لكن لم تكن أذية بالغة».

تقلب الأمر في فكرها.

«وهل هذا ما حدث اليوم؟».

أهزّ رأسي. «هذه أول مرة يحدث لي شيء بهذا السوء.. هذه المرة... لا أعرف كيف بدأ الأمر، ولا أستطيع تذكّر شيء مما حدث، وكأن ذاكرتي قد محيت، لم يكن الأمر بهذا السوء من قبل».

تنظر إلى الكنزة التي أخرجها من حقيبتي، وتتفحص بعناية بقعة الدم التي لم أستطع إزالتها. «آخر ما تتذكره إذن أنك كنت تتناول العشاء، صح؟ في مطعم قريب من المحطة؟».

أومئ موافقاً.

«وكل ما يلي هذا أبيض تماماً، ثم وجدت نفسك راقداً على العشب خلف المعبد، بعد نحو أربع ساعات، ووجدت دماً على الكنزة، وكان كتفك الأيسر يؤلمك؟».

أجيبها بإيماءة أخرى. تذهب لتأتي بخريطة للمدينة من مكان ما حتى ترى المسافة بين المحطة والمعبد.

«ليست طويلة، تأخذ وقتا أطول سيراً على الأقدام، ولكن ما الذي جعلك تذهب أصلاً؟ هذا ليس طريقك إلى الفندق، بل إنه معاكس له، هل ذهبت إلى هناك من قبل؟».

«ولا مرة».

«اخلع كنزتك لحظة».

أتعرى حتى الوسط، تأتي وتقف بجانبي وتمسك كتفي الأيسر. تحفر أصابعها في لحمي، ولا يسعني سوى أن أشهق ألماً، هذه البنت قوية جداً.

«هل تتألم؟».

«بالطبع أتألم»، أقول.

«لقد ارتطمت بشيء جامد أو صدمك شيء ما».

«لا أذكر شيئاً».

«عموماً لا كسور في كتفك». ثم تستمر في الضغط حول موضع الألم الذي إذا استثنياه، فإن لمسة أصابعها لطيفة حقاً. تبتسم حين أخبرها بهذا.

«لطالما أجدت التدليك، إنه مهارة مفيدة بالنسبة إلى مصففة شعر».

ظلت تدلك كتفي الأيسر «لا يبدو خطيراً، ليلة جيدة من النوم وستشعر بتحسن».

تأخذ كنزتي وتضعها في كيس بلاستيكي ثم تلقيه في السلة. أما الكنزة التي فحصتها من قبل، فتلقي عليها نظرة متمعنة أخرى، ثم تلقي

بها في الغسالة، تبحث قليلاً في أدراج خزانة، ثم تأتي لي بكنزة بيضاء جديدة تماماً كتب عليه «ماوي وايل واتشنج كروز»، وعليها صورة ذيل حوت يبرز من سطح الماء.

«هذه أكبر كنزة استطعت إيجادها، ليست لي، لكن لا تقلق، إنها تذكار من شخص ما، قد لا تعجبك ولكن جرّبها».

أرتدي الكنزة فأجدها على مقاسي تماماً.

«يمكنك الاحتفاظ بها إذا أردت».

أشكرها.

«لم تعان من قبل من فقدان ذاكرة كلي؟»، تسأل.

أومئ برأسي. أغمض عينيّ، أركز في شعوري بالكنزة وأتنفس رائحتها الجديدة. «ساكورا. إنني خائف حقاً»، أقول لها، «لا أعرف ماذا أفعل، لا أذكر أنني آذيت أحداً، وأياً كان ما حدث، فالكنزة مبقعة بالدم.. لكنني لا أذكر شيئاً... ولو أنني ارتكبت جريمة فسأكون مسؤولاً عنها، أليس كذلك، سأتحمل المسؤولية سواء تذكرت أم لا؟».

«ربما كان مجرد نزيف من الأنف، شخص ما كان يسير في الشارع وارتطم بعامود هاتف فنزف أنفه، وكل ما فعلته أنت أنك ساعدته، أترى؟ أنا أتفهم قلقك، ولكن فلنحاول تجنّب السيناريوهات الأسوأ، حسناً؟ على الأقل ليس الليلة، وفي الصباح سنرى الصحف والأخبار في التلفزيون، وإذا كان قد حدث شيء فظيع فسنعرفه، ثم نفكّر في خياراتنا، فهناك أسباب ممكنة كثيرة للدم، وأغلب الأوقات يكون الأمر ليس بالسوء الذي يبدو عليه. أنا فتاة، أي أنني معتادة على رؤية الدم- فأنا أرى هذه الكمية منه كل شهر، أتفهمني؟»

أومئ. واشعر بوجهي يحمرّ قليلاً. تضع ملعقة نسكافيه في كوب كبير وتغلي بعض الماء في غلاية صغيرة. تدخن بانتظار غليان الماء. تمجّ بضع أنفاس ثم تطفئ السيجارة بماء الصنبور، وأشمّ رائحة نعناع خفيفة.

«لا أقصد التطفّل، ولكن أود أن أسألك سؤالاً إذا لم يكن لديك مانع؟».

«لا».

«كانت أختك الكبيرة طفلة متبناة، جاؤوا بها من مكان ما قبل أن تولد أنت أليس كذلك؟».

«أجل»، أجيبها، «لا أعرف لماذا ولكن والداي تبنياها، وولدت أنا بعد هذا، أظن أنهم لم يخططوا للأمر هكذا».

«فأنت إذن ابن أمك وأبيك يقيناً».

«على حد علمي نعم».

«ولكن عندما تركت أمك المنزل لم تأخذك، وبدلاً من هذا أخذت أختك التي لا تمت لها بصلة»، قالت ساكورا، «هذا ليس بالتحديد ما تتوقعه عادة من أم».

لا أعلّق.

«لِمَ فعلت هذا؟».

أهز رأسي، «لا أدري.. لقد سألت نفسي هذا السؤال مليون مرة».

«لا بدّ من أن هذا قد جَرَحك».

هل جرحني حقاً؟ «لا أعرف، ولكن إذا تزوجت يوماً ما فلا أظن أنني سأنجب أطفالاً، لن يكون لدي أي فكرة عن كيفية التعامل معهم».

«لم يكن وضعي معقداً كوضعك»، تقول ساكورا، «لكنني لم أتفق مع والديّ لوقت طويل وتورطت في كثير من الأشياء الغبية لهذا السبب. لهذا أتفهم شعورك. ولكن اتخاذ القرارات المتسرعة ليس فكرة صائبة، العالم ليس به أمور مطلقة».

تقف أمام البوتاجاز وترشف النسكافيه. يتصاعد البخار من الكوب الكبير الذي رسمت عليه شخصيات كارتون مومينج، ولا تقول شيئاً، والتزم الصمت أيضاً.

«هل لديك أي قريب أو شخص يمكن أن يساعدك؟»، تسألني بعد حين.

«لا.. مات جداي منذ وقت طويل وليس لأبي إخوة أو أخوال أو خالات. لا أحد. لا أستطيع أن أؤكّد هذا بالطبع، لكنني أعلم أنه لم يكن له صلة بأي أقرباء، ولم أسمع مرة عن أقرباء من جهة أمي، أقصد، أنا حتى لا أعرف اسمها فكيف لي أن أعرف أقاربها؟».

«أوالدك مخلوق فضائي مثلاً؟»، تعلق ساكورا، «جاء من كوكب بعيد وتنكّر على شكل آدمي وخطف امرأة من الأرض ثم أنجبك فقط ليبقي نسله مستمراً، وعندما اكتشفت أمك هذا خافت وهربت كما يحدث في أفلام الخيال العلمي السوداء».

لا أعرف كيف أجيب.

«لندع المزاح جانباً»، تقول وهي تبتسم بحزم لتؤكد إنها جادة، «أقصد أنك في هذا العالم الواسع، ليس لديك من تعتمد عليه سوى نفسك؟».

«أظن ذلك».

تستند إلى حوض مغسلة المطبخ وترشف قهوتها.

«عليّ أن أنام قليلاً»، تقول كأنها تذكرت هذا فجأة. الساعة تجاوزت الثالثة، «عليّ أن أصحو عند السابعة والنصف»، لذلك لن أنام كثيراً ولكن الكحل أحسن من العمى، أكثر ما أكرهه الذهاب إلى العمل متعبة من قلة النوم، وما الذي ستفعله أنت؟».

«معي حقيبة نومي»، أخبرها، «فإذا كان هذا لا يسبب لك أي إزعاج فسأقبع في ركن هنا». وآخذ حقيبة نومي الملفوفة بإحكام وأفردها وأنفخها.

تراقب منبهرة وتعلّق «فتى الكشافة النموذجي!».

بعد أن تطفئ النور وتندس في فراشها، أندس في حقيبة نومي، وأغمض عيني محاولاً النوم، وصورة الكنزة البيضاء المبقعة بالدم لا

تفارق ذهني، ما زلت أشعر ذلك الإحساس الحارق في كفي، أفتح عيني وأحدق في السقف. صوت صرير أرضية يأتي من مكان ما، وأحدهم يفتح صنبوراً، ومرة أخرى صوت سيارة إسعاف في الليل يأتي من بعيد ويتردد صداه حاداً في الظلمة.

تهمس في العتمة «ألا تستطيع النوم؟».

«لا»، أجيبها.

«ولا أنا، لم يكن ينبغي أن أشرب قهوة الآن. هذا غباء مني». تضيء المصباح المجاور لسريرها وتنظر إلى الساعة ثم تطفئه. «لا تسئ فهمي»، تقول، «ولكن إن أردت أن تأتي إلى هنا، فتعال، أنا أيضاً لا أستطيع أن أنام».

أغادر حقيبة النوم وأرقد على السرير بجانبها. أرتدي «بوكسر» وكنزة خفيفة، وترتدي هي بيجامة خفيفة وردية.

«إنني مرتبطة بشاب في طوكيو»، تقول ساكورا. «ليس بالشخص المهم لكنه صاحبي، ولهذا لا أمارس الجنس مع سواه، قد لا أوحي بذلك، لكنني حازمة جداً في موضوع الجنس هذا، اعتبرني قديمة الطرز. لم أكن هكذا من قبل، كنت جامحة فعلاً - ولكنني لن ألعب بذيلي بعد الآن. ولهذا وفّر على نفسك أية أفكار، اتفقنا؟ اعتبرنا أخاً وأختاً، مفهوم؟».

«عُلِم»، أجيبها.

تلف ذراعيها حولي وتأخذني في حضنها وتلقي خدها على جبيني، «يا لك من مسكين»، تقول.

ولا داعي لأن أقول لكم، لكن انتصب عضوي على الفور، وإلى الحدّ الأقصى، ولم أستطع منع نفسي من أن أفركه بفخذها.

«يا إلهي»، تهتف.

«آسف»، أجيبها، «خطأ غير مقصود».

«لا عليك»، تجيب، «أعرف أنها مشكلة، وأنك لا تستطيع فعل شيء حيالها».

أومئ في العتمة.

تتردد لحظة ثم تنزل «البوكسر» وتمسك عضوي المتصلب كالحجر، وتهدهده بيدها برقة، كما لو كانت طبيباً يقيس النبض. ومع لمس يدها لي أشعر بشيء - أشبه بخاطر بعيد- ينبثق من بين فخذي.

«كم عمر أختك الآن؟».

«واحد وعشرون عاماً»، أقول، «تكبرني بست سنوات».

تفكّر لبعض الوقت ثم تسألني «أترغب في رؤيتها؟».

«ربما»، أجيب.

«ربما؟»، تضغط على عضوي بقوة أكبر، «ماذا تعني ربما هذه؟ لعلك لا ترغب كثيراً في رؤيتها؟».

«لا أعرف ماذا سنقول لبعضنا، وقد لا ترغب هي في رؤيتي. والأمر سيان بالنسبة إلى أمي، ربما كلاهما لا تريدان معرفة شيء عني، فأي منهما لم تبحث عني، أقصد أنهما رحلتا وانتهينا»، وأكمل العبارة في نفسي: «من دوني».

لا تعلّق. تفلت عضوي قليلاً، ثم تقبض عليه مرة أخرى، في الأثناء يرتخي عضوي قليلاً ثم يعود أصلب مما كان.

«أتود أن تقذف؟»، تسألني.

«ربما»، أقول.

«ربما مرة أخرى؟».

«جداً»، أصحح أقوالي.

تتنهد برقة ثم تبدأ ببطء في تحريك يدها، ينتابني شعور من خارج هذا العالم، ليست مجرد حركة فرك روتينية، إنه تدليك كامل، أصابعها تربّت على عضوي وخصيتي برقة، أغمض عيني وأُطلق تنهيدة طويلة.

«لا يمكنك أن تلمسني، وعندما تشعر أنك أوشكت على القذف أخبرني حتى لا نبلل الملاءات».

«حاضر».

«كيف تجدني؟ بارعة، أليس كذلك؟».

«مذهلة».

«لقد قلت لك أصابعي ماهرة، ولكن لا تعتبر هذا جنساً. حسناً؟ إنني أساعدك على الاسترخاء فحسب. كان يومك قاسياً وأنت متوتر، ولن تنام إلا إذا حللنا هذه المشكلة، فهمت؟».

«أجل، فهمت» أقول ثم أردف «ولكن لدي طلب واحد».

«وما هو؟».

«هل أستطيع أن أتخيلك عارية؟».

تتوقف يداها وتنظر في عيني مباشرة وتسألني «أتريد أن تتخيلني عارية ونحن نفعل هذا؟».

«أجل، لقد حاولت منع نفسي، لكنني لا أستطيع».

«أحقا؟».

«كأنه تلفزيون بلا زر إغلاق».

تضحك. «لا أفهم لِمَ تخبرني بهذا! لماذا لا تتخيل ما تشاء وانتهينا؟ أنت لا تحتاج إلى إذن مني، فكيف أستطيع أن اعرف ما يدور في ذهنك؟».

«لا يمكنني هذا، تخيل شخص ما أمر بالغ الأهمية، ولهذا ارتأيت أنه من الأفضل أن أخبرك، وليس للأمر علاقة بكونك تعرفين أم لا».

«ولد مؤدب فعلاً، أليس كذلك؟»، تقول بتأثّر، «ومع هذا لطف منك أن تستأذني، وهو كذلك، لك ما طلبت، تخيلني عارية».

«شكراً».

«وكيف تجد ذلك؟ هل جسمي حلو؟».

«رائع».

تنتشر تلك الاستثارة المضنية على نصفي الأسفل كله كسائل يطفو إلى السطح، وعندما أخبرها، تجلب بعض المناديل بجانب السرير، وأقذف، مرات ومرات، كالمجنون. . . تقوم بعد حين وتذهب إلى المطبخ لترمي المناديل في السلة وتشطف يدها.

«آسف»، أقول لها.

«لا داعي للأسف»، تقول وهي تلوذ بالسرير، «إنه جزء من جسمك، والآن هل تشعر بتحسن؟».

«بالتأكيد».

«جميل»، تفكر للحظات ثم تقول، «كنت أفكر كم كان سيكون الأمر جميلاً لو كنت أختك الحقيقية».

«أنا أيضاً».

تلمس شعري برقة. «سأنام الآن، لِمَ لا تعود إلى حقيبة نومك، لا أعرف أن أنام إلا وحدي، كما لا أريد أن تقلقني تلك الانتصابات طوال الليل، اتفقنا؟».

أعود إلى حقيبة نومي وأغمض عيني، هذه المرة أنام نوماً عميقاً، ربما أعمق نوم عرفته منذ فراري من البيت، وكأنني في مصعد ضخم يحملني بهدوء وببطء إلى أعماق الأرض السحيقة. وأخيراً تختفي جميع الأضواء والأصوات.

عندما أستيقظ، عند التاسعة صباحاً، تكون ساكورا قد غادرت إلى العمل. بالكاد أشعر بأي ألم في كتفي الأيسر. تماماً مثلما أخبرتني. أجد على طاولة المطبخ ورقة ومفتاحاً. كتبت ساكورا: *شاهدت نشرة أخبار السابعة صباحاً في التلفزيون، وبحثت في كل الصحف ولم أجد أي تقارير عن حوادث دموية في المنطقة هنا. ولهذا لا أظن أن هذا الدم يعني شيئاً. أخبار جيدة، أليس كذلك؟ لا يوجد الكثير من الطعام في*

الثلاجة، ولكن كله لك، تصرف كأنك في بيتك، وإذا لم تكن لديك مشاريع في الخارج، يمكنك البقاء في المنزل بحريتك، فقط ضع المفتاح تحت دعسة الباب لو خرجت.

أخرج علبة حليب من الثلاجة وأتاكد من تاريخ الصلاحية وأسكبها على بعض «الكورن فليكس»، وأغلي ماء وأصنع كوباً من شاي الدارجيلينج الهندي، وأحمص شريحتي توست وآكلهما مع زبدة قليلة الدسم. ثم أقرأ الصحف وأمحّص في الأخبار المحلية. كما قالت، لا عناوين عنيفة. أتنهّد بارتياح وأطوي الصحيفة وأعيدها حيث كانت. على الأقل لن أتحمل عبء الهرب والاختباء من الشرطة في أنحاء المدينة، لكنني أقرر أنه من الأفضل ألا أعود إلى الفندق، فقط من باب الحرص. فما زلت لا أعرف ماذا حدث أثناء الساعات الأربع تلك.

أتصل بالفندق، يرد رجل لا أميز صوته، أخبره أن شيئاً ما قد طرأ وأنني مضطر لإغلاق حسابي في الفندق، أبذل قصاري جهدي لأبدو شخصاً بالغاً، لقد دفعت حسابي مسبقاً ولن تكون هناك مشكلة، أخبره أن لي بعض المتعلقات الشخصية في الغرفة وأنها ليست ذات أهمية، يتحقق على الكمبيوتر من أنني سددت الحساب ويقول «كل شيء تمام سيد تامورا». المفتاح مجرد بطاقة بلاستيكية ليس مهما أن أعيده. أشكره وأضع السماعة.

آخذ حماماً. ملابس ساكورا التحتية منشورة في الحمام. أحاول ألا أنظر إليها. وأركز على مهمة فرك جسمي جيداً، أبذل جهدا لأتحاشى التفكير في الليلة الماضية، أغسل أسناني وأرتدي ملابس تحتية نظيفة، ألفّ حقيبة نومي وأحشرها في حقيبة ظهري، ثم أغسل ملابسي القذرة في الغسالة. ليس هناك نشّافة، فأطويها مبللة وأضعها في كيس بلاستيكي، ثم في حقيبتي. أستطيع أن أجففها في أي مغسلة عامة فيما بعد.

أغسل الأطباق المكومة في المغسلة، وأتركها حتى تتصفّى من

المياه وأجففها وأعيدها إلى الرف. ثم أنظّف الثلاجة رامياً ما فسد من طعام، بعضه بات متعفناً، قرنبيط متحجر، خيار مطاطي من قديم الأزل، علبة «توفو» منتهية الصلاحية منذ وقت طويل. أبقي ما لا يزال صالحا للأكل وأضعه في علب جديدة ثم أمسح بعض الصلصة المراقة. وألقي كل أعقاب السجائر، وأرتّب الصحف فوق بعضها بانتظام، وأكنس المكان. قد تجيد ساكورا التدليك لكنها كارثية في التدبير المنزلي. أكوي القمصان التي كوّمتها فوق بعضها في الخزانة وأفكّر في التسوق وإعداد عشاء، كنت في البيت معتاداً على مثل هذا العمل، لهذا لا مشكلة لدي في ذلك، لكنني أقرر أن إعداد العشاء ربما يكون مبالغاً به قليلاً.

أنتهي من كل هذا وأجلس إلى طاولة المطبخ، أنظر إلى الشقة حولي، أعرف أنه لا يمكنني البقاء هنا للأبد، إذ قد يصيبني مرض الانتصاب شبه المزمن بمصاحبة خيالات شبه مزمنة. ولا أستطيع أن أغض النظر عن الكيلوتات السوداء الصغيرة المعلقة في الحمام. ولا أستطيع الاستمرار بالتماس موافقتها السماح لخيالي بأن يجمح، ولكن الأهم من كل هذا، أنني لن أنسى لها ما فعلته من أجلي ليلة أمس.

أترك لساكورا ورقة، أكتبها بقلم رصاص على دفتر الملحوظات الموضوع بجانب التليفون. *شكراً لك، أنقذتني فعلاً، وآسف لأنني جعلتك تنامين في وقت متأخر الليلة الماضية ولكنك الشخص الوحيد الذي أمكنني اللجوء إليه*. أتوقف وأفكر قليلاً في ما عليّ أن أكتبه بعد هذا. أجيل نظري في أرجاء الحجرة مفكراً. *شكراً على سماحك لي بالمبيت هنا، وممتنّ جداً لعرضك بأن أبقى قدر ما أشاء، كان سيكون الأمر جميلاً حقا لو كنت أستطيع هذا، ولكنني لا أريد أن أزعجك أكثر من هذا، ولأسباب عدة لا أستطيع البقاء، عليّ أن أتدبّر الأمر وحدي. في المرة القادمة التي أتورط. فيها أرجو أن تغمريني بعطفك مرة أخرى*.

أتوقف ثانيةً، أحد الجيران يرفع صوت التلفزيون لأقصى درجة.

أحد تلك البرامج الحوارية الموجّهة إلى ربّات البيوت. كل من في البرنامج يزعق على بعضه، والإعلانات في الفاصل مثل البرنامج، صاخبة ومنفرة. أجلس إلى الطاولة وأفتل القلم في يدي، مستجمعاً أفكاري. *لأقول لك الحق، لا أظن أنني أستحق عطفك، أنا أحاول قدر الإمكان أن أكون شخصاً أفضل، وإنما الأمور لا تسير بشكل جيد، أتمنى أن أكون متماسكاً بشكل أفضل في المرة القادمة التي نلتقي فيها، لا أعرف. شكرا على ليلة أمس، لقد كانت رائعة.*

أضع كوباً على الورقة، وأحمل الحقيبة على كتفي وأخرج من الشقة، تاركا المفتاح تحت الدعسة كما أشارت عليّ. قط أرقط أبيض وأسود يرقد على السلم، في قيلولة. لا بدّ أنه يألف البشر لأنه لا ينهض عندما أمر به. أقعد بجانبه وأربت على جسده الضخم لفترة، ملمس فرائه يأتيني بذكريات. يزمّ القط عينيه، نجلس هناك على السلم طويلاً يستمتع كل منا بشعوره الحميمي الخاص، وفي النهاية أقول له وداعاً وأمضي. يأخذ مطر لطيف في الانهمار.

بعد أن غادرت الفندق وتركت منزل ساكورا، ليس لدي فكرة أين سأقضي الليلة، عليّ قبل غروب الشمس أن أجد سقفا يأويني، مكاناً آمناً، لا أعرف من أين أبدأ البحث، لكنني أقرر أن أستقلّ القطار إلى مكتبة كوميورا. ستحل الأمور تلقائياً عندما أصل إلى هناك. لا أعرف لماذا. مجرد إحساس.

يبدو أن القدر يأخذني في اتجاهات أعجب حتى مما توقعت.

12

19 أكتوبر 1972

عزيزي البروفيسور،

إنني واثقة من أن هذا الخطاب غير المتوقع سيفاجئك كثيراً. وأرجو منك أن تتقبل صراحتي.

أظن أنك لم تعد تذكر اسمي، أنا معلّمة الفصل التي كانت تعمل في المدرسة الإبتدائية الصغيرة بإقليم ياماناشي، قد يساعدك هذا على التذكر. كنت المعلمة المسؤولة عن مجموعة الأطفال الذين خرجوا في نزهة مدرسية وفقدوا وعيهم أثناءها. وبعد هذا، إذا كنت تذكر، تشرّفت بفرصة الحديث معك ومع زملائك مرات عدة خلال زيارتكم لبلدتنا بصحبة أفراد من الجيش بغرض التحقيق في الأمر.

ظللت، لسنوات بعد هذا الحادث، أتابع أخبارك في الصحف وكذلك أخبار عملك وإنجازاتك بتقدير بالغ، ولديّ ذكرى طيبة عن لقائي بك، خصوصاً عن طريقتك العملية والرشيقة في الكلام. كما تشرفت أيضاً بقراءة العديد من كتبك، ولطالما أُعجبت ببصيرتك، ووجدت أن طريقة النظر إلى العالم التي تسود كتبك مقنعة للغاية - بأننا كأفراد، كل منا منعزل تماماً، بينما وفي الوقت نفسه، تربطنا ببعضنا

ذاكرة أصلية. لقد عشت أوقاتاً في حياتي شعرت فيها هكذا بالضبط.
ومن بعيد، لك مني أصدق الدعاء بدوام النجاح.

بعد الحادث إياه ظللت أعمل في المدرسة نفسها. ومنذ سنوات قليلة باغتني المرض ودخلت على إثره إلى مشفى كوفو العام ومكثت هناك وقتاً طويلاً، ثم استقلت من عملي، وبقيت لسنة أدخل المشفى وأخرج منه، ولكنني شفيت في النهاية، وتم إعفائي من الخدمة، وفتحت صفّ تعليم خاص صغير في بلدتنا، تلاميذي فيه هم أبناء تلاميذي السابقين، ربما كانت عبارة مستهلكة حقاً، ولكنه قول صحيح حقاً بأن الوقت كالسيف، فلقد وجدت مرور الزمن حاداً وسريعاً بصورة لا تصدق.

فقدت أبي وزوجي خلال الحرب، وماتت أمي أيضاً في تلك الفترة المتوترة عقب الحصار. ولأن زوجي ذهب إلى الحرب بعد وقت قصير من زواجنا، لم نرزق بأطفال، وبقيت وحيدة في العالم، لم تكن حياة سعيدة، وإنما أراه كرماً كبيراً من الله أنه منّ عليّ بفرصة تعليم عدد كبير من الأطفال طيلة السنوات الماضية، وأحمد الله على هذه الفرصة، فلولا التدريس لما احتملت الحياة.

عزيزي البروفيسور، لقد استجمعت كل شجاعتي لأكتب لك اليوم، ذلك لأنني لم أنسَ قط ذاك الذي حدث لنا في الغابة في خريف 1944. وبعد مرور 28 عاما، ما زالت الذكرى ماثلة في مخيلتي كما لو إنها حدثت بالأمس فقط، وهي تلازمني منذ لحظة استيقاظي كل يوم، وأقضي في تذكر تفاصيلها ليالي لا تحصى من الأرق، وتستمر في ملاحقتي حتى في أحلامي.

يبدو أن آثار الصدمة قد دخلت في كل تفاصيل حياتي. دعني أذكر لك مثالاً على هذا: عندما أصادف أياً من الأطفال الذين فقدوا الوعي في الحادثة (فنصفهم ما زال يقيم هنا في البلدة، وهم الآن في منتصف الثلاثينات) أسأل نفسي على الفور ما كان أثر الحادثة عليهم؟

وعليّ؟ كان الحادث مؤلماً نفسياً لدرجة الظن بأنه لا بدّ من أن يكون قد ترك أثراً بدنياً أو نفسياً دائماً علينا جميعاً. لا أستطيع أن أؤمن إلا بهذا، ولكن عندما أفكر في تحديد نوع هذا الأثر بالضبط ومدى تأثيره علينا، أجدني تائهة تماماً.

وكما تعلم جيداً فقد منع الجيش نشر أي أخبار عن تلك الحادثة، وأجرى الجيش الأمريكي تحقيقه الخاص خلف الأبواب المغلقة أثناء فترة الاحتلال. الجيوش تتشابه دائماً، سواء أكانت يابانية أم أمريكية، حتى بعد إلغاء الرقابة إبان الاحتلال، لم تأتِ صحيفة واحدة على ذكر الحادثة، وأحسب أن لهذا ما يبرره، نظراً لقدم الحادثة ولعدم حدوث أي حالات وفاة فيها.

ولهذا، لا يدري أغلب الناس شيئاً عن هذه الحادثة. فقد شهدت الحرب الكثير من الأحداث الجسيمة وفقد الملايين حياتهم، ولهذا لا أعتقد أن ما حدث في بلدتنا الصغيرة يثير كثيراً اهتمام الناس. فحتى هنا، لا يتذكر الكثيرون ما حدث، ومن يتذكرون يبدون غير راغبين في الحديث عنه، وفي رأيي إن أغلب من يتذكر الحادثة يعتبرها ذكرى غير سارة ويفضل ألا يأتي على ذكرها..

بمرور الوقت ننسى الأشياء. لقد أنسى الزمنُ الناس أشياء كثيرة، ومنها الحرب. هذا الصراع بين الحياة والموت يبدو الآن شيئاً من الماضي البعيد. محاصرون نحن داخل تفاصيل حياتنا اليومية حتى لتبدو أحداث الماضي نجوماً قديمة خبا ضوؤها، فلم تعد تشغل محلاً في أذهاننا. ثمة الكثير لنفكر فيه كل يوم، والكثير لنتعلمه، أساليب جديدة، معلومات جديدة، تكنولوجيا جديدة، مفردات جديدة. . . ومع ذلك، ورغم مرور وقت طويل، وبغض النظر عن كل الأحداث الغامرة، فهناك أشياء لا يسعنا أبداً أن نلقيها في طي النسيان، ذكريات لا تمحى، تبقى للأبد كالحجر الصوان. وبالنسبة إلي، فإن ما حدث في ذلك اليوم في الغابة هو أحد هذه الأشياء.

أعرف جيداً أنه لا يسعني فعل شيء حيال هذا الآن. وبالتأكيد أتفهم دهشتك وأنا أذكّرك بها بعد مرور كل هذا الوقت، لكنني فقط أريد أن أزيح عبئاً عن صدري قبل أن أموت.

عشنا أثناء الحرب تحت رقابة شديدة، وكانت هناك أشياء ممنوع علينا التحدث فيها. وكان أن قابلتك في حضرة ضباط الجيش، فلم أستطع التحدث بحرّية، وكذلك لم أكن أعرف حينها عنك، أو عن عملك شيئاً، ولهذا بالطبع لم أشعر- كشابة تتحدث إلى رجل لا تعرفه - بقدر كاف من الراحة حتى أكاشفك بأمور خاصة، ولهذا كله احتفظت لنفسي بعدة حقائق. بمعنى آخر، تعمّدت في التحقيقات الرسمية تغيير بعض الحقائق بخصوص الحادثة، وعندما انتهت الحرب وأجرى الجيش الأمريكي تحقيقه معي، التزمت بما قلته من قبل. قد يكون خوفاً أو حفظاً لماء الوجه، فقد كررت الأكاذيب نفسها التي رويتها لك، والتي قد تكون زادت من صعوبة بحثك في الأمر إلى حدّ كبير، وربما بشكل ما قد نالت من دقة استنتاجاتك. لا، ليس ربما، أعلم يقيناً بأن هذا ما حدث فعلاً. وهو ما ظل يقضّ مضجعي لسنوات، ويُشْعرني بالخجل مما فعلت.

أتمنى أن يفسّر كل هذا كتابتي هذا الخطاب الطويل. أعلم أنك رجل مشغول وقد لا يسمح لك وقتك بهذا، وإن كانت الحال كذلك، فأرجو أن تعامل الأمر كله على أنه تخريفات سيدة عجوز، وتلقي بالخطاب بعيداً. فكلّ ما في الأمر أنني في حاجة إلى أن أعترف- بينما ما زال ذلك بمقدوري ذلك - بكل ما حدث حينها. وأنني في حاجة إلى أن أدون ما حدث وأرسله إلى شخص لا بدّ من أن يعلم به، لقد شفيت من مرضي، ولكن لا يمكن أن يعرف من هو مثلي كم بقي له من أيام قبل الانتكاسة القادمة. فآمل منك أن تضع هذا في اعتبارك.

في الليلة السابقة لتلك النزهة المدرسية إلى التلال، زارني زوجي في

الحلم، قبل الفجر. كان زوجي مجنداً، وقد أُرسل بعيداً إلى جبهات القتال. وكان حلماً واقعياً ومشحوناً جنسياً لأقصى درجة - من تلك الأحلام الزاهية الحية التي يصعب عليك التمييز بينها وبين الواقع.

في الحلم، كنا نمارس الجنس على حجر أملس ضخم. كان حجراً رمادياً بحجم حصيرتين صغيرتين قرب قمة جبل ما، وكان سطحه ناعماً ورطباً. كان الجو ملبداً بالغيوم وكأن العاصفة على وشك الهبوب، وإنما بدون أي رياح، وكنا كأننا وقت الشفق، والطيور تؤوب إلى أعشاشها. ونحن الإثنان تحت السماء الملبدة نمارس الجنس بصمت. لم يكن قد مضى وقت طويل على زواجنا وفرّقتنا الحرب. فكنت أتحرّق رغبة وشوقاً إلى زوجي.

شعرت بلذة لا توصف. جربنا كل الوضعيات الجنسية مرة بعد أخرى، وبلغنا النشوة مرات ومرات. عندما أفكّر في الأمر الآن أجده غريباً. ففي الحياة الحقيقية كان كلانا هادئاً، وأقرب إلى الإنطواء على نفسه، ولم نترك لنفسينا العنان هكذا من قبل، ولم نجرب مثل تلك اللذة الجامحة أبداً. لكننا في الحلم، وللمرة الأولى في حياتنا، تخلصنا من كل تلك القيود، ومارسنا الحب كالحيوانات.

حين استيقظت من النوم كانت الدنيا ما زالت معتمة في الخارج، وانتابني إحساس غريب جداً. كان جسدي ثقيلاً وكنت ما زلت أشعر بزوجي في داخلي. كان قلبي يدق بعنف وكنت أتنفّس بصعوبة. وكان مهبلي مبللاً، تماما كما بعد الجماع. شعرت كأنني مارست الحب حقاً ولم يكن مجرد حلم. كم يخجلني أن أقول هذا، ولكنني حينها مارست العادة السرية. كانت شهوتي طافحة، وكان عليّ أن أفعل شيئاً لإخمادها.

بعدها ركبت دراجتي الهوائية كالمعتاد وذهبت إلى المدرسة. أخذت الفصل إلى النزهة الميدانية في أوان ياما. وبينما كنا في طريقنا صعوداً كان الإحساس المتواصل بالجنس مازال بداخلي، وكان يكفي

أن أغمض عينيّ حتى أشعر بزوجي يقذف بداخلي، ينطلق ماؤه ليرتطم بجدار رحمي. وأشعر بنفسي ملتصقة به بكل كياني. ساقاي مشرّعتان على وسعهما، وكاحلاي يضغطان على وركيه. بصراحة، كنت خلال اصطحابي الأطفال إلى الربوة، دائخة وكأنني ما زلت أعيش هذا الحلم الواقعي الإيروتيكي.

صعدنا الربوة ووصلنا إلى وجهتنا، وما إن بدأ الأطفال ينتشرون استعداداً لجمع الفطر، حتى باغتتني الدورة الشهرية. ولم يكن موعدها، حيث إن الدورة الأخيرة انتهت قبل عشرة أيام فقط، وغالباً ما كانت دوراتي الشهرية منتظمة. ربما كان هذا الحلم الإيروتيكي قد حفّز شيئاً ما في داخلي وأطلقه، وبالطبع لم أكن مستعدة للأمر، وها نحن في التلال بعيداً عن البلدة.

قلت للأطفال أن يأخذوا استراحة قصيرة وابتعدت وحدي في الغابة، واعتنيت بنفسي قدر المستطاع مستعملة مناديل كانت معي. كان الدم كثيراً جداً، فوضى حقيقية، وكنت واثقة من أنني أستطيع تدبر الأمر حتى نعود إلى المدرسة. كان ذهني فارغاً تماماً، ولم أستطع أن أركّز. كنت أشعر بالذنب، أظن بسبب هذا الحلم الإباحي، والعادة السرية، والخيالات الجنسية التي انتباتني وأنا بصحبة الأطفال، حيث أنني كنت من النوع الذي عادة ما يكبح هذا النوع من الأفكار.

راح الأطفال يجمعون الفطر وأنا أفكّر أنه من الأفضل أن تكون تلك النزهة قصيرة وأن نعود إلى المدرسة بأسرع ما يمكن، وفي المدرسة سأستطيع أن أنظّف نفسي بشكل أفضل. جلست أرقب الأطفال وهم يجمعون الفطر وظللت أحصي الرؤوس، وأطمئن إلى أنهم جميعاً في نطاق نظري.

لكن بعد فترة رأيت طفلاً يأتي باتجاهي ممسكاً في يده شيئاً ما. كان ناكاتا- الطفل الذي لم يستعد وعيه وذهب إلى المشفى - وكان يحمل المناديل الملطخة بالدم التي استخدمتها. شهقت. لم أصدّق

عينيّ. كنت قد خبأت هذه المناديل بعيداً عن الأنظار في مكان لا يمكن للأطفال الذهاب إليه. يجب أن تفهم يا سيدي البروفسور أن هذا هو أكثر الأشياء إحراجا بالنسبة إلى امرأة، فهذا شيء لا ترغب أي أنثى في أن يراه أي شخص آخر، وليس لدي أدنى فكرة كيف وصل الصغير إليه.

وقبل أن أدرك الأمر وجدتني أصفعه، أجذبه من كتفيه وأصفعه بقوة على خديه. وربما صرخت أيضاً في وجهه، لا أذكر. فقدت السيطرة على نفسي، أظن أن الإحراج كان شديداً لدرجة الصدمة، فأنا لم أضرب طفلاً من قبل أبداً. لكن لم أكن على طبيعتي وأنا أفعل ذلك.

ثم لاحظت أن جميع الأطفال هناك، يحدّقون بي. بعضهم واقف وبعضهم جالس وجميعهم ينظرون إليّ. هوى ناكاتا أرضاً من الصفعات التي تلقاها، ومعه المناديل المبقعة بالدم، كانت لحظة تجمّد فيها الزمن. لم يأتِ أحدنا بأي حركة أو ينطق بكلمة. وخلت وجوه الأطفال من كل تعبير. باتت أشبه بالأقنعة البرونزية. وغمر الغابة صمت مهيب لم يكسره سوى تغريد الطيور. هذا المشهد لا يبارح ذهني أبداً.

لا أدري كم مرّ من الوقت، ربما لم يكن وقتاً طويلاً، لكنه بدا بلا نهاية - وكأنه يجرّني إلى حافة العالم. تدريجياً أفقت من هذه الحالة. عادت الألوان إلى العالم من حولي. خبّأت المناديل الملطخة بالدم خلفي وحملت ناكاتا وحضنته واعتذرت له بكل قوة وصدق. وظللت أتوسل إليه: لقد أخطأت في حقّك، سامحني، أرجوك سامحني، أرجوك. وبدا لا يزال مصدوماً. خلت عيناه من أي تعبير، ولا أظن أنه سمع ما كنت أقوله، وكنت ما زلت أحمله بين ذراعي عندما نظرت إلى الأطفال وقلت لهم أن يواصلوا جمع الفطر. وأظن أنهم لم يفهموا ما رأوه، كان الأمر برمته غريباً جداً ومباغتا جداً.

وقفت هناك لفترة من الزمن محتضنة ناكاتا ومتمنية أن أموت أو أن تنشق الأرض وتبتلعني. وفي الأفق البعيد كان عنف الحرب

مستمراً، وأعداد لا تحصى من الناس تلقى حتفها. فقدت قدرتي على التمييز. هل كنت حقاً أرى العالم الحقيقي؟ أكان صوت الطيور الذي أسمعه حقيقياً؟ وجدتني وحيدة ومرتبكة في الغابة، والدم يتدفق من رحمي. كنت حانقة، وخائفة، ومحرجة- كل هذا معاً- وأذكر أنني صرخت في صمت.

وعندها سقط الأطفال.

لم يكن ممكناً أن أخبر ضباط الجيش بحقيقة ما حدث. كنا في زمن الحرب، وكان علينا أن نحتفظ بمظهر لائق، ولهذا أخفيت الجزء المتعلق بدورتي الشهرية، وعثور ناكاتا على المناديل الملطخة بالدم، وضربي له. ومرة أخرى أخشى أن يكون هذا قد أعاق سعيك نحو الحقيقة أثناء تحقيقك في الحادث. ولا يمكنك أن تتخيل مدى راحتي الآن بعد أن أزحت هذا العبء عن كاهلي.

والمدهش حقاً أنه لم يتذكر أي من الأطفال شيئاً عن الحادثة. لم يتذكر أحد المناديل الملطخة بالدم ولا ضربي لناكاتا، امّحت تلك الذكرى تماماً من أذهانهم. وفيما بعد، بعد الحادثة مباشرة، تمكنت على نحو غير مباشر من التأكد من هذا من كل طفل بمفرده. ربما كانت تلك الغيبوبة الجماعية قد بدأت بالفعل حينئذ.

أود أن أخبرك بعدة أشياء عن الصغير ناكاتا بوصفي معلمته السابقة. لا أعرف حقيقة ما حدث له بعد الحادثة، وقد أخبرني الضابط الأمريكي أثناء التحقيقات التي أجريت بعد الحرب أنه أُخذ إلى مشفى في طوكيو وأنه استعاد وعيه في النهاية. لكنه لم يعطني أي تفاصيل. أتوقع أنك تعلم عن هذا أكثر مما أعلمه أنا يا عزيزي البروفسور.

كان ناكاتا أحد التلاميذ الخمسة الذين نزح أهاليهم من طوكيو إلى بلدتنا، وكان أذكاهم وأكثرهم تفوقاً، وكان بشوشاً، ومرتّب المظهر دوماً. وكان بالغ التهذيب لا يحشر نفسه فيما لا يعنيه، وفي الصفّ، لم

يجب مرة واحدة من دون إذن مني، كان لا بدّ من أن أسأله أولاً، ثم كان دائماً يجيب الإجابة الصحيحة. وكنت حين أسأله رأيه في شيء ما، يرد رداً منطقياً وألمعياً، أياً كان الموضوع الذي نتحدث عنه. هناك دائماً تلميذ كهذا في كل صفّ، تلميذ يدرس ما يحتاج إلى دراسته من دون الحاجة إلى إشراف أحد عليه، بحيث يكون واضحاً أنه يوماً ما سيكون متميزاً في جامعته وسيحظى بوظيفة ممتازة. تلميذ ذو قدرات فطرية.

ومع هذا كنت كمعلمة استاء من عدة أشياء فيما يخص ناكاتا. كنت بين الحين والآخر أشعر به استسلامياً نوعا ما. حتى حين يحقق نتيجة جيدة في الفروض الصعبة لا يبدو سعيداً. فهو لم يكابد مرة لكي ينجح، ولم يبد أنه يشعر بذلك الألم الناجم عن المحاولة والفشل. لم يكن يتنهد ولا يبتسم. بدا كأن هذه أمور عليه القيام بها ولهذا يفعلها والسلام، كان يتعامل مع كل ما يقابله في طريقه بفاعلية- كعامل مصنع يقف ماسكاً المفك ليربط الصواميل في كل جزء يمر أمامه على الخط.

لم أقابل والديه قط، ولهذا فلا أستطيع أن أجزم، ولكن لا بدّ من أنه كان هناك مشكلة ما في المنزل. كنت قد عرفت حالات عدة كحالته من قبل. دائماً ما يُحمِّل الآباء الأطفال الأذكياء أعباء لا قِبَل لهم بها، فقط لأنهم قادرون على التعامل معها. ويستغرق الأطفال أنفسهم في المهام التي يتحملونها، فتراهم يفقدون الإحساس الطبيعي بالانفتاح والإنجاز شيئاً فشيئاً. وعندما يُعامل الأطفال على هذا النحو، يميلون إلى الانسحاب إلى قوقعة داخلية يكتمون مشاعرهم فيها. ويستغرق الأمر مجهوداً كبيراً ووقتاً أطول لحملهم على الخروج من تلك القوقعة. إذ إن قلوب الصغار تتشكّل بسهولة، ولكن ما إن تتشكل، حتى يصير شبه مستحيل تغييرها. لكن ربما لا يجدر بي إبداء رأيي المتواضع في هذا الشأن، فهذا مجال خبرتك أنت في نهاية الأمر.

أحسستُ أيضا بلمحة من العنف يعيشها الطفل في منزله. فأحياناً كنت ألحظ في عينيه نظرة خوف تبدو وكأنها رد فعل غريزي تجاه تجربة

عنيفة خاضها على المدى الطويل. ما مدى هذا العنف، لم يكن لي من سبيل لأعرف. كان ناكاتا طفلاً مؤدباً جداً وماهراً في إخفاء خوفه، ولكن كانت له بين الحين والآخر لحظات خوف آنية ولاإرادية، تصعب ملاحظتها، بقدر ما يصعب عليه هو إخفاؤها. أعلم أن شيئاً ما عنيفاً قد حدث في بيته، عندما تقضي وقتاً طويلاً مع الأطفال تلتقط مثل هذه الأشياء بسهولة.

الأسر الريفية أحياناً تكون بالغة العنف. أغلب الآباء مزارعون يناضلون لسد حاجات أبنائهم، يجهدهم العمل المضني من طلوع النهار وحتى غياب الشمس، وعندما يتاح لهم أن يشربوا الخمر ويغضبوا فغالباً ما تقودهم ثورات غضبهم إلى ممارسة العنف الجسدي. وليس سراً أن هذه الممارسات تستمر، وغالباً ما يتعامل معها الأطفال ويستمرون في حياتهم الطبيعية من دون أي ندوب عاطفية. ولكن والد ناكاتا كان أستاذاً جامعياً، وكانت والدته، مما فهمته من مراسلاتي معها، امرأة متعلمة. أي أنها عائلة متحضرة من الطبقة الوسطى. فإذا وُجِدَ العنف في عائلة كهذه فلا بدّ من أن يكون أشدّ تعقيداً وأقل بروزاً إلى السطح، مما يتعرض له أطفال المزارعين. هذا النوع من العنف يخفيه الطفل في داخله طوال الوقت.

ولهذا ندمت أشد الندم على صفعي له على الربوة في ذلك اليوم سواء أكان ذلك عن وعي مني أم لا، لم يكن من حقي أن أتصرف على هذا النحو أبداً، ومن حينها وأنا أشعر بالذنب والخجل الشديدين. وأندم أكثر كلما تذكرت أن ناكاتا- بعد أن أُخذ من والديه ووُضع في بيئة غير مألوفة - كان أخيراً على وشك أن يفتح لي قلبه قبل الحادثة.

ومن المرجح جداً أن العنف الذي مارسته أنا عليه كان بمثابة الضربة القاضية لما كان ينمو بداخل الصغير، كنت أتمنى أن تتاح لي الفرصة لإصلاح ما تسببت فيه، وإنما حالت الظروف دون هذا، وأُخذ ناكاتا وهو ما زال فاقد الوعي إلى مشفى في طوكيو ولم أره بعدها قط.

وما زلت نادمة حتى يومنا هذا. ما زلت أرى وجهه وهو ينظر إليّ وأنا أصفعه على خده، وأرى حجم الخوف والانهزام الهائلين اللذين شعر بهما.

أعتذر منك، فلم أكن أقصد أن يكون خطابي طويلاً إلى هذا الحد. ولكن لا بدّ لي من أن أذكر أمراً أخيراً أكمل به الحقيقة. عندما مات زوجي في الفليبين قبل نهاية الحرب مباشرة، لم أشعر بصدمة كبرى مثلما يتخيل البعض، لم أشعر بيأس أو حنق- فقط إحساس عميق بالعجز وقلة الحيلة - ولم أبك قط. كأنني كنت أعلم أن هذا سيحدث، كنت على علم أن زوجي سيموت في معركة ما في أرض بعيدة. ومنذ العام الذي سبق هذا كله- الحلم الإيروتيكي ودورتي الشهرية المباغتة وضربي لناكاتا - تمكنت من قبول وفاة زوجي كقدر محتوم. ولم يكن خبر موته سوى تأكيد لما كنت أعلمه مسبقاً، أما كل ما حدث على الربوة فكان تجربة تفوق ما مررت به طوال حياتي. وكأنني تركت جزءاً من روحي في تلك الغابة.

وختاماً، تمنياتي لك بدوام النجاح في أبحاثك، وخالص تمنياتي بالسلامة والتوفيق.

بكل إخلاص

13

تخطّت الساعة الثانية عشرة. أكون متسغرقاً في تناول الغداء وتأمّل الحديقة حين يأتي أوشيما ويجلس بجانبي. المكتبة اليوم لي وحدي تقريباً، وكالعادة غدائي هو أرخص وجبة في المقهى الصغير القريب من المحطة. نتسامر لفترة ويعرض عليّ نصف ساندويتشاته.

«أعددت اليوم ساندويتشات زيادة، لك خصوصاً»، يقول بإصرار، «لا تسئ فهمي لكنك تبدو كما لو كنت لا تأكل شيئاً».

« أحاول تقليص حجم معدتي»، أفسّر له.

«عمداً؟»، يسأل.

أومئ.

«لتوفير المال؟».

أومئ مرة أخرى.

«مفهوم، ولكن في سنك هذه يجب أن تأكل جيداً كلما واتتك الفرصة، أنت في حاجة إلى غذاء».

الساندويتشات تبدو شهية، فأشكره وأتناولها. سلمون مدخن وجرجير وخس في خبز أبيض طري، يقرمش بلطف عندما أقضمه، والفجل والزبدة يكملان الطعم.

أسأله «هل أعددت هذا بنفسك؟».

«لن يعدّه لي أحد».

يسكب لنفسه قهوة مُرّة من الترموس في كوب كبير، بينما أشرب الحليب من علبة صغيرة.

«ماذا تقرأ هذه الأيام؟».

«الأعمال الكاملة لناتسومي سوسيكي»، أجيبه، «فاتتني قراءة بعض رواياته، فوجدتها فرصة لذلك».

«هل تحبه لدرجة أن تقرأ كل أعماله؟».

أومئ.

يتصاعد البخار من الكوب بين يديه. الجو في الخارج ملبد بالغيوم وقاتم، ولكن على الأقل توقف المطر.

«وماذا قرأت منها هنا؟».

«انتهيت من *عامل المنجم*، وحالياً أقرأ *الخشخاش*».

«عامل المنجم؟» يقول أوشيما وهو يستعيد ذكرى ضبابية عن الرواية، «أليست قصة طالب الجامعة من طوكيو الذي ينتهي به الحال إلى العمل في منجم؟ ويمر بكل تلك الأوقات العصيبة مع العمال الآخرين إلى أن يعود إلى العالم الخارجي؟ حسب ما أتذكر فهي قصة ليست طويلة ولا قصيرة، لقد قرأتها منذ زمن بعيد، حبكتها ليست ما تتوقعه عادةً من سوسيكي، والأسلوب أيضاً ليس مصقولاً نوعاً ما، ليست أفضل أعماله، فما الذي أعجبك فيها؟».

أحاول أن أصيغ انطباعي عن الرواية في كلمات، لكنني أحتاج إلى مساعدة كرو- أريده أن يظهر الآن ويفرد جناحيه واسعاً ويبحث لي عن الكلمات الصحيحة.

«الشخصية الرئيسية من عائلة ثرية»، أجيب، «لكنه يعيش علاقة عاطفية مؤلمة فيغرق في اليأس ويهرب من البيت. وبينما يطوف على غير هدى يقابل ذلك الشخص الغريب الذي يطلب منه أن يعمل في منجم، فيطيعه ليجد نفسه يعمل في منجم آشيو، في باطن الأرض،

ويعيش تجارب ما كان ليتخيلها. فيجد هذا الولد البريء الثري نفسه بين حثالة المجتمع».

أشرب من علبة الحليب وأحاول أن أجمع شتات ما بقي مما أريد قوله. يستغرق الأمر وقتاً قبل أن يعود كرو، ولكن أوشيما ينتظر بصبر.

«تلك التجارب التي يمرّ بها في المنجم هي تجارب يمتزج فيها الموت بالحياة. وفي النهاية يخرج من المنجم ويعود إلى حياته القديمة، من دون أي إشارة إلى أنه تعلم شيئاً من تلك التجربة أو حدث تغيير في حياته، أو أنه بدأ يفكر بعمق في معني الحياة أو أنه يسائل المجتمع أو أي شيء آخر، ولا يصل إليك كذلك أي إحساس بأنه نضج. وإنما ينتابك بعد أن تنهي الرواية إحساس غريب، وكأنك تتعجب: ما الذي كان سوسيكي يحاول قوله؟ إنه هذا الإحساس - بأنك لا تعرف بالضبط ما كان يريد سوسيكي قوله- هو الذي يبقى معك بعد قراءة الرواية، لا أستطيع أن أوضح جيداً».

«بنية هذه الرواية مختلفة تماماً إذن عن، قل مثلاً، رواية سانشيرو التعليمية؟».

أومئ وأقول «لا أعرف، ولكن قد تكون محقاً، سانشيرو ينضج في القصة، يتجاوز العقبات ويتأمل الأشياء، ويتغلب على الصعاب، صح؟ بينما كل ما يفعله عامل المنجم هو أنه يرى الأمور وهي تحدث ويتقبلها كلها، بالطبع بين الحين والآخر، يقول رأيه فيها ولكنه ليس رأياً عميقاً. فهو يكتفي بالنواح على حبه، ويخرج من المنجم، تقريباً، مثلما كان قبل أن يدخله، ولا يفكر في أن دخول المنجم كان قراره، أو أنه كان لديه الخيار. إنه. . . . سلبي تماماً. لكنني أعتقد أن الناس هكذا في الواقع، ليس من السهل أبداً أن تختار بنفسك».

«أترى شبهاً بينك وبين عامل المنجم؟».

أهزّ رأسي. «لا، لم أفكر في الأمر هكذا من قبل».

«ولكن الناس في حاجة إلى التشبث بشيء ما»، يقول أوشيما،

«هم مضطرون إلى هذا. وأنت تفعل المثل، حتى وإن كنت لا تدركه، تماما كما قال جوته: *كل شيء محض استعارة*».

أتأمل في هذه العبارة.

يرتشف أوشيما قهوته ويقول «على كل حال، هذا رأي يُعتد به في رواية سوسيكي، وخصوصاً أنكما الاثنان هاربان، هذا يجعلني أرغب في إعادة قراءته».

أنهي الساندويتش، وأسحق علبة الحليب الفارغة في يدي وألقي بها في سلة المهملات، «أوشيما»، أقول، مقرراً أن أبوح له بالأمر وليكن ما يكون، «أنا، تقريباً، في ورطة، وأنت الوحيد الذي يمكنه أن يسديني النصح».

يفتح ذراعيه واسعاً في إشارة تشجيعية.

«القصة طويلة، وملخصها أنه ليس لديّ مكان أمضي فيه الليلة، أنا معي حقيبة نوم ولهذا لا أحتاج إلى مرتبة أو سرير أو أي شيء، أحتاج فقط إلى سقف يؤويني، أتعرف أي مكان هنا؟».

«لا أحسب أنك تفكر في فندق أو نزل؟».

أهز رأسي وأقول «النقود عامل مهم طبعاً، إنما الأمر أنني لا أريد أن ألفت الأنظار أيضاً».

«تقصد دائرة الأحداث في الشرطة طبعاً؟».

«أجل».

يفكر أوشيما قليلاً ثم يقول: «حسناً، يمكنك أن تقيم هنا».

«في *المكتبة*؟»

«بالطبع. فهذا مكان به سقف وفيه غرفة شاغرة أيضاً، ولا أحد يستخدمها ليلاً».

«ولكن هل تظن أن هذا ممكن؟».

«بالطبع، سيتعين علينا القيام ببعض الترتيبات أولاً، ولكن كل

شيء ممكن، أو بالأصح، لا يوجد مستحيل، أنا متأكد أنه يمكنني أن أتدبر هذا الأمر».

«كيف؟».

«أنت تحب القراءة، والاعتماد على النفس في حل أمورك، وتبدو صحتك جيدة، ويبدو أيضاً أنك من النوع العصامي، وتفضل أن تعيش حياة عادية، ولديك قوة إرادة لا بأس بها على الإطلاق. يعني لديك من الإرادة ما يكفي لكي تقلص حجم معدتك، صح؟ سوف أتحدث مع الآنسة ساييكي لكي تعيّنك مساعداً لي، وأن تقيم في الغرفة الشاغرة هنا في المكتبة».

«أتريدني أن أكون مساعدك؟».

«لن تكون مسؤوليات كثيرة»، يقول أوشيما، «ستساعدني فقط على فتح المكان وغلقه، فنحن نؤجر موظفين متخصصين للقيام بأعمال النظافة أو إدخال المواد إلى قاعدة البيانات في الكمبيوتر. وفيما عدا هذا، لا يوجد الكثير للقيام به، ويمكنك أن تقرأ ما شئت، ما قولك؟».

«أجل بالطبع...»، لست متأكداً مما يجدر بي قوله، «لكن لا أظن أن الآنسة سايكي ستوافق على هذا، فأنا مجرد ولد هارب من البيت عمره 15 عاماً ولا تعرف عنه شيئاً».

«لكنها... كيف أقول لك هذا؟»، يبدأ أوشيما كلامه ثم يتلعثم قليلاً وهو يبحث عن الكلمات الصحيحة، «مختلفة بعض الشيء».

«مختلفة؟».

«أقصد ترى الأمور بطريقة مختلفة عن الآخرين».

أومئ. ترى الأمور بطريقة مختلفة؟ ماذا يعني هذا؟ «أتعني أنها شخص غير اعتيادي؟»

يهز أوشيما رأسه ثم يقول «لا، لم أقل هذا، لو كنت تبحث عن شخص غير اعتيادي فسيكون *أنا*، أما هي، فكل ما في الأمر أنها لا تحفل كثيراً بالطرق التقليدية في فعل الأشياء».

ما زلت أحاول أن أميّز الفرق بين مختلفة وغير اعتيادية، لكنني أقرر التوقف عن طرح الأسئلة. في الوقت الحاضر.

وبعد حين يقول أوشيما «إلا أن بقاءك هنا الليلة سيكون مشكلة، ولذا سآخذك إلى مكان آخر حيث يمكنك أن تقيم بضعة أيام حتى نرتب الأمور كلها، هل لديك مانع؟ إنه مكان بعيد نوعا ما».

«لا مشكلة»، أجيبه.

«المكتبة تقفل عند الخامسة»، يقول أوشيما، «وعليّ الاهتمام ببعض التفاصيل، لذا سنغادر قرابة الخامسة والنصف، وسأقلك إلى المكان بسيارتي، لا أحد يقيم هناك حالياً، ولا تقلق المكان له سقف».

«أنا ممتنّ حقا».

« أشكرني بعد أن نصل إلى هناك، فربما لا يكون المكان مثلما تتخيل».

أعود إلى قاعة القراءة وأستأنف «الخشخاش» من حيث توقفت. لست بالقارئ السريع، أحب أن أتريّث في كل جملة وأن أستمتع بالأسلوب، وحين لا أعود أستمتع، أتوقف. أنتهي من الرواية قبيل الساعة الخامسة، وأعيدها إلى الرف ثم أجلس على الأريكة، أغمض عيني وأفكر فيما حدث الليلة الماضية. في ساكورا. في شقتها. وجميع المنعطفات التي اتخذتها الأحداث.

عند الخامسة والنصف أقف خارج المكتبة بانتظار أوشيما. يصحبني إلى مرأب السيارات قرب المكتبة ونركب سيارته الرياضية الخضراء، مازدا مياتا، بسقف متحرّك. نجد حقيبتي كبيرة على صندوق السيارة الصغير، فنربطها جيداً بالحامل الخلفي.

«المسافة طويلة ولهذا سنتوقف في الطريق لنتناول العشاء»، يقول أوشيما، ثم يدير المفتاح ويشغل المحرك.

«إلى أين نتجه؟».

«كوتشي»، يجيب، «هل ذهبت إلى هناك من قبل؟».

أهزّ رأسي نفياً، «كم تبعد من هنا؟».

«نحو ساعتين ونصف الساعة، وسنتجه جنوباً فوق التلال».

«ألا يزعجك قطع مثل هذه المسافة الطويلة؟».

«لا بأس، إنها طريق مستقيمة، وما زالت الدنيا منيرة، ولدينا ما يكفي من الوقود».

نمضي في شوارع المدينة المغمورة بلون الغروب، ثم نأخذ الطريق السريعة غرباً. يتنقل أوشيما على الطريق بسلاسة، متسللاً بين السيارات، ومغيراً السرعات دونما مجهود، وفي كل مرة يتغير صوت المحرّك قليلاً. وحين ينقل التروس ويدوس على دواسة الوقود، تتجاوز السيارة الصغيرة سرعة 90 كيلومتراً بالساعة.

«هذه السيارة صنعت خصيصاً للقيادة السريعة، ليست كالمياتا العادية، هل تعرف شيئاً عن السيارات؟».

أهزّ رأسي. فالسيارات ليست ضمن اهتماماتي.

«هل تستمتع بالقيادة؟»، أسأله.

«نصحني الأطباء بالتخلي عن كل الرياضات الخطرة، وتعويضاً عنها أقود السيارات».

«هل أنت مصاب بمرض ما؟».

«التسمية الطبية لهذا الداء طويلة جداً، لكنه نوع من الهيموفيليا»، يقول أوشيما بطريقة اعتيادية، «هل تعرف معنى هذا؟».

«أظن ذلك»، أجيبه. أذكره من حصص الأحياء، «ما إن يبدأ النزيف، حتى لا يتوقف. إنه مرض وراثي، حيث لا يتخثّر الدم».

«هذا صحيح. هناك أنواع كثيرة من الهيموفيليا، والنوع الذي لديّ أنا نادر جداً، لكنه ليس خبيثاً، عليّ أن أحرص فقط على ألا أصاب بأي جرح، وإذا بدأ الدم بالسيلان عليّ الذهاب فوراً إلى المشفى، علماً أن المشافي هذه الأيام لديها نقص في إمدادات الدم.

والموت البطيء بفيروس السيدا ليس من خياراتي طبعاً. ولهذا أمّنت لنفسي عبر بعض الاتصالات في المدينة دماً سليماً في حال حدوث طارئ. ولهذا السبب لا أذهب في رحلات طويلة، وفيما عدا الفحص الشامل بانتظام في المشفى الجامعي بهيروشيما، نادراً ما أغادر البلدة. بيد أن الأمر ليس بهذا السوء- فأنا لست مولعاً بالسفر أو بالرياضة على أي حال. لكنني لا أستطيع استخدام سكين المطبخ، الطبخ العادي إذن خارج المسموح به، أمر مؤسف».

«القيادة رياضة خطرة بما فيه الكفاية»، أقول له.

«إنها نوع مختلف من المخاطرة، حين أقود أحاول أن أسرع بأقصى ما يمكنني، فإذا تعرضت لحادث ما لن يقتصر الأمر على إصبع مجروح، وحينها يتساوى المصاب بالهيموفيليا مع أي شخص آخر، تعادل يعني، وبما أن فرص النجاة متساوية، فليس عليك أن تقلق بخصوص أشياء مثل تخثر الدم أو ما شابه، تستطيع أن تموت بلا ندم».

«فهمت».

«لا تقلق»، يقول أوشيما ضاحكاً، «لن نتعرض لحادث سير. فأنا سائق حريص وغير متهور، وأصون سيارتي باستمرار، ثم إنني أريد الموت بسلام، بمفردي تماماً».

«أي أن أخذ شخص آخر معك ليس خياراً أيضاً».

«هذا صحيح».

نتوقف في استراحة لنتناول العشاء، أطلب طبق دجاج وسلطة، ويطلب هو المأكولات البحرية بصلصة الكاري والسلطة. أشياء أفضل ما يقال عنها إنها لملء المعدة لا أكثر. يسدّد أوشيما الفاتورة ونعود إلى السيارة. أظلمت الدنيا. يضغط على دواسة السرعة ويبدأ مؤشر السرعة في الارتفاع.

«أتمانع لو شغلت موسيقى؟»، يسأل أوشيما.

«بالطبع لا»، أجيبه.

يضغط على زر تشغيل الأقراص المدمجة ويبدأ عزف بيانو كلاسيكي. أنصت لفترة محاولاً أن أتعرف على الموسيقى، ليس بيتهوفن، ولا شومان، ربما مؤلف ما جاء بينهما.

«شوبرت؟»، أسأله.

«تخمين جيد»، يجيبني وهو يمسك عجلة القيادة بيديه الاثنتين من الوسط (كما عقربا الساعة حين يشيران إلى الثانية وعشر دقائق) يرمقني، «أتحب شوبرت؟»

«ليس بصورة خاصة».

«أحب أن أسمع سوناتات شوبرت على البيانو بصوت عال وأنا أقود، أتعرف لماذا؟».

«لا».

«لأن عزف سوناتات شوبرت على البيانو بطريقة جيدة يعدّ من أصعب الأشياء في العالم. معظم هذه السوناتا بنغمة دي D الرئيسية، وهي صعبة فعلاً، بعض عازفي البيانو يمكنهم عزف حركة أوربما حركتين منها على نحو كامل، لكن ليس من أصابع تمكنت من لعب الحركات الأربع ككل واحد أبداً، كثيرون نجحوا في هذا التحدي بالطبع، ولكن تظل تشعر معهم وكأن شيئاً ما لا يزال ناقصاً، ليس هناك من تهتف لدى سماعه: أجل هذه هي. أتعرف لماذا؟».

«لا».

«لأن السوناتا نفسها ناقصة. وقد كان روبرت شومان يفهم جيداً سوناتات شوبرت فأطلق على هذه السوناتا تسمية «ضجر النعيم»».

«إذا كانت المقطوعة نفسها ناقصة، فلماذا يحاول كثر إتقان عزفها إذن؟».

«سؤال وجيه»، يقول أوشيما، ويسكت فتملأ الموسيقى الصمت، «ليس لدي تفسير جيد، ولكن يمكنني قول شيء واحد: الأعمال الناقصة في حدّ ذاتها، تثير الإعجاب للأسباب نفسها - أو على

الأقل تثير إعجاب *أنواع* معينة من الناس. تماما كإعجابك برواية *عامل المنجم*، شيء ما يجذبك فيها أكثر من روايات أخرى معروفة أكثر منها مثل كوكورو أو *سانشيرو*، إذ تجد شيئاً ما في العمل يلتصق بقلبك - أو ربما نقول إن العمل يجدك أنت. سوناتة شوبرت بنغمة دي الرئيسية تشبه هذا».

«لنعود للسؤال»، أقول، «لماذا تستهويك سوناتات شوبرت؟ خاصة خلال القيادة؟».

«سوناتات شوبرت، وخصوصا هذه، إذا عزفها العازف بطريقة حرفية، فهذا ليس فناً. وهذا ما قاله شومان نفسه، ذلك لأنها طويلة جداً ورعوية جداً، ومن الناحية التقنية بسيطة جداً، فإذا سمعتها كما هي خلال القيادة، ستشعر أن الطريق سطحية وبلا طعم، كقطعة أثرية بالية، ولهذا فكلما حاول أحدهم عزفها أضاف لها شيئاً من ذاته، مثل هذا العازف- اسمع كيف يعزفها؟ مضيفاً *الروباتو*[1]؟ ومعدلاً الإيقاع، أو متنقلاً بين درجاتها وما إلى ذلك. وإلا لما خرجت المقطوعة بصورة متماسكة، وفي الوقت نفسه على العازف أن يكون شديد الحذر لكي لا تنال إضافاته من لبّ المقطوعة نفسها، وحينها لن تعود موسيقى شوبرت. وكل من عزف هذه السونيتة يقع في هذا الفخ».

يستمع أوشيما إلى المقطوعة، ويدندن اللحن ثم يضيف: «ولهذا أحب سماع شوبرت خلال القيادة. كما قلت لك، لأن كل أداء لها قاصر، نقيصة فنية قاتمة تستفز وعيك، وتبقيك متنبهاً. وإذا استمعت إلى عزف متقن لمقطوعة موسيقية متقنة، فمن الوارد جداً أن أغمض عينيّ

---

(1) Rubato: مصطلح موسيقى من أصل إيطالي يعني الوقت المسروق في الإيقاع ويشير إلى تهدئة الإيقاع أو الإسراع به قليلاً حسب خبر عازف السولو أو المؤدي، وغالبا ما كان هذا التكنيك يستخدم في الفترة الرومانسية، وشائع بشكل خاص في موسيقى البيانو حيث يتطلب الاهتمام بعلاقة بين ماهو مكتوب في النوتة الموسيقية والعزف الحي.

وأموت فوراً، ولكن هذه السوناتا، تجعلني أشعر بحدود قدرة البشر- أن هناك نوعاً معيناً من الكمال لا يمكن إدراكه سوى عبر التراكم غير المحدود للنقائص. وعن نفسي أجد هذا مشجَّعاً. هل تفهم قصدي؟».

«نوعا ما. . .».

«آسف»، يقول أوشيما، «غالبا ما أنجرف بعيداً في هذا الموضوع»

«ولكن للنقصان أنواع ودرجات مختلفة؟»، أقول.

«بالطبع، وهذا طبيعي».

«وإذا قارنت بين العازفين، فمن الذي تعتبره أفضل من يعزف هذه المقطوعة؟».

«سؤال صعب»، يفكر أوشيما قليلاً. يخفض السرعة، ويجنح خارج الخط، ليتجاوز بسلاسة شاحنة نقل ضخمة ذات 18 إطاراً، ثم يزيد السرعة من جديد، ويوجه عجلة القيادة إلى الخط مرة أخرى، «لا أريد أن أرعبك، ولكن تعرف أنه من الصعب رؤية المياتا الخضراء على الطريق السريعة ليلاً، إذ أن حضورها لا يكون ملحوظاً، بالإضافة إلى ميل اللون الأخضر للامتزاج بالظلام، وخاصة سائقو الشاحنات لا يلاحظونها من مقصورات قيادتهم العالية، قد يكون هذا بالغ الخطورة خصوصاً في الأنفاق، بالفعل يجب أن تكون كل السيارات الرياضية حمراء حتى يسهل تمييزها، ولهذا أغلب الفيراري حمراء، ولكنني أحب الأخضر، حتى وإن كان يزيد الخطر. الأخضر لون الغابات، أما الأحمر فلون الدم».

ينظر إلى ساعته ثم يعود للدندنة مع الموسيقى. «عموماً أرى أن برينديل[2] وأشكينازي[3] هما بين أفضل من عزفوها، رغم أنهما لا

---

(2) الفريد برينديل: (يناير 1931-. . . .): عازف بيانو نمساوي عالمي، ولد في تشيكوسلوفاكيا، وعرف بكونه أحد أميز عازفي البيانو الكلاسيكيين في النصف

يؤثران بي عاطفياً، موسيقى شوبرت موسيقى متحدية، تكسر الأساليب المعروفة في العالم، وهذا هو أصل الرومانسية، لذا فهي النموذج الرومانسي الأمثل».

أستمع إلى السوناتا.

«ما رأيك؟ مملة؟»، يسألني أوشيما.

«نوعاً ما»، أعترف.

«يحتاج تقدير موسيقى شوبرت إلى بعض التمرين. أنا مثلك وجدتها مملة وسخيفة عندما استمعت إليها أول مرة. أمر طبيعي بالنسبة إلى سنك. سوف تفهمها في حينه. الناس يملّون سريعاً الأشياء غير المملّة، لكنهم لا يملون ما هو مملّ فعلاً. بالنسبة إليّ ربما لدي رفاهية أن أضجر، ولكن ليس لدرجة أن أملّ أي شيء، أغلب الناس لا يميزون الفرق بين هذا وذاك».

«قلت إنك شخص غير اعتيادي. أتقصد بسبب الهيموفيليا؟».

«جزئياً»، يجيب، وترتسم على وجهه تلك الابتسامة المتخابثة، ثم يردف، «ولأسباب أخرى أيضاً».

تنتهي سوناتا شوبرت، ولا نستمع لموسيقى أخرى. نغرق في صمت يملأه كل منا بأفكاره العشوائية الخاصة. أرى يافطات الإعلانات العابرة من دون أن أراها، وعند مفترق طرق ننعطف جنوباً إلى طريق حافلة بالأنفاق الطويلة المتلاحقة نحو الجبال. يزداد تركيز أوشيما في كل مرة

= الثاني من القرن العشرين. نال جائزة سونينج عام 2002. ويعيش في لندن منذ السبعينات.

(3) فلاديمير آشكينازي (يونيو 1937- . . . .): عازف بيانو روسي، نال أكثر من جائزة عالمية في الموسيقى منها جائزة الملكة إليزابيث لموسيقى البيانو، وثلاث جوائز جرامي عن عزفه موسيقى بيتهوفن وشايكوفيسكي وأحسن أداء سولو مرتان.

يتجاوز سيارة أخرى. ونمر بعدد من الشاحنات البطيئة، وفي كل مرة نتجاوز إحداها نسمع نواح الهواء، وكأنه صوت صعود الروح. أتفقد حقيبتي كل حين، ما زالت في موضعها.

«المكان الذي نتجه إليه في عمق الغابة، ليس بأجمل مكان في الدنيا» يقول أوشيما، «ولا أظن أنك سترى هناك أي شخص آخر ، ولا يوجد راديو أو تليفزيون أو تليفون، أأنت متأكد أن ليس لديك مانع في هذا؟».

«ليس لدى مانع»، أجيبه.

«هل اعتدت العزلة؟» يعلق أوشيما.

أومئ

«ولكن للعزلة أشكال مختلفة، قد تجد هناك ما لا تتوقعه».

«كيف؟».

يرفع أوشيما نظارته، «لا أستطيع أن أحدد، فالأمر يختلف من شخص لآخر».

نخرج عن الطريق السريعة ونسلك طريقاً أضيق. على امتداد طريق جانبية قرب المخرج ثمة بلدة صغيرة. يتوقف أوشيما أمام بقالة صغيرة ويشترى أشياء كثيرة لدرجة أنها تقريباً أكثر مما نستطيع حمله - خضار وفاكهة وبسكويت وحليب ومياة معدنية ومعلبات وخبز وعلب مأكولات سريعة التجهيز. أغلبها أشياء لا تتطلب طهواً بالمعنى المعتاد، أمد يدي إلى محفظتي لكنه يهزّ رأسه رافضاً ويسدّد الحساب.

نعود إلى السيارة الرياضية، ونواصل الطريق، أضع في حجري الأكياس التي لم يتسع لها صندوق السيارة، وما إن نغادر البلدة الصغيرة حتى يصير كل شئ حولنا معتماً، لا منازل، فقط السيارات المارة من الحين للآخر، طريق ضيقة تتسع لسيارتبن معاً. يرفع أوشيما إضاءة السيارة إلى الدرجة القصوى ويندفع في سباقه؛ فرامل، سرعة، نقل من الترس الثاني فالثالث ثم الثاني. يكسو وجهه تعبير جامد فيما يركز على

القيادة، يزم شفتيه، بينما عيناه مشدودتان إلى نقطة مثبتة أمامه في الظلام، يده اليمنى أعلى عجلة القيادة، واليسرى متأهبة للحركة على ذراع التروس.

يلوح إلى اليسار منحدر شديد، لا بدّ من أنه في الأسفل جدول ماء جبلي. تصير المنعطفات أكثر حدة، والطريق أكثر انزلاقاً، حتى أن خلفية السيارة تحيد مرات عدة. أصمّم على ألا أقلق لهذا الشأن، إذ على حد قول أوشيما، الحادثة هنا «ليست خياراً متاحاً».

تشير ساعتي إلى ما قبل التاسعة بقليل، أفتح زجاج النافذة لكي يدخل الهواء المنعش. كل شيء هنا يبدو مختلفاً. إننا هنا في الجبال ونمضي عميقاً. أتنفس الصعداء عندما تنتهي المنحدرات وندخل إلى الغابة. تحيط بنا الأشجار السامقة الساحرة، كشافاتنا الأمامية تنير الشاحنات واحدة بعد الأخرى. نترك الطريق الإسفلتية خلفنا. تنفث الإطارات الحصى التي ترتطم بقاع السيارة ثم ترتد. وتقفز النوابض إلى أعلى وأسفل على الطريق الوعرة. لا يوجد قمر أو نجوم، ومن حين لآخر يتساقط رذاذ خفيف على زجاج السيارة الأمامي.

«أتأتي كثيراً إلى هنا؟»، أسأله.

«سابقاً، أما الآن بسبب العمل فما عدت آتي كثيراً، أخي الكبير يمارس رياضة الركمجة[4]، يعيش في كوتشي على الساحل حيث يدير محل معدات ركمجة هناك ويصنع ألواح الركمجة أيضاً، وأحياناً يأتي إلى هنا، هل تمارس هذه الرياضة؟».

«لم أحاول قط».

«إذا سنحت الفرصة لك، فيجب أن تجعل أخي يعلّمك، إنه ماهر جداً»، يقول أوشيما، «وإذا رأيته فستدرك فوراً أنه لا يشبهني أبداً، فهو ضخم الجثة، أسمر بفعل الشمس، وهادئ نوعاً ما، وليس

(4) الركمجة: رياضة ركوب الأمواج بواسطة ألواح خاصة لهذه الغاية.

اجتماعياً، ويحب الجعة، ولا يميز بين شوبرت وفاغنر، لكننا نتفق جداً».

نستمر في هبوط الطريق عبر الغابات الكثيفة، وأخيراً نتوقف. يركن أوشيما السيارة ويترك المحرك شغالاً. يترجل ويذهب ليفتح قفل سياج من الأسلاك، ثم يواصل القيادة في طريق أخرى وعرة ومغبرة حتى نصل إلى فسحة في نهايته. يوقف أوشيما السيارة ويطلق تنهيدة عميقة ويزيح شعره إلى الوراء بكلتا يديه، ثم يوقف المحرّك. ويرفع فرامل اليد.

تواصل مروحة المبرد هديرها بسبب سخونة المحرّك، ويتصاعد البخار من الغطاء. ولكن حين يصمت المحرك نشعر بالسكون الرهيب حولنا. أسمع خرير جدول قريب. والرياح في الأعالي تهدر برمزية. أفتح الباب وأخطو خارجاً، فأشعر بلسع البرد. أرفع بالكامل سحّاب السترة التي أرتديها فوق الكنزة الخفيفة.

أمامنا بناء صغير. كوخ خشبي. الظلام شديد فلا أرى منه الكثير. مجرد كيان مبهم وراءه غابة. ما زالت الأضواء الأمامية للسيارة مضاءة. يدنو أوشيما من الكوخ ببطء وبيده مصباح إنارة. يصعد سلالم الشرفة، ويُخرج مفتاحا ويفتح الباب. يدلف إلى الداخل، يشعل عود ثقاب ويضيء مصباحاً، ثم يخرج إلى الشرفة وهو يحمله معلناً: «مرحبا بك في منزلي». يبدو المشهد برمته شبيهاً بالرسومات في القصص القديمة.

أصعد السلم وأدلف إلى الداخل. يشعل أوشيما مصباحاً أكبر يتدلى من السقف. الكوخ عبارة عن حجرة كبيرة تشبه الصندوق، فيها سرير صغير، وطاولة مع كرسيين خشبيين، وأريكة بالية، وحصيرة بائسة، وقطع أثاث رثة متناثرة هنا وهناك. وثمة أيضاً رفّان مكدّسان بكتب ذات أغلفة بليت من كثرة قراءتها، وخزانة ملابس صغيرة، ومطبخ متواضع فيه مجلى وبوتاجاز ومغسلة، ولكن لا صنبور، بل دلو

ألومنيوم لتخزين الماء. وثمة مقلاة وغلاية على الرف، بالإضافة إلى مقلاة معلقة على الحائط، وفي وسط الحجرة موقد أسود يعمل على الحطب.

«لقد بنى أخي هذا الكوخ بمفرده تقريباً، فهو يحب العمل الحرفي، وقد اتخذ من كوخ الحطاب الأصلي بكل خشونته نموذجاً له، وأدخل عليه بعض التعديلات. كنت ما أزال صغيراً حينها وساعدته قليلاً، مراعياً ألا أؤذي نفسي وخلافه. إنه كوخ بدائي جداً، لا كهرباء ولا ماء ولا تواليت، الشيء الوحيد الحديث فيه هو البوتاغاز». يسكب أوشيما بعض المياه المعدنية في الغلاية ويضعها على النار.

« في الأصل كان هذا الجبل ملك جدي الذي كان من أثرياء كوشي، ومات قبل عشرة أعوام، وورثنا أنا وأخي هذا الجبل كله تقريباً، إذ لم يرده أحد من أقاربنا بسبب بعده عن الحياة، وقيمته المالية القليلة، اللهم إلا في موسم قطع الأشجار، وفي هذه الحالة يجب أن تستأجر العمال وهذا يكلف كثيراً».

أزيح ستارة النافذة فلا أجد سوى جدار من الظلام الدامس.

«عندما كنت في مثل سنك بالضبط»، يقول أوشيما، وهو يضع أكياس شاي البابونج في الغلاية، «كنت آتي إلى هنا كثيراً وأعيش وحدي، لا أكلم ولا أرى أحداً. كان أخي يجبرني تقريباً على هذا. عادة لا أحد يفعل هذا بشخص مصاب بمثل مرضي، إذ من الخطر جداً على المصاب بهذا المرض أن يكون وحده في مكان منعزل كهذا، لكن أخي لم يكن يقلقه هذا الأمر». يستند إلى المجلى بانتظار غليان الماء. «لم يكن يقصد أن يقسو عليّ أو ما شابه، بل كان يعتقد أنني في حاجة إلى ذلك. وعندما أفكر في الأمر الآن أجدها تجربة مفيدة كنت فعلاً بحاجة إليها. استطعت أن أقرأ كثيراً وأتأمل أشياء كثيرة، أقول لك الحق، بعد فترة معينة، كنت نادراً ما أذهب إلى المدرسة، بيني وبينها كراهية متبادلة، إذ كنت مختلفاً عن الآخرين، لكنهم سمحوا لي

بالتخرج من المدرسة الإعدادية، وبعدها اعتمدت على نفسي كلياً. مثلك. هل أخبرتك بهذا من قبل؟»

أهزّ رأسي، «ولهذا أنت كريم هكذا معي؟».

«هذا جزء من السبب»، يقول، ويصمت، ثم يضيف «ولكنه ليس السبب كله».

يناولني كوب الشاي ويرشف من كوبه. بعد توتر الرحلة الطويلة، فإن البابونج هو بالضبط ما أحتاج إليه لأهدأ.

ينظر أوشيما إلى ساعته، «يستحسن أن أنطلق الآن، دعني أعطيك الإرشادات إذن. هناك جدول ماء على مقربة من هنا يمكنك أن تجلب منه الماء، كما يمكنك أن تشرب منه، فهو أفضل كثيراً من زجاجات المياه المعدنية تلك. وهناك حطب للنار خلف الكوخ لإشعال الموقد إذا شعرت بالبرد، الجو يصير باردا جداً هنا، حتى أني استخدمته كثيراً في أغسطس. ويمكنك أن تستخدم البوتاجاز في الطهو الخفيف، وإذا احتجت إلى أدوات أخرى فابحث عنها في مخزن الأدوات في الخلف، ويمكنك أن تلبس ما شئت من ملابس أخي القديمة في الخزانة، فهو لا ينزعج من ذلك».

يخبط أوشيما يده على ساقه ويلقي نظرة أخيرة على الكوخ، «إنه بالتأكيد ليس بوابة الرومانسية، ومع هذا فهو ينفع للحياة البسيطة. يتبقى شيء واحد عليّ أن أحذرك بشأنه، لا تذهب بعيداً في الغابة، إنها كثيفة جداً وليس فيها دروب للمرور فعلاً، عندما تتنزه، أبق نظرك على الكوخ دائماً، وإلا فسوف تضل بسهولة، وستجد صعوبة في إيجاد طريق العودة. لقد مررت بتجربة مريعة ذات مرة هناك، كنت على بعد 200 ياردة فقط من الكوخ وأمضيت نصف يوم أدور حول نفسي، قد تظن أن اليابان دولة صغيرة، وإنه ليس معقولاً أن يضل المرء في غابة، ولكن ما أن تضل طريقك في تلك الغابة، فصدقني ستبقى ضالاً هناك».

أحفظ هذا في ملف خاص من دماغي للرجوع إليه عند الحاجة.

«ولا تذهب بعيداً في الجبال أيضاً، إلا بالطبع في الحالات الطارئة، فالمنازل الأخرى بعيدة جداً، وعموماً سأعود خلال يومين لآخذك، لديك هنا ما يكفيك من طعام، بالمناسبة، هل معك موبايلاً؟».

«أجل»، أقول له وأشير إلى حقيبتي.

يبتسم ابتسامة عريضة قائلاً: «انسه في الحقيبة إذن. فالإرسال لا يصل إلى هنا- وكذلك الأمر بالنسبة إلى الراديو. أنت هنا في عزلة تامة عن العالم، ولديك كل الوقت لتقرأ».

فجأة يباغتني سؤال عملي: «إذا كان لا يوجد حمام، فأين أقضي حاجتي؟».

يشرع أوشيما ذراعيه: «الغابة كلها تحت أمرك، اختر البقعة التي تعجبك».

14

ظل ناكاتا يتردد على الأرض الخلاء أياماً عدة. ذات صباح أمطرت بغزارة فأمضى يومه في حجرته يصنعُ قطعاً خشبية بسيطة. وفيما عدا هذا اليوم، فقد أمضى كل وقته جالساً على العشب في انتظار ظهور القطة المشمشية، أو الرجل ذي القبعة الغريبة، من دون أن يحالفه الحظ.

كان ناكاتا يختتم كل يوم بزيارة الأسرة التي استعانت به للبحث عن القطة، وذلك ليوافيها بآخر تطورات تحرّياته، كالأماكن التي ذهب إليها، والمعلومات التي حصل عليها. وكان أصحاب القطة يدفعون له يومياً ثلاثة آلاف ين. لم يحدّد أحد هذه الأجرة بصورة رسمية، وإنما شاع عنه فقط أنه ضليع في العثور على القطط المفقودة، وساد العرف أن تكون هذه أجرته عن كل يوم يقضيه في البحث، وعادة ما كان الناس يمنحونه معها شيئاً إضافياً، كالملابس والطعام، ومكافأة عشرة آلاف ين عندما يعثر على القط المفقود.

ولم يكن يُطلب للقيام بهذه المهام على نحو منتظم، ولذلك لم تكن أجرته تضيف الكثير إلى دخله الشهري. فكان أكبر أخويه الصغيرين يتولى دفع التزاماته الشهرية من نصيب ناكاتا في ميراث والديه، والذي لم يكن كبيراً على أية حال. فكان يعيش على مدخراته المتواضعة والمعونة الشهرية التي يتلقاها من البلدية للمعوقين وكبار السن، والتي

كانت تسدّ احتياجاته الأساسية. أما أجرة العثور على القطط فكان ينفقها على هواه، وكانت تبدو له مبالغ لا بأس بها على الإطلاق، حتى أنه في بعض الأحيان كان يحتار كيف ينفقها، ليستقر به الأمر أخيراً على أحب الأطعمة لديه، أي الحنكليس المشوي. وإذا تبقى معه نقود، (لم يكن يملك حساباً مصرفياً أو دفتر توفير، فهذا يستلزم ملء استمارات)، فقد كان يضعها تحت التاتامي في حجرته.

كانت مقدرته على الحديث مع القطط سره الخاص. لا أحد غيره هو والقطط يعرف به، إذ كان سيحسبه الناس مجنوناً لو أخبرهم بهذا. ولذا احتفظ بالسر لنفسه. يعرف الجميع أنه ليس ذكياً، ولكن الغباء شيء والجنون شيء آخر. فحين يمرون به وهو منهمك في الحديث مع قط أو قطة لا يعبأون كثيراً بأمره، إذ ليس من الغريب أن ترى عجائز يتحدثون مع الحيوانات وكأنها بشر. ولكن إذا حدث أن علّق أحدهم على قدرات ناكاتا مع القطط فقال مثلاً: «يا سيد ناكاتا، كيف تعرف عادات القطط جيداً هكذا؟ كما لو كنت تستطيع أن تتحدث معهم»، فإن ناكاتا يبتسم وكأنه لم يسمع شيئاً. كان دائماً رصيناً ومهذباً جداً، ودائماً تعلو وجهه ابتسامة بشوشة، وكان محبوباً من ربات البيوت جاراته. وقد ساعد على ذلك مظهره الأنيق، فعلى الرغم من فقره، كان يستمتع بالاستحمام وبغسيل ملابسه، وكانت الملابس شبه الجديدة التي يعطيه إياه زبائنه تضيف إلى مظهره أناقة ونظافة. ورغم أنها، مثل بعض ملابسه ككنزة «الجولف جاك نيكلسون» الوردية، ليست على مقاسه تماماً، لكنه لم يكن يمانع ما دامت نظيفة وأنيقة.

وقف ناكاتا أمام الباب يقدّم تقريرا متقطعاً للسيدة كوازومي- زبونته الحالية- حول بحثه الجاري عن قطتها جوما.

«أخيرا توصل ناكاتا إلى معلومات عن القطة الصغيرة»، بدأ تقريره، «أخبرني شخص يدعى كوامورا أنه رأى قطة تشبه جوما منذ بضعة أيام في قطعة أرض خلاء، تلك الأرض المسورة، هناك في الحي

الثاني، تبعد من هنا مسافة شارعين فقط، وقال إن سنها في مثل سن جوما وإن لها طوقاً مثل طوق جوما ولونها مثلها أيضاً. فقرر ناكاتا أن يرابط هناك. ولذا أجلس وأتناول غدائي هناك كل يوم، من الصباح وحتى الغروب، لا تقلقي بهذا الخصوص، فلدي وقت كثير، ولا مانع عندي أبداً، إلا إذا أمطرت بشدة طبعاً. ولكن يا سيدتي، إذا كنت ترين أن بحثي لم يعد ضرورياً فأرجوك أعلميني وسأتوقف فوراً».

لم يخبرها أن السيد كوامورا هذا ليس شخصاً بل قطاً بنياً مخططاً، لأنه قال لنفسه إن هذا لن يفيد وسيعقد الأمور لا أكثر.

شكرته السيدة كوازومي. لقد اعتكر مزاج طفلتيها وانقطعت شهيتهما عن الطعام، بعد اختفاء قطتهما العزيزة فجأة، ولم تستطع أمهما أن تفسر لهما الأمر سوى بأن تقول لهما إن القطط تحب أن تختفي بين الحين والآخر. ورغم صدمة الصغيرتين، لم يكن لدى السيدة كوازومي الوقت لكي تطوف في المدينة بحثاً عن القطة، وسرّها كثيراً أن تجد شخصاً مثل السيد ناكاتا، يتقاضى ثلاثة آلاف ين يومياً، ويبذل قصارى جهده للعثور على جوما. كان ناكاتا بالنسبة إليها، رجلاً عجوزاً غريباً، يتحدث بطريقة عجيبة، لكن يقال إنه عبقري عندما يتعلق الأمر بالعثور على القطط، وهي تعلم أنه لا يجدر بها أن تفكر على هذا النحو، لكنها لم تشعر أن العجوز حذق كفاية بحيث يمكن أن يخدعها. ناولته أجرة يومه في مغلف ومعها أيضا علبة بلاستيكية فيها بعض ما طبخته اليوم من الأرز والخضار وبطاطس التارو.

انحنى ناكاتا وهو يأخذ منها العلبة وشمّ رائحة الطعام وشكرها، «شكراً جزيلاً لك، التارو من أكلات ناكاتا المفضّلة».

«أرجو أن تعجبك»، أجابته سيدة كوازومي.

مرّ أسبوع على مرابطة ناكاتا في الأرض الخلاء، رأى خلاله أعداداً لا تحصى من القطط المختلفة تروح وتجئ، ومر به كوامورا -القط البني

المخطط- عدة مرات ليحييه، فكان ناكاتا يحييه ويروح يدردش معه عن الجو ومعو -نته، وظل على حاله، لم يفهم كلمة مما يقولها كواموروا.

«ركع على الرصيف، كوارا في ورطة»، قال كوامورا بادياً عليه أنه يود أن يخبر ناكاتا شيئاً، إلا أن العجوز لم يفهمه، وأخبره بذلك، فأعاد كوامورا ما قاله - تقريباً- ولكن بكلمات مختلفة «كوارا مقيّد يصرخ»، فلم يزد هذا ناكاتا إلا حيرة.

فكر ناكاتا أنه لسوء الحظ أن ميمي ليست هنا لتساعده، لو كانت هنا لكانت لكزت كوامورا على خده وجعلته يقول كلاماً مفهوماً. ميمي هذه قطة ذكية، ولهذا لا تأتي إلى مكان كهذا أبداً إذ إنها تكره أن تلتقط البراغيث من القطط الأخرى. وبعد أن عبّر كوامورا عن كل تلك الأفكار التي تدور في رأسه، والتي، بالطبع، لم يفهم ناكاتا شيئاً منها، غادر مسروراً.

استمرت قطط أخرى بالرواح والمجيء. في البداية كانت تحاذر الاقتراب منه وترمقه من بعيد بانزعاج، ولكنها وبعد أن رأت أنه يقبع في مكانه فحسب دونما حراك، نسيت أمره تماماً. وكعادته، كشخص ودود لغاية، حاول ناكاتا المبادرة إلى محادثة بعض القطط، قائلاً أهلاً ثم معرّفاً بنفسه، ولكن أغلب القطط كانت تعطيه أذناً من طين وأخرى من عجين. وفكر ناكاتا أنه من عادة القطط، هنا بالتحديد، أن تعامل البشر ببرود، وأنه لا بدّ من أنها مرّت بتجارب أليمة مع البشر. ولهذا لم يشعر بأنه يحق له مطالبتها بشيء، ولم يلمها لتكبّرها عليه. ذلك لأنه يعلم جيداً أنه سيظل دوماً دخيلاً على عالم القطط.

«يمكنك أن تتكلم إذن. هه؟»، بتردد قال القط الرمادي المرقط ذو الأذنين الممزقتين. كان ينظر حوله بينما يتكلم وكان صوته عدائياً لكنه بدا لطيفاً مع ذلك.

«أجل، قليلاً»، أجابه ناكاتا.

«هذا مدهش».

«اسمي ناكاتا»، عرّفه بنفسه، «وأنت؟».

«ليس لدي اسم»، أجاب القط بهجومية.

«ما رأيك في أوكاوا؟ أتمانع لو ناديتك بهذا الاسم؟».

«لا يهم».

«إذن يا سيد أوكاوا، أتمانع بتناول بعض السردين المجفف كعربون صداقة؟».

«فكرة لذيذة، السردين من أكلاتي المفضلة».

أخرج ناكاتا من حقيبته علبة سردين ملفوفة في ورق بلاستيك وفتحها لأوكاوا، كان دائماً يحمل معه السردين لمثل هذه الظروف. التهم أوكاوا السردين، من الرأس وحتى الذيل ثم نظف وجهه بلسانه.

«جاء في حينه، ممتن جداً، يسعدني أن العق لك أي مكان في جسدك، إذا كنت ترغب».

«لا، لا داعي لهذا، ناكاتا يقدّر كرمك، ولكنني لست بحاجة الآن إلى أي لعق، شكرا جزيلا لك، في الحقيقة إنني أبحث عن قطة تائهة، لقد طلب مني أصحابها أن أبحث عنها، إنها قطة مشمشية تدعى جوما». وأخرج ناكاتا صورة جوما الملونة من حقيبته وعرضها على أوكاوا، «وقد أخبرني أحدهم أنها شوهدت في هذه الأرض الخلاء، ولهذا ناكاتا يجلس هنا منذ عدة أيام في انتظار أن تظهر، وفي الحقيقة، أود أن أسألك إذا كنت قد رأيتها هنا مصادفة؟».

نظر أوكاوا إلى الصورة فتجهم. وظهرت خطوط بين حاجبيه ورموشه وهو يركّز تفكيره. «ممنون جداً على السردين، لا تسئ فهمي، ولكني لا أود أن أتحدث في الأمر، فلو قلت شيئاً سأتعرض للمشكلات، سيرمونني في الماء الحار».

ذُهِل ناكاتا، «سيرمونك في الماء الحار إذا تكلمت؟».

«إنه أمر خطير ومُشين، أظن أنه من الأفضل لك أن تنسى أمر

تلك القطة، وإذا كنت تعرف مصلحتك، فابتعد عن هذا المكان، أنا لا أريدك أن تتعرض للمشكلات، وآسف لعدم مساعدتي لك، ولكن أرجو أن تعتبر هذا التحذير عربون امتنان لك على الطعام»، قال أوكاوا هذا وهو واقف يتلفت حوله. ثم اختفى وراء أجمة.

تنهد ناكاتا وأخرج من حقيبته ترموس الشاي وأخذ يرشف ببطء.
قال أوكاوا إن الجلوس هنا خطر، ولكن ناكاتا لا يعرف كيف، فكل ما يفعله أنه يبحث عن تلك القطة الصغيرة التائهة، وما الذي يمكن أن يكون خطيراً في هذا؟ لعله صائد القطط هذا، صاحب القبعة الغريبة، الذي وصفه كوامورا بالخطير. ولكن ناكاتا إنسان وليس قطاً، فلماذا إذن يخاف من صائد قطط؟

لكن العالم مليء بأمور كثيرة لا يحلم ناكاتا بأن يستوعبها حتى، ولذا تخلى عن التفكير في الأمر، إذ بالنسبة إلى عقله لن ينتج عن هذا التفكير الطويل سوى الصداع. رشف ناكاتا آخر رشفة شاي وأغلق الترموس بالكوب جيداً. ثم أعاده إلى حقيبته.

بعد اختفاء أوكاوا في الأجمة، لم تظهر قطط أخرى لوقت طويل. فقط الفراشات تتلاعب فوق العشب. وكان أن انتشر سرب عصافير في نواحي مختلفة من الأرض الخلاء، ثم تجمّع مرة أخرى وحلق عالياً. وكذلك غفا ناكاتا مرات قليلة، وفي كل مرة كان يصحو، يعرف الوقت بالضبط من موقع الشمس في السماء.

كان المساء على مشارفه حين جاء الكلب متجهاً نحو ناكاتا.

كلب أسود ضخم تقدّم نحوه بخطى ثقيلة وبصمت، ومن حيث كان جالساً بدا لناكاتا أن هذا الوحش أشبه بعجل منه بكلب. قوائم طويلة، وشعر قصير، وعضلات مفتولة، وأذنان حادتان كنصل السكين، ولا طوق. لم يكن ناكاتا يعرف الكثير عن فصائل الكلاب، وإنما نظرة واحدة منه لهذا الكلب كانت كافية ليدرك أنه من النوع المؤذي، أو على الأقل من الذي يصبح شريراً إذا اضطرته الظروف إلى

ذلك. ذلك النوع من الكلاب الذي يستخدمه الجيش في كتيبة K-9 كوربس[1].

عيناه خاليتان من أي تعبير، وقد فغر فمه كاشفاً عن أنياب لئيمة، وأسنان ملوثة بالدم، في الفراغات بينها قطع لحم رفيعة، وكذلك تحيط بفمه طبقة رفيعة من اللحم، أما لسانه فأحمر متوهج يلعق أسنانه كلهب من نار. راح الكلب يحملق في ناكاتا. وقعد قبالته بلا حراك ولا صوت لوقت طويل. ظل ناكاتا صامتاً ايضاً، إذ لم يكن يعرف كيف يخاطب كلباً - فهو يخاطب القطط فقط - وكانت عينا الكلب جامدتين كقطع زجاج متجمّدة في مستنقع.

تنفس ناكاتا بهدوء ودون أدنى خوف، إذ كان يعي جيداً أنه يواجه حيواناً عدوانياً وهجومياً. (ولم يكن لديه أدنى فكرة لماذا أحسّ كذلك)، لكنه لم يأخذ الأمر أبعد من ذلك بحيث يحسّ بالخطر المحدق به. كان مفهوم الموت خارج نطاق خياله، أما الألم فهو شيء لا يعرفه إلا إذا أحس به فعلاً، أما الألم المجرد فلا يعني له شيئاً، ولهذا لم يكن خائفاً من حملقة هذا الكلب المرعب به، وإنما كان فقط حائراً.

«قم»، قال الكلب.

ابتلع ناكاتا ريقه. الكلب يتحدث! لا يتحدث فعلاً، إذ لم يتحرك فمه، لكنه يتواصل معه بوسيلة ما غير الكلام.

---

(1) K-9 Corps: بعد هجوم بيرل هاربور قامت جمعية كينيل الأمريكية ومنظمة تسمي كلاب من أجل الدفاع بدعوة مربي الكلاب من كافة الولايات بالتبرع بكلاب ذات جودة لتجنيدهم في الجيش، وقد أرسل وزير الحرب الأمريكي خطابا رسميا للقيادة العليا بالبدء بتجنيد كلاب على نحو رسمي للمشاركة في الحرب. وتم تدريبهم. وتنسب إلى فرق الكي ناين هذه الكثير من الأعمال البطولية وإنقاذهم حياة الآلاف من الأمريكان.
http://www.u-s-history.com/pages/h1728.html

قم واتبعني! أمره الكلب.

امتثل ناكاتا لأوامر الكلب، ونهض بجهد على قدميه. فكّر في إلقاء التحية على الكلب، لكنه أعاد التفكير وارتأى أنه حتى لو تمكّن من محادثته فلن يكون الأمر ذا جدوى كبيرة، كما أنه لم يشعر برغبة حقيقية في محادثته، ولا في منحه اسماً، حيث لن يجدي أى جهد لتحويل هذا الكلب إلى صديق.

خطر ببال ناكاتا أن يكون هذا الكلب على صلة ما بالمحافظ: إذ ربما يكون الأخير قد اكتشف أنني أتكسب من البحث عن القطط المفقودة، وسوف يمنع عني المع- ونة، فمن الطبيعي جداً أن يكون لدى المحافظ كلب كي-ناين كهذا. ولو صحّ ذلك، لكنت في مأزق كبير.

ما إن نهض ناكاتا، حتى بدأ الكلب بالسير، فوضع ناكاتا حقيبته على كتفه وانطلق وراءه. كان ذيل الكلب قصيراً وتتدلى من مؤخرته خصيتان ضخمتان.

قطع الكلب الأرض الخلاء في خط سير مستقيم متجهاً نحو الفتحة في السور دون أن ينظر خلفه مرة واحدة، واثقاً من أن ناكاتا يتبعه لأنه كان يسمع وقع خطواته. أخذت الشوارع تصير أكثر ازدحاماً مع اقترابهما من الحي التجاري. معظم الحشد ربات بيوت يتسوقن. واصل الكلب سيره وعيناه مثبتتان إلى الأمام، وهيئته تنضح بقوة طاغية، حتى أن الناس كانوا يتنحّون جانباً مفسحين الطريق لهذا الوحش العملاق العنيف، وفضّل اثنان الترجّل عن دراجتيهما الهوائيين والعبور إلى الجهة الأخرى من الطريق تحاشياً لمواجهته.

شعر ناكاتا وهو يسير وراء هذا الكلب المروع وكأن الناس يتنحون جانباً من طريقه هو. ربما حسبوا أنه هو من يصطحب الكلب في نزهة، رغم أنه هو الذي يسير خلفه. ورجمه بعضهم بنظرات توبيخ ولوم، وأحزنه ذلك. لست أفعل هذا بملء إرادتي. أراد أن يفسّر لهم.

أراد أن يقول لهم إن الكلب هو من يقود ناكاتا، ناكاتا ليس شخصاً قوياً، بل ضعيفاً.

تبعه ناكاتا مسافة بعيدة جداً خارج السوق بعد أن عبرا عدداً من التقاطعات، وكان الكلب يتجاهل إشارات المرور الخاصة بالمشاة، إذ لم تكن الطرق واسعة، ولا السيارات سريعة. فلم يكن العبور خلال الإشارة الحمراء يشكّل مخاطرة كبيرة. وكان سائقو السيارات يوقفون سياراتهم فور رؤيتهم هذا الحيوان الضخم أمامهم. ومن ناحيته كان الكلب يكشّر عن أنيابه ويحدج السائقين بغضب وهو يعبر الطريق على مهل وبغير اكتراث. كان يعرف جيداً ماذا تعني إشارات المرور، أحسّ ناكاتا بهذا، ويتعمّد تجاهلها، فهذا الكلب يعلم جيداً ما يفعله.

ثم لم يعد ناكاتا يعلم بمكانه. وجد نفسه أولاً في منطقة سكنية يعرفها في حي ناكانو، لكنهما انعطفا بعدها باتجاه شارع ما ولم تعد المنطقة من حوله مألوفة له، فجزع. ماذا سيفعل إذا ضلّ طريقه ولم يستطع العودة؟ على حد علمه، ربما حتى خرجا من حي ناكانو، فراح ينظر حوله بحثاً عن أي مبان أو لافتات مألوفة، فلم يحالفه الحظ، إذ أنه يرى هذا الجزء من المدينة للمرة الأولى.

واصل الكلب سيره بلا مبالاة، وبوتيرة سير يعلم جيداً أنها تمكن ناكاتا من اللحاق به، رافعاً رأسه عالياً وأذناه منتصبتان، وخصيتاه تتأرجحان كالبندول.

«من فضلك، أما زلنا في حي ناكانو؟»، صاح ناكاتا.

لم يرد الكلب ولم يلتفت إليه حتى.

«أتعمل لدى المحافظ؟».

مرة أخرى، لا إجابة.

«ناكاتا فقط يبحث عن قطة مفقودة، قطة مشمشية صغيرة اسمها جوما».

لا رد.

وإذ لم يوصله هذا إلى شيء، لاذ ناكاتا بالصمت.

وصلا إلى ناصية حي سكني يضمّ بيوتاً كبيرة، ويخلو من المارة. دلف الكلب بخطاه الواسعة الجرئية من بوابة قديمة الطرز ذات ضلفتين في سور حجري قديم يحيط بأحد البيوت. وكان هناك في المرأب الداخلي سيارة ضخمة- سيارة سوداء ضخمة كالكلب تماماً، إنما برّاقة. كان باب المنزل الأمامي مفتوحاً، فلم يتردّد الكلب بالدخول. وقبل أن يدخل ناكاتا إلى المنزل خلع حذاءه الرياضي القديم ووضعه في الخارج، ثم وضع قبعته الخاصة بتسلق الجبال في حقيبته، ونفض العشب العالق ببنطاله. انتظر الكلب حتى ينهي ناكاتا ترتيب هندامه، ثم هبط السلم الخشبي النظيف قائداً ناكاتا إلى ما بدا أنه إما غرفة جلوس أو مكتبة.

كانت الغرفة مظلمة، وكانت الشمس قد غابت لتوها تقريباً، وقد أسدلت الستائر السميكة على النوافذ المطلة على الحديقة، فلم يكن هناك أي ضوء. وبعيداً في أعماق الحجرة مكتب ضخم، بدا كما لو أن أحداً ما يجلس بجواره، عرف ناكاتا أن عليه الانتظار حتى تتكيف عيناه مع العتمة ليتأكد مما يراه جيداً. ومن هناك برز له ظل غامض يجلس على كرسي دوّار، ثم استدار ليواجه ناكاتا. وحين أتم دورانه توقف الكلب عن السير وارتمى على الأرض مغمضاً عينيه.

«مرحباً»، قال ناكاتا للهيئة القاتمة أمامه.

ولم يتلقَ رداً.

«آسف على الإزعاج، أنا ناكاتا، أنا لست متطفلاً».

لا إجابة.

«أخبرني هذا الكلب أن أتبعه، وها أنا ذا، عذراً، ولكن الكلب توجه مباشرة إلى منزلك وأنا تبعته، إذا كنت تمانع وجودي فسأغادر و...».

«اجلس على الأريكة لو سمحت»، قال الرجل بصوت ناعم، وإنما قوي.

«وهو كذلك، سأجلس»، قال ناكاتا وجلس على أريكة صغيرة تتسع لشخص واحد، وبجانبه ظل الكلب قابعاً كتمثال، «هل أنت... المحافظ؟».

«شيء من هذا القبيل»، قال الرجل من الظلام. «إذا كان هذا يسهّل الأمور عليك، فلتعتبرني المحافظ، لا يهمني».

استدار الرجل وجذب سلسلة ليضيء مصباحاً طويلاً، فانتشر ضوء أصفر خافت لكنه كان كافياً لإنارة الغرفة.

كان الرجل طويلاً ونحيلاً، ويعتمر قبعة حريرية سوداء، وكان لا يزال جالساً على الكرسي الجلدي الدوّار، واضعاً قدماً فوق الأخرى، ويرتدي معطفاً أحمر، وصديرياً أسود، وحذاء أسود طويل الرقبة، وبنطالاً أبيض يلتصق برجليه. يلمس بيده اليمنى حافة قبعته وكأنه يحيي سيدة بتهذيب، أما بيده اليسرى فيمسك قبضة ذهبية مستديرة في طرف عكاز أسود. حين وقع نظر ناكاتا على القبعة أدرك: *إنه صائد القطط*.

لم تكن ملامح الرجل غريبة كملابسه، لم يكن شاباً ولا عجوزاً، لا وسيماً أو قبيحاً، وكان حاجباه رفيعين وكثيفين، ووجنتاه تتوهجان صحة، وكان وجهه ناعماً بصورة مذهلة، وبلا شاربين، أما تحت عينيه المزمومتين فترتسم ابتسامة باردة. وجه يصعب تذكره خصوصاً أن ملابسه الغريبة هي التي تلفت الأنظار أولاً، فإذا بدّلها يصير من الصعب التعرّف عليه.

«أظن أنك تعرفني».

«لا يا سيدي، للأسف لا».

يبدو على الرجل بعض خيبة الظن من رد ناكاتا. «أمتأكد أنت؟».

«أجل متأكد، نسيتُ أن أخبرك أن ناكاتا ليس ذكياً جداً».

«ألم ترني من قبل أبداً؟»، يقول الرجل وقد نهض عن كرسيه فيراه ناكاتا جانبياً وقد رفع إحدى قدميه كأنه يستعد للمشي، «ألا يذكرك هذا بشيء؟».

« آسف لا، أنا لا أعرفك».

«حسناً فهمت. ربما لست ممن يحتسون الويسكي إذن»، قال الرجل.

«هذا صحيح، ناكاتا لا يشرب الكحول ولا يدخن، فأنا فقير وأحصل على مع- ونة، ولا أملك المال الكافي لهذه الأمور».

يجلس الرجل ويسند ظهره إلى الخلف، ويضع ساقاً فوق الأخرى، ثم يحمل كأساً عن المكتب ويشرب بعض الويسكي، فترن مكعبات الثلج في الكأس، «أرجو ألا يكون لديك مانع إذا استمتعت أنا بشربه».

«لا، لا مانع لدي. خذ راحتك».

«شكراً»، يقول الرجل وهو يحملق بناكاتا. «إذن أنت لا تعرفني حقاً».

«آسف، لكنني فعلاً لا أعرفك».

يلوي الرجل شفتيه قليلاً، ولبرهة تلوح على وجهه ابتسامة باردة كاضطراب مفاجئ على صفحة ماء، ثم تتلاشى، ثم تعاود الظهور، «كلّ من يحب الويسكي يعرفني على الفور، ولكن لا عليك. اسمي جوني واكر. يعرفني تقريباً جميع الناس. لست أتفاخر، لكنني مشهور في العالم كله، إنني أيقونة، إذا شئت القول. بالطبع لست جوني واكر الحقيقي، العفو. إذ ليس لي أي صلة بشركة المشروبات الروحية البريطانية، أنا فقط استعرت اسمه وشكله، يجب على كل شخص أن يكون له اسم وشكل، ألا توافقني الرأي؟».

يسود الصمت الغرفة. لا يدري ناكاتا عمّ يتحدث الرجل، على

الرغم من أن اسم جوني واكر هذا ليس غريباً عليه، «هل أنت أجنبي يا سيد جوني واكر؟».

يحني جوني واكر رأسه. «حسناً، إذا كان هذا يساعدك على فهمي بصورة أفضل، فيمكنك أن تقول هذا، أو لا. فكلاهما حقيقي».

هنا يشعر ناكاتا بالضياع. أهو يتحدث مع القط كوامورا أم ماذا؟، «أنت أجنبي إذن، ولكنك لست أجنبياً أيضاً، أهذا ما تقصده؟».

«صحيح».

هنا لا يعود بمقدور ناكاتا التقدم بالحوار خطوة إضافية. «أأنت إذن من أمر هذا الكلب بأن يحضرني إلى هنا؟».

«أجل»، يجيب جوني واكر ببساطة.

«هذا يعني.... أنك ربما تودّ أن تطلب مني شيئاً ما؟».

«بل بالأحرى أنت الذي تودّ أن تطلب مني شيئاً ما»، يجيبه جوني واكر، ثم يغبّ مجدداً من كأسه. «فكما فهمت، لقد كنت تجلس منذ أيام في الأرض الخلاء في انتظاري».

«هذا صحيح. لقد نسيت هذا تماماً، ناكاتا ليس ذكياً جداً، وسريع النسيان. الأمر تماماً مثلما قلت، لقد كنت أنتظرك في الأرض الخلاء لكي أسألك عن قطة مفقودة».

يربّت جوني واكر بعكازه على رقبة حذائه الأسود، فيملأ الصوت أرجاء الغرفة، وترتعش أذنا الكلب الأسود، «ها قد غابت الشمس وسيبدأ المد والجزر، فلماذا لا ندخل في صلب الموضوع؟»، يقول جوني واكر، «هل أردت أن تراني بخصوص تلك القطة؟».

«هذا صحيح، السيدة كوازومي طلبت من ناكاتا أن يعثر على جوما، وأنا أبحث عنها منذ عشرة أيام تقريباً، أتعرف جوما؟».

«أعرفها حق المعرفة».

«وهل تعرف أين هي؟».

«بالطبع».

يحدق ناكاتا بالقبعة الحريرية، وقد فغرت شفتاه ذهولاً. ثم ينظر إلى وجه جوني واكر ليجده مطبقاً شفتيه في هيئة تنمّ عن الاعتداد بالنفس.

«أهي قريبة من هنا؟».

يومئ جوني واكر بضع مرات. «أجل، قريبة جداً».

ينظر ناكاتا في أرجاء الغرفة لكنه لا يرى أي قطة. ليس هناك سوى المكتب والكرسي الدوّار الذي يجلس عليه الرجل، والأريكة التي يجلس هو عليها، وكرسيان آخران ومصباح كهربائي وطاولة صغيرة وكلب، «أيمكنني إذن أن آخذ جوما معي وأعيدها إلى بيتها؟»، يسأل ناكاتا.

«يعتمد الأمر عليك».

«على ناكاتا؟».

«أجل، فالأمر كله عائد لك»، يقول جوني واكر رافعاً حاجبه قليلاً. «إذا قررت أن تأخذها فستسعد السيدة كوازومي وطفلتيها، وإلا حطّمت قلوبهن، وأظن أنك لا تريد أن تفعل هذا بهن. هل أنا محق؟».

«لا، ناكاتا لا يريد أن يحزنهن».

«وأنا أيضا مثلك تماماً، لا أريد أن أحزنهن».

«وماذا عليّ أن أفعل إذن؟».

يفتل جوني واكر العكاز في يده، «أريدك أن تسدي لي خدمة».

«شيء يستطيع ناكاتا القيام به؟».

«إذا أردت أن تطاع فمر بالمستطاع، وإلا فستكون مضيعة مشينة للوقت، ألا توافقني الرأي؟».

يفكّر ناكاتا بالأمر قليلاً، «أظن هذا».

«وهذا يعني أنني سأطلب منك شيئاً في مقدورك فعله بكل تأكيد».

يمعن ناكاتا التفكير الأمر، «أجل، أعتقد أن هذا صحيح».

«كقاعدة عامة، هناك حجة تنقض كل نظرية».

«معذرة؟»، يقول ناكاتا.

«يجب أن تكون لكل نظرية حجة مضادة وإلا لما تطور العلم»، يقول جوني واكر وهو يربت العكاز على رقبة حذائه بلا مبالاة، أما الكلب فترتعش أذناه مجدداً، «لما تطور أبداً».

يظل ناكاتا صامتاً.

«بيني وبينك، لقد كنت أبحث عن شخص مثلك منذ زمن طويل جداً»، يقول جوني واكر، «ولم يكن سهلاً أبداً أن أجد الشخص المناسب، وذات يوم رأيتك تتحدث مع قطة - فقلت لنفسي هذا هو الشخص الذي كنت أبحث عنه، ولهذا جئت بك إلى هنا، وأنا آسف حقاً لأنني تسببت لك بكل هذه المتاعب».

«لا متاعب بالمرة. ناكاتا لديه وقت كثير».

«لديّ نظريتان بشأنك»، يقول جوني واكر، «وبالطبع هناك العديد من الحجج المضادة أيضاً. الأمر أشبه بالمباراة الذهنية. وأنت تعلم أنه في كل مباراة هناك فائز وخاسر، وفي هذه الحالة يتقرر الفوز والخسارة بحسب أي النظريات صحيح، لكن أظن أنك لا تفهم ما أقوله».

يهزّ ناكاتا رأسه نفياً.

يربّت جوني واكر بعصاه على حذائه مرتين في إشارة إلى الكلب لكي ينهض.

15

يصعد أوشيما إلى سيارته ويضيء كشافاتها. يضغط دواسة السرعة فيندفع الحصى من تحت الإطارات ويرتطم بقاع السيارة. يرجع إلى الوراء ثم يستدير ليواجه الطريق، ويلوّح لي مودعاً فأرد عليه بالمثل. تختفي أضواء السيارة في الظلام، ثم يخبو تدريجياً هدير المحرك. ويسود بعدها صمت الغابة.

أعود إلى الكوخ وأغلق الباب من الداخل بالترباس. وما إن أصير وحدي، حتى يلفّني الصمت كما لو كان في انتظاري. هواء الليل بارد جداً حتى يصعب أن تصدق أننا في أول الصيف، لكن الوقت تأخر على إشعال الموقد. ليس أمامي سوى أن أتقوقع داخل حقيبة نومي وأنام قليلاً. ذهني مشوش بعض الشيء من قلة النوم، وعضلاتي مشدودة من اهتزاز السيارة لوقت طويل. أطفئ المصباح، فتعتم الغرفة، وتتكثّف الظلال في الزوايا. سيكون عناء غير ضروري الآن أن أنهض وأبدّل ملابسي، فأنسل داخل حقيبة النوم بالجينز والسترة.

أغمض عينيّ فلا يأتيني النوم، جسدي يتوسل الراحة بينما ذهني صاح كلياً. بين آونة وأخرى يكسر طائر صمت الليل. وتصلني أصوات أخرى لا أستطيع تحديدها. صوت دوس على أوراق الشجر الجافة. شيء ثقيل يهز الأغصان. صوت تنَفَس عميق. صرير ألواح أرضية

الشرفة. أصوات توحي كما لو أن جيشاً من المخلوقات الخفية تتكاثر في العتمة وتتجه نحو الكوخ لتحاصرني.

أشعر بأن أحدهم يراقبني. جلدي يحسّ بتلك العيون تحفر فيه. يدق قلبي خوفاً. أفتح عينيّ نصف فتحة مرات عدة لأدقق في أرجاء الغرفة المعتمة وأتأكد من أنه لا أحد سواي هنا. الباب مُحكم بهذا الترباس الثقيل. والستائر السميكة على النوافذ مسدلة بإحكام. إنني بخير إذن، أحدّث نفسي، لا أحد سواي في هذه الغرفة، ولا أحد يحملق بي عبر النافذة.

ومع ذلك لا أستطيع طرد هذا الشعور بأن أحدهم يراقبني. أشعر بجفاف في حلقي وبصعوبة في التنفّس. أشعر بالحاجة إلى الشرب، لكن هذا سيستدعي لاحقاً أن أبول، أي أن أخرج من الكوخ، إلا إذا استطعت أن أمسك نفسي حتى الصباح. أرقد داخل حقيبة النوم وأهزّ رأسي.

أتمازحني؟ إنك تتصرف كطفل مذعور يخشى الصمت والظلام. لن تتجابن عليّ الآن، أليس كذلك؟ لطالما اعتقدت أنك قوي، لكن ما إن وقع الفأس في الرأس، حتى بدوت كأنك على حافة البكاء. أنظر إلى نفسك، أراهن أنك على وشك أن تبول على نفسك الآن!

أتجاهله. أغمض عينيّ بقوة، وأشد سحّاب حقيبة النوم حتى يصل إلى أنفي وأصفّي ذهني من الهواجس. لا أفتح عينيّ لأي سبب، لا حين أسمع نعيق بومة، ولا صوت الارتطام المكتوم عندما يقع شيء على الأرض في الخارج، ولا حتى عندما أشعر بحركة داخل الحجرة نفسها. هذا *اختبار*. أقول لنفسي، أوشيما أمضى هنا أياماً عدة بمفرده، وكان في مثل عمري الآن، لا بدّ من أنه كان مرعوباً مثلي، هذا ما قصده عندما قال *للعزلة تنويعات مختلفة*. أوشيما يعرف جيداً كيف سأشعر وحيداً في هذا الليل، لأنه خاض التجربة نفسها، وعرف المشاعر عينها. تساعدني هذه الفكرة على الاسترخاء قليلاً. أشعر أنني

قادر على تتبع ظلال الماضي الماكث هنا، وأن أتخيل نفسي جزءاً منه. آخذ نفساً عميقاً وأقع في النوم فجأة.

عندما أستيقظ تكون الساعة قد تجاوزت السادسة فجراً. الهواء مزدحم بتغريد الطيور المنهمكة في القفز من غصن لآخر، منادية على بعضها بزقزقات حادة، تخلو من ذلك الصدى العميق وتلك الرسائل الضمنية التي كانت تحملها ليلة أمس. أزيح الستائر فأجد الظلمة قد تبددت حول الكوخ. كل شيء يتوهّج بشعاع ذهبي جديد. أشعل الموقد وأغلي مياهاً معدنية وأعد كوب شاي بابونج، ثم أفتح كيس مقرمشات بالجبنة وأتناول قليلاً منه، وبعدها أغسل أسناني ووجهي في المغسلة.

أرتدي سترة رياضية فوق سترة البحّارة وأخرج من الكوخ. يخترق ضوء الصباح الأشجار الطويلة ويملأ الفسحة أمام الكوخ. وأشعة الشمس في كل مكان والندى كالأرواح الطازجة. ومع كل نفس يخترق رئتي هواء نقي منعش، أجلس على سلالم الشرفة، وأصغي إلى زقزقة الطيور وهي تتنقّل أزواجاً من شجرة لأخرى، والواحد منها ينظر إلى رفيقه ليتأكد من أنه لا يزال قربه، ويزقزق ليبقى على اتصال معه.

أتتبع صوت الماء نحو الجدول، إنه قريب جداً. تشكّل الصخور نوعاً من بركة يتدفق في داخلها الماء في متاهة من الدوامات قبل أن يندفع خارجها ويلتحق بالجدول. ماء صاف رائع، أغرف منه، فأجده بارداً ومنعشاً. أترك يدي في المياه الجارية.

في الكوخ أطهو لحم خنزير مقدد وبيضاً في المقلاة، وأحمّص خبز التوست على شبكة معدنية، وأسخّن الحليب في غلاية صغيرة ليساعدني على هضم الطعام. بعدها أُخرج كرسياً إلى الشرفة وأجلس رافعاً رجليّ على الدرابزين وأمضي الصباح في القراءة. الرف متكدّس بالكتب، بعضها روايات، كلاسيكية بشكل أساسي، وأغلبها كتب في الفلسفة وعلم النفس والتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والاقتصاد،

مجموعة عشوائية من المجالات. قال أوشيما إنه نادراً ما كان يذهب إلى المدرسة، لا بدّ من أن هذه كانت طريقته في تثقيف نفسه.

أختار كتاباً عن محاكمة أدولف إيخمان. لدي فكرة ضبابية عنه تنحصر في أنه كان مجرم حرب نازياً. لا يهمني الرجل نفسه، لكن لفت الكتاب نظري فحسب. أبدأ في القراءة فأعرف كيف أن هذا المُقدِّم في جهاز «الأس أس»، الذي يتسم بالعملية الشديدة، بنظاراته ذات الإطار المعدني، وشعره القليل، بعد اندلاع الحرب مباشرة، أوكلت له القيادة النازية مهمة إيجاد حل نهائي لليهود - إبادتهم، هذا هو المصطلح. وكيف استقصى عن أفضل وسيلة لتنفيذ الأمر. من الواضح أنه لم يفكّر إطلاقاً بأخلاقية ما كان يفعله، فكل ما كان يهمّه هو التوصل إلى كيفية التخلص من اليهود بأفضل طريقة، وفي أقصر مدة زمنية ممكنة، وبأقل كلفة ممكنة، ونحن نتحدث هنا عن 11 مليون يهودي في أوروبا، رأى هو أن الضرورة تستدعي إزالتهم.

قام إيخمان بدراسة عدد اليهود الذين يمكن تحميلهم على كل عربة سكة حديد، وما هي نسبة من سيموت منهم بشكل «طبيعي» أثناء عملية الترحيل، وما الحد الأدنى المطلوب توافره من الأفراد لتنفيذ هذه العملية، وما هي أرخص طريقة للتخلص من الجثث- حرقها أم دفنها أم تذويبها. يجلس إيخمان إلى مكتبه، وينكبّ على دراسة الأرقام، وما إن أعطى الأمر بالتنفيذ، حتى سار كل شيء مثلما خطط له تقريباً. وبنهاية الحرب كان قد تم التخلص من نحو ستة ملايين يهودي. الغريب أن الرجل لم يشعر بأقل ندم، فقد بدا وهو جالس في قاعة المحكمة بتل أبيب، خلف ساتر زجاجي مضاد للرصاص، وكأنه لا يستطيع، مهما حاول، أن يفهم لماذا يُحاكم. أو لماذا تتجه أنظار العالم كلها إليه. فهو مجرد تقني، أُوكلت إليه مهمة التوصل إلى أكثر الحلول فاعلية لمشكلة ما. ألم يفعل ما كان سيفعله أي موظف بيروقراطي آخر مكانه؟ فلِمَ إذن اختاروه هو بالذات؟

أقرأ قصة هذا الرجل العملي وأنا جالس في الغابات الهادئة، وذلك الحشد من الطيور يغرّد من حولي. في نهاية الكتاب خطّ أوشيما ملحوظة بقلم رصاص، من السهل التعرف إلى خطه.

المسألة كلها مسألة خيال. مسؤوليتنا تبدأ بالقدرة على التخيل. كما قال ياتس: في الأحلام تبدأ المسؤولية، اعكس هذه الفكرة وبوسعك القول إنه لا يمكن أن تنشأ مسؤولية بلا قدرة على التخيل، تماماً كما نرى في حالة إيخمان.

أتصور أوشيما جالساً على هذا الكرسي، في يده قلمه الرصاص المبري جيداً كالمعتاد، مسترجعاً الكتاب ومسجلاً انطباعاته. *في الأحلام تبدأ المسؤولية*. كلمات تعبّر تماماً عن جوهر المسألة.

أغلق الكتاب وأضعه في حجري وأروح أفكر في مسؤوليتي أنا. لا يسعني منع نفسي من التفكير في الأمر. لقد كانت كنزتي البيضاء ملطخة بالدم الذي غسلته بيديّ هاتين، وكان كثيراً بحيث اصطبغت المغسلة بالأحمر. أتصور أنني سأُحاسَبُ على هذا الدم. أحاول أن أتصور محاكمتي. يتكالب المدّعون لإدانتي، ويؤشّرون نحوي غاضبين. وأنا أصرّ على أنه لا تجوز محاسبة المرء على شيء لا يستطيع تذكّره. أقول لهم: لا أدري ما حدث فعلاً. لكنهم يردّون بهذا: «لا يهم حلم من الذي بدأ الأمر، فلديك الحلم نفسه. ولذا تتحمّل المسؤولية عن كل ما حدث في الحلم. هذا الحلم تسلل إلى داخلك، إلى رواق روحك المظلم».

تماماً مثل أدولف إيخمان العالق- شاء ذلك أم أبى- في الأحلام المنحرفة لرجل يُدعى هتلر.

أضع الكتاب على الشرفة، أنهض وأمطّ جسمي. لقد قرأت لفترة طويلة

ويجب أن أتحرك قليلاً. آخذ الدلو الألومنيوم من المغسلة وأذهب لملئه من الجدول، ثم آتي بحزمة حطب من السقيفة خلف الكوخ وأضعه في الموقد.

ثمة في زاوية الشرفة حبل نايلون بال لنشر الغسيل. أُخرج الملابس المبللة من حقيبتي، أنفضها في الهواء وأنشرها. وأفرد ما تبقى في الحقيبة على السرير، ثم أجلس إلى المكتب وأبدأ في تدوين أحداث الأيام القليلة الماضية في دفتر يومياتي. أستخدم قلم حبر رقيق الرأس وأكتب بكلمات صغيرة كل ما حدث معي، إذ لا أعرف إلى متى سأظل متذكراً كل هذه التفاصيل، فمن الأفضل إذن أن أدوّنها في أسرع وقت ممكن. أغوص في ذاكرتي محاولاً أن أعرف كيف فقدت وعيي واستعدته في غابة خلف معبد. الظلام والكنزة المضرجة بالدماء، مكالمة ساكورا، قضاء الليل في شقتها، كيف تحادثنا، وكيف فعلت لي *ذلك الشيء*.

قالت لي لا أفهم لِمَ تخبرني بهذا! لماذا لا تتخيل ما تشاء؟ فأنت لا تحتاج إلى إذن مني. وكيف لي أن أعرف ما يدور بذهنك؟

لكنها لم تفهم قصدي. قد يكون ما أتخيله بالغ الأهمية. للعالم بأسره.

أقرر عصراً الخوض في الغابة. حذّرني أوشيما من أن الابتعاد في داخلها خطر جداً، قائلاً: *لا تدع الكوخ يغيب عن نظرك*. لكن يحتمل أن أبقى هنا أياماً، وعليّ أن أستكشف قليلاً هذا الجدار الصلب من الغابات الذي يحيط بي. فبعض العلم بالشيء أفضل من الجهل به تماماً. أغادر الفسحة المشمسة وأخطو داخل بحر الأشجار المعتم.

هناك درب وعر باتجاه الغابة، معظمه على سوية الأرض، مع بعض الحجارة الملساء الأشبه بأدراج حجرية. وقد دعمت بعض أنحائه بالألواح الخشبية، حتى إذا نما العشب عليها يظل بإمكانك اتباع الدرب.

لعله أخ أوشيما الذي مهّد هذا الدرب شيئاً فشيئاً خلال فترات إقامته في الكوخ. أتبع الدرب نحو الغابة، صعوداً في البداية، ثم انحداراً حول صخرة كبيرة، قبل أن يرتفع الدرب مجدداً. أغلبه على شيء من العلو، لكن تسلقه ليس شاقاً. تصطف على جانبيه أشجار طويلة باهتة الجذوع، وقد امتدت أغصانها المتشابكة في جميع الاتجاهات، وكستها الأوراق الكثيفة. الأرض مكسوة بأجمات وسراخس تدبرت أمرها لتتشرب الضوء الخافت بقدر استطاعتها، بينما نمت الطحالب بصمت في الأماكن التي لا تصل إليها الشمس وغطت الأحجار.

وكشخص يسترسل في الحكي بحماسة وفجأة تتناقص كلماته ثم تختفي تماماً، يضيق الدرب بي كلما أوغلت فيه، تستولي عليه الأجمات، وعند نقطة ما يصير من الصعب أن تحدد ما إذا كان هذا هو الدرب فعلاً أم مجرد شيء ضبابي يشبهه، وفي النهاية تبتلعه كلياً بحار السرخس. لعله يستمر صعوداً إلى الأمام، لكنني أقرر أن أوفر استكشاف ذلك للرحلة القادمة، فلست جاهزاً من حيث الملابس، ولم أعدّ نفسي فعلياً لرحلة كهذه. أتوقف عن السير وأستدير. لا شيء يبدو مألوفاً، لا شيء لأتشبث به، حاجز ضخم من جذوع الأشجار يحجب الطريق قدماً. والجو معتم، والهواء مشحون برائحة خضرة راكدة، ولا صوت لطائر واحد.

فجأة تعتريني قشعريرة، فأحدّث نفسي: لا شيء يستدعي القلق، ها هو الدرب هناك. وطالما لم يغب عن نظري، فسأتمكن من العودة إلى الضوء. ألصق عينيّ بالأرض وأخطو متراجعاً بحرص، وبعد وقت أطول بكثير مما استغرقني الوصول إلى هنا، أعود أخيراً إلى الكوخ. يغمر نور شمس أول الصيف الفسحة كلها، ويتردّد صدى الطيور واضحاً وهي تبحث عن قوتها. كل شيء كما تركته تماماً، أو على الأقل هذا ما بدا ليْ. ما زال الكرسي في موضعه على الشرفة، والكتاب الذي كنت أقرأه على الأرض مثلما تركته.

الآن أدرك بالضبط مدى خطورة الغابة، وأرجو ألا أنسى هذا أبداً. تماماً كما قال كرو، العالم مليء بالأشياء التي لا أدري عنها شيئاً، ككل تلك الأشجار والنباتات هناك مثلاً. لم أكن أتخيل قط أن الأشجار يمكن أن تكون غامضة وغريبة الأطوار إلى هذه الدرجة، أعني أن كل ما قد رأيته أو لمسته من نباتات حتى الآن كان مدينياً؛ أشجار وأعشاب معتنى بها جيداً ومشذّبة بأناقة. بينما النباتات هنا- هذه التي تحيا هنا- مختلفة تماماً. فهي تملك حضوراً فيزيائياً خاصاً بها، ولا يستطيع أي بشري يصادف مروره قربها ألا يشعر بأنفاسها. إنها تسدّد مدافعها نحو الدخيل وكأنه فريستها، وكأنها تتمتع بقوى قاتمة سحرية تعود إلى ما قبل التاريخ. مثلما تتحكم حيوانات أعماق البحار في أغوارها، فإن أشجار الغابات تتمتع هنا بالسيادة المطلقة. تستطيع الغابة أن ترفضني لو أرادت، أو أن تبتلعني كلياً، لا بأس إذن من أن أبدي لها بعض الخوف والاحترام المعقولين والصحيين.

أعود إلى الكوخ. أخرج بوصلتي من حقيبتي وأتحقق من أن الأبرة تشير إلى الشمال، قد أحتاج إليها في وقت ما، أدسّها في جيبي، وأعود إلى الشرفة. أتأمل الغابات وأستمع عبر «الووكمان» إلى موسيقى فرقة «كريم» و«ديوك ألينجتون» التي سجّلتها من مجموعة أقراص مدمجة في المكتبة. أعيد سماع موسيقى «كروسرودز». الموسيقى تساعدني لكي أهدأ، لكنني لا أستطيع الاستماع طويلاً إليها، فلا يوجد هنا كهرباء، وما من طريقة لإعادة شحن البطاريات، وإذا نفدت بطارياتي الإضافية فسأحرم كلياً من الموسيقى.

قبل العشاء أمارس الرياضة، تمارين لعضلات البطن والجذع واليدين والرجلين، وأنواع مختلفة من تمارين التمدد- تضمن للمرء التمتع باللياقة الجسدية من دون معدّات. أعترف أنها مملة جداً، لكنها توفر قدراً معقولاً من الرياضة. وقد تعلّمتها من مدرّب في صالة الجمنازيوم،

«إنه النظام المفضل لدى السجناء في الحبس الانفرادي»، شرح لي المدرِّب «إنها التمارين الرياضية الأكثر وحدة في العالم». أُركّز تفكيري فيما أفعله، وأنجز عدة مجموعات من التمارين حتى يتبلل قميصي عرقاً.

بعد إعداد وجبة بسيطة وتناولها أخرج إلى الشرفة وأتأمل النجوم الساطعة. ملايين النجوم المتناثرة عشوائياً التي لا يرى المرء مثلها حتى في قبة سماوية. بعضها يبدو ضخماً فعلاً ومميزاً جداً عن سواه، فتشعر أنك إذا مددت يديك نحوه يمكنك أن تلمسه. مشهد أخّاذ.

بيد أنها ليست مجرد شيء جميل. فالنجوم هنا، كالأشجار، حية تتنفس. إنها تراقبني، وتعرف كل ما فعلته حتى هذه اللحظة، وما سوف أفعله. لا شيء يفوت عيونها المترصدة. وفيما أجلس هناك تحت سماء الليل البراقة، ينتابني، مرة أخرى، خوف غامر، وأشعر بضيق نفس. ملايين النجوم تنظر إليَّ الآن من أعلى، مع أنني لم أفكر بها من قبل إلا لماماً. ليست النجوم فقط، كم هي الأشياء الأخرى في العالم التي لم ألحظها من قبل، ولا أعلم شيئاً عنها؟ أشعر فجأة بالعجز، وبأنني أَعْزَلَ كلياً. وأعلم أنني لن أتجاوز هذا الشعور الرهيب.

أعود إلى الكوخ. أرتب الأخشاب في الموقد بعناية. أكوِّر ورق صحيفة قديمة وأشعلها، وأتأكد من أن الحطب التقط النار. كنت قد تعلمت إشعال النار في المعسكر الذي أرسلوني إليه أثناء المدرسة الابتدائية. كرهت المعسكر، لكن يبدو أنه أفادني بشيء واحد على الأقل. أفتح فتحة التهوئة في الموقد لكي يخرج الدخان. في البداية لا يتم الأمر جيداً، ولكن حين يمسك أحد ألسنة النار بإحدى الحطبات تمتد النار إليها جميعاً. أغلق فتحة الموقد وأضع كرسياً أمامه، وأضع مصباحاً بالقرب مني وأواصل القراءة في كتابي من حيث توقفت، وحين تشتعل النار جيداً أضع غلاية بها بعض الماء، وبعد فترة تبدأ بالغليان الباعث على الحبور.

أعود إلى إيخمان. بالطبع لم يمض مشروعه على الدوام بحسب الخطة التي وضعها. إذ أبطأت الظروف في العديد من المحطات سير الأمر، وحين حدث هذا تصرف إيخمان كإنسان- على الأقل بالحد الأدنى من الإنسانية- إذ إنه غضب. استشاط غضباً من تلك العوامل المفاجئة التي أخلّت بنظام خطته الدقيقة. فقد تأخرت قطارات عن مواعيدها، وعلّقت بيروقراطية اللوائح والقوانين بعض الأمور. حتى حين تمّ استبدال بعض المسؤولين، لم تسر الأمور جيداً مع خلفائهم. وبعد سقوط الجبهة الروسية، أُرسل حرس معسكرات الاعتقال لكي يحاربوا هناك. راح الثلج يسقط بغزارة. وازداد انقطاع التيار الكهربائي. ولم تعد كميات الغاز السام كافية. وتعرّضت السكك الحديدية للقصف. كره إيخمان الحرب نفسها بوصفها عامل الاضطراب الذي أفسد خططه.

خلال محاكمته، وصف إيخمان هذا كله، من دون أن يبدو على وجهه أثر عاطفي. كانت ذاكرته مذهلة. إذ بدا أن حياته كلها كانت تدور حول تلك التفاصيل.

عند العاشرة أترك الكتاب. أغسل أسناني ووجهي. وهج الموقد يغمر الغرفة بنور برتقالي، ويخفّف دفئه توتري وهواجسي. أقعي في حقيبة نومي مرتدياً الكنزة الخفيفة و«البوكسر» فقط. مقارنة بالليلة الماضية، أستطيع أن أغمض عيني بسهولة. أتذكّر ساكورا.

«كنتُ أفكر كم كان سيكون الأمر جميلاً لو كنت أختك الحقيقية»، قالت ساكورا.

لا شيء من هذا الليلة، عليّ أن أنام. ينقلب عود حطب في الموقد. تنعق بومة في الخارج. وأدخل في حلم ضبابي.

اليوم التالي يأتي مشابهاً. توقظني الطيور بعد السادسة بقليل. أغلي الماء، وأعد كوب شاي وإفطاراً. أقرأ على الشرفة، أسمع الموسيقى، أملأ الدلو

من الجدول. ثم أذهب للسير داخل الغابة، هذه المرة أحمل بوصلتي، وأنظر إليها بين الحين والآخر لآخذ فكرة عامة عن موقعي من الكوخ. وجدت بلطة في السقيفة. أستخدمها لصنع خدوش بسيطة على جذوع الأشجار كعلامة. أزيح بعض الأجمات لتيسير المرور على الدرب.

كالأمس تماماً، الغابة معتمة وعميقة، تنتصب الأشجار الشاهقة على كلا الجانبين مثل حائط سميك. شيء ما من الغابة يختبئ هناك في الظلمة بين الأشجار، كلوحة ثلاثية الأبعاد لحيوان ما يراقب جميع سكناتي. إنما لم يعد الخوف الذي اقشعرّ له بدني المرة الماضية حاضراً. لقد اتخذت الترتيبات المناسبة، وإذا التزمت بها فلن أضل الطريق.. هذا ما آمله على الأقل.

أصل إلى حيثما توقفت بالأمس ثم أتقدّم. بعد بحر السرخس يعاود الدرب الظهور، ومرة أخرى أجدني محاصراً بحائط من الأشجار التي أخدش جذوعها، في مكان ما بين الأغصان العالية يحلّق طائر ضخم، لكنني لا أراه حين أنظر إلى أعلى. يجفّ ريقي.

أسير مدة حتى أصل إلى فسحة مستديرة تبدو، وهي محاطة بالأشجار الشاهقة، قاع بئر سحيقة. ينساب ضوء الشمس من بين الأغصان كدائرة مصباح ينير الأرض تحت قدميّ. ثمة شيء خاص في هذه البقعة. أجلس في ضوء الشمس وأدع الدفء الخفيف يغمرني، أخرج قطعة شوكولاتة من جيبي وأتلذّذ بمذاقها الحلو. أدرك بوضوح مرة أخرى مدى أهمية نور الشمس للبشر، أقدِّر قيمة كل ثانية من هذا النور الغالي. يتلاشى ذلك الإحساس العميق بالعزلة والعجز الذي سيطر عليّ بالأمس تحت ملايين النجوم. ومع هذا، وبمرور الوقت، تتبدّل زاوية الشمس ويبدأ نورها بالتلاشي. أنهض وأقتفي أثر الدرب راجعاً أدراجي إلى الكوخ.

عصراً، تكفهر السماء فجأة، وينهمر وابل من المطر قارعاً على سقف

الكوخ ونوافذه. أتعرى تماماً وأهرع إلى الخارج، أغسل وجهي بالصابون وأفرك كل قطعة من جسدي. إحساس رائع. ووسط بهجتي هذه أغمض عينيّ وأصرخ بكلمات لا معنى لها وقطرات المطر الضخمة ترتطم بخدّيّ وعينيّ وصدري وخاصرتي وعضوي وساقَيّ ومؤخرتي- الألم الناجم عنها أشبه بطقوس العمادة، يصاحبه شعور بالحميمية، وكأن العالم - للمرة الأولى في حياتي- يعاملني بشكل لائق. أشعر بالزهو، وكأنني قد تحرّرت فجأة ودون مقدمات. أواجه السماء، باسطاً يدي نحوها، وفاتحاً فمي على وسعه لأبتلع قطرات المطر.

أعود إلى الداخل. أجفف نفسي وأجلس على السرير وأنظر إلى عضوي- فاتح اللون وقوي ويافع- ما زال رأسه يتألم من لسع المطر. أتأمل هذا العضو الغريب الذي- أغلب الوقت- له عقله الخاص به، وتراوده أفكار لا يشاركه فيها عقلي.

أتساءل هل عانى أوشيما، عندما أقام هنا وكان في مثل سني، من الرغبات الجنسية؟ لا بدّ من أنه عانى منها، لكنني لا أستطيع تخيله وهو يدبّر أمره بنفسه. فهو شديد الانفصال عن ذاته عاطفياً، وأروق بالاً من أن يمارس ذلك.

«كنت مختلفاً عن الآخرين»، هذا ما قاله لي، لا أدري ماذا يعنى هذا، لكنني واثق من أنه ما كان يعبّر فحسب عن فكرة عابرة، لا بل كان يلعب دور الرجل الغامض أيضاً.

يخطر لي الاستمناء لكنني أتراجع عن الفكرة. لقد لطمني المطر بقوة تشعرني بالتطهر، وأود أن أحتفظ بهذا الشعور لأطول وقت.

أرتدي «البوكسر» وأستنشق الهواء بعمق مرات عدة، ثم أمارس تمرين الضغط ، مئات المرات، ثم مئات تمارين الصدر، كل مرة أركز على مجموعة عضلات معينة. أشعر بصفاء ذهني فور فراغي من التمارين. توقف المطر وأشرقت الشمس مجدداً من بين الغيوم. وعادت زقزقة الطيور.

لكنّ هذا الهدوء لن يدوم طويلاً. تعرف هذا. الأمر أشبه بالحيوانات المفترسة التي لا تكل من مطاردتك، قبل أن تنقضّ عليك من قلب الغابة. حيوانات جبّارة لا تعرف الكلل أو الاستسلام. قد تتحكم في نفسك الآن فلا تستمني، لكن هذه الحيوانات ستنال منك في النهاية، في حلم مبلل. قد تحلم بأنك تغتصب أختك أو أمك. لا يمكنك التحكم في هذا، فهي قوة تفوق قوتك- ولا يسعك سوى تقبّلها.

تخاف من الخيال، وتخاف أكثر من الأحلام. من المسؤولية التي تبدأ في الأحلام. لا بدّ لك من أن تنام، والأحلام جزء من النوم. يمكنك وأنت مستيقظ أن تقمع الخيال، أما الأحلام فلا يمكنك قمعها.

أرقد في السرير وأستمع لموسيقى «برنس» عبر «الووكمان». أنصت إلى انسيابها المدهش. تنفد البطاريات في منتصف «ليتل ريد كورفيت»، وتختفي الموسيقى فجأة، وكأنها دُفنت في الرمال المتحركة. أنزع سماعتَي الأذن، وأصخي السمع. الصمت- أكتشف - هو شيء يمكنك حقاً سماعه.

16

ينهض الكلب الأسود ويقود ناكاتا خارج حجرة المكتب، ويهبط به درجاً مظلماً يؤدي إلى مطبخ مظلم أيضاً رغم وجود نافذتين به. المطبخ نظيف ومرتّب، وينطوي على سكون علمي كما لو كان مختبراً مدرسياً. يتوقف الكلب أمام ثلاجة ضخمة، ويلتفت إلى ناكاتا ويرمقه بنظرة باردة.

افتح الضلفة اليسرى، يقول صوت خافت. ويعرف ناكاتا أنه ليس صوت الكلب وإنما هو جوني واكر يكلمه من خلال الكلب وينظر له من خلال عينيه أيضاً.

ينفّذ ناكاتا الأمر. الثلاجة الخضراء أطول من قامة ناكاتا، وحين يفتح الباب الأيسر تصدر تكة الترموستات، وتدب الحياة بالمحرّك، بينما يهبّ من الداخل بخار أبيض كالضباب. كان هذا باب «المجمّدة».

في الداخل نحو عشرين غرضاً مدوراً، تشبه الفواكه، صفّت بترتيب. ولا شيء آخر. يميل ناكاتا عليها ليمعن النظر فيها. وحين ينقشع البخار، يكتشف ناكاتا أنها ليست فواكه بالمرة، وإنما رؤوس قطط مذبوحة. رؤوس منزوعة الجسد من كل حجم ولون، وقد رتبت على ثلاثة أرفف كالبرتقال في محل بيع الفاكهة، كانت رؤوس القطط مجمدة ووجوهها إلى الأمام. يبتلع ناكاتا ريقه.

أنظر ملياً، يأمره الكلب. تأكد بنفسك إن كانت جوما من بينها أم لا.

ومرة أخرى يمتثل ناكاتا للأوامر، ويتحقق من وجوه القطط واحداً بعد الآخر. لم يكن خائفاً، إذ كان ذهنه مركزاً فقط على إيجاد القطة الصغيرة. تفحّص بدقة جميع الرؤوس حتى تيقن أن رأس جوما ليست بينها. بكل تأكيد، ليس بينها قطة مشمشية. لم يكن ثمة أي تعبير على وجوه القطط، لم يبد على أي واحدة منها أنها عانت، وهذا بالحدّ الأدنى، جعل ناكاتا يتنهد بارتياح. بعض الوجوه مغمض العينين، فيما أغلبها يحدق بلا تعبير في الفراغ.

«لا أرى جوما هنا»، يقول ناكاتا بنبرة حيادية، ثم يتنحنح ويغلق الثلاجة.

أمتأكد أنت؟

«أجل متأكد».

ينهض الكلب ويعود بناكاتا إلى المكتب. حيث لا يزال جوني واكر بانتظاره على الكرسي الدوار. وحين يدخل ناكاتا يحييه جوني واكر بأن يلمس طرف قبعته الحريرية ويبتسم بحبور. ثم يصفق مرتين فيغادر الكلب الحجرة.

«أنا من قطع رؤوس هذه القطط»، يقول جوني واكر، ثم يرفع كأسه ويشرب، «كلها».

«أنت إذن من يصطاد القطط من الأرض الخلاء ويقتلها».

«صحيح، قاتل القطط المجهول جوني واكر في خدمتك يا سيدي».

«ناكاتا لا يفهم هذا جيداً، فهل تمانع لو سألتك سؤالاً؟».

«بكل سرور»، يجيبه جوني واكر وهو يدني كأسه من شفتيه، «تصرّف على راحتك واطرح ما شئت من الأسئلة، ومع ذلك وتوفيراً الوقت، إن لم يكن لديك مانع، أعتقد أن أول ما تريد معرفته هو سبب

قتلي لجميع هذه القطط، ولِمَ أحتفظ برؤوسها؟ صحيح؟».

«صحيح، هذا ما يرغب ناكاتا في معرفته».

يضع جوني واكر كأسه على المكتب وينظر مباشرة إلى ناكاتا، «هذا سري الخاص ولا أطلع عليه أحداً، لكنني سأقوم باستثناء من أجلك يا سيد ناكاتا، وأريد منك ألا تفشي السر لأحد، وإن كان هذا لا يعني أنك ستجد من سيصدقك في حال أفشيت لك به»، يقهقه جوني واكر.

«اسمعني، أنا لا اقتل القطط لمجرد المتعة، فلست منحرفاً إلى هذا الحدّ بحيث أجد أي متعة في أمر كهذا، لست مجرد باحث عن التسلية لديه وقت فراغ، الأمر يستغرق وقتاً وجهداً كبيرين لجمع هذا العدد من القطط وقتله. إنني أقتلها فقط لكي أجمع أرواحها، وأستخدمها في صنع ناي مميز. ناي بمجرد أن أنفخ فيه أجمع أرواحاً أكبر من أرواح القطط، وعندما أجمع المزيد من الأرواح أصنع ناياً أكبر، وفي النهاية قد أتمكن من صنع ناي بحجم الكون. لكنني بدأت بالقطط. جمع أرواح القطط هو الخطوة الأولى في المشروع كله. إذ لكل شيء نظام أساسي يجب اتباعه. وهذا نوع من إبداء الاحترام، أن تقوم بكل شيء بالترتيب الصحيح. هذا ما يجب أن تفعله حين تتعامل مع أرواح الآخرين، فأنا لا أتعامل مع الأناناس أو البطيخ هنا، أتوافقني الرأي؟».

«أجل»، يجيبه ناكاتا، لكنه فعلياً لم يفهم شيئاً مما قاله. ناي؟ أهو ناي يمكن حمله من الجانبين؟ أم قد يكون أداة تسجيل؟ وما هو الصوت الذي يصدره؟ وماذا يقصد بأرواح القطط؟ كل هذا يفوق قدرة ناكاتا المحدودة على الاستيعاب. وكل ما يهمه في الأمر هو أن يجد جوما ويخرجها من هنا.

«لا تريد سوى أن تعيد جوما إلى البيت»، يقول جوني واكر وكأنه يقرأ أفكاره.

«هذا صحيح، ناكاتا يريد أن يعيد جوما إلى بيتها».

«هذا من حقك، إنها مهمتك»، يجيبه جوني واكر. «كلنا نسعى إلى إنجاز مهامنا في الحياة، هذا طبيعي، أظن أنك لم تسمع صوت ناي مصنوع من أرواح القطط من قبل، أليس كذلك؟».

«لا، لم أسمع».

«بالطبع لم تسمع، لا يمكنك سماعه بأذنيك».

« أهو ناي لا يمكن سماعه؟».

«أجل. بالطبع أستطيع أنا سماعه»، يجيبه جوني واكر، «لو لم أكن أستطيع سماعه لما كان هناك داع لكل هذا. بيد أن البشر العاديين لا يمكنهم سماعه، حتى وإن سمعوه فلن يميزوه، قد يكونون سمعوه في الماضي لكنهم لن يتذكروه. ناي عجيب بالتأكيد. ولكن، من المحتمل- وهذا مجرد احتمال- أنه يمكنك أنت يا سيد ناكاتا أن تسمعه، لو كان الناي معي الآن لكنا جرّبنا، ولكنه للأسف ليس معي».

ثم، وكأنما ذكّره هذا بأمر ما، يرفع إصبعاً ويقول «في الحقيقة كنت على وشك أن أبدأ في قطع رؤوس القطط التي جمعتها مؤخراً. حان وقت الحصاد، إذ اصطدت جميع القطط التي أمكنني اصطيادها من تلك الأرض الخلاء، وها قد حانت الخطوة التالية. أما القطة التي تبحث عنها، جوما، فهي بالفعل من بينها، وبالطبع إذا نزعت رأسها، فلن يمكنك إعادتها إلى أسرة كوازومي، ألا تعتقد هذا؟».

«هذا صحيح»، يقول ناكاتا، «إذ لن يمكنه أبداً أن يأخذ جسد جوما منزوع الرأس لأسرة كوازومي، فلو رأته الفتاتان الصغيرتان قد تمتنعان عن تناول الطعام مدى الحياة».

«لكنني أريد رأسها، وانت لا تريد لهذا أن يحدث. إنه صراع بين مهمة كلّ منا ومصلحته. وهذا الصراع يحدث كثيراً في العالم. ولهذا، دعني أقول لك شيئاً - سنتفاوض. أقصد أنك إذا فعلت شيئاً لأجلي، فسأرد لك الجميل، وأعيد لك جوما سليمة».

يضع ناكاتا يده على رأسه ويأخذ بهرش شعره بقوة، كعادته حين يحيره أمر ما، « أهو شيء بمقدوري فعله؟».

«أعتقد أننا سبق واتفقنا على ذلك»، يقول جوني واكر بابتسامة غريبة.

«نعم، اتفقنا» يقول ناكاتا وقد تذكّر، «هذا صحيح، اتفقنا فعلاً، عذراً».

«ليس لدينا وقت، ولهذا- إن لم يكن لديك مانع- سأختصر، أريد منك أن تقتلني. أن تسلبني حياتي».

يد ناكاتا لا تزال على رأسه. يحملق طويلاً بجوني واكر، قبل أن يسأله: «أتريد من ناكاتا أن يقتلك؟».

«أجل»، يجيب جوني واكر، «بكل صدق لقد تعبت وسئمت هذه الحياة، لقد عشت طويلاً، طويلاً جداً، حتى أنني ما عدت أذكر كم أصبح عمري، ولا أريد أن أحيا أكثر من ذلك، لقد تعبت ومللت من قتل القطط ، وما دمت حياً، فسيتحتم عليّ الاستمرار في هذا- قتل القطط وحصد أرواحها- والقيام بالأمور بالترتيب الصحيح، من الخطوة الأولى حتى الأخيرة، ثم مجدداً إلى ما لانهاية. . كفاني! وما من أحد يحترم ما أفعله أو يسعده. لكن الوضع ثابت على حاله. لا أستطيع أن أقف فجأة وأعلن أنني «مستقيل». وأتوقف عما أفعله، وليس من ضمن خياراتي أن أنهي حياتي بنفسي، فهذا مقرر سلفاً أيضاً. هناك شتى القواعد التي تنص على ذلك. فإذا أردت أن أموت، عليّ أن أجد شخصا آخر ليقتلني. وهنا يأتي دورك. أريدك أن تخاف مني، ثم أن تكرهني كرهاً جارفاً - ثم أن تزيلني من الوجود. أولاً تخافني، ثم تكرهني، وأخيراً تقتلني».

«ولكن لماذا؟ لِمَ تطلب هذا مني أنا؟ ناكاتا لم يقتل أحداً من قبل أبداً. أنا لست جيداً في هذا».

«أعرف أنك لم تقتل أحداً من قبل، وأنك لا تريد قتل أحد.

ولكن أسمعني- في الحياة مواقف لا تجدي فيها الأعذار. مواقف لا يعبأ فيها أحد إن كنت تجيد مهمتك أم لا. أريدك أن تفهم هذا. في الحرب مثلاً.. أتعرف الحرب؟».

«نعم. أعرف الحرب، كانت هناك حرب كبيرة عندما ولد ناكاتا، وقد سمعت عنها».

«عندما تنشب حرب، يجبر الناس على أن يصيروا جنوداً، يحملون الأسلحة ويمضون إلى الجبهة. وهناك يتحتم عليهم أن يقتلوا أكبر عدد ممكن من الجنود الذين على الجبهة المقابلة، ولا أحد يهتم ما إذا كنت تود قتل الآخرين أم لا. فهو مجرد عمل يتحتّم عليك فعله، وإلا قُتلت أنت»، يقول جوني واكر هذا ثم يسدد سبابته نحو صدر ناكاتا، «بووم». ويردف: «هذا هو تاريخ البشرية في اختصار».

«أسيجعل المحافظ ناكاتا جندياً ويأمره بقتل الناس؟».

«أجل، هذا ما سيفعله المحافظ. سيأمرك بقتل شخص ما».

يمعن ناكاتا التفكير في الأمر ومع هذا يعجز عن الفهم. إذ ما الذي بحق السماء سيجعل المحافظ يفعل هذا معه بالذات؟".

«عليك أن تنظر إلى الأمر من هذا المنظار: إنها حرب. وأنت جندي، وعليك أن تختار، إما أن أقتل القطط، وإما أن تقتلني أنت. هذا أم ذاك؟ خذ قرارك الآن وهنا، قد يبدو هذا تعسفاً، ولكن ضع هذا في اعتبارك سيد ناكاتا: أغلب الخيارات التي نتخذها في حياتنا هي بهذا القدر من التعسف». يلمس جوني واكر طرف قبعته الحريرية برقة كأنه يتأكد أنها لا تزال على رأسه.

«وما يعزّيك هنا، إذا كنت بحاجة إلى العزاء، أنني، **أنا**، أريد أن أموت، وأطلب منك قتلي، ولهذا فلن تعاني تأنيب الضمير. إذ إنك تقوم بما أريده منك بالضبط، وهذا مختلف عن قتل شخص لا يريد أن يموت. فهكذا تكون عملياً فاعل خير».

يمسح ناكاتا قطرات العرق التي تشكّلت على جبينه عند منبت

شعره تماماً. «ولكن هذا مستحيل. مستحيل أن يفعل ناكاتا هذا. حتى لو أمرتني أنت، فأنا لا أعرف كيف أقتلك؟».

«أفهمك تماماً»، يقول جوني واكر بإعجاب. «لا تعرف كيف تقتل لأنك لم تقتل أحداً من قبل. وهو كذلك، سأشرح لك. يتلخّص سر القتل يا سيد ناكاتا في عدم التردّد. فقط احشد كل ضغينتك وقم بالأمر بسرعة، هذا هو أساس القتل. لدي هنا مثال ممتاز عن القتل، ليس قتل شخص، لكنه قد يفيد في إعطائك فكرة عن الأمر».

ينهض جوني واكر ويخرج حقيبة جلدية كبيرة من أسفل المكتب ويضعها على الكرسي حيث كان جالساً ويفتحها، وهو يصفر طوال الوقت لحناً مرحاً. وكما لو أنه يؤدي خدعة سحرية، يخرج من الحقيبة قطاً. قط لم يره ناكاتا من قبل، قط رمادي مخطط تخطى لتوه عتبة البلوغ. كان القط مخدراً، ولكن عيناه مفتوحتين، ومع هذا بدا واعياً بعض الشيء بما يدور حوله. مواصلاً تصفير اللحن المرح «هيبي- هوو» من فيلم ديزني «أميرة الثلج»، ذلك اللحن الذي يغنيه الأقزام السبعة، يرفع جوني واكر القط مثل صياد يستعرض سمكة اصطادها لتوه.

«لدي خمس قطط داخل هذه الحقيبة، أحضرتها جميعها من تلك الأرض الخلاء. باقة طازجة، إذا جاز القول، قطفت لتوها من البستان. وقد حقنتها بحقن مختلفة لكي أشلّ حركتها. غير أنه ليس تخديراً كلياً، فهي ليست نائمة، إنها تشعر بالألم، لكنها لا تستطيع تحريك أرجلها أو أذرعها أو حتى رؤوسها. وأنا في الحقيقة أشلها هكذا لكي أمنعها من الانتفاض. وإليك ما سأفعله، سأشق صدور هذه القطط بسكين، ثم أنتزع قلوبها النابضة ثم أفصل رؤوسها. هنا أمام ناظريك. سترى الكثير من الدماء، وسترى ألماً يفوق التصوّر. تخيل كم سيكون مؤلماً لو شق أحدهم صدرك وانتزع قلبك! الأمر نفسه سيحدث لهذه القطط - لا بدّ من أنه مؤلم، أشعر بالأسى لتلك المخلوقات الهزيلة المسكينة. فأنا لست شخصاً سادياً متحجّر القلب،

وإنما ما باليد حيلة. الألم شيء لا بدّ منه. هذه قاعدة. والقواعد كثيرة هنا». ثم يغمز ناكاتا ويردف، «الشغل شغل. انجز مهمتك، سأقتل قطة بعد أخرى وسأدع جوما للخاتمة، وبهذا سيكون أمامك الوقت لتختار. تذكر. الآن - إما أن أقتل أنا القطط، وإما أن تقوم أنت بقتلي *أنا*. ليس أمامك خيار آخر».

يضع جوني واكر القط المخدَّر على المكتب، ويفتح الدرج. ويخرج لفافة سوداء كبيرة. يفكّها ويفرد محتوياتها على المكتب: منشار كهربائي صغير، مشارط مختلفة الأحجام، سكين ضخمة، كل هذه الأشياء تلتمع كما لو أنها قد سُنّت لتوها. وبينما أخذ جوني واكر بوضع القطط بعناية على سطح المكتب كان يتفقد الأنصال بحب شديد.. ومن درج آخر، أخرج عدة صواني معدنية ووضعها على المكتب كذلك، وأخيراً أخرج كيساً بلاستيكياً أسود كبيراً من درج آخر، من دون أن يتوقف عن الدندنة «هيي- هوو- هيي- هوو!».

«كما قلت لك سيد ناكاتا، ينبغي أن تتم الأمور بالترتيب الصحيح»، يقول جوني واكر، «لا يمكنك أن تنظر أبعد مما بين يديك، وإلا فستشرد عما تقوم به، وتتخبّط فيما تفعله، لا أقصد أن عليك أن تركز حصرياً في كل تفصيل أمامك، إطلاقاً، بل عليك أن تنظر أمامك قليلاً فقط، وإلا فستتعثر بشيء ما. يجب أن تخضع للترتيب الصحيح، وفي الوقت عينه، أن تبعد ناظريك عما هو أمامك. بغض النظر عما تفعله، إنه موقف دقيق».

ضيّق جوني واكر حدقتيه وربت على رأس القط برقّة. ثم مرّر طرف سبابته من أعلى بطن القط إلى أسفله، وانتقى مشرطاً بيده اليمنى، ومن دون مقدمات أو إنذار، بقر بطن القط تحت معدته تماماً. تم الأمر في لحظة. انفرجت البطن على وسعها وانبثقت الأمعاء الحمراء للخارج. جاهَد القط ليصرخ، لكنه بالكاد أصدر صوتاً، فقد كان لسانه مشلولاً على كل حال، وبالكاد تمكّن من فتح فمه. إلا أن عينيه كانتا

تتلويان بألم فظيع. استطاع ناكاتا أن يتخيله جيداً. بعد لحظة انفجرت الدماء وبللت يدي جوني واكر وطاولت صديريته. إلا أنه لم يعبأ بها. وعلى نغمة «هيبي- هووو- هيي- هوو» دسّ يده في أحشاء القط، وبمشرط دقيق نزع القلب الصغير من مكانه.

حمل جوني واكر قطعة اللحم المضرجة بالدماء في كفّه ومدّها أمام ناظري ناكاتا قائلا: «انظر. . ما زال ينبض». وبعدها، وكما لو أنه يقوم بشيء اعتيادي جداً، وضع القلب في فمه وراح يمضغه دون صوت، مستمتعاً بالمذاق على مهل. كانت عيناه تبرقان كعيني طفل يستمتع بمذاق كعكة ساخنة خرجت لتوها من الفرن.

مسح جوني واكر الدم عن فمه بظهر كفه، ثم لعق شفتيه بحرص لينظفهما.

«طازج ودافئ. وما زال ينبض في فمي».

حدق ناكاتا في ما يحدث أمامه دون أن ينبس بكلمة، عاجزاً عن إبعاد نظره. وامتلأ هواء الغرفة برائحة الدم الطازج.

مواصلاً اللحن المرح، بتر جوني واكر رأس القط بالمنشار الكهربائي. كانت أسنان المنشار تحتك بالعظام وتدقّها. وبدا أن جوني واكر يعلم ما يفعله جيداً، ولمّا لم تكن عظمة الرقبة سميكة، فقد تمت العملية سريعاً، ومع هذا ظل لصوت دق العظام ثقلاً غريباً. وضع جوني واكر الرأس المدقوق بحب على الصينية المعدنية، وكفنان يضع لمساته الأخيرة على عمله الفني، زمّ عينيه ودقق النظر في الرأس باهتمام. توقف للحظة عن الصفير، ليلتقط بظفره شيئاً ما عالقاً بين أسنانه، ويقذفه داخل فمه ويلوكه بحرص، ويتلمّظ بشفتيه مستمتعاً وراضياً وأخيراً يبتلعه. ثم فتح الكيس الأسود البلاستيك وألقى فيه جسد القط الميت بعفوية، وكأنه يرمي قشوراً لن تنفعه في شيء.

«هذا الأول»، قال جوني واكر باسطاً يديه المضرجتين بالدم أمام ناكاتا، «عمل شاق بعض الشيء. ألا ترى هذا؟ يمكنك الاستمتاع بقلب

طازج جميل، ولكن انظر كيف يلتصق بك الدم؟ لا، يدي هذي ستدمي *أعالي البحار وتجعل الأخضر منها أحمر*، عبارة من ماكبث. غير أن هذا أسوأ من ماكبث، لكنك لن تصدق كم تكلفني فواتير المغسلة، فهذه بدلة من نوع خاص كما ترى، يجب بالطبع أن أرتدي معطف عمليات وقفازات، ولكنني لا أستطيع، أخشى أنها قاعدة أخرى».

لم ينبس ناكاتا بكلمة، ومع هذا فقد مرت فكرة ما برأسه. كانت رائحة الدماء تملأ الغرفة، ودفقات ثقيلة من «هيى- هووو- هييي- هووو»، تطن بأذنيه.

أخرج جوني واكر القط التالي من حقيبته، أنثى بيضاء ليست شابة، لها ذيل طرفه محني قليلاً. وكما حدث من قبل، ربّت على رأسها لفترة، ثم، وبتؤدة، مرر سبابته على خط غير مرئي حتى أسفل معدتها. وأمسك بالمشرط، ومرة أخرى، بقر البطن سريعاً، وما تلا ذلك كان كما سبق. الصرخة المكتومة نفسها. الجسد المرتعش نفسه. الأمعاء نفسها تندلق إلى الخارج. انتزع جوني واكر القلب المضرج بالدماء، وعرضه على ناكاتا، والتهمه، ببطء. ثم، برضا، مسح فمه بظهر يده. مصاحباً كل هذا بالموسيقى التصويرية نفسها «هييي- هوووو- هيي- هوو».

غاص ناكاتا في كرسيه، مغمضاً عينيه، وممسكاً رأسه بكلتا يديه، انحفرت أظافره في صدغيه. كان شيء ما ينمو في داخله. حيرة مرعبة تتشكل بكيانها الخاص. تلاحقت أنفاسه سريعاً وأخذت نبضات ألم تدق عروق عنقه. كانت رؤيته تتغير على نحو كارثي.

«سيد ناكاتا»، قال جوني واكر بابتهاج، «لا تتخاذل الآن، لم نصل بعد للفقرة الأساسية، لم يكن هذا سوى الاستهلال، بغرض التليين ليس إلا. والآن، حان وقت المقدمة، افتح عينيك وأنظر ملياً، فهذا الجزء الأفضل، وأرجو منك أن تقدّر الجهد الذي أبذله لكي أجعل العرض مسلياً لك».

حمل جوني واكر القط التالي وهو مستمر في تصفير لحنه. غارقا في كرسيه، فتح ناكاتا عينيه ليرى الضحية التالية، كان ذهنه خالياً تماماً، حتى أنه لم يتمكن من الوقوف على قدميه.

«أعتقد أنكما تعرفان بعضكما»، قال جوني واكر، «لكنني سأتبع العرف على أي حال وأقوم بتعريفكما على بعضكما، سيد ناكاتا، هذا السيد كوامورا، سيد كوامورا، هذا السيد ناكاتا»، ثم لمس طرف قبعته بأداء مسرحي، محيياً ناكاتا أولاً، ثم القط المشلول.

«والآن بعد تحيات التعارف، للأسف حان وقت الوداع. . . مرحباً. . وداعاً، كالزهور تحملها العاصفة، كما يقولون: ما الحياة إلا وداع طويل». ربت جوني واكر بحنو على معدة كوامورا. «حان دورك لتوقفني سيد ناكاتا إن كنت تود. الوقت يمر سريعاً، وأنا لن أتردد. . فالتردد كلمة ليست في قاموس قاتل القطط المغمور جوني واكر».

وبالفعل، ودون أدنى تردد، بقر بطن كوامورا. تلك المرة. كانت الصرخة مسموعة، لعل المخدر لم يصل إلى لسان القط. أو إنها صرخة من نوع خاص لا يستطيع أن يسمعها أحد إلا ناكاتا. صرخة رهيبة. تجعل الدم يجف في العروق. أغمض ناكاتا عينيه وأمسك رأسه المرتعش بكلتا يديه.

«يجب أن تنظر»، أمر جوني واكر ناكاتا. «وهذه قاعدة أخرى من قواعدنا. إغماض العينين لن يغير في شيء. لا شيء سيختفي لمجرد أنك لا تريد أن تراه. بل، ستجد أن الأمر ازداد سوءاً في المرة التالية التي تنظر فيها. هذا هو العالم الذي نحيا فيه. أبق عينيك مفتوحتين على وسعهما. الجبان فقط هو من يغمض عينيه. إغماض عينيك وسد أذنيك لن يوقف الزمن».

انصاع ناكاتا للأمر وفتح عينيه.

ما إن تأكد جوني واكر من أن ناكاتا قد فتح عينيه، حتى واصل

عرضه، إلى أن وصل إلى فقرة التهام قلب كوامورا، مستغرقاً وقتاً أطول من ذي قبل في تذوقه على مهل. «ناعم ودافئ، تماماً ككبد الحنكليس»، علّق جوني واكر. ثم لعق الدم عن سبابته وقال «ما إن تعتاد هذا الطعم، حتى تصير أسيره، وخاصة الدم اللزج».

مسح جوني واكر الدم عن المشرط وهو يصفر بمرح كالمعتاد، ثم قطع رأس كوامورا بالمنشار الكهربائي. فانفجر الدم منه.

«أرجوك يا سيد واكر، ناكاتا لا يقدر على احتمال المزيد!».

توقف جوني واكر عن الصفير. وكفّ عما يفعله. وفرك حلمة أذنه. «هذا لن يغيّر شيئاً يا سيد ناكاتا، أنا آسف لأنك تشعر بهذا السوء، حقاً آسف.. لكنني لا أستطيع أن أقول لك «كما تود، يكفي هذا» وأتوقف عما أفعله. لقد قلت لك. هذه حرب، ومن الصعب أن توقف حرباً قد اندلعت بالفعل. ما دام قد خرج السيف من غمده، فإن دماء ستسفك، لا علاقة لهذا بالمنطق العام أو بنظرية ما، أو حتى بذاتي أنا. إنها مجرد قاعدة، محض قاعدة بسيطة. إذا أردتني أن أتوقف عن قتل المزيد من القطط، فعليك أن تقتلني. قف، صوب كل كراهيتك، وأردني قتيلاً. عليك أن تفعل هذا الآن. قم بهذا وسوف ينتهي كل شيء. ستكون النهاية».

تابع جوني واكر صفيره مرة أخرى، وأنهى عملية بتر رأس كوامورا ثم رمى الجسد منزوع الرأس في كيس المهملات. صارت الآن ثلاثة رؤوس مرصوصة على الصينية المعدنية، عانت عذاب نزع أرواحها، إلا أن وجوهها كانت، وللغرابة، خالية تماماً من أي تعبير، كتلك الوجوه المرصوصة هناك في الثلاجة.

«حان دور السيامية»، قال جوني واكر وأخرج من الحقيبة قطة سيامية مخدرة - إنها ميمي، «والآن وصلنا إلى صغيرتنا (مي كيامانو ميمي). في أوبرا بوتشيني. هذه القطة الصغيرة قطة مغناجة وأنيقة بحق، أليست كذلك؟ عن نفسي، أنا من محبّي بوتشيني، موسيقاه

كأنها- كيف أعبر عن هذا؟ العدو اللدود للزمن. محض متعة شعبية، سواء اتفقنا أم اختلفنا في تقوميها، لكنها لا تصدأ أبداً، إنجاز فني بحق».

ثم دندن فاصلاً من أوبرا بوتشيني (مي كيامانو ميمي).

«لا بدّ أن تعرف يا سيد ناكاتا، لم يكن اصطياد ميمي سهلاً بالمرة، فهي ماهرة وحذرة وتعرف متى تهرب. ليست من النوع الذي يسهل الإيقاع به. زبونة صعبة. وإنما لم تولد بعد القطة التي تفرّ من «جوني» قاتل القطط المتفرّد، ليس تفاخراً لا سمح الله، أنا فقط أحاول أن أوضح لك كم كانت صعبة ميمي هذه... على كل حال، تا..را..را، ها هي صديقتك ميمي! السيامية أحب الأصناف إليّ على الإطلاق، انت لا تعرف هذا، ولكن قلب القطة السيامية كالجوهرة الأصيلة، كالكمأة على نحو ما. كله تمام ميمي، لا تفزعي- جوني واكر هنا! يستعد للاستمتاع بقلبك الصغير الدافئ الشهي، آه.. أترتجفين!».

«جوني واكر»، تمكن ناكاتا أن يطلق الكلمات من أعماقه همساً.

«أرجوك توقف، إذا لم تتوقف فسيجن جنون ناكاتا. لم أعد أشعر بنفسي بعد الآن».

يضع جوني واكر ميمي على المكتب، ومن باب العادة، يمرر سبابته ببطء على بطنها. «لم تعد تشعر بنفسك إذن»، يقول لناكاتا بحذر وبهدوء، «هذا مهم جداً يا سيد ناكاتا.. ألاّ يعود الشخص يحسّ نفسه». ويلتقط مشرطاً جديداً و يختبر نصله بطرف إصبعه، ثم، وكأنه يقوم ببروفة القطع، يمرر الشفرة سريعاً على ظهر يده. وبعد لحظة ينز الدم من يده، وتسقط القطرات على المكتب وعلى جسد ميمي. فيقهه جوني واكر مكرراً. «شخص لم يعد نفسه». «لم تعد نفسك. تلك هى تذكرة المرور يا سيد ناكاتا. رائع! هذا هو أهم شيء على الإطلاق. أوه. *يا لعقلي المحتشد بالعقارب، ماكبث مرة أخرى*».

ومن دون أن ينطق بكلمة، ينهض ناكاتا. ما من أحد، ولا حتى ناكاتا نفسه، كان ليستطيع أن يوقفه. يتجه بخطوات واسعة نحو المكتب ويختطف ما يبدو سكيناً لقطع اللحم. يقبض على المقبض الخشبي بحزم وقوة، ويغرز شفرتها في بطن جوني واكر، مخترقاً الصديرية السوداء، يستلها، ثم يطعنه ثانية في مكان آخر من جسده. وحينها يسمع صوتاً عالياً، لا يميزه أولاً، ثم يدرك: إنه صوت ضحك جوني واكر. ها هو مطعون في بطنه وصدره، ودمه يتدفق غزيراً، وهو يضحك ويضحك.

«هذا هو الشغل»، صاح جوني واكر، «برافو! لم تتردد». ويضحك كما لو أنه سمع لتوه أطرف نكتة سمعها في حياته، لكن سرعان ما يتحول ضحكه، رغماً عنه، إلى شهقات.

صوت غرغرة الدم في حنجرته يشبه بالوعة كانت مسدودة وسلكت أخيراً. يختلج جسده بشدة، ثم ينفجر الدم من فمه مصحوباً بكتل قاتمة ورفيعة من الدم - إنها قلوب القطط التي التهمها.. يتدفق الدم على المكتب وعلى كنزة ناكاتا الجولف. يتلطّخ كلا الرجلين بالدماء. حتى ميمي الراقدة على المكتب تتلطّخ بالدم.

ينهار جوني واكر عند قدمي ناكاتا. ويتكور على جنبه، ميتاً، كطفل في ليلة باردة. يده اليسرى على حنجرته، أما اليمني فقد امتدت إلى الأمام وكأنها تحاول بلوغ شيء ما. تخفت الاختلاجات حتى تنتهي، والضحك أيضاً. يظل على شفتيه أثر ابتسامة. يتجمع الدم في برك صغيرة على الأرضية الخشبية، وكانت القبّعة الحريرية قد تدحرجت حتى انزوت في ركن بعيد. كان شعر قفا جوني واكر خفيفاً، تظهر جلدة الرأس من تحته، وبدا جوني واكر من دون القبعة أكبر كثيرا في السن وأكثر هزالاً.

يفلت ناكاتا السكين من يده لتسقط على الأرض، مصدرة صوتاً عالياً كتروس آلة كبيرة تقعقع عن بعد. يقف طويلاً بجانب الجثة. كل

شيء في الحجرة جامد، إلا الدم الذي واصل تدفقه دون ضجيج، وواصلت بركة الدم تمددها على الأرض.

وأخيراً، لملم ناكاتا شتات نفسه وحمل ميمي عن المكتب. دافئة وهشة بين يديه، تغطيها الدماء، ومن الواضح أنه لم يمسسها ضرر. نظرت ميمي إليه وكأنها تريد أن تخبره شيئاً، لكنها لم تتمكن من تحريك فمها بسبب المخدر.

يجد ناكاتا جوما في الحقيبة ويخرجها منها، لم يكن قد رآها من قبل سوى في الصورة، ومع هذا فقد استبد به الحنين وكأنه يقابل صديقاً عزيزاً افتقده منذ زمن طويل. «جوما...»، يتمتم ناكاتا، ويجلس على الأريكة وهو يحمل القطتين. ثم يقول لهما: «هيا فلنعد إلى البيت»، لكنه لا يستطيع النهوض.

يظهر الكلب الأسود من مكان ما ويرقد بجانب جثة سيده. ولعله لعق بركة الدم بلسانه، فناكاتا لم يستطع أن يتذكر هذا بوضوح، كان رأسه ثقيلاً ومظلماً، فأخذ نفساً عميقاً وأغمض عينيه. يغيب ذهنه، وفي لمح البصر، وحتى قبل أن ينتبه هو، يغرق في الظلام.

17

هذه ليلتي الثالثة في الكوخ. مع كل يوم يمرّ، أعتاد الصمت وعتمته الهائلة أكثر فأكثر. لم يغد يخيفني الليل، على الأقل ليس كما في السابق. أكوّم الحطب في الموقد وأجلس قربه وأقرأ. وحين أتعب آخذ فترة راحة، أتأمل خلالها النيران التي لا أملّ أبداً من النظر إليها. فهي تأتي بكل الأشكال والألوان، تتحرك مثل كائنات حية، فتولد، وتتصل، وتتفرّق، وتموت.

حين ينقشع الغيم، أخرج وأشخص بنظري نحو السماء. النجوم هي الأخرى لم تعد مخيفة كما كانت في السابق، وبدأت أشعر أنني بتّ أقرب منها. كل واحدة منها تشعّ بضوئها الخاص. أتعرف على نجمات محددة وأشاهدها وهي تومض ليلاً. ومن حين لآخر تزداد توهجاً للحظات قليلة. والقمر هناك، شاحب وواضح، وحين أمعن النظر إليه أشعر كأنني أرى بالفعل صخرات ناتئة على سطحه. لا تخطر لي أي أفكار منطقية متماسكة، فقط أحدّق مفتوناً بالسماء.

غياب الموسيقى لا يزعجني بقدر ما توقعت. فقد حلت محلها أصوات أخرى كثيرة. تغريد الطيور. صرخات شتى أنواع الحشرات، خرير مياه الجدول، خشخشة أوراق الشجر. حين يهطل المطر أسمع حراكاً مكتوماً على السقف، وأحياناً أسمع أصواتاً لا أستطيع تمييزها أو وصفها. لم أكن أعرف أن العالم حافل بكل هذه الأصوات الجميلة

الطبيعية التي لطالما تجاهلتها. ولكن ليس بعد الآن. أجلس على الشرفة لساعات مغمض العينين، محاولاً إخفاء حضوري في المكان، والتقاط جميع الأصوات من حولي.

لم تعد الغابة تخيفني أيضاً. بدأت أشعر نحوها بالقرب والاحترام. ومع ذلك، يجب أن أعترف بأنني لا أغامر بالابتعاد كثيراً عن الكوخ، ولا أحيد عن الدرب. وما دمت ألتزم القواعد فليس ثمة ما يدعو إلى الخوف. هذا هو المهم- مراعاة القواعد، وعندها تتقبلني الغابة بصمت، بل تشاركني بعضاً من دعتها وجمالها. أما إذا تجاوزت الحد، فستنقض عليّ وحوش الصمت المتربصة وتفترسني بمخالبها الحادة.

غالباً ما أستلقي في الفسحة المستديرة الصغيرة مغتسلاً بنور الشمس. أغمض عينيّ وأسلم نفسي له، مصغياً إلى الريح في قمم الأشجار. يلفّني عبق الغابة بينما أنصت إلى رفرفة الطيور وهمهمات السرخس. أتحرر كلياً من الجاذبية وأطفو- ليس عالياً جداً- مع الهواء. بالطبع لا يمكنني البقاء هناك للأبد. فهو مجرد إحساس لحظوي يتلاشى ما إن أفتح عينيّ. لكنها تبقى تجربة غامرة. أن تطفو في الهواء.

تمطر بغزارة مرتين، لكن ليس لوقت طويل، فأهرع إلى الخارج وأستحمّ عارياً. أحياناً أتعرّق كلياً من ممارسة التمارين، فأنزع ملابسي وآخذ حمام شمس في الشرفة. أشرب الكثير من الشاي على الشرفة أو قرب النار، وأركّز في القراءة. أقرأ كتباً في التاريخ والعلوم والفولكلور والأساطير وعلم الاجتماع وعلم النفس، وأعمال شكسبير، وكل ما يخطر ببالك. لا أندفع في القراءة كأنني في سباق، بل أعيد قراءة الأجزاء التي أعتقد أنها الأهم حتى أفهم مغزاها، حتى تصبح ملموسة بالنسبة إلي. شيئاً فشيئاً تتغلغل مختلف أنواع المعرفة إلى عقلي. أتخيل كم سيكون رائعاً لو تمكنت من البقاء هنا قدر ما أشاء لأقرأ جميع تلك الكتب المتكدسة على الرف. ما زال لدي ما يكفي من طعام، لكنني

أعلم أني مجرد عابر سبيل، وسأغادر بعد فترة. هذا المكان هادئ جداً، وطبيعي جداً، وكامل جداً. لا أستحقّه. ليس بعد على الأقل.

في اليوم الرابع يظهر أوشيما قرابة الظهر. أكون ممدداً عارياً تماماً على الكرسي في الشرفة، ناعساً في الشمس، فلا أسمعه وهو يقترب، ولا أسمع حتى صوت سيارته. فقد جاء مشياً من الطريق حاملاً حقيبة ظهره. يصعد درجات الشرفة بهدوء، يمد يديه ويمررها بخفة على شعري. أهب فزعاً وأروح أبحث حولي عن منشفة أستر بها نفسي، فلا أجد واحدة قريبة.

«ولا يهمّك»، يقول أوشيما، «لقد اعتدت أيضاً أن آخذ حمامات شمس عارياً، حين كنت أقيم هنا. إحساس رائع أن تصل الشمس إلى أماكن في جسدك لا تصل إليها عادة».

عارياً هكذا أمامه، مكشوف العانة والذَكر والخصيتين، أشعر بالعجز والهشاشة. لا أدري ماذا أفعل، وقد فات الأوان على التستر، «أهلاً»، أخاطبه مجاهداً أن يبدو صوتي طبيعياً. «جئت سيراً إذن؟».

«وجدته يوماً جميلاً فآثرت المشي»، يجيب، «تركتُ السيارة خارجاً عند البوابة». ثم يناولني منشفة منشورة على الدرابزين. ألفها حول خاصرتي، وأسترخي أخيراً

يسخّن أوشيما ماء وهو يدندن أغنية بصوت خافت، ثم يُخرج من حقيبته دقيقاً وبيضاً وحليباً ويصنع فطيرة في المقلاة، ثم يضيف إليها الزبدة والشراب المركّز. ثم يُخرج خساً وطماطم وبصلاً، ويقطعها بعناية ويصنع منها سلطة. نتناول كل هذا على الغداء.

«إذن، كيف كانت أيامك الثلاثة الأولى هنا؟»، يسألني وهو يقطّع الفطيرة.

أخبره أنني أمضيت وقتاً رائعاً، وأفضّل ألا آتي على ذكر ذهابي إلى الغابة.

«يسرني هذا»، يقول أوشيما، «توقعت أنك ستحب هذا المكان».

«لكننا سنعود إلى المدينة، أليس كذلك؟».

«أجل ، حان وقت العودة».

تجهيزات الرحيل: نرتب الكوخ بهمة، نغسل الأطباق ونضعها على الأرفف، ننظّف الموقد، نُفرغ دلو الماء، نقفل أنبوبة الغاز، نُخزّن الأطعمة القابلة للتخزين في دولاب المطبخ، ونلقى بالباقي في القمامة، نكنس الأرض، ونمسح أسطح المنضدة والكراسي. ونحفر حفرة في الخارج ندفن فيها الفضلات.

وفيما يغلق أوشيما الكوخ بالقفل، أستدير لألقي نظرة أخيرة على المكان. منذ لحظة فقط كان كل شيء هنا يبدو واقعياً جداً، أما الآن فبات خيالياً. خطوات قليلة فحسب، ويفقد كل هذا إحساسه الحقيقي. وأنا- الذي كنت كان هنا قبل لحظات- أنا أيضاً، أبدو خيالياً الآن. يستغرقنا الوصول إلى السيارة نصف ساعة، وبالكاد نتبادل كلمة أو اثنتين خلال هبوطنا الطريق الجبلية. يدندن أوشيما لحناً ما. وأنا يشرد فكري في أمور عدة.

نصل إلى أسفل الجبل. السيارة الرياضية الخضراء تتماهى مع الغابة. يغلق أوشيما البوابة- لإبعاد المتطفلين- يلف السلسلة مرتين حول سياج البوابة ثم يضع القفل. مجدداً أضع حقيبتي بإحكام خلف السيارة، بالمقلوب هذه المرة..

«إلى المدينة من جديد»، يقول أوشيما.

أومئ.

«أنا أكيد من أنك استمتعت بالعيش هكذا وحدك مع الطبيعة، لكنه ليس سهلاً أن تبقى هناك وقتاً طويلاً»، يقول أوشيما وهو يضع نظارته الشمسية ويربط حزام الأمان. أجلس بجانبه وأضع حزام الأمان، فيبادرني «نظرياً، ليس مستحيلاً أن تعيش هكذا، بالطبع هناك من

يعيشون هكذا بالفعل، ولكن الطبيعة في الواقع غير طبيعية بشكل ما. وأحياناً ما ينطوي الاسترخاء على تهديد. والتعايش الحقيقي مع تلك التناقضات يحتاج إلى خبرة واستعداد. فلنعد إلى المدينة إذن في الوقت الراهن. إلى الحضارة».

يشغّل أوشيما محرك السيارة ونبدأ بهبوط الطريق الجبلية. هذه المرة ليس في عجلة من أمره، إذ يقود بتأن، مستمتعاً بالمناظر حوله وبالهواء في شعره. تنتهي الطريق غير الممهّدة ونبدأ في قطع الطريق الممهدة الضيقة عابرين القرى والحقول. وفجأة يقول أوشيما: «بمناسبة التناقضات، عندما قابلتك أول مرة شعرت أن فيك نوعاً من التناقض، كما لو كنت تسعى إلى شئ ما، ومع هذا تهرب من كل ما أنت جدير به».

«وما الذي أسعى له؟».

يهز أوشيما رأسه. ويلقي نظرة سريعة على المرآة الخلفية ويقطب حاجبيه ويجيب: «لا أدري، إنني فقط أقول انطباعي».

لا أرد.

«من خبرتي الخاصة، عندما يسعى أحدهم للحصول على شيء ما لا يحصل عليه، في حين أنه عندما يهرب قدر الإمكان من شيء ما، فغالباً ما يسعى هذا الشيء وراءه، هذا تعميم طبعاً».

«ما دمت تعمّم بشأني، فماذا عن مستقبلي؟ ما دمت أسعى وأهرب في الوقت نفسه».

«سؤال صعب...»، يجيب أوشيما مبتسماً. يصمت برهة ثم يردف، «إذا كان عليّ قول شيء ما فهو التالي: أياً كان ما تسعى إليه، فلن يأتي بالشكل الذي تتوقعه».

«هذه نبوءة متشائمة».

« كاساندرا».

«كاساندرا؟»، أسأل.

«في التراجيديا اليونانية كاساندرا هي ملكة طروادة التي تتنبأ

بالأقدار. كانت كاهنة في المعبد، ومنحها الإله أبولو القدرة على التنبؤ بالأقدار، وفي المقابل، حاول إغواءها لتنام معه، لكنها رفضت، فأنزل بها لعنة. إن الآلهة اليونانية شخصيات ميثولوجية أكثر منها دينية، أقصد أن بها نفس عيوب البشر، تثور ثائرتها وتهتاج وتغار وتنسى، وكل ما يمكن أن يخطر ببالك».

يخرج علبة من حبوب الليمون الصغيرة من التابلوه ويلقى واحدة في فمه، ويشير لي بأن آخذ واحدة فأفعل، ثم أسأله: «وما اللعنة التي أنزلها بها؟».

«لعنة كاساندرا؟».

أومئ.

«كانت أن كل ما تتنبأ به يتحقق، لكن لا أحد يصدق تنبؤاتها أبداً. والأهم أنها كلها مشؤومة- خيانات، وحوادث، وموت، وانهيار ممالك. نبوءات من هذا القبيل. ولم يكذّبها الناس فحسب، بل احتقروها أيضاً. إذا لم تكن قد قرأت بعد مسرحيات أيروبيديس أو أسخيلوس، فأقترح عليك أن تقرأها، لأنها تتناول الكثير من المشكلات الأساسية التي نعاني منها حتى في يومنا هذا. وخاصة في الأجزاء التي يلقيها في الخورس».

«الخورس؟ ما هو الخورس؟».

«الخورس في المسرحيات اليونانية هو ما نسميه الكورس اليوم. أي المنشدون الذين كانوا يقفون في خلفية المسرح ويشرحون بصوت واحد الموقف الدائر أو المشاعر العميقة للشخصيات. وأحياناً أيضاً يحاولون التأثير على الشخصيات. إنهم أداة ممتازة، أحيانا أتمنى لو كان يقف ورائي كورس خاص بي أنا».

«هل تستطيع التنبؤ؟».

«لستُ محظوظاً إلى هذه الدرجة»، يجيب مبتسماً. لحسن الحظ أو لسوئه، لا أملك هذه المقدرة. إذا بدوت أنني أتنبأ باستمرار بحدوث

أمور مشؤومة، فهذا لأنني براغماتي أستخدم الاستدلال لأصل إلى العموميات، وهذا حسب ظني غالباً ما ينتهي إلى نبؤات مؤسفة. أتعرف لماذا؟ لأن الواقع ما هو سوى تراكم للنبؤات المشؤومة التي سبق أن تحققت بالفعل. إقرأ صحيفة صادرة في أي يوم وقارن بين كم الأخبار الحسنة وتلك السيئة وستدرك ما أعنيه".

عند كل منحنى يبدل أوشيما غيار السرعة بسلاسة ضليع بالقيادة، فلا تشعر بهذا التغير إلا من صوت المحرك.

«ومع هذا، لدي خبر جيد لك»، يقول، «لقد قررنا أن نضمك إلينا، لصد أصبحت عضواً في طاقم العمل بمكتبة كوميورا التذكارية، وأنا أعتقد أنك مؤهل لهذا».

أنظر إليه وأسأله بعفوية «أتعني أنني سأعمل بالمكتبة؟».

«بتحديد أكثر، من الآن فصاعداً صرت جزءاً من المكتبة. ستقيم فيها أيضاً. تفتح الأبواب وتقفلها في الموعد المحدّد. كما قلت لك أنا أرى أنك من النوع المنضبط، ولديك ما يكفي من القوة. لذا لا أتوقع أن تكون الوظيفة صعبة عليك. ولأنني أنا والآنسة ساييكي لسنا مثلك قويين بدنياً، فسيعيننا حقاً وجودك معنا. سوى هذا ستساعد في المهام اليومية البسيطة، تحضير قهوة لذيذة لي، القيام بالتبضّع. وقد جهّزنا لك حجرة ملحقة بالمكتبة لتقيم فيها. كانت في الأصل مضافة لكننا ما عدنا نستقبل ضيوفاً مقيمين ولهذا فهي لم تُستخدم منذ وقت طويل. فيها حمّام خاصّ أيضاً، وأفضل ما في الأمر أنك ستكون في المكتبة وستتمكن من قراءة ما تشاء».

«ولكن لماذا. . .»، بدأت السؤال ولم أستطع إنهاءه.

«لماذا نفعل ذلك؟ لسبب بسيط جداً. ألا وهو أنني أفهمك. والآنسة ساييكي تفهمني. وأنا أقبلك، والآنسة ساييكي تقبلني. وحتى إن كنت مجرد فتى في الخامسة عشرة من عمره هارباً من بيته، فهذه ليست مشكلة، ما رأيك في الوظيفة إذن؟».

أفكر في الأمر قليلاً ثم أجيبه «كل ما أحتاج إليه حالياً هو سقف يؤويني. وأنا لا أعرف حقاً معنى أن أصير جزءاً من المكتبة، ولكن إن كان يعني أن أعيش هناك، فأنا ممتن جداً، على الأقل لن أضطر إلى التنقّل ذهاباً وإياباً يومياً».

«اتفقنا إذن»، يقول أوشيما، «لنذهب إلى المكتبة إذن، حتى تستطيع أن تصير جزءاً منها».

نصل إلى الطريق السريعة، ونمرّ بعدد من البلدات، وبلوحة إعلانات عملاقة لشركة مالية تمنح القروض، وبمحطة وقود ذات ديكور صارخ، وبمطعم زجاجي، وبفندق للغرام والعشق صُمِّم كقلعة أوروبية، ومحل شرائط فيديو مهجور لم يبق منه سوى لافتة، ومحل باشينكو[1] له مرأب ضخم، وماكدونالدز، وسيفن إليفن[2]، ويوشينويا[3]، ودينيس[4]... يبدأ الواقع الصاخب في محاصرتنا. هسيس فرامل شاحنة نقل عملاقة،

---

(1) الباشينكو هي آلة لعب يابانية للهو وكسب الجوائز. ولها أماكن خاصة للعبها تسمى نادي الباشينكو، (تشتهر بما تشتهر به الكازينوهات، وأزقة ماكينات العملات في العالم. من حيث البهرجة في الديكور والإضاءة الخافتة لإبقاء اللاعبين مستغرقين). أقفلت كل نوادي الباشينكو في الحرب العالمية الثانية، لكنها عادت للظهور في أواخر الأربعينات، ولم تزل شائعة بين العامة حتى الآن.

(2) سفن إيليفن أو 7-Eeleven: أكبر سلسلة حول العالم لمحلات البقالة (من تلك تتواجد على الطريق المزدحمة أو بمحطات البنزين)، إذ تفوق سلسلة مطاعم ماكدونالدز بمائة فرع، وتتواجد في 18 دولة في العالم ، تشكل منهم اليابان أضخم الأسواق، ويليها الولايات المتحدة، وتايوان وتايلاند.

(3) أكبر سلسلة مطاعم جيودون (أكلة يابانية شعبية من الأرز باللحم) وأحد أوائل سلاسل الطعام السريع باليابان. تأسست عام 1899.

(4) دينيس Denny's: سلسلة أمريكية للمطاعم عائلية. وتعرف بتقديمها الطعام على مدار 24 ساعة في اليوم، سبعة أيام في الأسبوع، 365 يوم في السنة.

وضجيج أبواق وعوادم. كل ما كان قريباً مني خلال الأيام الماضية - نار الموقد، النجوم المتلألئة، الغابة الساكنة. - كل هذا بدأ يخبو، حتى بات صعباً عليّ حتى أن أتخيله.

«أريد أن أخبرك ببعض الأمور عن الآنسة سايبيكي»، يقول أوشيما، «كانت والدتي في صغرها صديقة الآنسة سايبيكي، وتقول والدتي إن الآنسة سايبيكي كانت طفلة ذكية ومتفوقة وماهرة في تأليف الموسيقى وفي مختلف أنواع الرياضة، وتعزف البيانو جيداً أيضاً. وكانت الأفضل في كل ما تفعله أو تجرّبه. وكانت جميلة، ولا تزال بالطبع جذابة حقاً».

أومئ.

«وحين كانت في المدرسة الإعدادية كان لها حَبيب، الإبن الأكبر لعائلة كوميورا- وكان ثمة قرابة بعيدة تربطها به. كانا في العمر نفسه، وشكلا معاً ثنائياً رائعاً، روميو وجولييت نموذجيان، عاشا بالقرب من بعضهما ولم يفترقا أبداً. وعندما كبرا وبلغا وقعا في غرام بعضهما البعض، كانا كروح واحدة في جسدين، هذا ما تقوله أمي».

نقف عند إشارة حمراء، وينظر أوشيما إلى السماء، وعندما تضيء الإشارة الخضراء يدوس بقوة ونندفع هادرين أمام ناقلة نفط، «هل تتذكر ما قلته لك في المكتبة؟ عن البحث عن النصف الآخر؟».

«أن الناس إما رجل/ رجل، أو امرأة/ امرأة، أو رجل/ امرأة؟».

«بالضبط. ما تحدّث عنه أريستوفانيس. كيف نتخبط في حياتنا بلا أمل باحثين عن نصفنا الآخر. لا الآنسة سايبيكي ولا حبيبها اضطرا إلى هذا أبداً، إذ وُلِدَ كل منهما ووجد نصفه الآخر أمامه مباشرة».

«هذا من حسن حظهما».

يومئ أوشيما، «بالتأكيد».

يمرّر يده على ذقنه كأنه يتأكد من أنها محلوقة جيداً. لا أثر للموس عليها، جلده ناعم كالبورسلان.

«عندما بلغ حبيبها الثامنة عشرة سافر إلى طوكيو لكي ينتسب إلى الجامعة، إذ كان متفوقاً، وحصل على منحة دراسية في المجال الذي أراد دراسته، وكان يريد أيضاً أن يرى المدينة الكبيرة، أما هي فانتسبت إلى جامعة محلية ودرست البيانو. فهذه منطقة محافظة، وقد نشأت في عائلة ذات عادات وتقاليد، وكانت الطفلة الوحيدة ولذا لم يردها والداها أن تسافر إلى طوكيو، فكان فراقهما الأول، كما لو أن الرب قد شطرهما بسكين مرة أخرى».

«بالطبع كانا يتراسلان يومياً. فيكتب لها مثلاً: «*ربما كان من الحسن أن نفترق هكذا حتى ندرك حقاً ما يعنيه واحدنا للآخر*». لكنها لم تكن تؤمن بذلك، كانت تعرف أن علاقتهما حقيقية لدرجة أنهما ليسا مضطرين إلى الابتعاد عن بعضهما لاختبارها. كان اتحادهما أمراً يقينياً، مقدراً ومكتوباً، غير قابل للكسر، وكانت هي متيقنة من هذا تماماً. أما هو فلم يكن متيقناً تماماً، أو لعله كان متيقناً وإنما ببساطة لم يقبله. فرحل إلى طوكيو، معتقداً أن التغلب على بعض العقبات سيقوي من حبهما. أحيانا يفكر الرجال هكذا».

«حين كانت الآنسة ساييكي في التاسعة عشرة كتبت قصيدة ولحنتها على البيانو وغنتها. كان اللحن حزيناً وبسيطاً ومحبباً. أما الكلمات فكانت رمزية تأملية يصعب فهمها. فأضفى هذا التناقض على الأغنية بعض الروحانية والحميمية، وبالطبع كانت الأغنية بكلماتها ولحنها طريقتها للتعبير عن النداء المكتوم في داخلها لحبيبها البعيد، وقد غنتها مرات قليلة أمام الناس. إذ كانت بطبيعتها خجولة، لكنها كانت تحب الغناء، حتى أنها انضمّت إلى فرقة موسيقى «بوب» في الجامعة. وقام أحد المعجبين بالأغنية بتسجيلها على شريط كاسيت وأرسلها إلى صديق له يملك شركة تسجيل موسيقى. فأحب الأغنية وأقنعها أن تسجلها في الاستديو الخاص به في طوكيو».

«وكانت زيارتها الأولى لطوكيو، حيث التقت حبيبها هناك،

وتمكنا من عيش حبهما، مثلما اعتادا، أثناء الاستراحات ما بين فترات التسجيل. وتعتقد والدتي أنهما بدآ بممارسة الجنس وهما في الرابعة عشرة. كلاهما نضج باكراً، وكالكثير من الشباب الناضج قبل الأوان وجدا صعوبة في التقدم في العمر، وكأنهما توقفا عند سن الرابعة أو الخامسة عشرة. فتشبثا ببعضهما البعض ونهلا مرة أخرى من نبع حبهما الدافق، لم يستطع أي منهما الانجذاب لأي شخص آخر، وحتى خلال افتراقهما لم يستطع أحد أن يفرّق بينهما أو يدخل بينهما. . . . آسف- هل مللت هذه القصة الرومانسية؟».

أهزّ رأسي نفياً وأقول «أشعر أنك على وشك الوصول إلى نقطة تحول».

«معك حق»، يقول أوشيما، «هكذا هي القصص- نقاط تحول، قفزات غير متوقعة. السعادة لها شكل واحد، أما التعاسة فتأتي بكافة الأشكال والأحجام. كما يقول تولستوي: *السعادة تشبيه، أما التعاسة فقصّة*. على كلٍ، حقق الألبوم نجاحاً ساحقاً وأحدث ضجة، فبيع منه ملايين النسخ، حوالى 2 مليون نسخة، لست متأكدا من الرقم تحديداً، لكنه عموماً كان رقما قياسياً بالنسبة إلى ألبوم في ذلك الوقت. كان غلاف الألبوم صورة فوتوغرافية لها وهي جالسة إلى بيانو ضخم في الاستديو وتبتسم للكاميرا».

«ولأنها لم تؤلف أغنية أخرى كان الوجه الآخر من الألبوم يضم اللحن نفسه بتوزيع آخر، البيانو والأوركسترا، وكانت هي بالطبع التي تعزف على البيانو. أداء رائع. كان هذا حوالى عام 1970، وأذيعت الأغنية في كافة محطات الراديو وقتها، هكذا تقول أمي، كان هذا قبل أن أولد أنا، ولهذا لست متأكداً. وكانت تلك أغنيتها الوحيدة، كمغنّية، ولم تؤلف ألبوماً آخر، أو أغنية أخرى».

«لا أدري ما إذا كنتُ قد سمعت هذه الأغنية».

«هل تستمع كثيراً إلى الراديو؟».

أهزّ رأسي نفياً، «نادراً».

«أظن إذن إنك لم تسمعها، ففرص سماعها ضئيلة، إلا إذا أذاعتها بعض محطات الأغاني القديمة، عموماً إنها أغنية رائعة، لدي الأسطوانة، أسمعها من فترة لأخرى، حين لا تكون الآنسة سايكي موجودة بالطبع. فهى لا تحب سيرة الأغنية، ولا تحب أن يأتي أحد على ذكر هذا الماضي».

«ما اسم الأغنية؟».

«كافكا على الشاطئ».

«كافكا على الشاطئ؟».

«نعم كافكا تامورا، اسمك نفسه. صدفة عجيبة أليس كذلك؟».

«ولكن كافكا ليس اسمي الحقيقي ومع هذا تامورا هو اسمي الحقيقي».

«لا يهم، فقد اخترت أنت اسم كافكا، اليس كذلك؟».

أومئ، لقد حسمت أمري منذ فترة أن كافكا هو الاسم الصحيح لشخصيتي الجديدة.

«وهذا هو بيت القصيد»، يقول أوشيما.

مات حبيب الآنسة سايكي وهو في العشرين من عمره، يواصل أوشيما. حين كانت «كافكا على الشاطئ» في أوج نجاحها. كان الطلبة في كليته مضربين أثناء فترة ثورات الطلبة وأغلقت أبواب الكلية. وذات ليلة، قبل العاشرة مساء، ذهب ليحضر الغذاء لصديق له كان يحرس المتاريس، فحسبه الطلبة الذين كانوا يحتلون المبنى قائد فرقة منشقّة- مع أنه لم يكن يشبهه كثيراً - فجروه وقيدوه إلى كرسي وحققوا معه على أنه جاسوس، حاول أن يبيّن لهم خطأهم، لكنه كلما حاول كانوا يضربونه بعصا أو بماسورة فولاذية. وعندما سقط أرضاً داسوه بالأقدام، ومع طلوع الفجر كان قد مات. جمجمته طحنت، وتكسّرت ضلوعه،

وتمزّقت رئتاه، فألقوا بجثته في الشارع ككلب ميت، وبعد يومين طلبت إدارة الكلية من الحرس الوطني التدخل، وخلال ساعات تم إخماد ثورة الطلبة والقبض على العديد منهم بتهمة القتل. اعترف الطلبة بما ارتكبوه وتمت محاكمتهم، ولكن بما أنه لم يكن قتلاً مع سبق الإصرار والترصد، أُدين اثنان منهم بالقتل الخطأ غير المتعمد، وحُكِم عليهما بالسجن مدة قصيرة. كان موته شيئاً لا معنى له على الإطلاق.

لم تغنّ الآنسة سايبكي مرة أخرى قط، فقط حبست نفسها في غرفتها ولم تتحدث مع أحد البتة ولا عبر الهاتف حتى. ولم تحضر جنازته. وبعد شهور أدرك الناس فجأة أنها اختفت من البلدة، لم يعرف أحد إلى أين ذهبت أو ماذا فعلت، ورفض والداها التحدّث في الموضوع، ولعلهما لم يعرفا شيئاً هما أيضاً. تبخّرت تماماً. حتى صديقتها المقرّبة التي هي والدة أوشيما لم تعلم عنها شيئاً. شائعات عن أنها أودعت في مصحة نفسية بعد محاولة انتحار فاشلة في الأدغال المجاورة لقمة فيجي. وقال آخرون إن صديقة لإحدى صديقاتها لمحتها مرة في شوارع طوكيو، وقالت إنها تعمل في طوكيو، كاتبة أو شيئاً من هذا القبيل، وذاعت شائعات أخرى تقول إنها تزوجت وأنجبت طفلاً، ومع ذلك لا دليل على أي شيء من هذا. ومر عشرون عاماً.

لا يهم إلى أين ذهبت أو ماذا كانت تفعل طوال ذلك الوقت. فلم تكن يعوزها المال، إذ كانت حصتها من الأرباح التي حققتها «كافكا على الشاطئ» مودعة بحساب في البنك، وحتى بعد خصم الضرائب ظل المبلغ لا بأس به، وكانت تحصل على نسبة كل مرة تذاع فيها الأغنية في الراديو بما في ذلك محطات الأغاني القديمة، ولهذا كان سهلاً عليها أن تنأى بنفسها خارج دائرة أضواء الشهرة، بالإضافة إلى أن عائلتها غنية وهي ابنتهم الوحيدة.

وفجأة، بعد مرور 25 عاماً ظهرت الآنسة سايبكي مرة أخرى في تاكاماتسو، وكانت وفاة والدتها السبب الظاهري (حيث كان والدها قد

توفي قبل خمس سنوات من ذلك الحين ولم تحضر جنازته). وهكذا أدت واجبها نحو والدتها، وبعد أن هدأت الأمور، باعت المنزل الذي وُلدت وتربّت فيه، وانتقلت إلى شقة في منطقة هادئة من المدينة وبدا أنها عادت إلى الإقامة هنا. تحدثت بعد فترة مع عائلة كوميورا (كان الأخ الأصغر هو كبير العائلة بعد وفاة الأخ الأكبر، وهو يصغره بثلاث سنوات، وهما الأخان الوحيدان)، ولم يعلم أحد ما دار بينهما، وفي النهاية أصبحت الآنسة سايكي مديرة مكتبة كوميورا.

وحتى الآن لا تزال رشيقة وجميلة وتحتفظ بالمظهر الراقي المتألق كما في صورتها على غلاف «كافكا على الشاطئ». مع فارق واحد فقط هو غياب تلك الابتسامة الجميلة البريئة. ما زالت تبتسم من حين لآخر، ابتسامة ساحرة بالطبع، لكنها ابتسامة، بطريقة ما، محدودة دائماً، لا تتعدى اللحظة أبداً، وتحيط نفسها بجدار عال لكي تبقي الآخرين بعيداً عنها. تصحو كل صباح وتقود سيارتها «غولف فولكس فاغن» الرمادية إلى المكتبة. وفي المساء تعود إلى شقتها.

ليس لديها في موطنها سوى القليل لتفعله والقليل من الأصدقاء القدامى والأقارب، وحين تقابلهم تتبادل وإياهم أحاديث اجتماعية مهذبة لا تتجاوز المواضيع التقليدية المعتادة، وإذا جاء أحدهم على ذكر الماضي- وخاصة ماضيها هي - تدير دفة الحديث بلباقة باتجاه موضوع آخر. مجامِلَة وحَنُونَة دوماً، إلا أن كلماتها تفتقر إلى الفضول والبهجة اللذين تتوقعهما منها بشكل طبيعي. تبقي مشاعرها- هذا إن كان لا يزال ثمة مشاعر في داخلها- مخبأة. ناهيك عن أنها لا تتخذ أي قرار حاسم، لا تسمعها تبدي رأيها الشخصي بخصوص أي شئ أبداً. ونادرا ما تتحدث عن نفسها، بل تدع الآخرين يتحدثون وتومئ بدفء وهي تستمع إليهم. ومع هذا يشعر معظم الناس عندما يتحدثون إليها بعدم الراحة على نحو مبهم، يشعرون أنهم يضيعون وقتها، أو يتخبطون في عالمها الخاص الرقيق الهادئ، وهذا الانطباع غالباً ما يكون صحيحاً.

إذن حتى بعد أن استقرت أخيراً في بلدتها، ظلت غامضة. امرأة متميزة يحيطها غموض أنيق. شيء ما فيها يجعل التقرب منها صعباً، حتى رؤساؤها الأسميون، عائلة موميورا، يبقون على مسافة منها.

وفي النهاية صار أوشيما مساعدها وبدأ العمل في المكتبة. إذ لم يكن الأخير يعمل أو يدرس، بل يقبع في المنزل يقرأ ويسمع الموسيقى، ولم يكن لديه أصدقاء، باستثناء بعض من كان يراسلهم عبر الإنترنت. ونظراً لظروف مرضه لم يكن يخرج سوى لزيارة الطبيب المتخصص في المشفى، ويتجول في البلدة بسيارته المازدا. وفيما عدا الزيارات المنتظمة للمشفى الجامعي بهيروشيما، والإقامات المتقطعة في الكوخ في جبال «كوتشي»، لم يكن يغادر البلدة قط- وهذا لا يعني أنه لم يكن سعيداً بهذه الحياة، وذات يوم عرّفته والدته على الآنسة سايكي، التي أعجبت به من اللحظة الأولى، وكان شعوراً متبادلاً، ووجد أوشيما نفسه مهتماً بفكرة العمل في مكتبة، وما لبث أن أصبح الشخص الوحيد الذي تتعامل معه الآنسة سايكي أو تتحدث معه بشكل عادي.

«يبدو لي أن الآنسة سايكي قد رجعت إلى هنا فقط لكي تصبح مديرة المكتبة»، أقول.

«أوافقك تماماً في هذا، فقد كانت جنازة والدتها مجرد مبرر للعودة. أحسب أن قرار العودة كان صعباً عليها، إذ يحفل موطنها بمرّ الذكريات وحلوها».

«ولماذا كانت المكتبة مهمة هكذا بالنسبة إليها؟».

«اعتاد حبيبها أن يقيم في مبنى أصبح الآن جزءاً من المكتبة، فقد كان الابن الأكبر في عائلة كوميورا وكان عشق القراءة يجري في دمه، أعتقد أنه كان يفضل أن يكون وحده- وهذه سمة أخرى من سمات العائلة- ولهذا، عندما دخل المدرسة الثانوية، أصر على أن يقيم وحده بعيداً عن المنزل الرئيسي في مبنى منفصل، ووافق والداه. فقد كانت العائلة كلها تحب القراءة، ولهذا تفهّموا دوافعه، كان الأمر شبيهاً بـ: إذا

أردت الجلوس في حضرة الكتب فقط، فنحن لا نمانع. وبالفعل عاش في هذا المبنى الملحق دون أن يزعجه أحد، يعود للمنزل الرئيسي لتناول الوجبات فقط، وكانت الآنسة سايكي تزوره هناك كل يوم تقريباً، يدرسان معاً ويستمعان إلى الموسيقى ويتحادثان بلا توقف، وغالباً ما كانا يمارسان الحب هناك، في جنتهما الخاصة».

مرخياً يديه على عجلة القيادة، يمعن أوشيما النظر إلي قائلاً «وأنت ستعيش هناك من الآن يا كافكا. في الغرفة نفسها، كما قلت لك، برغم أنه تمّ تجديد المكتبة، إلا أن هذه الغرفة بقيت على حالها».

أظل صامتاً . .

«توقفت حياة الآنسة سايكي بشكل أساسي وهي في العشرين، حين مات حبيبها . . لا، لعلها توقفت قبل ذلك بكثير . . لا أعرف بالتفصيل، ولكن لا بدّ لك من أن تكون على علم بهذا. فمنذ ذلك الحين دفنت الآنسة سايكي عقارب الساعة في روحها وتوقفت هناك. الوقت الخارجي طبعاً يمضي حولها كالمعتاد، لكنها لا تتأثر به. ما نعتبره نحن الزمن المعتاد لا يعني شيئاً لها».

«لا يعني شيئاً؟».

يومئ أوشيما، «كأنه غير موجود».

«أتقول إن الآنسة سايكي ما زالت تعيش في ذلك الزمن المتجمّد؟».

«بالظبط، لا أعني بالطبع أنها جثة حية أو شيء من هذا القبيل، ستفهم قصدي حين تعرفها جيداً».

يمدّ أوشيما يده ويربت على ركبتي في إيماءة طبيعية للغاية.

«كافكا، في حياة كل شخص نقطة لا عودة، وفي حالات نادرة توجد نقطة يمكنه التقدم منها، وحين نصل لتلك النقطة، كل ما علينا فعله أن نتقبل الحقيقة بهدوء، وهكذا نظل أحياء».

نوشك على الوصول إلى الطريق السريعة، يوقف أوشيما

السيارة، يقفل الغطاء، ويضع سوناتة شوبرت في مشغّل الأسطوانات.

«أريد أن أعلمك بشيء آخر»، يُكمل، «قلب الآنسة سايبيكي مجروح، وهذا ينطبق علينا جميعاً. وإنما جرح الآنسة سايبيكي فريد من نوعه، إذ يتجاوز المعنى المعتاد للكلمة. ولهذا تهيم روحها في طرق غامضة. لا أقصد أنها شخصية خطيرة- لا تسئ فهمي. فهى بالطبع شخص متماسك على مستوى الحياة اليومية، ولعلها متماسكة أكثر من أي شخص آخر عرفته. إنها ساحرة، وعميقة وذكية، ولكن فقط لا تنزعج إذا بدر منها تصرف غريب أحياناً».

«شيء غريب؟»، لم أستطع كتم السؤال.

يهز أوشيما رأسه، «أنا أحترم الآنسة سايبيكي وأعزها حقاً، وأنا على يقين أنك ستبادلها الشعور نفسه».

عملياً، لا يجيب هذا عن سؤالي، وإنما أوشيما يسكت ولا يزيد شيئاً. فقط في اللحظة المناسبة تماماً يغيّر السرعة ويزيدها ليتجاوز حافلة صغيرة أثناء دخولنا في نفق.

18

وجد ناكاتا نفسه منبطحاً على العشب ووجهه نحو السماء. فتح عينيه ببطئ وهو يستيقظ. فوجد الليل قد خيّم، لكنه لم ير القمر أو النجوم، ومع هذا كانت السماء منيرة بعض الشيء. شمّ رائحة عشب الصيف القوية وسمع طنين الحشرات من حوله. كان بطريقة ما قد عاد إلى الأرض الخلاء التي كان يرابط فيها يومياً. وحين أحس بشيء خشن ودافئ على وجهه، التفت ليجد قطتين تلعقان خديه بلسانيهما الصغيرين. إنهما جوما وميمي، جلس ناكاتا ببطء، ومد ذراعه ليربت عليهما «أكان ناكاتا نائماً؟».

تصيح القطتان كما لو أنهما تشتكيان، إلا أن ناكاتا لا يستطيع فهم شيء من كلامهما، ليس يكن لديه أدنى فكرة عما تقولانه، إنهما مجرد قطتين تموءان.

«آسف، لكنني لا أفهم ما تقولانه»، ينهض واقفاً ويتفحص جسمه ليتأكد من عدم وجود ضرر ما به. لا يشعر بأي ألم. ذراعاه وساقاه سليمة. تستغرق عيناه بعض الوقت لتعتادا العتمة، وعندها يتأكد من عدم وجود دم على ذراعيه أو ملابسه. ملابسه غير متجعدة، بل إنها على حالها كما حين غادر شقته، وحقيبته القماشية بجانبه وبداخلها الغداء والترموس، وقبعته في جيب بنطاله حيث يضعها دوماً. كل شيء في مكانه المحدّد، لا يفهم ناكاتا شيئاً مما يحدث.

لقد قتل جوني واكر سفاح القطط لكي ينقذ القطتين. يتذكر هذا بوضوح شديد، حتى أنه لا يزال يشعر بملمس السكين في يده. لم يكن حلماً، لقد انفجر الدم حقاً من جسد جوني واكر، وسقط على الأرض وتكوّم على نفسه ومات. ثم عاد ناكاتا إلى الأريكة وسقط عليها وفقد وعيه. وما يعرفه بعد هذا أنه أصبح هنا، راقداً على العشب في الأرض الخلاء. كيف عاد إلى هنا؟ فهو لا يعرف طريق العودة، وكيف لا توجد نقطة دم واحدة على ملابسه؟ وجود ميمي وجوما بجانبه دليل على أنه لم يكن حلماً، ولسبب ما لا يستطيع الآن فهم كلمة مما تقولانه.

يتنهد ناكاتا. ذهنه مشوش، ولكن لا بأس- سيفهم ما حصل لاحقاً. يعلّق الحقيبة على كتفه ويحمل القطتين ويغادر الأرض الخلاء. وحين يتخطي السور، تبدأ ميمي بالحراك كأنها تريد أن ينزلها ناكاتا أرضاً.

ينزلها ناكاتا، «أظنك يا ميمي قادرة على العودة إلى المنزل بمفردك، فهو قريب من هنا».

«هذا صحيح» ، لا بدّ من أن هذا ما تقوله ميمي بحركة ذيلها.

«ناكاتا لا يفهم ما يحدث، لكنني لسبب ما لا أستطيع التحدّث معك، إلا أنني وجدت جوما، والأفضل أن أعيدها الآن إلى عائلة كوازومي، فالجميع ينتظرها هناك، شكراً جزيلاً لك على كل شيء يا ميمي».

تموء ميمي وتهزّ ذيلها مرة أخرى، ثم تركض، وتختفي عند الزاوية. هي أيضاً غير ملطّخة بالدم. يقرّر ناكاتا أن يتذكر هذا.

ابتهجت عائلة كوازومي كثيراً بعودة جوما. كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساءً، إلا أن الطفلتين لم تناما بعد، كانتا تغسلان أسنانهما قبل النوم. وكان والداهما يشربان الشاي ويشاهدان الأخبار في التلفزيون، رحبا بناكاتا بحرارة. وهرولت الصغيرتان في بيجامتيهما واحتضنتا

قطتهما العزيزة. ثم وضعوا لجوما الحليب وطعام القطط، فأقبلت جوما عليه بنهم.

«آسف لحضوري في هذا الوقت المتأخر، كان الأفضل أن آتي في وقت مبكر، ولكن ناكاتا ليس بيده حيلة».

«لا عليك»، تجيبه السيدة كوازومي، «لم ننزعج على الإطلاق».

«لا تهتم بشأن الوقت»، يقول زوجها، «هذه القطة كأحد أفراد أسرتي، ونحن سعداء حقاً لأنك وجدتها، ألن تتفضل وتتناول كوب شاي؟».

«لا، شكراً، ناكاتا عليه أن يذهب الآن، أردت فقط أن أعيد إليكم جوما بأسرع ما يمكن».

تذهب السيدة كوازومي إلى حجرة أخرى وتعود بأجرة ناكاتا في مظروف، يناوله له زوجها قائلاً: «ليس مبلغاً كبيراً، ولكن أرجوك أن تقبل هذه الهدية الرمزية عربون امتنان عن كل ما فعلته، إننا عاجزون عن شكرك».

«شكرا جزيلا لك، إنني ممنون للغاية»، يقول ناكاتا وينحني احتراماً.

«بيد أنني مندهش من أنك وجدتها في هذه الظلمة الكالحة».

«أجل، إنها قصة طويلة. ناكاتا لا يمكنه أن يحكيها لك كلها، فأنا لست ذكياً، ولا أجيد الشرح».

«لا عليك أبداً، نحن في غاية الإمتنان يا سيد ناكاتا»، تقول السيدة كوازومي، «ليتك تأخذ هذا، آسفة لأنه قليل، إنه باذنجان مشوي وكرنب مخلل».

«يسرني جداً أن آخذه، الباذنجان المشوي والكرنب المخلل من أكلات ناكاتا المفضلة».

وضع ناكاتا الطعام والمظروف في حقيبته. ثم مضى مسرعاً نحو

المحطة، واتجه إلى مركز الشرطة الكائن بجوار الحي التجاري. كان يجلس بداخله ضابط شاب منكبّ على بعض الأوراق، واضعاً قبعته على المكتب. دفع ناكاتا الباب الزجاجي ودلف «مساء الخير، آسف لإزعاجك».

«مساء الخير»، أجاب الشرطي وهو يرفع نظره عن الورق ليلقي على ناكاتا نظرة سريعة. وكان يعتبره عجوزاً لطيفاً وغير مؤذ بالأساس، غالباً يستدل منه على الطريق.

ما زال واقفاً بالباب. يخلع ناكاتا قبعته ويدسها في جيبه، ويأخذ منديلاً من جيبه الآخر ويمسح به أنفه. ثم يطوي المنديل ويعيده إلى جيبه.

«بمَ أستطيع أن أخدمك؟»، يسأله الضابط.

«نعم، أريد أن... لقد قتلت أحدهم».

يقع القلم من يد الشرطي على المكتب، ويحملق الاخير في العجوز مشدوها، ويظل صامتاً، ثم يقول له «ماذا؟ تفضل، تفضل بالجلوس»، يدعوه بتردد، وهو يشير إلى الكرسي قبالته. ثم يمد يده ليتحسس مسدسه، وعصاه والأصفاد.

«شكرا لك»، يقول ناكاتا ويجلس باستقامة على الكرسي، ويده في حجره ناظراً مباشرة إلى الضابط.

«تقول إنك... قتلت شخصا؟».

«نعم، ناكاتا طعن شخصاً بالسكين منذ بعض الوقت»، يعترف ناكاتا بكل صراحة.

يخرج الضابط الشاب من درج مكتبه استمارة وينظر إلى ساعة الحائط، يدوّن التوقيت والاعتراف بالطعن. ثم يقول «اسمك وعنوانك من فضلك».

«اسمي ساتورو ناكاتا وعنواني...».

«لحظة، كيف تتهجّى اسمك؟».

«آسف، لا أعرف كيف أتهجاه، فأنا لا أعرف الكتابة والقراءة».

يعقد الضابط حاجبيه، «ولا كيف تكتب اسمك حتى؟».

«صحيح، كنت أكتب وأقرأ حتى بلغت التاسعة من عمري، ثم أصبت في حادث، وبعدها لم أعد قادراً على ذلك، ناكاتا ليس ذكياً».

يتنهّد الضابط ويترك القلم. «لا يمكنني أن أملأ المحضر إلا إذا عرفت كيف أكتب اسمك».

«أنا آسف».

«هل لديك عائلة؟».

«ناكاتا يعيش بمفرده. ليس لدي عائلة. ولا عمل، أنا أعيش على *المع*- ونة، التي يمنحها لي المحافظ».

«الوقت متأخر جداً. ما رأيك أن تعود إلى البيت الآن، وتنام جيداً، وغداً إذا تذكرت شيئاً عُد مرة أخرى، وحينها نتحدث».

كان الشرطي على وشك إنهاء نوبته، وأراد أن يفرغ من بعض الأوراق قبل المغادرة، إذ كان قد اتفق مع شرطي صديقه على أن يقابله بعد انتهاء الدوام في حانة مجاورة ليتناولا شراباً، وآخر ما كان يريده أن يضيّع الوقت بالحديث مع عجوز خرف.

لكن ناكاتا نظر إليه بجدية، وهزّ رأسه قائلاً: «لا سيدي، ناكاتا يريد أن يقول كل شيء بينما لا يزال يتذكره، فلو انتظرت للغد قد أنسى شيئاً مهماً. ناكاتا كان في الأرض في الخلاء في الحي الثاني، لأن آل كوازومي طلبوا مني أن أبحث لهم عن قطتهم جوما. وفجأة ظهر لي كلب أسود ضخم وقادني إلى منزل كبير ببوابة كبيرة وكانت هناك سيارة سوداء. وأنا لا أعرف عنوان المنزل لأنني لم أذهب إلى هناك من قبل أبداً، لكنني متأكد أنه في حي ناكانو. وكان بالمنزل رجل اسمه جوني واكر، يعتمر قبعة سوداء غريبة وطويلة جداً. وفي المطبخ، في الثلاجة

أعداد من رؤوس القطط ، حوالى 20 حسب ظني. لأن جوني واكر يجمع القطط، ويقطع رؤوسها بمنشار ويأكل قلوبها، وهو يفعل هذا ليصنع ناياً من نوع خاص، ناياً سيجمع به أرواح الناس. جوني واكر قتل السيد كوامورا بسكين أمام نظر ناكاتا، وقتل قططاً أخرى أيضاً، بقر بطونها بالسكين، وكان سيقتل جوما وميمي أيضا لكن ناكاتا أمسك السكين وطعنه به.

«جوني واكر هو الذي طلب من ناكاتا أن يقتله، لم أقصد أن أقتله، فأنا لم أقتل أحد من قبل أبداً، فقط أردت أن أوقفه عن قتل القطط الأخرى. ولكن جسدي لم يُطِعْني، وتصرّف كما يريد، فأمسكت أحد السكاكين التي كانت هناك وطعنت جوني واكر مرتين، وسقط غارقا في الدماء، ومات. وتلطّخ ناكاتا بالدم أيضاً، ثم جلست على الأريكة ولا بدّ من أنني نمت، لكن عندما استيقظت كان منتصف الليل وكنت في الأرض الخلاء. وميمي وجوما بجانبي. ومن وقت قصير فقط، أعاد ناكاتا جوما وأعطتني السيدة كوازومي الباذنجان المشوي والكرنب المخلل، وجئت إلى هنا فوراً، لأنني رأيت أنه من الأفضل أن أخبر المحافظ فوراً بكل ما حدث، كله».

كان ناكاتا يجلس مستقيم الظهر وهو يروي للشرطي ما حدث، وحين فرغ من حكايته أخذ نفساً عميقاً، إذ لم يتحدث من قبل إلى هذا الحدّ، وهذا ما أشعره بإرهاق شديد.

«رجاء إذن أن تبلغ المحافظ بذلك»، أضاف ناكاتا.

استمع الضابط الشاب إلى الحكاية وهو ينظر لناكاتا نظرة خالية من أي معنى، إذ لم يكن يفهم الكثير مما يقوله العجوز. جوما؟ جوني واكر؟ «مفهوم، مفهوم» أجابه في النهاية، «سأحرص على أن يعلم السيد المحافظ بهذا الأمر».

«وأرجو ألا يقطع عني المع- ونة».

تظاهر الشرطي بأنه يملأ استمارة المحضر، وبدا أنه يفعل هذا

على مضض، «مفهوم طبعاً، وسأدونه تماما كما قلته: *يلتمس الشخص المعني عدم قطع المعونة عنه*. هل أنت راض الآن؟».

«نعم. جيد. ممنون جداً. وآسف لإزعاجك. وأرجو أن تبلغ تحياتي للمحافظ».

«بالطبع. لا تقلق، فقط ارتح اليوم، اتفقنا؟»، يقول الشرطي، لكنه لا يستطيع منع نفسه من إبداء ملحوظة شخصية له «أتعرف، إن ملابسك تبدو نظيفة جداً بالنسبة إلى شخص قتل شخص آخراً وتلطّخ بدمه، لست أرى نقطة دم واحدة عليها».

«نعم، معك حق. أقول لك الحق، ناكاتا أيضا مندهش، شيء غير معقول بالمرة، كان يجب أن تغطيني الدماء، ولكنني عندما نظرت إلى نفسي كان الدم كله قد اختفى، أمر غريب جداً».

«غريب طبعاً»، قال الشرطي بنبرة متعبة تختصر عناء يومه كله.

يفتح ناكاتا الباب ليخرج لكنه يتوقف ويلتفت مجدداً نحو الشرطي قائلاً: «عفواً سيدي، هل ستكون هنا غداً مساءً؟».

يجيبه الشرطي بحذر «أجل، سأكون هنا، فلدي غداً مساءً نوبة عمل هنا. لماذا تسأل؟».

«أحرص على أن تحضر معك مظلتك، حتى لو كان الجو مشمساً».

يومئ الشرطي برأسه ثم يستدير لينظر في الساعة، سيتصل صديقه في أي لحظة، «كما تشاء سأحضر مظلة».

«سيسقط سمك من السماء، مثل المطر. سمك غزير، سيكون سردينا على ما أظن مع بعض الأسقمري».

«سردين وأسقمري؟ هاه»، يجيب الشرطي ضاحكاً.

« الأفضل إذن أن أحمل المظلة بالمقلوب لألتقط قليلاً منه. ومع المخلل ستكون أكلة شهية».

«الأسقمري المخلل من أكلات ناكاتا المفضلة»، ثم يردف بجدية، «ولكن أظن أنني سأكون قد غادرت وقتها».

في اليوم التالي استحال وجه الشرطي أصفر حين- وبكل تأكيد وبدون مقدمات - هطل سمك السردين والأسقمري بغزارة من السماء على جزء من حي ناكاناو. انهمر نحو ألفي سمكة سردين وأسقمري من السماء، وتكوم على الأرض، بينما ظل القليل منه حياً وراح يتقافز في نواحي السوق. كان السمك لا يزال طازجاً محملاً برائحة البحر. سقط لاطماً الناس والسيارات والأسطح، وكان من الواضح أنه لم يسقط من ارتفاع عال ولذا لم يتسبب في وقوع حوادث خطيرة. لكن بالنسبة إلى الشرطي كانت صدمة تفوق أي صدمة أخرى حين انهمر من السماء وابل من الأسماك- لقد تحققت النبوءة.

أجرت الشرطة تحقيقاتها في الحادث ولم تصل إلى أي تفسير منطقي، إذ لم يرد بلاغ من أى سوق أو سوبر ماركت أو مركب صيد عن سرقة كميات من الأسقمري والسردين، ولم تحلق أى طائرات هيلوكوبتر أو أى طائرات أخرى فوق المنطقة في ذلك الوقت. كما لم ترد أية تقارير عن إمكانية هبوب أعاصير. كذلك نحّوا جانباً إمكانية أن يكون الأمر مجرد مَقلب محبوك جيداً- ومن هذا الذي يفكر بهذا الأسلوب الغريب؟ ونزولاً عند رغبة الشرطة، قامت مديرية الصحة بناكانو بجمع وفحص بعض الأسماك، لكنها لم تتوصل إلى وجود شيء غير طبيعي، مجرد سمك سردين وأسقمري طازج وشهي. وكانت الشرطة تخشى احتمال احتواء الأسماك الغامضة على مواد خطيرة، فأرسلت حافلات بميكروفونات عالية لتحذير الناس في المناطق المجاورة ألا يأكلوا من السمك.

تنافست المحطات التلفزيونية على تغطية الحدث الذي كان من النوع المفضل لديها، وتدفقت فرق التصوير إلى مسرح الحادث، وجال

الصحافيون في الأسواق المجاورة. قاموا جميعاً ببث تقاريرهم عن تلك الحادثة العجيبة لكل أنحاء البلاد. أزاحوا السمك بجرافات ليعرضوا ما حدث، وأجروا كذلك مقابلة مع ربة منزل ارتطمت سمكة أسقمري بها، فخدشت خدها. «أحمد لله أنها لم تكن سمكة تونة»، قالت ربة المنزل وهى تغطي خدها بمنديل قماش. كان كلام المرأة منطقياً، ومع ذلك أضحك المشاهدين. وقام صحافي جسور بشي بعض الأسماك مباشرة على الهواء، معلناً للمشاهدين وهو يتذوقه «طازج ويحتوي على الكمية المناسبة من الدهن. للأسف لا يوجد فجل أو أرز بالطماطم».

أما الشرطي الشاب فقد ظلّ مذهولاً. ذلك العجوز الغريب الخرف - ماذا كان اسمه؟- لقد تنبأ بهطول الأسماك. سردين وأسقمري، تماماً مثلما قال. . . . ولم أعره أدنى اهتمام، . هكذا فكّر الشرطي ولم يتمكن من تذكر الاسم أوالعنوان. هل يُعلم رؤساءه بالأمر؟ يفترض به ذلك. ولكن، وما الجدوى الآن؟ لم يتأذَّ أحد حقاً. ولا دليل على ارتكاب جريمة. ما الأمر سوى زخة أسماك صغيرة هطلت من السماء.

ومن قال إن الرئيس سيصدق؟ سأل الشرطي نفسه- لنفرض أنني أخبرته أنه قبل يوم من سقوط الأسماك جاء رجل عجوز غريب الأطوار وتنبأ بسقوط وابل السمك هذا- بالتأكيد سيظن أنني جننت. وستلفّ القصة على الأقسام، وتتضخم، وتصبح النكتة المتداولة. وينتهي الأمر بأن يصير هو مسخرة أقسام الشرطة.

وثمة شيء آخر، فكر الضابط. لقد جاء العجوز ليعترف بجريمة قتل، أو بالأحرى ليسلِّم نفسه للشرطة. وأنا لم آخذ كلامه على محمل الجد. لم أقم حتى بتسجيل البلاغ في السجلات. وهذا بالطبع مخالف لقواعد العمل، وربما أحالوني للتحقيق. ولكن ما قاله العجوز كان كلاما أحمق للغاية، لا يمكن لأي شرطي أن يأخذه على محمل الجد. إذ يصبح مركز الشرطة أحياناً كمشفى المجانين، وتتكدس الأوراق حتى

تصل للأنف. فالعالم حقاً مليء بالمجاذيب، وأحياناً يبدو الأمر كما لو أنهم، باتفاق بينهم، يتدبرون أمرهم بشكل ما ليصلوا إلى مركز الشرطة ويدلوا ببعض الخرافات، ولو أخذت كل واحد من هؤلاء المجانين على محمل الجد، فستجن مثلهم!

وبرغم هذا تحققت نبوءة هطول الأسماك من السماء - هذا يا لها من عبارة مجنونة، إن كانت موجود من الأصل- وثمة احتمال، مجرد احتمال، أن تكون قصته عن قتل شخص ما بالسكين- جوني واكر كما قال- حقيقية. وإذا افترضنا أنه كان يقول الحقيقة، فهذه ورطة كبيرة، فقد طَرَدَ رجلاً جاء ليعترف بجريمة قتل، ولم يقم حتى بكتابة محضر.

وأخيرا، جاءت عربة جمع القمامة لترفع أكوام السمك. قام الشرطي الشاب بتنظيم المرور، وأمر بإقفال مدخل السوق حتى لا تمرّ السيارات. التصق قشر السمك بالأرض على أعتاب المحلات، وصعبت إزالته برغم استعمال خراطيم المياه، ظلت الشوراع مبللة لفترة، وتسبب هذا في تزحلق سيدتين على دراجتين هوائيتين. وغمرت المكان رائحة السمك لأيام حتى انهارت أعصاب كل قطط المنطقة. وظل الشرطي مشغولاً بمسألة التنظيف فلم يجد الوقت ليفكر في العجوز الغريب.

في اليوم التالي لهطول الأسماك، لم يتمكن الشرطي من بلع ريقه حين بلغه خبر اكتشاف جثة رجل مقتول طعناً في منطقة مجاورة. كان المجني عليه نحاتاً مشهوراً، اكتشفت الخادمة التي كانت تذهب لمنزله يوما بعد يوم جثته في منزله. وكان الجسد عارياً وغارقاً في بركة دم. تم تقدير وقت وقوع الجريمة في المساء قبل يومين من اكتشاف الجثة، وحددت أداة الجريمة بأنها سكين قطع لحم من مطبخ القتيل. ولِحظّه التعس، صدّق الشرطي أخيراً ما أخبره به العجوز. يا إلهي، فكر الشرطي، يا لها من ورطة غبية هذه التي أوقعت نفسي فيها! كان عليّ أن أتصل بالقسم وأحتجز العجوز. لقد اعترف بارتكاب جريمة قتل،

وكان يجب أن أسلمه لمن هم أعلى رتبة مني وأدعهم يقررون ما إذا كان مجنوناً أم لا، لكنني تهاونت في العمل. وعندها قرر الشرطي الشاب أن أفضل ما يستطيع فعله الآن أن يصمت وينتهي من هذه السيرة، وكأن شيئاً لم يكن.

وفي الأثناء، كان ناكاتا قد غادر المدينة.

19

إنه يوم الإثنين والمكتبة مغلقة. أغلب الوقت تكون المكتبة هادئة، ولكن حين تكون مقفلة، كهذا اليوم، تبدو كأرض غفل الزمن عنها، أو كمكان يمسك أنفاسه تخوفاً من أن يتعثر الزمن به صدفة.

في نهاية الرواق المؤدي إلى قاعة القراءة، ومروراً بيافطة «للعاملين فقط»، هناك فسحة صغيرة تحتوي على مغسلة وميكرويف، لإعداد الشاي والقهوة، . وثمة باب يؤدي منها إلى حجرة الضيوف، وهى حجرة بها حمام صغير وخزانة ملابس. وبجانب السرير الصغير الذي يتسع لفرد واحد هناك طاولة صغيرة عليها مصباح ومنبّه. وفي الحجرة أيضاً مكتب صغير عليه مصباح آخر، بالإضافة إلى مجموعة كراس من الطراز القديم مغطاة بكسوة بيضاء لاستقبال الضيوف، ومجموعة أدراج للملابس، وثلاجة صغيرة عليها بعض الأطباق على رف صغير. فإذا أردت إعداد وجبة بسيطة لديك المطبخ بالخارج. وفي الحمام دش وصابون وشامبو ومجفف للشعر ومناشف، أي كل ما يحتاج إليه المرء لإقامة قصيرة ومريحة. من النافذة الصغيرة المطلة على جهة الغرب تمكن رؤية أشجار الحديقة. المساء يوشك ، والشمس الغاربة تلمع وهي تمر بفروع الشجر.

«أقمت هنا بضع مرات عندما كنت أجد صعوبة في العودة إلى البيت»، قال أوشيما، «عدا هذا لم يستخدم الحجرة أي شخص آخر،

وعلى حد علمي، لا تستخدمها الآنسة سايكي أبداً. أقصد أن إقامتك هنا لا تتسبب في طرد أحد».

أضع حقيبتي على الأرض وأجيل نظري في مسكني الجديد.

«هناك ملاءات نظيفة، وما يكفي في الثلاجة ليسد جوعك، حليب وبعض الفاكهة والخضروات وزبدة ولحمة وجبنة... لا تكفي لإعداد وجبة محترمة، فقط ساندويتش أو طبق سلطة، وإن أحتجت إلى المزيد فعليك بطلب الطعام السريع، أو الخروج لتناول الطعام، وبالنسبة للغسيل ستضطر إلى غسله بنفسك ونشره في الحمام، هذا كل شيء على ما أظن. هل نسيت شيئاً؟».

«أين تعمل الآنسة سايكي عادة؟».

يشير أوشيما إلى السقف. «أتذكر تلك الغرفة في الطابق الأول التي رأيتها أثناء الجولة، تظل هناك تكتب، وإن اضطرت إلى الخروج لبعض الوقت، تأتي أحياناً لتحل محلي في الاستقبال، وإن لم يكن لديها ما تفعله في الطابق الأرضي فستجدها دوماً فوق».

أومئ.

«سأكون هنا غداً قبل العاشرة صباحاً لأشرح لك مهامك. يمكنك أن تستريح الآن».

«شكرا على كل شيء».

«من دواعي سروري».

بعد أن يغادر، أفرغ محتويات حقيبتي وأرتّب ملابسي القليلة في الأدراج، وأعلّق الكنزات الخفيفة والسترة، وأضع دفتر اليوميات والأقلام على المكتب، وأضع أدوات استحمامي في الحمام، وأخيراً أضع الحقيبة الفارغة في الدولاب.

الحجرة خالية من الزينة، ما عدا لوحة زيتية صغيرة، بورتريه واقعي يمثل فتى على الشاطئ. لا بأس بها- أتراها لرسام شهير؟ يبدو الفتى في قرابة الثانية عشرة، يعتمر قبعة شمس بيضاء، ويجلس على

كرسي بحري مسنداً مرفقه إلى ذراع الكرسي وذقنه على يده. يبدو حزيناً وإنما راضياً. بجانبه كلب «شبرد» ألماني أسود، كأنه يحرسه، وفي خلفية اللوحة البحر وشخصين بعيدين جداً حتى أن وجهيهما غير واضحين. وهناك جزيرة، وسحب صغيرة تطفو فوق الماء. منظر صيفي بالتأكيد. أجلس إلى المكتب وأتأمل اللوحة لفترة. فأشعر وكأنني أسمع صوت تلاطم الموج وأشم رائحة البحر المالح.

لعل هذا الفتى في اللوحة هو الذي كان يعيش هنا، لعله الشاب الذي أحبته الآنسة سايكي، الذي قُبض عليه أثناء إضراب الطلبة ومات هباء. لا سبيل للتأكد من هذا، لكننى أراهن أنه هو. فالمنظر في اللوحة يشبه كثيراً هذه المنطقة. وإن كان الفتى نفسه، فلا بدّ من أن عمر هذه اللوحة أربعين سنة، مدة تبدو لشخص مثلي كأنها الأبد. أحاول أن أتخيل نفسي بعد مرور أربعين عاماً، فلا أستطيع، وكأنني أحاول أن أتخيل ما بعد الكون.

في الصباح التالي يأتي أوشيما ويرشدني إلى واجباتي الصباحية قبل فتح المكتبة. أولاً: فتح النوافذ لتهوئة الغرف، كنس سريع، تلميع أسطح المناضد، تغيير الزهور في الأواني، إضاءة الأنوار، ومن حين لآخر رشّ الحديقة بالماء حتى لا يتعفّر التراب. بعدها أفتح المكتبة في الوقت المحدّد. وعندما يحين موعد الإغلاق، أقوم بالخطوات نفسها معكوسة، أغلق النوافذ، وألمع أسطح المناضد مرة أخرى، وأطفئ الأنوار، وأقفل الباب الأمامي.

«لا يوجد هنا ما يغري بالسرقة، لذا لا نقلق كثيراً بخصوص إغلاق الباب بالقفل»، يخبرني أوشيما، «ولكنني والآنسة سايكي لا نحب الإهمال، نحب القيام بالأمور بانتظام. فهذا منزلنا، وعلينا أن نحترمه، وأرجو منك القيام بالمثل».

أومئ.

ثم يشرح لي العمل في مكتب الاستقبال، وكيفية تقديم المساعدة لمستخدمي المكتبة.

«ليس بالأمر الصعب، ليس عليك حالياً سوى الجلوس بجانبي ومراقبة ما أفعله، وإذا طرأ أمر ما لا تستطيع التعامل معه، فاصعد وأستفسر من الآنسة ساييكي وسوف تهتم هي بالأمر».

تصل الآنسة ساييكي قبل الحادية عشرة بقليل، لسيارتها الفولكس فاجن صوت خاص عندما تتوقف، أستطيع أن أميزه فوراً فأدرك أنها وصلت. تركن السيارة وتسير نحو الباب الخلفي، «صباح الخير»، تحيينا. «صباح النور»، نجيبها. وتنتهي المحادثة. ترتدي فستاناً أزرق داكناً، قصير الكمّين، وتحمل سترة قطنية بيضاء وحقيبة، ولا تضع أي حلي، أما ماكياجها فبالكاد ظاهر. ومع هذا فإنها فاتنة. تلمحني واقفاً بجانب أوشيما وتبدو لوهلة وكأنها تريد أن تقول شيئاً ما.. لكنها لا تفعل.. فقط تبتسم لي ابتسامة خفيفة مشعّة. ثم تتجه إلى مكتبها في الطابق الأول.

«لا تقلق»، يطمئنني أوشيما، «وجودك لا يزعجها، كل ما في الأمر أنها لا تهتم كثيراً بالأحاديث العابرة».

عند الحادية عشرة أفتح أنا وأوشيما الباب الرئيسي، ولفترة لا يأتي أحد. في الفترات ما بين مجيء الزوار، يشرح لي أوشيما كيفية البحث عن الكتب على الكمبيوترات. أجهزة اعتدت التعامل معها. ثم يريني كيف أرتب فهرس البطاقات. تصل المكتبة نسخ من الكتب الحديثة يومياً، وتلك مهمة أخرى لي، إذ عليّ أن أضيفها إلى بيانات الكمبيوتر.

حوالى الساعة 11:30 تدخل المكتبة سيدتان معاً، ترتديان نفس نوع الجينز، الأقصر منهما قصيرة الشعر كسبّاحة، بينما الأطول تعقصه للخلف، وكلتاهما تنتعل حذاء رياضياً، واحد من نوع «نايكي» والآخر «آسيكس»، تبدو الطويلة في الأربعين، تضع نظارات وترتدي قميصاً

مقلماً، أما القصيرة فتبدو أصغر بنحو عشر سنوات، وترتدي كنزة بيضاء. كلتاهما تحمل حقيبة ظهر، وعلى وجهيهما تعابير كئيبة كيوم لم تشرق في الشمس. لا تتحدث أي منهما كثيراً، يضع عنهما أوشيما حقيبتيهما عند المدخل، فتُخرج كل منهما من حقيبتها قلماً ودفتر ملاحظات قبل أن تتركها عند المدخل على مضض.

تجول السيدتان في المكتبة. تعاينان الأرفف وفهرس البطاقات بدقة وجدية، ومن حين لآخر تدوّنان الملحوظات. لا تجلسان، ولا تأخذ أي منهما كتاباً لتقرأه. لا يظهر عليهما أنهما من مستخدمي المكتبة، وإنما أشبه بمفتش ضرائب ينقّب في دفاتر مخازن شركة ما. لم نفهم أنا وأوشيما مَنْ هاتين المرأتين، ولا ماذا تريدان. رمقني أوشيما بنظرة ذات مغزى فرفعت كتفي إشارة إلى أنني لم أفهم، ولكن بموضوعية، لست مطمئناً لهذا.

عند العصر، يذهب أوشيما ليتناول غداءه في الحديقة، وأحلّ محله بمكتب الاستقبال.

تأتيني إحداهما- الطويلة- وتقول: «معذرة، لديّ استفسار»، نبرة صوتها جافة وقاسية كقطعة خبز نسيها أحدهم على الرف.

«بالطبع، أي خدمة؟».

تقطّب وتنظر إلي كأنني برواز صورة مهشم. «ألست طالباً في المدرسة؟».

«أجل، هذا صحيح، لكنني أتدرب هنا».

«هل يمكنني التحدث مع أحد رؤسائك؟».

أخرج إلى الحديقة وأنادي أوشيما. يرشف رشفة من قهوته ببطء لتساعده على مضغ لقمة طعام. ينفض عن حجره الفتات ويعود للمكتبة. يسألها بتهذب: «تحت أمرك، أي مساعدة؟».

«أودّ إعلامك بأننا نقوم بمسح للمرافق الثقافية العامة في كل أنحاء البلاد من منظور نسوي، أي من حيث سهولة الاستخدام، وإتاحة

الخدمات، وغيرها من القضايا، ولهذا تقوم منظمتنا بإجراء بحث في هذا الأمر، ومن المزمع نشر نتائج هذا البحث في تقرير عام. عدد كبير من النساء يشاركن في هذا المشروع، وصودف تكليفنا بإجراء المسح في هذه المنطقة».

«بعد إذنِك، هل أستطيع معرفة اسم المنظمة؟».

بسرعة، تُخرج المرأة بطاقتها الشخصية من جيبها، وتناولها لأوشيما.

دون أى تغيير في تعبير وجهه، يقرأها بتمعن، ويضعها على المكتب، ثم ينظر إلى المرأة بابتسامة قوية ومتفرّسة، جديرة بأن تجعل الدم يجري في عروق مَنْ تتلقاها فتحمرّ خجلاً.

لكن الغريب أنه لم يصدر أي رد فعل عن هذه المرأة، ولا حتى التواءة حاجب. فقط تابعت «وما خلصنا إليه بخصوص هذه المكتبة أنه هناك للأسف بعض المسائل التي تحتاج إلى المناقشة».

«من منظور نسوي؟ أهذا ما تعنينه؟».

«صحيح، من منظور نسوي»، تتنحنح، وتتابع «وبعد إذنك. نحن نود أن نناقش هذه المسائل مع الإدارة هنا لنسمع رأيها في هذا الخصوص».

«ليس لدينا إدارة، ولكن يسرَّني الإستماع إلى ما تريدان قوله».

«بالطبع. بادئ ذي بدئ، لا يوجد هنا حمام للسيدات، أليس كذلك؟».

«بلي، صحيح. لا حمام للسيدات في هذه المكتبة. لدينا حمام واحد فقط للاستعمال المختلط».

«حتى بوصفكم مؤسسة خاصة، ألا ترى- من حيث المبدأ- أنه بما أنكم مكان عام ينبغي أن توفروا حمَاماً خاص بالسيدات؟».

«من حيث المبدأ؟».

«أجل، فالحمّامات المشتركة تؤدي لحدوث كافة أنواع

التحرّشات، وطبقاً لإحصاءاتنا، تحجم غالبية النساء عن استخدام الحمامات المشتركة، وهذا دليل قاطع على إهمالكم لمرتادي مكتبتكم من الإناث».

«إهمالنا. . .»، يقول أوشيما وقد ارتسمت على وجهه ملامح من ابتلع شيئا مرّاً بالخطأ، تعبيراً عن أنه لا يستسيغ وقع هذه الكلمة.

«سهو متعمّد».

« سهو متعمّد،» يكرر كلامها ويتفكر قليلاً في العبارة الخرقاء.

«ما رأيك في الأمر إذن؟»، تسأله المرأة وهي بالكاد تكتم غيظها.

«كما ترين»، يجيبها «هذه مكتبة صغيرة جداً، ولذا للأسف لا تتوافر لدينا المساحة الكافية لتوفير حمامات منفصلة. من الطبيعي أنه سيكون من الأفضل لو كانت لدينا مرافق منفصلة، إلا أنه لم يسبق لأحد من روّادنا أن اشتكى من هذا الأمر. لحسن الحظ أو لسوئه، فإن مكتبتنا لا تشهد الكثير من الازدحام. أما إذا أردت أن تحققي تقدماً في قضية الحمّامات المنفصلة هذه، فأقترح عليك التوجّه إلى مقر شركة بوينغ بسياتل وتطرحي عليها قضية الحمّامات في الطائرة 747، لأن هذه الطائرة أوسع بكثير من مكتبتنا الصغيرة، وتشهد ازدحاماً أكبر بكثير. وعلى حد علمي، كل الحمامات في طائرة الركاب مشتركة».

تقطب السيدة الطويلة جبينها، فتبرز عظام وجنتيها للأمام وترفع نظارتها فوق أنفها «نحن لا نستقصي في الطائرات. البيونغ 747 خارج الموضوع».

«أليست الحمّامات في الطائرات وفي مكتبتنا- من حيث المبدأ- تتسبب في حدوث المشكلات نفسها؟».

«نحن نستقصى مرفقاً عاماً بعد آخر، ولسنا هنا لنتجادل حول المبادئ».

لا تخفت ابتسامته طوال النقاش، «فعلاً؟ أستطيع أن أقسم أن المبادئ هى بالضبط ما نناقشه».

تدرك المرأة أنها أفسدت الأمر، يحمرّ وجهها قليلاً. ليس بسبب جاذبية أوشيما الجنسية. فتجرّب تكتيكاً مختلفاً، «على كل حال، لا صلة للأمر هنا بطائرة الجامبو. فلا تحاول التشويش على القضية الأساسية».

«مفهوم، لا مزيد من الطائرات». يعدها أوشيما، «لنهبط إلى أرض الواقع إذن».

تحدجه المرأة بنظرة غاضبة، وبعد أن تأخذ نفساً، تندفع فجأة، «وهناك مسألة أخرى أود مناقشتها وهي تصنيفكم للمؤلفين هنا على أساس الجنس».

«هذا صحيح، فالشخص الذي كان مسؤولاً قبلنا هو الذي قام بهذا التصنيف، ولسبب لا أعمله، صنّفهم هكذا، ذكوراً وإناثاً. وقد نظرنا في أمر إعادة تصنيفهم ولكن حتى الآن لم تتسنّ لنا الفرصة لفعل ذلك».

«نحن لا ننتقدك في هذا»، تقول.

يُميل أوشيما رأسه.

«ومع هذا فالمشكلة أنه في كل الفئات، تُدرج أسماء المؤلفين الذكور قبل أسماء المؤلفات النساء» تقول، «وبحسب اعتقادنا هذا يمثل انتهاكاً للمساواة بين الرجل والمرأة، انتهاكاً جسيماً وفادحاً».

يحمل أوشيما بطاقتها مرة أخرى ويروح ينظر إليها، ثم يعيدها إلى الطاولة، «آنسة سوجا»، يبدأ الكلام، «عندما كانوا ينادون على الحضور في المدرسة، وكان اسمك يأتي قبل أنسة شانكا وبعد الآنسة ساكين. أتقدمت بشكوى في هذا الخصوص؟ هل اعترضت وطلبت أن يعكسوا الترتيب؟ هل يغضب حرف الثاء لأنه يأتي بعد التاء في الأبجدية؟ وهل قامت الصفحة 68 في كتاب ما بثورة لمجرد أنها تلي الصفحة 67؟».

«ليس القصد»، ترد بغضب، «أنت تتعمد تشويش المسألة».

وكانت هذه الكلمات بمثابة إشارة إلى السيدة القصيرة التي كانت واقفة أمام إحدى الطاولات تدوّن ملاحظات حتى تهب لنجدة صديقتها.

«أتعمد تشويش المسألة»، يكرر أوشيما كما لو كان يضع خطاً تحت العبارة.

«أتنكر ذلك؟».

«رنجة حمراء»، يجيبها أوشيما.

تقف المرأة المدعوة سوجا مشدوهة عاجزة عن النطق.

«إنه مصطلح في الإنجليزية، 'red herring'[1] وهو تعبير عن الشيء الممتع جداً، ولكن يلهي عن الهدف الأساسي. وللأسف لم أبحث في أصل هذا المصطلح».

«رنجة أم أسقمري أو أياً كان، فأنت تحيد عن المسألة».

«إن ما أفعله في الحقيقة هو تغيير معيار النقاش»، يقول أوشيما، «وهذا بحسب أرسطو أحد مناهج الجدل الفعالة. كان الأثينيون القدماء يستمتعون كثيراً بهذا النوع من الحيل الفكرية. ومع هذا بالطبع كان من العار ألا تندرج النساء تحت تعريف مواطن».

«أتسخر منا؟».

يهز أوشيما رأسه. «اسمعي، ما أحاول الوصول إليه هو أنه بالتأكيد توجد طرق كثيرة للتأكد من احترام حقوق المرأة أكثر فاعلية من التطفّل على مكتبة صغيرة في بلدة بالأقاليم والتذمّر من الحمّامات وتصنيف الكتب في الفهارس. نحن نبذل قصارى جهدنا لتكون مكتبتنا المتواضعة في خدمة مجتمعنا، وقد جمعنا لذلك مجموعة متميزة لعشاق

(1) رنجة حمراء مصطلح يستخدم للتعبير عن التضليل عن الموضوع الأساسي. ويقال إنه يعود إلى وقت من الأوقات حين كان الهارب من الشرطة يرمي وراءه برنجة حمراء لتضليل الكلاب البوليسية عن رائحته وبالتالي يسهل هروبه منها.

الكتب، ونسعى بكل جهدنا إلى إضفاء لمسة إنسانية على علاقتنا بالجمهور. قد لا تعلمين ذلك ولكن مجموعة كتب الشعر في هذه المكتبة تمتد منذ العام 1910 وحتى منتصف عصر الشوا، وهي معتمدة رسمياً على المستوى الوطني. ومن الطبيعي أنه هناك أمور كان يمكننا القيام بها على نحو أفضل، وإنما هناك أيضاً حدود لقدراتنا وعموماً أطمئنك تماماً إلى أننا نبذل قصارى جهدنا. وأظن أن التركيز على ما نقوم به جيدا أفضل من التركيز على ما لا نستطيع أن نقوم به. أليس هذا ما تسمينه عدلاً؟».

تنظر الطويلة إلى القصيرة، التي تنظر إليها مشدوهة للمرة الأولى. «إنك تتجنب الموضوع، وتتفوه بحجج فارغة لتتهرب من المسؤولية»، تجيبه بنبرة حادة. «في *الواقع*، وأنا أقصد هذه الكلمة، ما تفعله الآن هو مراوغة لتبرير الذات. وأقولها لك بصراحة أنت مثال محزن على الذكورة التاريخية. إذا أردنا التعبير بلطف».

«مثال تاريخي محزن»، يكرر أوشيما بادياً عليه التأثر. ويبدو معجباً بالجملة.

«بل بالأحرى أنت ذكر عنصري أبوي نموذجي»، تنفجر المرأة الطويلة عاجزة عن كظم غيظها.

«ذكر أبوي»، يكرر أوشيما مرة أخرى.

تتجاهل القصيرة هذا وتردف، «إنك تستغلّ الظروف الراهنة والمنطق الذكوري الرخيص الذي يساعد على الحط من شأن الجنس الأنثوي إلى مواطنين في المقام الثاني، وهذا يحدّ من حقوق المرأة، ويحرمها من حقوقها المكفولة لها. والأسوأ من كل هذا أنك لا تقوم بهذا عمداً، وإنما عن غير وعي، مما يجعل ذنبك أعظم. انت تحمي المصالح الذكورية المشتركة، فقد اعتدت على آلام الآخرين، ولا تحاول حتى أن ترى الضرر الذي تتسبب فيه رؤيتك المشوّشة هذه للمرأة والمجتمع. أدرك أن مشكلات الحمامات وبطاقات الفهارس هي

مجرد تفاصيل، ولكن إن لم نبدأ بصغائر الأشياء، فلن نستطيع نزع الغمامة عن أعين مجتمعنا. وهذا أساس تحركنا».

«وهذا هو شعور كل أمرأة عاقلة»، تضيف الطويلة بوجه يخلو من أي تعبير.

«وكيف يسع امرأة كريمة الروح مثلي أن تتصرف بغير هذه الطريقة، أخذاً في الاعتبار العذابات التي أواجهها»، يقول أوشيما.

تقف المرأتان هناك ساكنتين كالجليد.

«هذا من مسرحية إلكترا، لسوفوكليس. مسرحية رائعة، وبالمناسبة كلمة «جندر» كانت تستخدم في الأصل للدلالة على النوع نحوياً. وأحسب أن كلمة «جنس» أدق منها للدلالة على الفارق الجنسي الجسدي بين الرجل والمرأة. فاستخدام كلمة جندر هنا خاطئ. مجرد ملحوظة لغوية بسيطة».

صمت مطبق.

«وعموماً، ما تقولانه كله خطأ بالأساس،» يقول أوشيما بهدوء وإصرار، «من المؤكد أنني لست مثالاً تاريخياً محزناً للرجل الذكوري».

« فسّر لنا إذن ما الخطأ في ما نقوله»، تقول المرأة القصيرة بتحدٍّ.

«ودون أن تحيد عن الموضوع أو تستعرض سعة ثقافتك»، تضيف الطويلة.

«عظيم، لك هذا- سأفسر الأمر ببساطة وأمانة، دون شرود أو استعراض ثقافي»، يقول أوشيما.

«كلنا سمع»، تقول الطويلة، وتومئ القصيرة موافقة.

«بدايةً أنا لست ذكراً»، يعلن أوشيما.

يلي كلامه هذا صمت مطبق من الجميع. أبلع ريقي وأحدّق به.

«أنا امرأة»، يقول أوشيما.

«سأكون ممتنة لو توقفت عن إلقاء النكات»، تقول القصيرة بعد

أن تأخذ نَفَسَها، بلا ثقة كبيرة، مع هذا، وإنما لشعورها بأنه يجدر بها قول شيء ما.

يسحب أوشيما محفظته من بنطاله، ويخرج منها رخصة القيادة ويناولها للمرأة. فتنظر إليها، تعقد حاجبيها، وتمررها لصاحبتها الطويلة، التي بدورها تنظر إليها، وبعد لحظة من التردد، تعيدها لأوشيما، وقد ارتسمت على وجهها ملامح فظة.

«أترغب في رؤيتها أنت أيضا؟»، يسألني أوشيما. فأهز رأسي. يعيد الرخصة إلى المحفظة ويعيد المحفظة إلى جيب بنطاله. ثم يسند يديه إلى النضد ويردف، «كما تريان، بيولوجياً وقانونياً أنا، بلا ريب، أنثى، ولهذا فإن ما تقولانه خاطئ بالأساس، وببساطة من المستحيل بالنسبة إلي أن أكون، مثلما تدّعيان، مثال للرجل الذكوري المتعصب».

«ولكن. . .»، تبادر الطويلة ثم تتوقف. أما القصيرة فتعبث في ياقة قميصها وتزم شفتاها.

«جسدي أنثوي فيزيائياً، أما عقلي فذكوري تماماً» يواصل أوشيما، «شعورياً أحيا كرجل. ولهذا أظن أن رؤيتكما بخصوص كوني «مثالاً تاريخياً» ربما كانت صحيحة. ومن يدري ما إذا كنت عنصرية فاحشة، لكنني لست سحاقية، برغم ملابسي هذه. ومن ناحية الجنس أفضّل الرجال. بمعنى آخر، أنا أنثى، لكنني لوطية. أى أمارس الجنس الشرجي، ولم يسبق لي قط أن استخدمت عضوي الأنثوي في الجنس. بظري يشعر باللذة، أما صدري فلا. ولا تأتيني العادة الشهرية. إذن، تجاه من أنا عنصرية؟ هل لأحد أن يوضح لي؟».

نستمع ثلاثتنا له بذهول. لا ننطق كلمة. ثم تتنحنح إحداهما فيرنّ صوتها المرتعش في الغرفة. وتشهد ساعة الحائط إلى الثواني الماضية بتكّات عالية.

«آسف جداً»، يقول أوشيما، «كنت أتناول غدائي، تونة بالسبانخ، وكنت في وسط الغداء عندما طلبتما رؤيتي، وإن تركته لوقت

أطول من ذلك فستلتهمه القطط القريبة. الناس هنا يرمون القطط الصغيرة التي لا يريدون الاحتفاظ بها في الغابة القريبة من البحر، ولهذا يحتشد هذا الحي بالقطط، إن لم يكن لديكما مانع سأعود لغدائي إذن، بعد إذنكما، أرجو أن تأخذا وقتكما وتستمتعا بالمكتبة. فمكتبتنا ترحّب بالجميع. وطالما تتبعان القواعد ولا تزعجان الآخرين، تستطيعان التصرف على حريتكما، فابحثا قدر ما شئتما، واكتبا ما تجدانه مناسباً في تقريركما، لا نمانع ذلك، فنحن لا نتلقى التمويل من أي جهة، وإلى حد كبير نسيّر أمورنا بطريقتنا الخاصة».

حين يغادر أوشيما تتبادل المرأتان النظرات ثم تنظران إليّ. ربما تحسبانني الآن حبيب أوشيما. لا أنطق بشيء، وأنشغل بترتيب بطاقات الفهارس. تتهامسان بجانب الطاولة، وبعد وقت قصير، تجمعان أغراضهما وتبدآن بالتحرك. أناولهما حقيبتيهما وهما واقفتان تنظران بجمود، وتنصرفان دون كلمة شكر.

بعد فترة ينهي أوشيما غدائه ويعود إلى الداخل. يناولني سندويش سبانخ بالتونة والخضروات في نوع من الخبز المكسيكي وعليها كريما بيضاء. أتناول الغداء، وأغلي بعض الماء وأعد كوب شاي أيرل جراي مع الوجبة.

«كلّ ما قلته قبل قليل حقيقي،» يخبرني أوشيما عندما أعود بعد تناول غدائي.

«هذا ما كنت تقصده إذن عندما قلت لي إنك مختلف؟»

«لم أكن اتفاخر أو ما شابه،» يقول، «لكنك تعرف الآن أنني لم أكن أبالغ، أليس كذلك؟».

أومئ.

يبتسم أوشيما، «من ناحية الجنس، أنا بالتأكيد أنثى، رغم أن نهديّ لم ينموا كثيراً ولم تأتني الدورة ابداً. لكن ليس لديّ عضو ذكري أو خصيتان أو شعر في وجهي. أي باختصار، ليس لدي أي شيء

ذكوري. شعور لطيف بخفة الحمل، لو أردت أن تجد في الأمر شيئاً إيجابياً. رغم شكي في إمكان فهمك لهذا الشعور»

«لا أظن..»، أقول.

«أحياناً أنا نفسي لا أفهمه. وأسأل نفسي ماذا أكون على كل حال؟ حقاً ماذا أكون؟».

أهز رأسي، «أنا أيضاً لا أعرف ماذا أكون».

«أزمة هوية كلاسيكية».

أومئ.

«لكنك على الأقل تعرف من أين تبدأ. لست مثلي».

«لا يهمني ماذا تكون. أياً ما تكونه فأنا أحبك».. لم أقل هذا لأحد من قبل، مما يجعلني أحمرّ خجلاً.

«أقدّر ذلك»، يقول أوشيما ويضع يده برقة على كتفي، «أعرف أنني مختلف قليلاً عن الآخرين، لكنني إنسان، وهذا ما أريدك أن تدركه. أنا مجرد شخص عادي، ولست مسخاً ما. أشعر بكل ما يشعر به الجميع، وأتصرّف بالطريقة التي يتصرف بها الآخرون، بيد أنني أشعر أحياناً أن هذا الاختلاف الصغير أشبه بهوة سحيقة. أظن أنه ليس بيدي الكثير لأفعله في هذا الشأن». يأخذ قلم رصاص طويل مروّس ويروح يتأمله كأنه امتداد لذاته، «أردت أن أخبرك بهذا مباشرة وبأسرع وقت ممكن، أفضل من أن تسمعه من شخص آخر، وأظن أن اليوم كانت فرصة جيدة. غير أنها لم تكن تجربة سارة، مع هذا. أليس كذلك؟».

أهز رأسي.

«لقد خبرت مختلف أنواع التمييز»، يقول أوشيما، «وحدهم الذين عانوا من التمييز يعرفون جيداً كم هو مؤذ وجارح، وكلٌّ يتألم بطريقته، ولكلّ ندوبه. ولهذا أظن أن المساواة والعدالة يهمانني تماماً

بقدر ما يهمان أي شخص آخر، ولكن أكثر مَنْ يثير اشمئزازي أولئك الذين ليس لديهم خيال، ممن يسميهم ت. اس. اليوت «المجوّفين»، من يسدّون هذا النقص في الخيال بأكوام قش خالية من الأحاسيس، حتى أنهم لا يدركون ماذا يفعلون، قساة يقذفونك بالكثير من الكلمات الفارغة ليحملوك على فعل ما لا تريد فعله، كهاتين السيدتين الظريفتين»، يتنهد ويبرم القلم الرصاص الطويل في يديه. «هناك مثليون وسحاقيات وطبيعيون ونسويون، وخنازير فاشستيون وشيوعيون وهاري كريشناويون، لا يزعجني أحد منهم، ولا أبالي أي شعار يرفعون، ولكن ما لا أتحمّله أبداً أولئك المجوَّفين. لا أطيق التواجد معهم وينتهي بي الأمر إلى قول أشياء لا ينبغي أن قولها، كان عليّ أن أدع الأمر يمر مع هاتين السيدتين، أو أن آتي بالآنسة سايبكي، كانت ابتسمت لهم ومرّرت الأمر بسلام. ولكنني لا أطيق الأمر، فأتفوّه بأشياء لا يجب أن أقولها، وأفعل أشياء لا يجب أن أفعلها. إذ لا يمكنني التحكّم في نفسي، وهذه إحدى نقاط ضعفي، وتعرف لماذا؟».

«لأنك لو أخذت جميع من هم بلا خيال على محمل الجد، فلن ينتهي الأمر»، أجيبه.

«تماماً» يقول أوشيما، وينقر على صدغه بممحاة القلم الرصاص. «ولكن، هناك شيء أريدك أن تتذكره يا كافكا.. هؤلاء بالضبط من نوع الأشخاص الذين قتلوا حب طفولة الآنسة سايبكي. أفق ضيق بلا خيال، لا تسامح، نظريات منفصلة عن الواقع، مصطلحات جوفاء، مُثل مغتصبة بغير حق، نظم متكلسة. تلك هي الأشياء التي ترعبني، وتثير ذعري واشمئزازي. مهم طبعاً أن تميز الخطأ من الصواب. والأخطاء الفردية في الحكم على الأشياء غالباً ما يمكن تصحيحها. وطالما لديك الشجاعة للاعتراف بالأخطاء، يمكنك دوما أن تحول الأشياء للاتجاه الآخر، ولكن الأفق الضيق اللامتسامح الذي بلا خيال، مثل الطفيليات التي تغيّر الجسد المستضيف وتغيّر تكوينه

وتواصل هي النمو. إنهم فاشلون، ولا أحب أن يدخل أمثالهم إلى هنا».

يشير أوشيما إلى الطاولات بطرف القلم الرصاص، لكنه بالتأكيد يعني المكتبة برمتها.

«أتمنى لو أنني لا أفعل شيئاً سوى أن أهزأ بهؤلاء، لكنني لا أستطيع».

20

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة مساءً حين خرجت الشاحنة الثلاجة ذات الثمانية عشر إطاراً من طريق توماي السريعة، وتوقفت في مرأب السيارات باستراحة فوجيغاوا، وترجل منها ناكاتا حاملاً مظلته وحقيبته القماش.

«حظ موفق في إيجاد توصيلة أخرى»، قال له السائق وهو يمدّ رأسه من النافذة، «لو سألت هنا فستجد شيئاً بالتأكيد».

«أنا شاكر جداً. ناكاتا يقدّر مساعدتك».

«بسيطة»، ثم لوّح له وعاد إلى الطريق السريعة.

قال السائق «فو-جي- غا- وا». ولم تكن لدى ناكاتا أدني فكرة عن مكان فو-جي- غا- وا تلك، لكنه يعلم جيداً أنه قد غادر طوكيو وأنه متجه غرباً. لا يحتاج إلى بوصلة أو خريطة لتخبره بهذا، يعرف بالغريزة. والآن، لا يحتاج سوى إلى شاحنة أخرى لتقلّه غرباً.

كان جائعاً، فقرر أن يتناول طبق *رامين*[1] في مطعم الاستراحة، إذ أراد أن يوفر كرات الأرز والشوكولاتة التي في حقيبته للطوارئ. ولأنه لا يعرف القراءة فقد قضى وقتاً ليستوعب كيف يشتري وجبة.

---

(1) رامين: أكلة يابانية من النودلز ومرق اللحم، من أصل صيني، وتتنوع أشكالها بين أقاليم اليابان المحلية.

عليك أولاً أن تشتري كوبون طعام من ماكينة البيع ثم تذهب إلى قاعة الأكل. فكان عليه أن يستعين بأحدهم ليقرأ له أزرار الماكينة. «نظري ضعيف، ولا أستطيع أن أرى جيداً»، هكذا أخبر سيدة تبدو في منتصف العمر كانت مارة به. فأدخلت له النقود في الآلة، وضغطت على الزر وناولته الباقي. علمته خبرته ألا يفشي لأحد بسرّ جهله بالقراءة، لأنه كلما أفشى هذا السر لأحد نظر إليه وكأنه يرى وحشاً ما.

تناول وجبته وقام بمظلته في يده وحقيبته على كتفه بجولة على الشاحنات الراكنة في المرأب، سائلاً توصيلة: إنني ذاهب نحو الغرب، راح يقول، فهل تتفضل وتقلني؟. وكانوا جميعاً ينظرون له، ويهزون رأسهم رفضاً. عجوز يسافر استوقافاً؟ شيء غير مألوف تماماً، وكانوا بطبيعتهم يتوترون من كل ما هو غير مألوف. فكان الرد الغالب بينهم: آسف، الشركة لا تسمح لنا بالقيام بتوصيلات مجانية.

استغرق ناكاتا وقتاً طويلاً للوصول من حي ناكانو إلى مدخل طريق توماي السريعة. فهو لم يخرج في حياته من حي ناكانو، ولا يعلم شيئاً عن كيفية الوصول إلى الطريق السريعة. كانت لديه بطاقة خاصة لاستخدام الحافلة المحلية، لكنه لم يركب المترو أو القطار بمفرده أبداً، فهذان أمران يتطلبان شراء تذاكر.

كان قبيل العاشرة صباحاً حين أخذ غيار ملابس، وأدوات استحمام، وبعض المقرمشات، ووضع النقود التي كان يخبئها تحت التاتامي بحرص في حزام أمان لحفظ النقود. وغادر شقته حاملاً مظلة كبيرة. سأل سائق الحافلة كيف يذهب إلى الطريق السريعة. فضحك السائق. «هذه الحافلة تذهب إلى محطة شينجوكو فقط. الحافلات الداخلية لا تذهب إلى الطرق السريعة، عليك أن تستقل حافلة طريق سريعة».

«وأين أجد حافلة ذاهبة إلى طريق تو- ماي السريعة؟»

«من محطة طوكيو»، رد السائق. «اركب هذه الحافلة إلى

شينجوكو ثم اذهب بالقطار إلى محطة طوكيو، وهناك تشتري تذكرة لحافلة متجهة إلى طريق توماي السريعة».

لم يفهم ناكاتا تماماً ما يعنيه السائق، لكنه همّ بركوب الحافلة إلى شينجوكو. وحين وصل إلى هناك أصيب بالذهول. كانت محطة كبيرة تعجّ بالناس، وكان المرور من بينهم صعباً جداً. وهناك أيضاً قطارات كثيرة جداً، لم يستطع أن يحدد أي منها يتجه إلى محطة طوكيو، ولأنه لا يقرأ، لجأ إلى سؤال بعض المارة، فجاء شرحهم سريعاً جداً ومعقداً جداً، ومحتشداً بأسماء أماكن لا يعرفها. «وكأنني أتحدّث مع السيد كوامورا»، فكر ناكاتا. لكن هناك دائماً مركز شرطة يستطيع أن يستدل منه على الطريق، لكنه خشي أن يعتبروه عجوزاً متخلفاً عقلياً ويقومون باحتجازه، وهو أمر حدث معه سابقاً. وبينما يتجوّل بالقرب من المحطة نال منه الضوضاء ودخان عوادم السيارات، وبدأ يشعر بالإعياء، فوجد، وهو يتجنب الأرصفة المزدحمة، حديقة صغيرة بين بنايتين مرتفعتين وجلس على مقعد.

كان في حيرة تامة من أمره. فجلس هناك متمتماً من حين لآخر، وهارشاً شعره القصير. لم يرَ قطة واحدة في الحديقة، بل كثير من الغربان تنعق وهي تنبش في القمامة. نظر ناكاتا إلى السماء مرات قليلة، ومن موقع الشمس استطاع تقريبياً معرفة الوقت. كان لون السماء غريباً، ربما بسبب كل هذه العوادم.

عند الظهر، تدفق الموظفون من المباني المجاورة لكي يتناولوا الغداء في الحديقة. تناول ناكاتا سندويتشات مربى الفول التي أحضرها معه، واستعان على هضمها بشاي ساخن من الترموس. جلست شابتان على المقعد المجاور له، فقرر أن يتحدث معهما. كيف أصل إلى طريق تو- ماي السريعة؟ سألهما، فأعادتا على مسامعه ما قاله سائق الحافلة. خذ خط «شو» إلى محطة طوكيو، ثم خذ حافلة إلى طريق توماي السريعة. «ناكاتا حاول هذا لكنه لم يعرف»، اعترف لهما، «لم يسبق لي

الخروج من حي ناكانو، ولا أعرف كيف أركب القطار. أعرف فقط كيف أركب حافلة المدينة. وأنا لا أجيد القراءة، ولا أعرف كيف أشتري تذكرة، لقد أخذت الحافلة إلى هنا، لكنني لا أعرف كيف أذهب أبعد لأبعد من ذلك».

«لا تجيد القراءة؟» سألتاه باندهاش. وقد بدا لهما عجوزاً طيباً غير مؤذ، وباستثناء المظلة التي يحملها في يوم مشمس كهذا، وهو أمر غريب بعض الشيء، فإنه مهندم وله ابتسامة لطيفة ووجه بشوش وعينان طفوليتان، فلا يبدو أنه متشرد.

«أتعني حقا أنك لم تخرج من حي تاكانو أبداً؟»، سألته الفتاة ذات الشعر الأسود.

«أجل، حاولت ألا أخرج منه أبداً. فلو تاه ناكاتا ، لا أحد سيبحث عني».

«ولا تقرأ؟»، سألت الأخرى ذات الشعر المصبوغ باللون الكستنائي.

«هذا صحيح، لا أقرأ أبداً، أفهم الأرقام البسيطة لكنني لا أجيد الحساب».

«ممم. أظن أنه سيكون من الصعب عليك أن تستقل القطار».

«نعم، صعب جداً. لا أعرف كيف أشتري تذكرة».

«لو كان لدينا وقت لكنا اصطحبناك إلى المحطة وتأكدنا من أن تستقل القطار الصحيح، لكننا مضطرتان للعودة إلى العمل بسرعة. أنا آسفة حقاً».

«لا، لا داعي للاعتذار. سأجد طريقة».

«وجدتها!»، هتفت الفتاة ذات الشعر الأسود، «ألم يقل توجيجوتشي من قسم المبيعات أنه ذاهب اليوم إلى يوكوهاما؟».

«صحيح، سيرحّب بالمساعدة إذا طلبناها منه. إنه كئيب بعض الشئ، لكنه ليس شخصاً سيئاً»، قالت الفتاة ذات الشعر الكستنائي.

«وبما أنك لا تجيد القراءة، فقد يكون من الأفضل لك أن تسافر استوقافاً[2]»، قالت ذات الشعر الأسود.

«استو-قافاً؟».

«أي أن تطلب من أحدهم أن يقلك معه على الطريق. غالباً يفعل سائقو شاحنات النقل لمسافات طويلة ذلك، أما السيارات العادية فلا تقِل من يسافرون استوقافاً».

«ناكاتا لا يعرف ما معنى سائقي النقل لمسافات طويلة».

«ما دمت ستصل إلى هناك فلا تهتم بالأمر، لقد سافرت مرة استوقافاً أيام الجامعة. سائقو النقل جميعاً رجال لطفاء».

«وأين ستذهب على طريق توماي السريعة؟»، سألته ذات الشعر الكستنائي.

«ناكاتا لا يعرف».

«لا تعرف؟».

«سأعرف حين أصل إلى هناك. سأبدأ بأن أذهب غرباً على طريق تو- ماي السريعة. وبعدها أفكر أين سأذهب. ولكن عليّ أن أتجه غرباً على أي حال».

نظرت الفتاتان إلى بعضهما البعض، ولكن كلمات ناكاتا كانت مقنعة على نحو غريب، ووجدا نفسيهما يشعران بالعطف تجاه العجوز. فانتهتا من غدائهما، ورمتا الأكياس الفارغة في السلة ونهضتا.

«لِمَ لا تأتي معنا؟»، قالت ذات الشعر الأسود. «سنفكر لك في حلّ ما».

تبعهما ناكاتا إلى مبنى قريب. لم يسبق له أن دخل مبنى كبيراً كهذا. أجلستاه على مقعد بجانب مكتب الاستقبال ثم تحدثتا مع موظف الاستقبال وأخبرتا ناكاتا أن ينتظر هناك لفترة. وأختفتا داخل أحد

---

(2) استوقافاً: أي أوتوستوب.

المصاعد في البهو. وفيما ناكاتا جالس هناك حاملاً المظلة والحقيبة القماش، بدأ الموظفون يتدفقون إلى الداخل بعد أن انتهت ساعة الغداء. مشهد آخر لم تره عيناه من قبل. وكأن بينهم اتفاق مسبق، كانوا جميعاً حسني الهندام، ويضعون ربطات العنق، ويحملون حقائب عمل براقة، وينتعلون أحذية عالية الكعب، ويهرولون في الاتجاه نفسه. لم يستطع ناكاتا أن يستوعب ما الذي يفعله كل هؤلاء.

عادت الفتاتان بعد فترة وفي صحبتهما شاب طويل نحيف يرتدي قميصاً أبيض وربطة عنق مقلّمة. «السيد توجيجوتشي»، قالت ذات الشعر الكستنائي، «سيقلك حتى يوكوهاما، وسينزلك في مرأب كوهوكو على طريق توماي السريعة، ومن هناك ستجد توصيلة أخرى، ليس عليك سوى أن تخبرهم أنك متجه غرباً، وعندما يقلك أحدهم احرص على دعوته إلى وجبة عندما تتوقفان في مكان ما، أتفهمني؟».

«هل معك نقود كافية؟»، سألت ذات الشعر الأسود.

«نعم، لدي ما يكفي».

«السيد ناكاتا صديقنا، كن لطيفا معه»، قالت ذات الشعر الكستنائي لتوجيجوتشي.

«إن كنت لطيفة معي»، أجاب الشاب بوجل.

« يوماً ما»، قالت ذات الشعر الأسود.

وبينما يودعانه قالت الفتاتان «هذه هدية وداع صغيرة، حتى لا تشعر بالجوع في الطريق» وناولتاه بعض كرات الأرز وقطعة شوكولاتة كانتا قد اشترتاهما من بقالة قريبة.

«لا أعرف كيف أشكركما على كل ما فعلتماه من أجلي»، قال ناكاتا، «سأصلّي لكي تحدث لكما أشياء طيبة».

«آمل أن تُسْتَجاب صلواتك»، قالت ذات الشعر الكستنائي وقهقت صاحبتها.

قال الشاب المدعو توجيجوتشي لناكاتا أن يجلس على المقعد الأمامي في «الفان» ثم انطلق في طريق متروبوليتان السريعة ثم إلى طريق توماي. كان المرور مزدحماً، وتحدث الاثنان في شتى الأمور بينما يتقدمان ببطء شديد على الطريق. كان توجيجوتشي خجولاً جداً في البداية، ولكنه بعد أن اعتاد على وجود ناكاتا معه بدأ يتحدث، حتى صار الأمر أشبه بمونولوج متواصل أكثر منه محادثة بين شخصين. يبدو أنه كان بحاجة إلى التكلم عن أشياء كثيرة، ووجد سهولة في فتح قلبه لغريب مثل ناكاتا لن يراه مرة أخرى. فحكى له كيف فسخ خطوبته منذ أشهر قليلة، كانت خطيبته على علاقة سرّية بشخص آخر طوال فترة خطوبتهما، وقال إنه ليس على وفاق مع رؤسائه في العمل وإنه يفكر في الاستقالة. ووالداه تطلّقا منذ أن كان في الثانوية، وتزوّجت أمه من شخص حثالة. وقال أيضاً إنه أقرض صديقاً له مدخراته ولا يبدو أنه سيرد الدين عما قريب. وأن طالب الجامعة الذي يعيش في الشقة المجاورة له يشغّل الموسيقى بصوت عال جداً فيحرمه من النوم جيداً.

أصغى ناكاتا باهتمام، معلقاً حول بعض النقاط، ومبدياً آراءه الخاصة من حين لآخر. وحين توقف «الفان» في مرأب يوكوهاما كان ناكاتا قد صار يعرف كل شيء تقريباً عن الشاب. ورغم أنه لم يستوعب الكثير، وإنما تكوّنت لديه صورة جيدة عن حياة الشاب، فقد عرف أنه شاب فقير يحاول جاهداً أن يحيا حياة مستقيمة، وينال نصيبه من المشكلات.

«ناكاتا شاكر لك جداً»، قال ناكاتا، «شكراً جزيلاً على التوصيلة».

«لقد قضيت وقت ممتعاً. شكرا لك يا سيد ناكاتا، أشعر بالراحة الآن، لم يسبق لي أن تحدثت هكذا أبداً، إنني سعيد لأنني استطعت أن أخبرك بكل شيء. أرجو ألا أكون قد أضجرتك بمشكلاتي الكثيرة».

«لا أبداً. ناكاتا مسرور جداً أيضاً بالتحدث إليك، أنا واثق أنه ستحدث لك أشياء جيدة يا سيد نوجيجوتشي».

أخرج الشاب بطاقة هاتف من محفظته وناولها لناكاتا «أرجوك خذ هذه البطاقة، إنها من إنتاج شركتي، اعتبرها هدية وداع، كنت أتمنى أن أقدم لك شيئا أفضل من هذا».

«شكراً جزيلاً لك»، قال ناكاتا ووضع الكارت بحرص في محفظته. ليس لديه أحد ليتصل به، ولا يعرف كيف يستخدم البطاقة، لكنه رأى أنه من الذوق ألا يرفضها. كانت الساعة قد أصبحت الثالثة عصراً.

احتاج إلى ساعة أخرى قبل أن يجد سائقاً آخر يرضى بأن يقلّه إلى فوجيغاوا. كان الرجل يقود شاحنة ثلاجة لنقل الأسماك الطازجة مسافات طويلة، رجل ضخم في منتصف الأربعينات، وله ذراعان ضخمان كزنود الأشجار، وبطن بارزة.

«أرجو ألا تنزعج من رائحة السمك»، قال السائق.

«ناكاتا يحب السمك»، أجابه ناكاتا.

ضحك السائق، «أنت رجل غريب الأطوار، أتعرف هذا؟».

«يقول لي الناس هذا أحياناً».

«وللصدفة أنا أحب غريبي الأطوار»، قال السائق، «أما الأشخاص العاديين الذين يعيشون بطريقة عادية فهم الذين يجب أن تحترس منهم».

«حقاً؟».

«صدقني، هكذا تسير الأمور، في رأيي على الأقل».

«ناكاتا ليس لديه آراء كثيرة، بيد أنني أحب الحنكليس».

«حسناً هذا رأي، أنك تحب الحنكليس».

«الحنكليس رأي؟».
«طبعاً، أن تقول إنك تحب الحنكليس فهذا رأي».
وهكذا اتجها إلى فوجيغاوا. وأخبره السائق بأن اسمه هاجيتا.
«سيد ناكاتا، ما رأيك في ما يحدث في العالم؟»، سأله هاجيتا.
«آسف جداً، أنا لست ذكياً، وليس لدي فكرة عن هذا»، قال ناكاتا.
«أن يكون لك رأيك الخاص شيء، وألا تكون ذكياً شيء آخر».
«ولكن يا سيد هاجيتا ألا تكون ذكياً يعني أنك لا تستطيع أن تفكر في الأشياء».
«لكنك قلت إنك تحب الحنكليس».
«نعم. الحنكليس هو من الأشياء التي يحبها ناكاتا».
«وهذا له صلة بما قلته، أرأيت؟».
«امم».
«وهل تحب الأرز بالدجاج والبيض؟».
«نعم هذا شيء يحبه ناكاتا أيضاً».
«وهذا أيضاً له صلة بالأمر»، قال هاجيتا، «وهكذا تضع الأشياء التي لها صلة ببعضها واحدة بعد الأخرى، وقبل أن تدرك ما يحدث، تجد الأمر كله له معنى. وكلما كانت الأمور متصلة ببعضها، كان المعنى أعمق، لا يهم إذا كان الحنكليس أو الأرزّ أو السمك المشوى، أياً كان، أتفهمني؟».
«لا، ما زلت لا أفهم. هل الطعام يجعل الأشياء متصلة؟».
«ليس الطعام فقط. عربة الترامواي أيضاً، أو الإمبراطور، لا يهم».
«لكنني لا أركب الترامواي».
«لا بأس. اسمع، كل ما أريد قوله لك، بغض النظر عن الشيء

أو الشخص الذي تتعامل معه، أن الناس يكوّنون المعاني فيما بينهم ومع الأشياء من حولهم، والمهم هو أن يتم هذا بشكل طبيعي، أما الذكاء فليس له صلة بالأمر، المهم أن ترى الأشياء بعينك أنت».

«أنت ذكي جداً سيد هاجيتا».

أطلق هاجيتا ضحكة عالية، «ليست مسألة ذكاء. أنا لست ذكيا لهذه الدرجة. لكن لي طريقة تفكيري الخاصة. ولهذا ينفر الناس مني ويتهمونني بأنني دائماً أثير الأمور التي لا تنبغي إثارتها. إذا كنت تستخدم دماغك في التفكير، فلن يرغب الناس بالتواصل معك».

«ناكاتا ما زال لا يفهم. هل تقصد أن هناك صلة بين حب الحنكليس وحب الأرزّ بالدجاج والبيض؟».

«أظن هذا. هناك دوماً صلة بينك يا سيد ناكاتا وبين الأشياء التي تتعامل معها. تماما كالصلة بين الحنكليس والأرز، وكلما اتسعت شبكة الصلات، تطورت العلاقة بينك أنت وبين الرأسماليين والبروليتاريا بشكل طبيعي».

«برو- لي- ماذا؟».

«البروليتاريا»، قال السيد هاجيتا، ملوحاً بيديه وبدا لناكاتا أنهما قفازا بيسبول لا يدين، «أولئك الذين يعملون بجد، ويكسبون رزقهم من عرق جبينهم. أولئك هم البروليتاريا، وعلى الجانب الآخر، تجد أولئك الذين يستلقون على ظهورهم ولا يحرّكون ساكناً ويصدرون الأوامر للآخرين، ويتقاضون قدر راتبي مائة مرة. أولئك هم الرأسماليون».

«لا أعرف شيئاً عن الرأسماليين، أنا فقير، ولا أعرف شخصاً مهماً هكذا. أهم شخص أعرفه هو محافظ طوكيو. هل المحافظ رأسمالي؟».

«أعتقد ذلك. الحكام عادة هم كلاب حراسة الرأسماليين».

«هل المحافظ كلب؟» تذكر ناكاتا الكلب الأسود الضخم الذي

أخذه إلى منزل جوني واكر، واختلط في ذهنه هذا الخاطر المشؤوم مع المحافظ.

«العالم مليء بالكلاب من هذا النوع. إنهم بيادق الرأسماليين».

«بيادق؟»

«كالبنادق. النطق نفسه مع اختلاف حرف واحد».

«هل هناك قطط رأسمالية؟»، سأله ناكاتا.

انفجر هاجيتا ضاحكاً، «عجباً. أنت فعلاً مختلف سيد ناكاتا، ولكنني أحب طريقتك. قطط رأسمالية! حلوة! رأى متميز جداً».

«يا سيد هاجيتا؟».

«نعم».

«أنا فقير، وآخذ مع- ونة شهرية من المحافظ. هل هذا خطأ؟».

«كم تأخذ شهرياً؟».

أخبره ناكاتا بالمبلغ.

خبط هاجيتا رأسه بيده في امتعاض، «هذا مبلغ قليل. من الصعب جداً أن تعيش به».

«بالعكس، لأن ناكاتا لا يصرف الكثير. ثم إنني، إلى جانب المع- ونة، أكسب مالاً إضافياً من مساعدة الناس على إيجاد قططهم التائهة».

«لا تمزح؟ أنت محترف بإيجاد قطط؟»، قال هاجيتا منبهراً، «أنت مدهش يا أخي، يجب أن تعرف هذا. . أنت مدهش».

«في الحقيقة، أستطيع محادثة القطط»، قال ناكاتا، «أي أنني أفهم ما تقوله، وهذا يساعدني على إيجاد القطط المفقودة».

أومأ هاجيتا برأسه، «أمر متوقع جداً بالنسبة لك».

«ولكن من فترة قصيرة اكتشفت أنه لم يعد بمقدوري محادثة القطط. ولا أعرف لماذا».

«الأشياء تتغير كل يوم يا سيد ناكاتا، مع كل فجر جديد لا يكون

العالم هو نفسه، عالم اليوم الماضي، ولا تكون انت الشخص نفسه، هل تفهم ما أعنيه؟».

«نعم».

«الصلات بين الأشياء تتغير أيضاً. الرأسمالي والبروليتاري. اليميني واليساري. ثورة المعلومات، أسهم البورصة، الأصول العائمة، إعادة الهيكلة الوظيفية، الشركات العابرة للقارات، الخير والشر. كل مرة تختفي الحدود بين الأشياء، قد يكون هذا السبب في أنك لم تعد تتحدث مع القطط».

«ناكاتا يعرف الفرق بين اليمين واليسار. هذا يمين وهذا يسار، صح؟».

«صحيح»، وافقه هاجيتا، «هذا كل ما تحتاج إلى معرفته».

كان آخر ما فعلاه سوياً أن تناولا وجبة في مطعم استراحة. طلب هاجيتا طبقي حنكليس، وعندما أصر ناكاتا أن يدفع تعبيراً عن امتنانه على التوصيلة، هز السائق رأسه بعناد.

«مستحيل»، قال هاجيتا، «لن أسمح لك بإنفاق القروش التي يعطونها لك كمعونة على إطعامي».

«أنا ممتنّ جدا إذن، وشكرا لك على الدعوة»، قال ناكاتا مسروراً بمعاملته الرقيقة له.

قضى ناكاتا ساعة يطلب من السائقين في استراحة فوجيغاوا توصيلة، ولم يرض أحد منهم بذلك. ومع هذا لم يكن مذعوراً أو يائساً. كان الوقت يمرّ في ذهنه ببطء شديد، أو ربما لا يمر على الإطلاق.

خرج ليتجول قليلاً ويشم نسمة هواء. كانت السماء خالية من الغيوم، وقرص القمر بادياً بوضوح. تجوّل ناكاتا على مهل في موقف السيارات الذي كان حافلاً بعدد هائل من الشاحنات الضخمة المصطفة كوحوش عملاقة تقف كتفاً إلى كتف. بعضها له على الأقل عشرون

إطاراً ضخماً بطول قامة رجل. شاحنات كثيرة جداً تمضي على الطريق السريعة في وقت متأخر ليلاً- ما الذي تحمله؟ لم يستطع ناكاتا أن يخمّن. وتساءل لو كان يجيد القراءة، وقرأ ما هو مكتوب على جانبي الشاحنات، أكان سيعرف ما يحملونه؟

بعد ساعة تقريباً، رأى ناكاتا نحو عشر دراجات نارية مصطفة في زاوية بها سيارات قليلة، وبالقرب منها عصابة شبان يقفون في دائرة وينظرون إلى شيء ما ويصيحون. اقترب ناكاتا منهم مندهشاً، لعلهم اكتشفوا شيئا غير عادي؟

عندما اقترب منهم أكثر، رأى أنهم يتحلقون حول شخص راقد على الأرض، ويركلونه ويلكمونه، وبشكل عام، يبذلون ما في وسعهم ليؤذونه. معظمهم ليس معه أسلحة، في يد أحدهم جنزير، وآخر يحمل عصا سوداء يبدو أنها هراوة شرطي. يرتدون قمصان قصيرة الأكمام ومفكوكة الأزرار، أو كنزات خفيفة، أو قمصان بحمالات، شعور أغلبهم مصبوغة بالأشقر أو الكستنائي، وبعضهم له وشم على ذراعه. وكان من يركلونه يرتدي مثلهم تقريباً.

أقترب ناكاتا وهو ينقر الأسفلت برأس مظلته، فاستدار بعضهم ليرى من القادم. واطمأنوا طبعاً عندما رأوا أنه ليس سوى عجوز لا حول له ولا قوة. «لم لا تنقلع من هنا يا جداه؟»، صرخ به أحدهم.

دنا ناكاتا منهم. فوجد أن الراقد على الأرض ينزف دماً من فمه « إنه ينزف»، قال ناكاتا، «ربما يموت».

فوجئ الشبان فلم يردوا فوراً: «قد نقتلك أنت أيضاً بالمرة»، قال الذي يحمل الجنزير، «قتل واحد أو اثنين، لا يؤثر في كعب جزمتي».

«لا يصح أن تقتل أحداً دون سبب»، أصر ناكاتا.

«لا يصح أن تقتل أحداً دون سبب»، قلّده أحدهم ساخراً، وضحك الآخرون. .

«عندنا أسبابنا يا أخي»، قال آخر.

«وما شأنك انت سواء قتلناه أم لا، خذ مظلتك الحقيرة وانتبه لطريقك، قبل أن تمطر على رأسك».

راح الراقد على الأرض يزحف، فركله شاب حليق الرأس ركلة قاسية بكعب حذائه على أضلاعه.

أغمض ناكاتا عينيه. وأحسّ بشيء يتكوّن في داخله دون إرادته، وببعض الغثيان. وفجأة عادت له ذكرى طعن جوني واكر. ما زالت يده تتذكر شعور غرز السكين في صدر الرجل. صِلات؟. أيمكن أن يكون هذا أحد الصِّلات التي كان سيد هاجيتا يتحدث عنها؟ الحنكليس يساوي سكيناً يساوي جوني واكر؟ غابت عن سمعه أصوات الشبان، ولم يعد قادراً على تمييزها، واختلطت أصواتهم مع أصوات الإطارات على الطريق السريعة في همهمة غريبة. واندفع الدم قوياً في قلبه فيما الليل يغمر كيانه. ثم نظر إلى السماء وفتح مظلته ببطء ورفعها فوقه، رجع عدة خطوات إلى الخلف حتى يكون بينه وبينه العصابة مسافة. نظر حوله. ثم رجع خطوات أخرى إلى الخلف.

ضحك الشبان كثيراً عندما شاهدوا كل هذا، «هاي، انظروا الرجل العجوز الظريف»، قال أحدهم. «إنه يفتح مظلته فعلا!».

ولم يستمر ضحكهم طويلاً. إذ فجأة انهمرت من السماء أشياء لزجة غريبة، هبطت ترتطم بالأرض عند أقدامهم في لطمات مخيفة. توقفوا جميعاً عن ركل فريستهم ونظروا إلى السماء. لم يكن هناك سحب، وإنما تلك الأشياء كانت بالتأكيد تسقط واحدة وراء الأخرى من مكان ما بالأعلى. نذر قليلة في البدء، ثم إزدادت غزارتها بالتدريج، وقبل أن يدركوا، كانوا تحت سيل جارف منها. كان وابل من أشياء صغيرة سوداء بطول بوصة ونصف. تبدو في أضواء المرأب كأنها جليد أسود زلق يسقط على أكتافهم وأذرعهم ورقابهم ويلتصق بها. حاولوا أن ينتزعوها عن أجسادهم. ولكن دون جدوي.

«إنها *علقات*!»، صاح أحدهم.

وكأن هذه الكلمة كانت الإشارة التي جعلتهم جميعاً يصرخون ويركضون عبر المرأب إلى دورات المياه. ارتطم أحدهم بسيارة اعترضت طريقه ووقع على الأرض، فنهض، ولكم غطاء السيارة المعدني بقبضة يده، وشتم سائقها ثم تابع الركض إلى دورات المياه.

استمر العلق في الهطول غزيراً لفترة ثم تناقص تدريجياً حتى توقف. طوى ناكاتا مظلته ونفض عنها العلق واتجه ليطمئن على الرجل المصاب. كانت أكوام الكائنات الزلقة تتلوى في كل مكان، فلم يستطع ناكاتا الاقتراب من الرجل الذي كان مغموراً بأكداس من العلق. أمعن النظر فرأى الرجل ينزف من جفنيه، وبدا أن بعض أسنانه قد تهشم. عرف ناكاتا أن الرجل يحتاج إلى مساعدة فأسرع عائداً إلى المطعم ليخبر أحد العاملين هناك بأن ثمة رجلاً مصاباً ملقى على الأرض في المرأب. «الأفضل أن تتصل بالشرطة وإلا فسيموت»، قال ناكاتا.

بعد فترة قصيرة، وجد ناكاتا سائقاً قَبِلَ بإيصاله حتى «كوبي». شاب ناعس في العشرينات، ليس طويلاً جداً، يعقص شعره على هيئة ذيل حصان، ويضع قرطاً في أذنه ويعتمر قبعة شونيشي دراجونز[3]، وقميص آلوها واسع، وحذاء نايكي ضخماً، كان في المطعم يدخّن ويقلّب صفحات قصة مصوّرة. أطفأ سيجارته بما تبقّى من الحساء في طبق *الرامين* أمامه، ودقق النظر في ناكاتا ثم أومأ برأسه بتردد. «حسناً. سأصطحبك معي، لأنك تذكرني بجدي لا أعرف كيف، ربما بسبب شكلك أو طريقة كلامك، كأنك «خارج الموضوع» بطريقة ما... في النهاية صار جدي خرفاً ومات. منذ سنوات قليلة».

أخبره أنه ينقل أثاثاً إلى صالة عرض في «كوبي»، وأنهما سيصلان في الصباح. شاهدا أثناء خروجهما من المرأب حادث سير.

---

(3) المنتخب القومي الياباني للبيسبول، بناجويا، المدينة الرئيسية في منتصف اليابان.

كان هناك سيارتا شرطة، بإشارتيهما الضوئية الحمراء المتقطعة، وكان أحد الشرطيين يحمل عصا مضيئة ينظّم بها المرور. ليست حادثة خطيرة. مجرد اصطدام بين سيارات قليلة، وخدش في جانب ميني باص، وكسر في الكشافات الخلفية لسيارة أخرى.

مدّ السائق رأسه من النافذة وتبادل كلمات قليلة مع ضابط الشرطة ثم أغلق زجاج نافذته، «حمولة علق سقطت من السماء» قال دون أن يتحرك. «وعندما دهستها السيارات أصبحت الطريق زلقة، وفقد بعض السائقين السيطرة. يقول لي أن أخفّف السرعة. الأهم من هذا أن عصابة سائقي دراجات نارية من المنطقة هنا ضربت شخصاً ما، علق ودراجات نارية - خلطة غير مفهومة. على الأقل وجدت الشرطة ما تشغل نفسها به».

خرج السائق بشاحنته على مهل من المرأب. ورغم تباطُئه انزلقت الشاحنة عدة مرات فعالجها بقبضته المُحكمة على عجلة القيادة. «يا رجل، يبدو فعلا أنها حمولة كاملة وقعت على الأرض، الأرض زلقة فعلاً. ولكن، يا ولد، علق!، يا للفضيحة. هل التصق بك علق من قبل؟».

«لا. حسب ما يتذكر ناكاتا، لا أظن»، أجابه ناكاتا.

«أنا من جبال جيفو، وأعرف العلق جيداً، صدقني... التصق بي مرات كثيرة. كنت أمشي في الغابة فتسقط عليّ من الأشجار. أو في السيول فتلتصق برجلك.. ما أن يلتصق العلق بك حتى يصبح صعباً نزعه. ولو نزعت واحدة كبيرة تخرج جلدك معها، وتترك علامة في جسمك. الحرق هو الحل الأفضل. أما كيف تمتصّ دمك فهذا شيء فظيع. وما إن يشبع العلق من الدم حتى يصبح ناعماً وقابلاً للهرس. شيء فظيع، أليس كذلك؟»

«نعم، بالطبع»، وافقه ناكاتا.

«ولكن العلق لا يسقط من السماء على مرأب استراحة، لم أسمع

بشيء غبي كهذا من قبل! الناس هنا لا يعرفون شيئاً عن العلق، العلق لا يسقط من السماء، هل أصبح العلق يسقط من السماء الآن؟».

ظل ناكاتا صامتاً.

«قبل سنوات ظهرت فجأة أعداد كثيرة من أم أربع وأربعين في إقليم يامانشي، مما جعل السيارات تنزلق في كل مكان، مثل هذا بالضبط، أصبحت الطريق كلها زلقة ووقعت حوادث كثيرة، والقطارات أيضا لم تستطع أن تسير، لكن حتى أم أربع وأربعين لا تسقط من السماء، بل تزحف من مكان ما. الجميع يعرف هذا».

«قبل زمن طويل كنت أعيش في إقليم ياماناشي. خلال الحرب».

«بلا مزاح»، قال السائق، «أي حرب هذه؟».

21

عُثر على جثته في المكتب:
مقتل النحّات كيوتشي تامورا

عثر على جثة النحّات العالمي المعروف «كيوتشي تامورا» بعد ظهر يوم 30 في حجرة مكتبه بمنزله بمنطقة نوجاتا بحي ناكانو، وقد فوجئت خادمته بجثته العارية ملقاة على الأرض ومضرجة بالدماء. كما عثرت الشرطة على أدلّة تفيد بوقوع شجار قبل الوفاة، مما يشير إلى أن الوفاة قد تمت بفعل فاعل، وقد استخدم فيها القاتل سكين مطبخ كسلاح الجريمة.

هذا وقد قدّرت الشرطة أن الجريمة قد وقعت مساء يوم الثامن والعشرين. ويعود التأخر في اكتشاف الجريمة إلى أن السيد تامورا يعيش بمفرده. عانى تامورا من طعنات غائرة في صدره بسكين حاد، ومن الواضح أن الوفاة قد حدثت فورا إثر نزيف حاد في القلب والرئتين. علاوة على كسور في عدة ضلوع مما يعني أن القاتل قد استخدم العنف الغاشم ضد الضحية. ولم تعلن الشرطة عن اكتشاف بصمات أو غيرها من الأدلة الأخرى في مسرح الجريمة. ويبدو أنه لا يوجد شهود على الحادث. وتتعامل الشرطة معه بوصفه ثأراً شخصياً وذلك بناءً على بقاء المنزل في حالته العادية مع عدم المساس بالأشياء القيّمة في المنزل، والعثور على محفظة نقود بالقرب من مكان الجريمة. يقع منزل السيد تامورا في منطقة هادئة إلا أن أحداً من الجيران لم يسمع أي أصوات وقت وقوع الجريمة، حتى أنهم فوجئوا بأخبار وقوع الجريمة، ولم يكن السيد تامورا يختلط بجيرانه كثيراً، وكان يعيش في

هدوء، ولم يلحظ أحد حدوث شيء غير اعتيادي ليلة الجريمة.

يذكر أن لتامورا ابن سيبلغ من العمر 15 سنة، وطبقاً لما أفادت به الخادمة، فإن هذا الابن قد اختفى من المنزل والمدرسة منذ عشرة أيام، ويقوم رجال الشرطة حالياً بالبحث عنه في المناطق المجاورة.

كان السيد تامورا يمتلك إضافة إلى منزله، مكتباً ومحترفاً بمدينة موساشينو، وطبقاً لأقوال مساعدته، ظل تامورا حتى يوم مقتله يعمل كالمعتاد على قطعة نحتية جديدة. وقد اضطرت هي يوم وقوع الحادث إلى الاتصال به لشأن ما، وفي كل مرة كانت تتصل به كان يرد عليها المجيب الآلي.

وُلد تامورا بمدينة كوكوبونجي بطوكيو، وتخرّج من كلّية النّحت بمعهد الفنون بطوكيو، وأنجز الكثير من القطع الفنية المتميزة التي لفتت إليه الأنظار في الأوساط الفنية العالمية منذ أن كان طالباً. وتدور أعماله دوماً حول موضوع اللاوعي البشري. والمعروف عن أعماله الفنية فرادتها في الأسلوب، وتنافيها مع كل ما هو تقليدي، وهي كذلك معترف بها عالمياً. ومن أشهرها سلسلة أعمال تحت مسمى «التيه»، وهي تكشف عن بهاء الدروب المتعرجة بالتيه، والوحي المستلهم منها، وذلك بالتعبير عما يتراءى للخيال على نحو غير معهود. وقبل عامين عرضت أعمال تامورا في متحف الفن الحديث بنيويورك، ويذكر أنه عمل حتى مماته كأستاذ زائر في أحد معاهد الفنون.

أكفّ عن القراءة هنا. الصورتان المرفقتان مع الخبر- واحدة لبوابة منزلنا وأخرى لأبي في شبابه- تضفيان على الصحيفة إحساساً بالشؤم. أطوي الصحيفة وأضعها على الطاولة. ما زلت في السرير، لا أقول شيئاً. فقط أضغط بأناملي على عينيي. يطن في أذني صوت رتيب منتظم الوقع. أهز رأسي لأتخلص منه، فلا يخرج.

في حجرتي بالمكتبة، الساعة السابعة مساءً. أقفلنا أنا وأوشيما المكتبة لتونا، وغادرت الآنسة ساييكي منذ فترة بسيارتها «جولف فولكس فاجن». ليس في المكتبة الآن سواي وأوشيما. وهذا الطنين المستفز في أذني.

«هذا العدد قديم، منذ أيام مضت، منذ أن كنتَ في الجبل. وظننت حين رأيتها أن كيوتشي تامورا هذا قد يكون والدك. تفاصيل كثيرة تتشابه معك، طبعاً كان يجب أن أريك إياها بالأمس لكنني فضّلت أن أدعك تستقر أولاً».

أومئ. ما زلت أضغط على عينيّ. لا يضيف أوشيما شيئا آخر.

«أنا لم أقتله، أنت تعرف هذا».

«أعرف»، يقول أوشيما، «كنت هنا في المكتبة يوم الجريمة، ظللت تقرأ حتى المساء، ولم يكن الوقت ليسعفك لتذهب إلى طوكيو وتقتل أباك ثم تعود إلى تاكاماتسو.. مستحيل».

لكنني لست متأكداً. أجري حساباتي وأجد أنه قُتل ليلة صحوت ووجدت بقع الدم على قميصي.

«ولكن الصحيفة تقول إن الشرطة تبحث عنك. كشاهد مهم»

أومئ.

«إذا قصدت الشرطة وأثبتّ أن لديك حجة غياب قوية، فستسهّل على نفسك أموراً كثيرة، بدلاً من الهرب من الشرطة، وتجنّبها في كل مكان، وأنا سأؤكد أقوالك بالطبع».

«لو ذهبت إليهم فسيعيدونني إلى طوكيو».

«هذا ما سيفعلونه على الأغلب، فأنت لم تنه دراستك بعد، وهذا هو القانون. لا تستطيع الذهاب أينما شئت في سنّك هذه. بحكم القانون، لا بدّ من وجود وصي عليك».

أهزّ رأسي، «لست مطالباً بتبرير شيء لأحد. ولا أريد العودة إلى البيت أو المدرسة في طوكيو».

صمت.

يحدق بي أوشيما، «هذا شأنك وقرارك أنت»، يقول أخيراً بنبرة هادئة، «أظن أنه من حقك أن تعيش بالطريقة التي تريدها سواء أكان

سنك 15 أو 51 عاماً. لا علاقة لأحد بهذا؟ لكن للأسف هذا لا يتوافق مع المجتمع، لنقل إذن إنك لن تشرح شيئاً لأحد، وستظل هارباً من الشرطة والمجتمع. وتعيش حياة قاسية جداً. وأنت لا تزال في الخامسة عشرة من عمرك، والحياة أمامك، هل تفضل هذا؟».

أظلّ صامتاً.

يحمل أوشيما الصحيفة ويطّلع مجدداً على الخبر. «بحسب ما ذكر هنا فأنت القريب الوحيد لأبيك».

«هناك أمي وأختي الكبيرة،» أخبره، «لكنهما رحلتا منذ زمن بعيد، ولا أعرف مكانهما، وحتى لو كنت أعرف فأشك فعلا أن يحضرا الجنازة».

«حسنا، لا أعرف من سيعتني بالأمور في غيابك. أعني الجنازة وشؤون أعماله».

«كما تقول الصحيفة، لديه سكرتيرة تتولى مسؤولية كل شيء، وهي تعرف كل تفاصيل عمله، ويمكنها الاعتناء بكل شيء. أنا لا أريد شيئاً. فليأخذوا المنزل والممتلكات وأياً كان، يمكنهم أن يتخلصوا من كل هذا كيفما شاءوا». أظن أن الشيء الوحيد الذي تركه لي هو جيناتي.

«ربما أكون مخطئاً»، يقول أوشيما، «لكنك لا تبدو مستاء من مقتل والدك».

«لا، أنا فعلاً حزين. فهو أبي في نهاية الأمر، ولكن أسفي الحقيقي فلأنه لم يمت قبل هذا بوقت طويل، أعرف أنه من الفظاعة قول هذا...».

يهز أوشيما رأسه، «لا مشكلة، يحق لك الآن أكثر من أي وقت أن تكون صادقاً».

«حسناً، أعتقد...»، يبدو صوتي واهناً. كلماتي ليست متيقنة من اتجاهها، يمتصّها الفراغ. ينهض أوشيما ويجلس بجانبي.

«لقد حدثت معي أشياء شتى، بعضها اخترته بنفسي، وبعضها لم يكن لي يد فيه. ولم أعد قادراً على التمييز بين هذا وذاك، أقصد أن الأشياء كأنها مقررة سلفاً- أنني أتبع مساراً قام أحدهم بوضعه لي مسبقاً. مهما فكرت في الأشياء واجتهدت فيها. في الحقيقة كلما بذلت جهداً أكبر، فقدت إحساسي بهويتي. وكأن هويتي مدار قد شردت عنه بعيداً، هذا مؤلم، حقاً، بل ويرعبني، مجرد التفكير في هذا يجعلني أرتجف».

يقترب أوشيما ويلمس كتفي. أشعر بدفء يده. «لو تحدثنا بالمنطق، لنفترض أنه من المقرر سلفاً أن تذهب كل خياراتك وجهودك هدراً، فأنت ما زلت أنت وليس أحداً آخر، تواصل السير قدماً بوصفك *أنت*. فاسترخ إذن».

أرفع رأسي وأنظر إليه. يبدو مقنعاً جداً، «ولِمَ تظن هذا؟».

«لأنها سخرية القدر».

«سخرية القدر؟».

ينظر أوشيما في أعماق عيني. «اسمع يا كافكا، ما تمرّ به الآن هو أساس الكثير من التراجيديات الإغريقية. المرء لا يختار قدره. إنما القدر يختار المرء. هذه هي رؤية الدراما الإغريقية للعالم. وفلسفة المأساة- حسب أرسطو- لا تأتي، للسخرية، من نقاط الضعف في شخصية البطل وإنما من حسناته. هل تفهم ما أريد أن أقوله؟ لا يتورط الناس في المأساة بسبب عيوبهم وإنما بسبب فضائلهم. وأعظم مثل على ذلك مسرحية الملك أوديب لسوفوكليس. لم تكن مأساة أوديب كسله أو غباءه، وإنما شجاعته وأمانته، ولهذا لم يستطع الهرب من مهازل الأقدار».

«لكنه وضع ميؤوس منه».

«ذلك حسب» يقول أوشيما، «أحياناً يكون الأمر هكذا فعلا،

ولكن سخرية القدر تزيد عمق الشخصية، وتساعد على بلوغها النضج. وعلى المدى الأعلى تكون المدخل إلى طريق الخلاص، إلى مكان تجد فيه الأمل أكثر شمولية، ولهذا لا يزال الناس يستمتعون بقراءة التراجيديات حتى الآن، مع أنها تعتبر النموذج الأول للكلاسيكيات. الآن أنا أكرر نفسي، ولكن كل ما في الحياة هو استعارة. عادة لا يقتل الناس آباءهم وينامون مع أمهاتهم، اليس كذلك؟ بمعنى آخر، نحن نتقبل سخرية الأقدار من خلال خاصية اسمها الاستعارة، وبهذا ننضج ونصبح بشراً ذوي دواخل عميقة».

لا أعلّق. فكري مشغول في وضعي أنا.

«كم شخص يعرف أنك هنا في تاكاماتسو؟»، يسأل أوشيما.

أهزّ رأسي. «كانت فكرتي أنا أن آتي إلى هنا، ولا أعتقد أن أحدا سواي يعرف».

«يستحسن إذن أن تتوارى لفترة في المكتبة، لا تخرج للعمل في مكتب الاستقبال، لا أظن أن الشرطة ستتمكن من ملاحقتك إلى هنا، ولكن إذا تعقّدت الأمور، يمكنك دوما أن تتوارى عن الأنظار في الكوخ»

أنظر إلى أوشيما «لو لم أقابلك لما تمكنت من تدبير أموري، ليس لي سواك الجأ إليه».

يبتسم أوشيما. يرفع يده عن كتفي وينظر إليها، «هذا غير صحيح، لو لم تقابلني لكنت بالتأكيد وجدت طريقاً آخر تتبعه، لا أعرف لماذا لكنني متيقّن من هذا، هذا إحساسي بك». ينهض ويحضر صحيفة أخرى من المكتب. «بالمناسبة، هذا الخبر ورد في صحيفة البارحة، أتذكر هذا لأنه أمر غير عادي فعلاً، قد تكون مجرد صدفة، لكنه أمر حدث بالقرب من منزلك».

السمك ينهمر من السماء

2000 سمكة سردين واسقمري تهطل على سوق بحي ناكانو

قرابة الساعة السادسة من مساء يوم التاسع والعشرين فوجئ سكان سوق.... بحي ناكانو بانهمار نحو ألفي سمكة سردين وأسقمري من السماء. وأصيبت امرأتان كانتا تتسوقان بجروح طفيفة في الوجه بفعل سقوط السمك عليهما، ولا توجد بلاغات عن إصابات أخرى. كان الجو مشمساً دون غيوم أو رياح وقت سقوط الأسماك، وكان الكثير منها ما زال حياً يتراقص على الرصيف...

أنتهي من قراءة الخبر وأعيد الصحيفة لأوشيما. يفترض كاتب الخبر عدة أسباب ممكنة للحادث، لكن ولا واحد منها مقنع كفاية. تحقق الشرطة في إمكانية وجود عملية سرقة أو أن أحداً ما قام بمقلب، أما مصلحة الأرصاد الجوية فأفادت بأنه لم يكن هناك أي بوادر سبقت سقوط الأسماك. أما وزارة الزراعة، وهيئة الغابات فلم تبديا أي تعليق.

«هل لديك أي فكرة عن السبب؟»، يسألني أوشيما.

أهز رأسي. ليس لدي أدنى فكرة.

«اليوم التالي لمقتل أبيك، وفي مكان قريب يسقط نحو ألفي سمكة سردين وأسقمري، مجرد صدفة؟».

«أظن ذلك».

«تفيد الصحيفة أيضاً أنه في استراحة فوجيغاوا على طريق توماي السريعة، في وقت متأخر من الليل من اليوم نفسه، سقطت أكوام من العلق من السماء، وتسببت في حوادث سير خفيفة. ويبدو أن العلق كان ضخماً جداً، ولم يستطع أحد أن يفسّر سبب هطول العلق من السماء. كانت ليلة هادئة بلا غيوم، ليست لديك فكرة عن سبب حدوث هذا أيضا؟».

مرة أخرى، أهزّ رأسي نفياً.

يطوي أوشيما الصحيفة ويقول «مما يترك لنا حقيقة واحدة وهي وقوع أحداث غريبة متتالية لا يمكن تفسيرها. قد تكون مجرد سلسلة من المصادفات، لكنها تحيّرني، هناك شيء ما لا أستطيع أن أفهمه».

«قد تكون استعارة»، أقول مخمّناً.

«ربما... ولكن مطر من السردين والأسقمري والعلق؟ أي استعارة هذه؟».

أحاول في الصمت أن أصيغ في كلمات شيئاً ما كان يشغل فكري منذ مدة طويلة. «أتعرف؟ من سنوات قليلة، أخبرني أبي بنبوءة تتعلق بي».

«نبوءة؟».

«لم أخبر أحداً بهذا من قبل، لأنني لم أحسب أن أحداً يمكن أن يصدقني».

يظلّ أوشيما صامتاً. ويشجعني صمته على التكلّم.

«في حقيقة الأمر هي لعنة أكثر منها نبوءة. ظل أبي يكررها لي، وكأنه ينقشها في رأسي». آخذ نفساً عميقاً وأتأكد مرة أخرى من الكلمات التي يجب أن أقولها. لا في محاولة لتذكرها، فهي لا تفارق تفكيري، وتتردد في رأسي سواء تأكدت منها أم لا. لكن عليّ أن أَزِنَ الكلمات مرّة أخرى. وهذا ما أقوله: «يوماً ما ستقتل أباك وستنام مع أمك، هذا ما قاله لي».

ما إن وضعت هذه الفكرة في كلمات مسموعة حتى تملكني شعور بالخواء، وداخل هذا الخواء راح يصطخب قلبي بإيقاع معدني أجوف.

من دون أن يتغير تعبير وجهه، يحدق بي أوشيما طويلاً، «قال إذن: إذن يوماً ما ستقتل أباك بيديك، وستنام مع أمك».

أومئ برأسي مرات عدة.

«نبوءة أوديب. يعني، أنت تعرف هذا بالطبع».

أومئ، «ولكن هذا ليس كل شيء، فقد أضاف محتويات أخرى

للخلطة. لي أخت تكبرني بست سنوات، وقال أبي أنني سأعاشرها أيضاً».

«هل قال لك أبوك هذا فعلاً؟».

«أجل. كنت ما زلت في الإعدادية وقتها ولم أكن أعرف ماذا يعني بـ «سأعاشرها». كان ذلك قبل أن أفهم هذا بسنوات قليلة».

لا يقول أوشيما شيئاً.

«قال لي أبي إنني لن أستطيع أن أهرب من هذا. وإن هذه النبوءة كالمنبه المزروع في جيناتي، ولن تتغير أبداً. سأقتل أبي وأعاشر أمي وأختي».

يصمت أوشيما طويلاً، كأنه يتفحّص كل كلمة تفوّهت بها، الواحدة بعد الأخرى، باحثاً فيها عن مفاتيح لحل اللغز، «ولماذا بحق الله يخبرك أبوك بشيء رهيب كهذا؟»، يسأل أخيراً.

«لا فكرة لدي. فلم يشرح لي شيئاً أكثر من هذا»، أجيبه وأنا أهزّ رأسي، «ربما رغبة منه في الانتقام من زوجته وابنته اللتين هجرتاه. ربما أراد أن يعاقبهما. بواسطتي».

«حتى وإن كان هذا يؤذيك؟».

أومئ برأسي، «بالنسبة إلى أبي، ربما لم أكن سوى واحداً من تماثيله، شيئاً يمكنه أن يصنعه أو يكسره».

«هذا أسلوب منحرف جداً في التفكير»، يقول أوشيما.

«في بيتنا كان كل شيء منحرفاً، وحين يكون كل شيء منحرفاً، يصبح العادي غامضاً أيضاً. أدركت هذا باكراً جداً، لكنني كنت طفلاً فأين يمكنني الذهاب؟».

«لقد رأيت عمل أبيك مرات عدة» يقول أوشيما، «نحات رائع. قطعه أصيلة، مثيرة وقوية. ليست مهاودة، يعني حقيقية بكل تأكيد».

«ربما تكون هكذا لكنه كان ينشر الترسّبات الصّلبة من تلك القطع في كل مكان كسمّ لا يمكنك الهرب منه، أبي لوث كل شيء لمسته يداه،

وحطّم كل من اقترب منه. لا أعرف هل كان يقصد هذا أم لا. ربما كان مضطراً إلى فعل هذا. وربما كان مجرد جزء من مكياجه. على أي حال، أشعر أنه كان فقط متصلاً بشيء ما غير عادي. أتفهمني؟».

«أجل، أظن ذلك»، يجيب أوشيما، «ربما كان شيئاً أبعد من الخير والشر. مصدر القوة، يمكنك أن تسميه».

«ونصف جيناتي آت من هذا. قد تكون أمي هجرتني لهذا السبب. ربما أرادت أن تقطع صلتها بي لأنني ولدت من هذا المصدر. لأنني كنت ملوثاً».

يضغط أوشيما على صدغيه بأصابعه برفق وهو يقلّب الأمر في فكره. يضيّق عينيه ويحدّق بي، «هل هناك أى احتمال ألا يكون أباك البيولوجي؟». أهزّ رأسي، «قبل بضع سنوات ذهبنا إلى المشفى وأجرينا فحصاً للحمض النووي. ما من شك في هذا- بيولوجيا نحن أب وابنه بنسبة 100%. لقد رأيت بنفسي نتيجة الفحص».

«إجراء ذكي من قبله».

«أظن أنه كان يريدني أن أعرف أنني من صنعه، شئ صنعه ووضع توقيعه عليه».

لا تزال أصابع أوشيما على صدغيه. «لكن نبوءة والدك لم تتحقق، أليس كذلك؟ انت لم تقتله. كنت هنا في تاكاماتسو عندما قتل. قتله شخص آخر في طوكيو».

أفرد يديّ أمامي في صمت وأحدّق بهما. تلك اليدان اللتان، في ظلام الليل، كانتا مكسوتين بالدماء، «لست واثقاً من هذا»، أخبره.

وأروح أخبره بكل شيء. كيف فقدت وعيي لساعات في تلك الليلة وأنا في طريق العودة إلى الفندق. وكيف صحوت في الغابة خلف المعبد، وقميصي مرطّب بدم أحدهم. وكيف غسلت الدم عن على القميص في دورة المياه. وكيف امّحت ساعات عديدة من ذاكرتي. وتوفيراً للوقت لم أخض في تفاصيل قضائي الليل في شقة ساكورا.

يسأل أوشيما الأسئلة المعتادة، ويحفظ التفاصيل في سجلات في رأسه. ولا يُسْمعني رأيه مع هذا.

«لا أعرف شيئاً عن كيف وصل هذا الدم إليّ، ولا دم مَنْ هو»، أخبره، «ولكن قد أكون قتلت أبي فعلاً، أقصد بيدي هاتين، وليس استعارة. أنا فعلاً لديّ إحساس بأنني *فعلتها*. كما قلت، كنت في تاكاماتسو هذا اليوم- بالتأكيد لم أذهب إلى طوكيو. ولكن في الأحلام تبدأ المسؤولية، أليس كذلك؟».

يومئ أوشيما برأسه «ييتس».

«قد أكون إذن قتلته في الحلم»، أقول، «قد أكون مضيت في مدار حلم خاص أو شئ ما وقتلته».

«بالنسبة إليك، قد تكون هذه حقيقة مشاعرك، ولكن ما من أحد يستطيع لومك على مسؤولياتك الشعورية. ليس الشرطة بالتأكيد. فلا أحد يستطيع التواجد في مكانين في وقت واحد، هذه حقيقة علمية- آينشتاين وخلافه، والقانون يقرّ هذا المبدأ».

«لكنني لا أتحدث هنا عن العلم أو القانون».

«ما تتحدث عنه يا كافكا»، يقول أوشيما، «هو مجرد نظرية. جريئة وسريالية، بالطبع، لكنها تنتمي إلى روايات الخيال العلمي لا الواقع».

«بالطبع مجرّد نظرية، أعرف هذا، لا أظن أن أحداً سيصدق هذا الغباء. ولكن أبي كان يقول دوماً إن العلم لم يكن ليتقدم لولا وجود دليل مناقض للنظرية. كانت جملته المفضلة: «النظرية هي معركة في رأسك». وأنا الآن لا أستطيع أن أستنتج أي دليل يناقض فرضيتي».

أوشيما صامت. ولا أستطيع أن أفكر في شيء آخر لأقوله.

«عموماً»، يقول أوشيما أخيراً، «لهذا هربت إلى شيكوكو، لتفرّ من نبوءة أبيك».

أومئ. وأشير إلى الصحيفة المطوية، «ويبدو مع هذا أنه لا مفرّ».

المسافات لن تحل شيئاً، يقول الفتى المدعو كرو.

«حسناً، أنت في حاجة إلى مخبأ»، يقول أوشيما، «ولا يمكنني أن أقول أكثر من هذا».

فجأة أدرك مدى تعبي. أميل نحو أوشيما، ويضمني بذراعيه.

أدفن وجهي في صدره المسطح، «أوشيما، لا أريد أن أفعل هذا. لا أريد أن اقتل أبي أو أن أعاشر أمي وأختي».

«بالطبع لا تريد»، يجيب وهو يداعب شعري القصير. «كيف يمكن أن تفعل هذا؟».

«ولا حتى في الحلم».

«ولا استعارة» يضيف أوشيما، «ولا كنايةً ولا قياساً». يتوقف ثم يقول «إن لم يكن لديك مانع سأبيت معك الليلة، يمكنني أن أنام على الكرسي». لكنني أرفض عرضه. أخبره أنني أفضّل البقاء وحدي لفترة.

يرفع أوشيما خصلات شعره عن جبهته. وبعد تردد يقول، «أعرف أنني امرأة شاذة لوطية محطمة ولا أمل يرتجى مني، وإن كان هذا ما يزعجك».

«لا»، أجيبه، «ليس هذا السبب أبداً. فقط أريد بعض الوقت وحدي لأفكر. حدثت أشياء كثيرة في وقت واحد. هذا كل شيء».

يدوّن أوشيما رقم هاتف على ورقة صغيرة، «في منتصف الليل، إذا شعرت برغبة في التحدث مع أحد، اتصل بهذا الرقم. لا تتردد، حسناً؟ نومي خفيف على أي حال».

أشكره.

تلك كانت الليلة التي رأيت فيها شبحاً.

22

وصلت شاحنة النقل التي تقلّ ناكاتا إلى «كوبي» بعيد الخامسة فجراً. كان النور قد بدأ بالانتشار، لكن المستودع الذي يفترض إفراغ الحمولة فيه كان لا يزال مغلقاً. فركنا الشاحنة في شارع عريض قرب الميناء وغفوا قليلاً. تمدّد السائق الشاب في المقعد الخلفي - حيث يأخذ قيلولته عادة - وبدأ يشخر برضا. وكان شخيره يوقظ ناكاتا أحياناً، لكنه يعود سريعاً إلى النوم. لم يكن الأرق من الظواهر التي خبرها ناكاتا في حياته.

قبيل الثامنة استوى السائق الشاب في مقعده متثائباً. «أيها الجد ألستَ جائعاً؟»، سأل ناكاتا وهو منشغل بالحلاقة بماكينة كهربائية، مستعيناً بالمرآة الخلفية للشاحنة.

«بما أنك ذكرت الموضوع، نعم. ناكاتا يشعر فعلاً ببعض الجوع».

«فلنذهب إذن ونحضر فطوراً».

كان ناكاتا، ومنذ مغادرتهما فوجيغاوا، قد أمضى معظم الوقت نائماً. فظل السائق الشاب صامتاً يستمع إلى برنامج ليلي في الراديو، ويدندن أغنيات لم يسمعها ناكاتا من قبل أبداً. بل إنه تساءل ما إذا كانت باليابانية حتى، لأنه لم يكن يفهم من كلماتها الغريبة شيئاً. أخرج

من حقيبته الشوكولاتة وكرات الأرز التي أخذها من الشابتين الموظفتين في شينجوكو، وتقاسمها مع السائق.

لم يتوقف السائق عن التدخين طوال الرحلة، وقال إن هذا يساعده على البقاء مستيقظاً، ولدى وصولهما إلى كوبي كانت ملابس ناكاتا مضمخة برائحة الدخان.

حاملاً حقيبته ومظلته، ترجل ناكاتا بصعوبة من الشاحنة.

«يمكنك ترك أغراضك في السيارة»، قال السائق،

«لن نذهب بعيداً، وسنعود فور أن نأكل».

«نعم، أنت مصيب تماماً، لكن ناكاتا يفضّل حمل أغراضه معه».

قطّب الشاب جبينه. «كما تشاء، لست أنا من يعاني من حملهما».

«شاكر جداً».

«بالمناسبة، اسمي هوشينو، على اسم المدير السابق لفريق شونيشي دراجونز، مع هذا فلست قريبه».

«سيد هوشينو تسرني مقابلتك كثيراً، اسمي ناكاتا».

«يا رجل. لقد صرت أعرف هذا»، قال هوشينو.

انطلق الشاب في المنطقة التي يعرفها جيداً، فاضطر ناكاتا إلى الجري تقريباً لمجاراته. وصلا إلى مقهى صغير في شارع خلفي، وجلسا بين سائقي النقل الآخرين والحمّالين في الميناء. لم يكن بينهم جميعاً من يضع ربطة عنق. وكانوا جميعاً يتناولون فطورهم بهمّة وكأنهم يملأون خزان سيارة بالوقود. كان المكان يعجّ بقرقعة الأطباق وصياح النادلين بالطلبات وضجة نشرة الأخبار الصباحية في التلفزيون القابع في الزاوية.

أشار هوشينو إلى قائمة المأكولات المعلقة على الحائط، «أطلب ما شئت يا جدي، الطعام هنا رخيص ولذيذ جداً».

«رائع»، أجابه ناكاتا وفعل ما طلبه منه. وراح يحملق في القائمة

حتى تذكر أنه لا يجيد القراءة. «آسف يا سيد هوشينو، لكنني لست ذكياً جداً ولا أعرف القراءة».

«حقاً؟»، قال هوشينو مندهشاً، «لا تقرأ؟ هذا نادر جداً هذه الأيام. لكن لا عليك، سأتناول السمك المشوي والأومليت - ما رأيك؟».

«يبدو جيداً. السمك المشوي والأومليت من أكلات ناكاتا المفضلة».

«يسعدني ذلك».

«وأحب الحنكليس أيضاً».

«فعلاً؟ أنا أيضاً أحب الحنكليس، ولكنه ليس مناسباً للإفطار أليس كذلك؟».

«هذا صحيح، وناكاتا تناول الحنكليس الليلة الماضية، عندما دعاني السيد هاجيتا».

«يسعدني سماع ذلك»، قال هوشينو مجدداً، «طبقا سمك مشوي وأومليت!»، صاح هوشينو بالنادلة. «وطبق أرز كبير».

«طبقا سمك مشوي وأومليت وطبق أرز كبير»، صاحت النادلة موصلة الطلب إلى المطبخ.

«أليس مزعجاً بعض الشيء ألا تكون قادرا على القراءة؟»، سأل هوشينو.

«بلى، أحياناً أقع في مشكلات بسبب ذلك. الأمر ليس بالغ السوء ما دمتُ في حي ناكانو. ولكن إذا ذهبت إلى مكان آخر، كما الآن، يصبح الأمر بالغ الصعوبة».

«أظن هذا، كوبي بعيدة جداً عن ناكانو».

«ناكاتا لا يعرف الشمال والجنوب. كل ما أعرفه هو اليمين واليسار. ولهذا أضلّ، ولا أستطيع أن أشتري التذاكر أيضاً».

«لا أصدق أنك استطعت أن تقطع كل هذه المسافة».

«ساعدني أناس طيبون كثر. وأنت واحد منهم يا سيد هوشينو، ولا أعرف كيف أشكرك».

«لا بدّ من أن هذا قاس، أعني ألاّ تتمكن من القراءة. كان جدّي في عزّ خرفه ومع ذلك كان يقرأ».

«أنا مغفّل بصورة خاصة».

«هل كل عائلتك هكذا؟».

«لا، إنهم ليسوا كذلك. لي أخ مدير إد-آرة في مكان اسمه أيتو-شي. وأخ آخر يعمل في مكتب اسمه إم- آي- تي-آي».

«روعة» قال هوشينو، «شلة راقية حقاً. أنت إذن المتأخر قليلاً؟».

«أجل، ناكاتا هو الوحيد الذي وقع له حادث ولم يعد ذكياً. ولهذا يطلبون مني دائماً ألا أخرج كثيراً حتى لا أسبب الإحراج لأخويّ وأولادهما».

«أجل، أظن أن هذه حال معظم الناس الذين سيجدونه أمراً مقلقاً ظهور شخص مثلك في حياتهم».

«أنا لا أفهم الأشياء الصعبة. لكنني أعرف أنني طالما بقيت في حي ناكانو فلن أتوه. والمحافظ يساعدني، وأتفق جيداً مع القطط. وأحلق شعري مرة في الشهر، وآكل الحنكليس من وقت لآخر. ولكن بعد جوني واكر، لن يبقى ناكاتا في حي ناكانو».

«جوني واكر؟».

«هذا صحيح، يرتدي حذاء عالياً وقبعة سوداء طويلة، وصديرياً، ويمسك عكازاً بيده. ويجمع القطط ليخطف أرواحها».

«بربّك...»، قال هوشينو، «على أي حال أنا لا صبر لي على سماع القصص الطويلة. وعموماً فقد حدث شيء ما وغادرت ناكانو، صحيح؟».

«هذا صحيح. غادرت ناكانو».

«وإلى أين تتجه إذن؟».

«ناكاتا لا يعرف بعد. لكن حين وصلنا إلى هنا عرفت أنه عليّ أن أعبر جسراً، جسراً كبيراً قريباً من هنا».

«آه، سوف تذهب إذن إلى شيكوكو».

«آسف جداً يا سيد هوشينو لكنني لا أعرف الجغرافيا جيداً. هل أصير في شيكوكو بعد عبوري الجسر؟».

«أجل. إذا كنت تقصد جسراً كبيراً قريباً من هنا، فهو الجسر الذي يوصل إلى شيكوكو. في الحقيقة هناك ثلاثة جسور، واحد من كوبي إلى جزيرة أواجي ثم إلى طوكوشيما. وآخر من أسفل كيوراشيكي صعوداً إلى ساكايد. وواحد يصل أونوميشي بإيمابارا. كان جسراً واحداً يكفي، لكنّ السياسيين حشروا أنفهم في الأمر وانتهى الأمر بثلاثة. المشاريع التي تؤمّن لهم ربح الأصوات في الانتخابات...». سكب هوشينو بعض الماء على سطح المائدة ورسم بإصبعه خريطة مختصرة لليابان، مشيراً إلى الجسور الثلاثة التي تصل بين هونشو وشيكوكو.

«هل هي كبيرة حقا؟»، سأل ناكاتا.

«إنها ضخمة».

«حقاً؟ على أي حال، سوف يكون على ناكاتا أن يعبر أحدها. ربما الكوبري الأقرب. وبعدها أفكر في ما سأفعله».

«أنت تقول إذن أنك ليس لديك أي أصدقاء أو أقارب في المكان الذي تتجه إليه».

«لا، ناكاتا لا يعرف أحداً هناك».

«فقط سوف تعبر الجسر إلى شيكوكو ثم تجد مكاناً تذهب إليه».

«صحيح».

«ولا تعرف *أين* هو هذا المكان».

«لا فكرة لدي. لكنني أظن أنني سأعرفه عندما أصل إليه».

«يا الله»، قال هوشينو، وأرجع شعره إلى الخلف، واعتمر قبعة الشيونيشي دراجونز.

حضر طعامهما وأخذا يأكلان.

«أومليت لذيذة فعلاً، أليس كذلك؟»، علّق هوشينو.

«أجل، إنها رائعة. طعمها مختلف عن الأومليت الذي أعتدت أن آكله في حي ناكانو».

«هذا لأنه معدّ على طريقة كانساي، ليس كتلك الأشياء عديمة الطعم التي يطلقون عليها اسم أومليت جزافاً في طوكيو».

ثم راح كلاهما يستمتعان بوجبتهما في صمت، الأومليت، والأسقمري المملح المشوي، وحساء الميزو مع قشر السمك، ومخلل اللفت، والسبانخ الطازجة، وعشب بحر. لم يتركا حبة أرز. وتأكد ناكاتا أن يمضغ كل ملعقة 32 مرة، ولهذا استغرق وقتاً طويلاً جداً قبل أن ينتهي.

«هل شبعت يا سيد ناكاتا؟».

«أجل، كثيراً. وماذا عنك يا سيد هوشينو؟».

«أنا كذلك، لقد أتخمت. إفطار يرد الروح أليس كذلك؟».

«أجل، بالتأكيد».

«وماذا عن الحمّام؟ ألا تريد أن تفرغ؟».

«الآن بما أنك ذكرت الأمر، أشعر فعلاً بأنني أريد الذهاب إلى الحمام».

«وعلامَ تنتظر؟ الحمامات هناك».

«وماذا عنك يا سيد هوشينو؟».

«سأذهب فيما بعد. أنا آخذ وقتي في هذا الأمر».

«شكراً لك. ناكاتا سيذهب ويفرغ إذن».

«هاي، ليس بصوت عال هكذا. ما زال الناس يأكلون هنا».

«أنا آسف، ناكاتا ليس ذكياً جداً».

«لا عليك، فقط اذهب».

«هل تمانع لو غسلت أسناني أيضاً؟».

«لا، خذ راحتك. لدينا وقت. افعل ما تشاء. اسمع، لا أظن أنك ستحتاج إلى هذه المظلة في الحمام. أليس كذلك؟».

«وهو كذلك، سأترك المظلة».

عندما عاد ناكاتا من الحمام كان هوشينو قد دفع الحساب.

«سيد هوشينو، أنا معي نقود، أرجوك اسمح لي أن أدفع حساب الفطور على الأقل».

هزّ هوشينو رأسه، «لا عليك، أنا مدين كثيراً لجدي. لقد كنت فتى شقياً نوعاً ما».

«فهمت، لكنني لست جدك».

«هذه مشكلتي أنا. لا تشغل بالك، ولا تجادلني. اتفقنا؟ دعني أدفع عنك».

بعد التفكير لبرهة، قرر ناكاتا أن يقبل كرم الشاب. «إذن شكرا جزيلاً لك. كانت وجبة رائعة».

«إنها مجرد بعض الأسقمري والأومليت في مقهى صغير تافه. لست مضطراً إلى كل هذا الشكر».

«ولكن أتدري يا سيد هوشينو، منذ أن غادر ناكاتا حي ناكانو، والجميع يعامله بلطف شديد فلم أضطر إلا نادراً إلى أن أصرف من مالي الخاص».

«هذا جميل»، قال هوشينو متأثراً.

طلب ناكاتا من النادلة أن تملأ له ترمسه بالشاي الساخن، ثم أعاده بعناية إلى حقيبته. وسار عائداً إلى الشاحنة. قال هوشينو «إذن، بخصوص الذهاب إلى شيكوكو...».

«أجل؟»، أجاب ناكاتا.

«لماذا تريد الذهاب إلى هناك؟».

«لا أعرف».

«لا تعرف لماذا أنت ذاهب؟ أو حتى إلى أين أنت ذاهب. ومع ذلك عليك الذهاب إلى شيكوكو؟».

«هذا صحيح، ناكاتا سيعبر الجسر الكبير».

«وستعرف السبب حين تصبح عند الجانب الآخر؟».

«أظن هذا. لن أعرف شيئاً قبل أن أعبر الجسر».

«ممم»، قال هوشينو، «عبور الجسر مهم جداً إذن».

«نعم، إنه الأكثر أهمية».

«فهمت»، قال هوشينو وهو يحكّ رأسه.

كان على الشاب أن يعود إلى المستودع لكي يسلّم حمولته من الأثاث، فقال لناكاتا أن ينتظره في حديقة صغيرة بالقرب من الميناء.

«لا تتحرك من هنا، اتفقنا؟»، حذّره هوشينو، «الحمّام وصنبور المياه هناك. لديك كل ما تحتاج إليه. وإذا تجولت هنا أو هناك، فقد لا تعرف كيف تعود».

«أفهم، فأنا لم أعد في حي ناكانو».

«بالضبط. هنا ليس ناكانو. لذا ابقَ هنا وسأعود سريعاً».

«وهو كذلك. سأبقى هنا».

«عظيم. سأعود فور تسليم الحمولة».

امتثل ناكاتا للأمر، ولم يبرح مقعده، ولا للذهاب إلى الحمام حتى. فهو لا يجد صعوبة في الجلوس ثابتاً في مكان واحد لوقت طويل. هو ضليع في هذا الأمر في الحقيقة.

استطاع من موضعه رؤية البحر الذي لم يره منذ وقت طويل. في طفولته كان كثيراً ما يذهب إلى الشاطئ مع أسرته، وكان يرتدي سروال

سباحة ويلعب على الشاطئ، ويجمع الأصداف التي يقذفها الموج إلى الرمل. لم تكن تلك الذكريات واضحة، كانت كأنها حدثت في عالم آخر. ومنذ ذلك الحين لا يتذكر أنه رأى البحر ثانية.

بعد الحادثة الغريبة في جبال ياماناشي، عاد ناكاتا إلى المدرسة في طوكيو. كان قد استعاد وعيه، وكان بخير من الناحية الصحية، إنما انمحت ذاكرته كلياً، ولم يستعد القدرة على القراءة والكتابة. لم يعد قادراً على قراءة الكتب المدرسية ولا إجراء أي امتحان. كل المعارف التي كان قد اكتسبها حتى ذلك الحين تلاشت تماماً، ومعها القدرة على التفكير المجرد. ومع هذا، فقد سمحوا له بالتخرّج. لم يكن يستطيع متابعة الدروس فكان يجلس بهدوء في زاوية الفصل. وحين تقول له المدرسة أن يفعل شيئاً ما، كان يتبع تعليماتها حرفياً. لم يكن يزعج أحداً، وكان المدرسون ينسون وجوده. كان ضيفاً أكثر منه عبئاً.

وسرعان ما نسي الناس أنه دائماً ما كان متفوقاً قبل الحادثة. وصارت تحدث الأنشطة في المدرسة من دونه. لم يكوّن أي صداقات، ومع هذا لم يزعجه الأمر. وحيداً كان يستطيع أن يشرد في عالمه الصغير. وأكثر ما تعلّمه من المدرسة كان العناية بالأرانب والماعز التي تربيها الإدارة، والاعتناء بأحواض الزهور في الخارج وتنظيف الفصول. ولم تكن الابتسامة تفارق وجهه بينما يقوم بهذه المهام.

وكان أغلب الأحيان منسياً في المنزل أيضاً. حين أدرك والداه أن ابنهما البكر لم يعد يستطيع القراءة أو متابعة دروسه بعد الآن، وهما اللذان يوليان اهتماماً كبيراً لتعليم أطفالهم، تجاهلاه وأدارا دفة انتباههما ناحية أخويه الصغيرين. كان مستحيلاً على ناكاتا الاستمرار في التعلم ودخول مدرسة إعدادية عامة، ولهذا فور إنهائه الابتدائية أرسل ليعيش مع أقاربه في إقليم ناغانو؛ مسقط رأس أمه. وهناك ذهب إلى مدرسة زراعية. وبما أنه لا يستطيع القراءة، فقد كان يعاني في إنجاز الفروض المدرسية، لكنه أحبَّ العمل في الحقول. وربما حتى كان ليصبح

مزارعاً لو لم يعذبه أصدقاؤه في المدرسة كثيراً. كانوا يستمتعون كثيراً بضرب الأجنبي ابن المدينة هذا. أصيب إصابات بالغة (من بينها عوج في أذنه بسبب اللكمات) فقرّر جداه إخراجه من المدرسة وإبقاءه في المنزل. كان ناكاتا طفلاً هادئاً ومطيعاً، وكان جداه يحبانه كثيراً.

وخلال تلك الفترة تقريباً اكتشف أنه يستطيع التحدث إلى القطط. كان ثمة بعض القطط حول منزل جدّيه، فكوّن ناكاتا صداقات جيدة معها. في البداية لم يستطع سوى قول كلمات قليلة، إلا أنه انكبّ مجتهداً على هذا الأمر، وكأنه يريد أن يمتلك ناصية لغة أجنبية، وقبل أن يمرّ وقت طويل أصبح قادراً على الخوض في أحاديث طويلة. كان يحب، حين لا يكون مشغولاً في شيء، أن يجلس على الشرفة ويتحدث إلى القطط. ومن جهتها علّمته القطط الكثير عن الطبيعة وعن العالم من حوله. في الحقيقة، أغلب معلوماته الأساسية عن العالم ومساره تعلمها من أصدقائه السنوريين.

حين أصبح في الخامسة عشرة أُرسل إلى شركة أثاث قريبة ليتعلم النجارة. لم يكن معملاً بل محل نجارة صغير يصنع أثاثاً قديم الطرز. وكان يتم شحن الكراسي والطاولات والصناديق التي يصنعونها هناك إلى طوكيو. وكبر ناكاتا عاشقاً للأعمال الخشبية. وكان رئيسه يحبه ويفضله كثيراً ليده الماهرة وتدقيقه في التفاصيل الصغيرة التي لا ينساها أبداً وقلة حديثه ولكونه أيضا لا يشكو أبداً. لم تكن قراءة التصاميم وجمع الأرقام من مهاراته، وبعيداً عن ذلك كان يجيد كل ما يضع يده عليه. ما إن يحفظ خطوات تصنيع شيء ما في ذهنه حتى يصير قادراً على صنع أعداد لا تحصى منه دونما كلل. وبعد سنتين من العمل كصبي مساعد، تم تثبيته كموظف بدوام كامل.

عمل ناكاتا هناك حتى تجاوز سن الخمسين من دون أن يغيب مرة متحججاً بالمرض أو بوقوع حادث له. لم يكن يشرب الكحول أو يدخن، ولم يكن يسهر أو يبالغ في الأكل. لم يشاهد التلفزيون قط،

وكان يسمع الراديو فقط من أجل التمارين الرياضية الصباحية. كل ما كان يفعله هو صنع الأثاث يوماً بعد يوم. مات جداه بطبيعة الحال، وكذلك والداه. أحبّه الجميع، ومع هذا لم يكوّن صداقات حميمة. وربما كان هذا بديهياً، حيث كان أغلب الناس عندما يحاولون التحدث إلى ناكاتا يشعرون بعد عشر دقائق أنه ما عاد لديهم ما يقولونه.

ومع هذا لم يشعر ناكاتا أبداً بالوحدة أو الحزن. ولم يشعر قطّ بالرغبة الجنسية، أو حتى بأن يكون بصحبة أحد. كان يدرك أنه مختلف عن الآخرين. ومع أن أحداً سواه لم يلحظ ذلك، بيد أنه كان يظن أن ظله على الأرض أكثر خفة وشحوباً من ظلال الآخرين. وكانت القطط هي الوحيدة التي تفهمه. كان يذهب في إجازته ويجلس على مقعد في حديقة ويقضي اليوم كله مثرثراً معها. ومما يدعو للعجب أن الأمور التي كان يتحدث والقطط حولها لم تكن تنفد أبداً.

توفي صاحب شركة الأثاث عندما كان ناكاتا في الثانية والخمسين، وسرعان ما أغلقت ورشة النجارة أبوابها. لم يعد هذا النوع الكئيب من الأثاث التقليدي مرغوباً فيه كالسابق. وتقدم السن بجميع الحرفيين ولم يكن من الشباب من يهتم بتعلم تلك الحرفة. وكانت الورشة نفسها، التي كانت في الأصل تقع وسط حقل، قد أصبحت محاطة بمنازل حديثة الطراز، وكثرت شكاوى السكان حول الضوضاء ودخان حرق نشارة الخشب. ولم يكن ابن مالك الشركة - الذي كان يعمل في شركة محاسبة في المدينة - مهتماً بإدارة العمل بعد أبيه، فما إن توفي هذا الأخير حتى قام ببيع الورشة إلى سمسار قام بهدم المصنع وتسوية الأرض وباعها لمقاول مبان سكنية، الذي بدوره بنى عليها بناية من ستة طوابق. وفي اليوم الأول من العرض، بيعت جميع الشقق.

هكذا خسر ناكاتا وظيفته. كان على الشركة بعض الديون متوجبة السداد، فلم يحصل ناكاتا سوى على مبلغ تافه كمكافأة نهاية خدمة. وبعد هذا لم يستطع إيجاد وظيفة أخرى، ومن ذا الذي كان ليوظف

رجلاً أمّياً في عقده الخامس مهارته الوحيدة صنع أشياء قديمة لم يعد أحد في حاجة إليها؟

كان ناكاتا قد عمل دون انقطاع لمدة 37 عاماً دون أن يأخذ عطلة ليوم واحد، فادّخر مبلغاً محترماً قام بإيداعه في صندوق المدّخرات في مكتب البريد. وعموماً كان ينفق القليل جداً على نفسه. ولهذا حتى دون أن يجد وظيفة أخرى كانت مدخراته تكفيه ليعيش تقاعداً مريحاً. وبما أنه لم يكن يقرأ أو يكتب، قام أحد أبناء عمومته - الذي كان يعمل في البلدية - بإدارة حساباته نيابة عنه. وبالرغم من هذا العطف، لم يكن ابن عمه هذا سريع الفهم بما يكفي، ونُصِبَ عليه في صفقة استثمارية في منتجع على يد سمسار نصّاب وانتهى به الأمر غارقاً في الديون. وفي الوقت نفسه تقريباً الذي فقد فيه ناكاتا عمله، كان ابن عمه هذا قد اختفى هو وكل أسرته هرباً من دائنيه، ويبدو أنه كان مطارداً من قبل حيتان قروض عصابات الجريمة المنظّمة ياكوزا. ولم يدر أحد أين ذهبت هذه الأسرة أو حتى ما إذا كانت لا تزال على قيد الحياة.

وعندما ذهب ناكاتا مع أحد معارفه إلى مكتب البريد لكي يتفقّد حسابه، وجد أنه لم يتبق له سوى عشرة آلاف ين، أما مكافأة نهاية الخدمة - التي أودعت مباشرة في حسابه- فقد ذهبت هي الأخرى. وكل ما كان يمكن قوله إن ناكاتا شخص تعس الحظ كلياً - فقد خسر وظيفته وأفلس في آن معاً. تعاطف أقرباؤه معه، لكن بما أنهم كانوا قد استثمروا أموالهم وخسروها أيضاً مع ابن العم هذا، فلم يكن أيا منهم قادراً على مساعدة ناكاتا.

وفي النهاية قرر أخ ناكاتا الأكبر - المقيم في طوكيو- الاعتناء به مؤقتاً. كان هذا الأخ يمتلك بناية صغيرة بناكانو مخصصة للشبان العازبين- كانت جزءاً من ميراثه - فقدم إحدى الشقق لأخيه، كما كان وصياً على النقود التي تركها والدا ناكاتا له - والتي لم تكن مبلغا كبيراً- كما تدبّر حصول ناكاتا على معونة للمعوّقين من بلدية طوكيو. وكان

هذا أقصى ما وصلت إليه «رعاية» الأخ. وبرغم أمّيته كان ناكاتا قادراً على تدبر أمور احتياجاته اليومية بنفسه، فما دام غير مضطر إلى دفع إيجار منزله، كان قادراً على تدبر أموره الأخرى.

كان الاتصال بينه وأخويه شبه معدوم. فقد رأياه مرات قليلة لدى انتقاله إلى طوكيو، ثم انقطع الاتصال. كانوا قد انفصلوا عنه منذ نحو 30 عاماً وكان أسلوب حياتهم مختلفاً جداً، ولم يكن أي منهما يكنّ مشاعر خاصة تجاهه، وفي أي حال كان انشغالهما بمستقبلهما الوظيفي يفوق اهتمامهما برعاية شقيقهما المعوَّق.

لم يتكدر ناكاتا من هذه المعاملة الباردة. كان معتاداً على العيش بمفرده. وفي واقع الأمر كان يتوتّر عندما يخرج الناس عن المعتاد ويتلاطفون معه. كما لم يغضب من ابن عمه لتبديده مدخرات عمره. كان يفهم بطبيعة الحال أن ما حدث سيء إلا أنه لم يشعر بخيبة الأمل من المسألة برمتها. لم تكن لديه أي فكرة عما هو «المنتجع المتكامل»، أو معنى كلمة «استثمار»، ولا معنى الحصول على «قرض». كان يعيش في عالم تحدده مفردات قليلة جداً.

لم تكن المبالغ التي تزيد عن خمسة آلاف ين تعني له شيئاً. وكل ما يزيد عن هذا، سواء أكان عشرة آلاف، أم مليوناً أم عشرة ملايين ين - سيّان بالنسبة إليه. فقط فلوس كثيرة هو كل ما تعنيه تلك المبالغ. قد يكون ادّخر المال، لكنه لم يره قط. كانوا فقط يقولون له «الديك في حسابك. . .» ويخبرونه برقم ما والذي كان بالنسبة إليه شيئاً مجرداً. ولهذا عندما تلاشت مدّخراته، لم يشعر بأنه خسر شيئاً حقيقياً فعلاً.

وهكذا عاش ناكاتا راضياً في شقة صغيرة منحها له أخوه، يحصل على المعونة الشهرية، ويستخدم بطاقته الخاصة لكي يستقلّ الحافلة، ويذهب إلى الحديقة القريبة ليتسامر مع القطط. وأصبح هذا الركن الصغير من حي ناكانو عالمه الجديد. وكالكلاب والقطط، راح يحفظ علامات مكانه، مشكلاً خطاً حدودياً لا يغامر بتخطيه إلا في الظروف

الاستثنائية. وما دام هناك كان يشعر بالأمان والرضا. لا شيء يغضبه أو يزعجه. لا شعور بالوحدة ولا توتر بشأن المستقبل ولا قلق بشأن صعوبات حياته ومشقاتها. وكانت هذه حياته يوماً بعد يوم لأكثر من عشر سنوات، مستمتعاً على مهل بكل ما يأتي به الزمن.

إلى أن ظهر جوني واكر في حياته.

لم يكن ناكاتا قد رأى البحر من سنوات، حيث لم يكن هناك بحر في إقليم ناغانو أو في حي ناكانو. فأدرك الآن للمرة الأولى أنه فقد البحر منذ زمن طويل، حتى أنه لم يفكر فيه خلال كل السنوات الماضية. أومأ برأسه مرات عدة تأكيداً على هذه الحقيقة. خلع قبعته وربت بكفه على رأسه الحليق، ثم اعتمر قبعته ثانية وظل يحدق في البحر من بعيد. وكان هذا كل ما يعرفه عن البحر: كبير جداً، مياهه مالحة، والأسماك تعيش هناك.

جلس هناك على المقعد، يتنسم رائحة البحر، ويشاهد سرب نوارس في السماء، ويحدق في السفن الراسية بعيداً في عرض البحر. لم يملّ من المنظر. ومن حين لآخر كان طائر نورس يحط على عشب الصيف الرطب في الحديقة. كان جميلاً لون الأخضر مع الأبيض. حاول ناكاتا مناداة النورس الذي يمشي على العشب، فلم يرد، فقط نظر إليه ببرود. لم تكن هناك قطط في الجوار، كانت الحيوانات الوحيدة في الحديقة النوارس والعصافير. وفيما كان يرتشف الشاي الحار من الترموس، بدأ المطر يسح، ففتح ناكاتا مظلته العزيزة.

وما إن عاد هوشينو إلى الحديقة، قبل الثانية عشرة بقليل، حتى توقف المطر، فوجد ناكاتا جالساً على المقعد حيث تركه تماماً، طاوياً المظلة وناظراً إلى البحر. وكان هوشينو قد ركن شاحنته في مكان ما وعاد بسيارة أجرة.

«مرحباً، آسف على تأخري»، قال هوشينو، وقد تدلت من كتفه حقيبة بلاستيكية ماركة بوسطن. «ظننت أنني سأنتهي من الأمر سريعاً، ولكنني واجهت شتى المشكلات، يبدو أنه في كل مستودع أثاث هناك رجل يقطع الخميرة من البيت».

«ناكاتا ليس مستاء على الإطلاق. كنت أجلس هنا وأنظر إلى البحر فحسب».

«إممم»، تمتم هوشينو. ونظر في الاتجاه عينه، إلا أنه لم ير سوى رصيف قديم مهمل وبقع الزيت الطافية على سطح المياه.

«لم أرَ البحر منذ زمن طويل».

«حقاً؟».

«آخر مرة رأيته فيها حين كنت في الابتدائية. ذهبت إلى الشاطئ في إينوشيما».

«أراهن أن هذا كان منذ أمد بعيد».

«كان الأمريكيون يحتلون اليابان وقتها. وكان شاطئ إينوشيما يعج بالجنود الأمريكيين».

«لا بدّ أنك تمزح».

«لا، لست أمزح».

«يا رجل»، قال هوشينو، «الأمريكيون لم يحتلوا اليابان أبداً».

«ناكاتا لا يعرف التفاصيل، ولكن كانت أمريكا تملك طائرات اسمها ب 29. وكانت تقصف طوكيو بالقنابل، ولهذا ذهبت إلى إقليم ياماناشي. وهناك مرضت».

«أحقاً؟ على أي حال، ألم أخبرك أنني لا أحب القصص الطويلة. لنمض في طريقنا. لقد استغرقنا وقتاً أطول مما تخيلت، وسيحل الظلام قريباً ما لم نتحرك».

«وإلى أين سنذهب الآن؟».

«إلى شيكوكو طبعاً. سنعبر الجسر. ألم تقل إنك ذاهب إلى شيكوكو؟».

«بلى، ولكن ماذا عن عملك؟».

«لا تقلق. سوف أجده عندما أعود. لقد عملت ساعات إضافية كثيرة، وكنت أفكر في أخذ بضعة أيام إجازة. للحق أنا لم أذهب إلى شيكوكو من قبل، وأحب أن أراها. ثم إنك لا تعرف القراءة، أليس كذلك؟ فسيكون من الأسهل أن أكون معك وأساعدك على شراء التذاكر، إلا إذا كنت لا تريدني أن أرافقك».

«لا، ناكاتا يسعده جداً أن ترافقه».

«فلنتحرك إذن. لقد تحققت من مواعيد الحافلات. شيكوكو: نحن قادمان!».

23

لا أعرف إذا كانت كلمة شبح هي الكلمة الصحيحة، لكنه بالتأكيد ليس شيئاً من هذا العالم - هذا ما استطعت الجزم به من النظرة الأولى.

أشعر بحركة ما، فأصحو فجأة لأجدها واقفة هناك. إنه منتصف الليل، لكن الغرفة منيرة على نحو غريب. نور القمر ينساب من النافذة. لكنني واثق من أنني أسدلت الستائر قبل أن أنام، وها هي الآن مشرّعة بالكامل. ظلّ الفتاة محدد بوضوح، وقد غمره نور القمر الأبيض الناعم.

إنها في مثل عمري. في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة. الأرجح في الخامسة عشرة. هناك فرق كبير بين العمرين. إنها ضئيلة ونحيفة. تقف برفعة ولا تبدو أنيقة على الإطلاق. شعرها ينسدل على كتفيها، وغرّتها على جبينها. ترتدي فستاناً أزرق ذا كُمّين فضفاضين بالطول المناسب تماماً. ولا تنتعل حذاء أو تلبس جوربين. أزرار فستانها مبكّلة، مع ياقة مستديرة ومكشوفة تظهر رقبتها المرفوعة بدقة.

تجلس إلى المكتب. ذقنها متكئ على يديها. تحدّق في الجدار وتفكر في أمر ما. وأستطيع القول إنه ليس بالأمر المعقّد، فمنظرها ينمّ عن أنها شاردة في بعض الذكريات السارة الدافئة التي لم يمر عليها وقت طويل. ومن حين لآخر ترتسم ابتسامة على زاويتي فمها. لكن

ظلال نور القمر تمنعني من تبيّن تفاصيل ملامحها. لا أرغب في مقاطعة تأملاتها. فأتظاهر بالنوم، وأحبس أنفاسي كي لا أقلقها.

لا بدّ من أنها شبح. فأولاً هي رائعة الحسن. إلا أن هذا ليس كل شيء. إنها كاملة تماماً إلى درجة أن أوقن أنها ليست حقيقية. وكأنها خرجت لتوها من حلم. صفاء جمالها يشعرني بشيء أقرب إلى الحزن- جمال طبيعي جداً، بيد أنه لا يتحقق سوى عبر شيء خارق للعادة.

أظل في سريري، حابساً أنفاسي، بينما تظل جالسة إلى المكتب، ورأسها على يديها. وبالكاد تتحرك. من حين لآخر تزيح ذقنها قليلاً، فيتبدل موقع رأسها قليلاً. وهذه هي الحركة الوحيدة التي تشهدها الغرفة. أرى نبتة القرانيا المزهرة خارج النافذة تتمايل في ضوء القمر. لا رياح، ولا أصوات. يشعرني الأمر كله أنني متّ ولم أعرف بعد. مت وغرقت مع هذه الفتاة في أعماق بحيرة بركانية.

فجأة تضع يديها في حجرها. ركبتاها الصغيرتان الشاحبتان تظهران من طرف الفستان. تتوقف عن التحديق في الحائط وتنظر باتجاهي. ترفع يدها وتلامس شعر جبهتها- ترتاح أصابعها الأنثوية الرفيعة على جبينها لفترة وكأنها تحاول الإمساك بفكرة هاربة. *إنها* تنظر *إليّ*. قلبي يخفق بقوة. لكنني للعجب أشعر أنها لا تنظر إلي حقاً. ربما لا تنظر *إليّ*. بل عبري.

في عمق بحيرتنا البركانية، صمت تام. لقد كان البركان خامداً منذ عصور. طبقات فوق طبقات من الوحشة، كأخاديد من الطمي الناعم. الضوء القليل الذي يتمكن من النفاذ إلى الأعماق ينير ما يحيط بنا كأطلال ذكرى بعيدة واهنة. في هذا العمق لا وجود للحياة. لا أعرف كم استمرت في النظر إليّ - ليس إليّ، ربما، لكن إلى البقعة التي أقبع فيها. قواعد الزمن لا تنطبق هنا. الوقت ينبسط ثم ينكمش، وكل شيء يسير متناغماً مع خفق القلب.

ثم، ودونما إنذار، تنهض الفتاة وتسير إلى الباب بقدميها الممشوقتين. الباب مغلق. لكنها، من دون صوت، تختفي.

أبقى حيث أنا، في السرير. عيناي مفتوحتان قليلاً، ولا أبدي أي حركة. لا أعرف إن كانت ستعود. أعتقد أنني *أريدها* أن تعود. أدرك هذا. وعلى الرغم من طول انتظاري، لا تعود. أرفع رأسي وألمح الأرقام النيون في المنبه إلى جانب سريري. 3,25. أنهض من السرير وأذهب إلى الكرسي الذي كانت تجلس عليه وأتلمّسه. ليس دافئاً بالمرّة. أتفحص سطح المكتب على أمل أن أجد شيئاً، شعرة ربما تكون سقطت منها. ولكن لا يوجد شيء. أجلس على الكرسي، وأمرر باطن يدي بكفي وأتنهّد بعمق.

أسدل الستارة وأنسلّ تحت الشرشف. ما من طريقة لأعود إلى نومي الآن. رأسي مليء بتلك الفتاة الغامضة. قوة غريبة مهولة لا تشبه أي إحساس شعرت به في حياتي تزهر في قلبي، ترمي جذورها في داخله، وتأخذ في النمو. عالقاً في صدري، لا يتوقف قلبي الدافئ عن الخفقان حسب إرادتي - مرة بعد مرة.

أضيء النور وأروح أنتظر الفجر، في السرير. لا أستطيع القراءة ولا سماع الموسيقى ولا أفعل شيئاً سوى الجلوس هناك، في انتظار الصباح. وعندما يبدأ نور الفجر في السماء، أغفو قليلاً. وحين أصحو أجد وسادتي باردة ومرطبة بالدموع. ولكن الدموع على *ماذا*؟ لا أدري.

قرابة التاسعة يصل أوشيما هادراً بسيارته المياتا، ونعدّ المكتبة لفتحها. وبعد الانتهاء أعدّ له بعض القهوة. لقد علّمني كيف أعدها له تماماً كما يحبها. تطحن حبيبات البن باليد، تغلي الماء في غلاية صغيرة ، وتنتظر قليلاً حتى يترسب البن، ثم ببطء - وأعني ببطء حقيقي - تصب الماء على فلتر ورقي. عندما تصبح القهوة جاهزة يضع أوشيما قدراً ضئيلاً من السكر، دون حليب - هذه الطريقة المثلى لشرب القهوة، يصرّ على

ذلك. أما لي فأعدّ كوباً من شاي «إيرل جراي».

يرتدي أوشيما قميصاً بنياً لامعاً ذا كُمّين قصيرين وبنطالاً كتانياً أبيض. يمسح نظارته بمنديل نظيف يخرجه من جيبه، ويلتفت نحوي، «يبدو أنك لم تنم جيداً».

«أريد منك خدمة»، أقول.

«اطلب ما شئت».

«أرغب في سماع أغنية «كافكا على الشاطئ» أيمكنك الحصول على الأسطوانة؟».

«لا تريدها على قرص مدمج؟».

«إذا كان ممكناً أرغب في سماعها على الأسطوانة، لكي أسمع وقعها الأصلي. سنحتاج بالطبع إلى مشغّل اسطوانات أيضاً».

يضع أوشيما أصابعه على صدغه مفكّراً، «ربما هناك مشغّل اسطوانات قديم في المخزن، وإن كنت لا أضمن أن يكون في حالة جيدة».

نذهب إلى حجرة صغيرة أمام مرأب السيارات. ليس بها نوافذ. يدخلها الضوء فقط من فتحة في السقف. فوضى عشوائية من الأشياء التي تعود إلى فترات مختلفة مبعثرة هنا وهناك - أثاث، وأطباق، ومجلات، وملابس، ولوحات زيتية. بعضها يبدو ذا قيمة حقيقة، وبعضها الآخر- معظمه في الحقيقة- يبدو بلا أي قيمة.

«علينا التخلّص من هذه الخردة يوماً ما»، يشير أوشيما، «لكنّ أحداً لم يتحلّ بالشجاعة الكافية بعد لفعل ذلك».

وفي وسط الحجرة، حيث يبدو أن الزمن قد تراكم وتوقف هناك، نجد مشغّل اسطوانات ماركة «سانسو»، مغطى بطبقة رقيقة من الغبار الأبيض، الجهاز نفسه يبدو في حالة جيدة، وإن كان عمره يقرب من ربع قرن، حين كان يعتبر من أحدث الأجهزة السمعية. الجهاز كله يتكوّن من مستقبل الإرسال ومكبّر صوت وحلقة اسطوانات وسمّاعتين.

نجد أيضاً مجموعة قديمة من اسطوانات ماركة «أل. بي». معظمها موسيقى بوب من الستينات- بيتلز، وستونز، والبيتش بويز، وسيمون وجرافنكل وستيفيووندر. بالإجمال حوالى 30 ألبوماً. أخرج بعضها من الأغلفة. أياً من كان يستمع إلى هذه الأسطوانات فقد كان يُعنى بها جيداً، حيث لا يظهر عليها آثار تعفّن أو خدوش.

هناك أيضاً غيتار كامل الأوتار، علاوة على رزمة من المجلات القديمة التي لم أسمع بها قط، ومضرب تنس قديم. أشياء من حطام ماض بعيد.

«أظن أن كل هذه الأشياء تخص حبيب الآنسة سايكي»، يقول أوشيما، «كما قلت لك، لقد كان يعيش هنا، ولا بدّ من أنهم وضعوا متعلقاته هنا. ومع هذا يبدو مشغّل الأسطوانات حديثاً وسط هذه الخردة».

نحمل المشغّل والأسطوانات إلى حجرتي. نزيل عنه الغبار، ونوصله بالكهرباء، ونوصل مكبّر الصوت به ونضغط على زر التشغيل. يظهر ضوء أخضر صغير وتأخذ حلقة الاسطوانات في الدوران. أنظر إلى الداخل فأجد أن إبرتها لا تزال بحال جيدة، ثم آخذ اسطوانة فريق البيتلز «سيرجينت بيبرز لونلي هارتس كلوب». وأضعها في المشغل. تبدأ المقدمة الموسيقية على الغيتار. الصوت أنقى بكثير مما توقعت.

«تعاني اليابان من مشكلات كثيرة»، يقول أوشيما مبتسماً، «لكننا بالتأكيد نعرف كيف نصنّع الأجهزة الصوتية. هذا الشيء لم يستخدم منذ أزمنة، وصوته لا يزال رائعاً».

نستمع إلى الأسطوانة لبعض الوقت. مقارنة بنسخة السي دي، يبدو الصوت مختلفاً تمام الاختلاف.

«جميل، لقد حصلنا على ما نستمع إليه سراً»، يقول أوشيما، «لكن الحصول على أسطوانة «كافكا على الشاطئ» قد يكون مشكلة. فهذا شيء نادر هذه الأيام. سأقول لك ماذا سنفعل- سأسأل أمي. قد

يكون لديها نسخة منسية في مكان ما. أو على الأقل تعرف شخصاً لديه نسخة».

أومئ.

يرفع أوشيما إصبعه، كمدرّس يحذّر تلميذاً، «هناك شيء آخر، لا ينبغي أن تشغّل الأغنية أبداً في وجود الآنسة سايكي. أيا تكن الظروف، مفهوم؟».

أومئ ثانية.

«كما في *كازابلانكا*»، يقول ويدندن افتتاحية أغنية «آز تايم جوز باي»، ويضيف، «فقط لا تضع هذه الأغنية بعينها، اتفقنا؟».

«أوشيما، أود أن أسألك شيئاً. هل تأتي إلى هنا أي فتاة في الخامسة عشرة؟»

«هل تقصد بـ هنا المكتبة؟».

أومئ.

يميل أوشيما رأسه ويفكر قليلاً، «على حدّ علمي لا»، يقول وهو ينظر إليّ كأنه ينظر إلى غرفة من نافذة، «هذا سؤال غريب».

«أظن أنني رأيتها مؤخراً»، أقول.

«ومتى كان ذلك؟».

«الليلة الماضية».

«رأيت فتاة في الخامسة عشرة هنا الليلة الماضية؟».

«أجل».

«ما شكلها؟».

يحمرّ وجهي قليلاً. «مجرد فتاة، شعرها مرسل على كتفيها وترتدي فستاناً أزرق».

«جميلة؟».

أومئ.

«قد تكون مجرد خيالات جنسية»، يقول مبتسماً، «العالم مليء بالأمور الغامضة وأن تنتاب فتى في مثل سنك يميل إلى الجنس الآخر، مثل هذه الخيالات فهذا ليس بالأمر الغريب جداً».

أتذكر حين رآني أوشيما عارياً في الكوخ فيزداد وجهي احمراراً.

أثناء استراحة الغداء يناولني أوشيما أسطوانة «كافكا على الشاطئ» في غلاف مربع صغير، «واضح أن أمي كان لديها واحدة. خمس نسخ، أتصدق؟ إنها حقاً تعتني بالأشياء جيداً. شخصية تحب كنز الأشياء، ولكن ليس لنا أن نشكو على ما أظن».

«شكرا»، أقول.

أذهب إلى حجرتي وأخرج الاسطوانة من الغلاف. يبدو من شكلها أنها لم تُستعمل أبداً. على صورة الغلاف تجلس الآنسة سايبكي - في سن التاسعة عشرة حسب ما قاله أوشيما - إلى بيانو في استوديو تسجيل. تنظر إلى الكاميرا مباشرة، وتسند ذقنها بيديها على عارضة النوتة، رأسها مائل قليلا، وترتسم على محياها ابتسامة خجولة بسيطة. شفتان مقفلتان ممدودتين على وسعهما، راسمتين خطوطاً ساحرة عند زاويتي الفم. لا يبدو أنها تضع أي ماكياج. وشعرها معقوص إلى الخلف بمشبك بلاستيكي حتى لا يسقط على وجهها، ويظهر جزء من أذنها اليمنى من خلال خصلاته. فستانها الأزرق الفاتح قصير وفضفاض، وتضع سواراً فضياً في معصمها الأيسر، وهو الزينة الوحيدة التي تضعها. صندل رفيع يرقد قرب كرسي البيانو. وقدماها الحافيتان رائعتان.

تبدو رمزاً لشيء ما. لزمن ما، ومكان ما. تبدو أشبه بحالة ذهنية، مثل روح أشرقت من صدفة سعيدة، تطوف حولها براءة أبدية، لن تتشوه أبداً. مثل براعم الربيع. الزمن في هذه الصورة الفوتوغرافية يبدو ثابتاً في موضعه. إنه العام 1969 - قبل أن أولد حتى.

عرفت منذ البداية أن الفتاة الصغيرة التي زارت غرفتي الليلة

الماضية هي الآنسة سابيكي. لم أشك في هذا للحظة، إنما كان عليّ أن أتأكد.

مقارنة بعمرها في الخامسة عشرة، تبدو فتاة الصورة ذات التسعة عشر ربيعاً أكبر وأنضج. لو قارنت بين الاثنين لقلت إن وجهها أصبح في الصورة أكثر دقة وتكويناً. هناك نوع من القلق لا يظهر عليها. وما عدا ذلك فالفتاتان متطابقتان تقريباً. الابتسامة في الصورة هي ذاتها التي رأيتها الليلة الماضية. كيف تسند ذقنها بيدها وتميل رأسها - الوضعية نفسها أيضاً. وفي الآنسة سابيكي الآن - الآنسة سابيكي *الحقيقية*، أستطيع رؤية التعبيرات والإيماءات نفسها. يسعدني أن هذه الملامح والإحساس الذي تضفيه بانتمائها إلى عالم آخر لم تتغير بتاتاً. حتى قوامها لا يزال على حاله.

مع ذلك هنالك شيء ما في صورتها وهي في التاسعة عشرة يبدو أن المرأة التي في منتصف عمرها - التي أعرفها، قد أضاعته تماماً. ربما تسميه طاقتها المتفجرة. ليست استعراضية، ولا مبهرجة، بل شفافة كماء عذب يجري سراً بين الصخور - نوع من الجاذبية الطبيعية النقية يندفع رأساً إلى قلبك. طاقة متوهجة تنبعث من كيانها فيما تجلس هناك إلى البيانو. بمجرد أن تنظر إلى تلك الابتسامة السعيدة تستطيع تعقّب أثر الطريق الجميل الذي سار عليه قلبها الراضي. مثلما يستمر لمعان فراشة النار بعد وقت طويل من تبدده في العتمة.

أقعد طويلاً على سريري، حاملاً غلاف الأسطوانة، ولا أفكر في شيء، فقط أدع الوقت يمر. أفتح عينيّ وأذهب إلى النافذة وأتنشق بعمق الهواء المنعش، أحسّ هفيف البحر في النسيم الذي عبر غابات الصنوبر. مَنْ رأيتها هنا في هذه الغرفة الليلة الماضية كانت بالتأكيد الآنسة سابيكي في الخامسة عشرة من عمرها. ما زالت الآنسة سابيكي *الحقيقة* - بالطبع- حية ترزق. امرأة في الخمسينات من عمرها تحيا حياة حقيقية في عالم حقيقي. حتى أنها الآن في حجرتها في الطابق

الأعلى تجلس إلى مكتبها، وتواصل عملها. ليس عليّ لكي أراها سوى الخروج من هذه الغرفة والصعود إلى الطابق الأعلى، وسأجدها هناك. أستطيع مقابلتها ومحادثتها، لكن هذا لا يغيّر حقيقة أن ما رأيته هنا كان *شبحها* هي. أخبرني أوشيما أن الناس لا يمكن أن يكونوا في مكانين في وقت واحد، لكنني أحسب هذا ممكناً. بل إنني متيقن من هذا. يمكن للناس وهم لا يزالون أحياء أن يصيروا *أشباحاً*.

وهناك حقيقة أخرى مهمة: شبح هذه الفتاة يشدّني نحوه. أشعر بالانجذاب نحوها، ليس نحو الآنسة ساييكي التي هنا الآن، وإنما للتي عمرها 15 عاماً *وليست* هنا الآن. شعور هائل بالانجذاب أعجز عن وصفه. ورغم ما قد يعتبره الآخرون، فهذا حقيقي. قد لا تكون موجودة في الحقيقة، ولكن مجرد التفكير فيها يجعل قلبي - الذي هو من لحم ودم - قلبي *الحقيقي*، يتخبط كالمجنون. مشاعر حقيقية تماماً كالدم الذي وجدته على صدري في تلك الليلة المروعة.

حين يقترب موعد الإغلاق، تهبط الآنسة ساييكي إلى الطابق الأسفل. كعب حذائها العالي يقرع مع كل خطوة. عندما أراها أتوتر ويمكنني سماع صوت ضربات قلبي. أرى في داخلها الفتاة ذات الخمسة عشر عاماً. حيوان صغير في سباته الشتوي، إنها هناك متكورة داخل الآنسة ساييكي، نائمة.

تسألني الآنسة ساييكي شيئاً ما، لكنني لا أجيب. لا أدري حتى ما الذي قالته. أسمعها بالطبع- كلماتها تهز طبلة أذني وترسل إشاراتها إلى عقلي ويتحول هذا إلى لغة - ولكن هناك انفصال بين الكلمات والمعاني. مرتبكاً، أحمر خجلاً وأبرطم كلمات غبية متلعثمة. يتدخل أوشيما ويجيب عن سؤالها. أؤيد كلامه بإيماءة من رأسي. تبتسم الآنسة ساييكي وتودعنا وتذهب إلى بيتها. أتبع صوت سيارتها الجولف أثناء مغادرتها المرأب، وهو يخبو ويتلاشى.

يبقى أوشيما ويساعدني على إغلاق المكتبة، «هل صادفت أحداً ووقعت في حبه؟» يسأل، «يبدو أنك لست هنا».

لا فكرة لديّ عما يجب أن أجيبه به. «أوشيما»، أقول أخيراً، «لديّ سؤال غريب حقاً، ولكن هل تظن أنَّ من الممكن أن يصير شخص ما شبحاً وهو على قيد الحياة؟».

يتوقف عن ترتيب المنضدة وينظر إليّ، «سؤال مشوّق جداً، فعلاً. هل تسأل عن الروح الإنسانية بالمعنى الأدبي - مجازاً بمعنى آخر؟ أم تقصد الواقع الحقيقي الفعلي؟».

«أظن أنني أعني الواقع الفعلي».

«فرضية أن الأشباح موجودة حقاً؟».

«نعم».

ينزع أوشيما نظارته، ويمسحها بمنديله ثم يضعها مجدداً، «هذا ما يسمّى الروح الحية. لا أعرف عن الأمر في الثقافات الأجنبية، إلا أنه ظهر كثيراً في الأدب الياباني. سيرة الأمير جينجي مثلا، مليئة بالأرواح الحية. وفي حقبة هيان[1]- أو على الأقل في اتجاهها السايكولوجي - كان الناس أحياناً يصيرون أرواحاً حية ويرتحلون في الفراغ برغباتهم. هل قرأت سيرة *الأمير* جينجي؟».

أهز رأسي بالنفي.

«ستجد في المكتبة بعض الترجمات الحديثة لها، ربما تكون فكرة جيدة أن تقرأ إحداها. على أي حال، مثلا عندما تتحرق الليدي روكوجو - إحدى عاشقات الأمير جينجي - غيرة من زوجة الأمير الأساسية،

---

(1) حقبة هيان: القسم الأخير من التاريخ الياباني الكلاسيكي من 794 وحتى 1185، حين كانت الكونفوشوسية وغيرها من التأثيرات الصينية في أوجها، وتعتبر أيضاً ذروة الإمبراطورية اليابانية العليا، وكذلك طبقة الساموراي وهى معروفة بازدهار الفنون ولاسيما الشعر والأدب، وتعني بالعربية فترة «السلام» أو «التآخي». ويسبقها فترة النارا.

الليدي أوي، تتحول إلى روح شريرة تتملكها في نهاية الأمر، وتظل تهاجم الليدي أوي في سريرها كل ليلة حتى تقتلها في النهاية. وكانت الليدي أوي حاملاً بطفل الأمير جينجي، وهو ما أشعل غيرة الليدي روكوجو أساساً. يرسل الأمير جينجي في طلب الرهبان لطرد الروح الشريرة، ولكن دون جدوى. تستحيل مقاومة الروح الشريرة.

«والممتع في هذا كله أن الليدي روجوكو لم تشعر قط أنها قد صارت روحاً. وكانت تصحو مذعورة من كوابيسها لتجد شعرها الأسود يعبق برائحة الدخان، فتزداد حيرة حيث لا تدري شيئاً عما يحدث لها، وكان الدخان يتسلل إلى شعرها من البخور الذي كان يشعله الرهبان في صلواتهم من أجل الليدي أوي. وكانت روح الليدي روكوجو- دون أن تدري - ترتحل أثناء نومها في الفضاء وتجتاز ممر عقلها الباطن لتصل إلى غرفة الليدي أوي. هذه واحدة من أكثر محطات السيرة غموضاً وإثارة- وبعد كل هذا، عندما تعلم الليدي روكوجو بما كانت تفعله، تشعر بالندم عن خطاياها فتحلق شعرها وتنعزل عن العالم».

«عالم الغيبيات هو الظلام الذي في داخلنا. قبل فترة طويلة من إلقاء فرويد ويونغ الضوء على طريقة عمل العقل الباطن، حيث يتداخل اللاوعي بالعتمة، كان هذان الشكلان من العتمة واضحين للناس. وإذا تتبعت الأمر إلى الوراء فستجد أن العلاقة بينهما لم تكن متداخلة حتى. قبل أن يخترع إديسون الكهرباء، كان أغلب العالم يعيش في الظلمة. وكانت الظلمة الخارجية الفيزيقية والظلمة الداخلية في النفس يتداخلان معاً دونما حدود فاصلة فيتصلان ببعضهما مباشرةً. هكذا»، ويضم أوشيما قبضتيه معاً بإحكام.

«وفي عصر موراساكي شيكيبو[2] كانت الروح تعتبر الأمرين معاً؛

---

(2) موراساكي شيكيبو (973- 1014 أو1025) روائية وشاعرة يابانية ووصيفة من وصيفات القصر الإمبراطوري خلال حقبة هيان، وهي مؤلفة سيرة الأمير جينجي في القرن الحادي عشر.

ظاهرة غيبية؛ وأيضا حالة طبيعية من حالات القلب الإنساني. ربما لم يكن الناس في تلك الفترة يدركون هذين الوجهين من الظلمة كوجهين منفصلين. ولكن الأمر مختلف اليوم. لقد تلاشت ظلمة العالم الخارجي، وظلت الظلمة التي في قلوبنا، وبطبيعة الحال لم تتغير، تماما مثل جبل الجليد، الذي نمثّل به الأنا أو الوعي، أغلبه يغوص في الظلمات. وأحيانا تخلق هذه الغرائبية تناقضاً عميقاً أو ارتباكاً شديداً في داخلنا».

«كوخك الجبلي محاط بظلام حقيقي».

«تماماً»، يقول أوشيما، «ما زالت الظلمة الحقيقية هناك. أحياناً أذهب إلى هناك لمجرد الإحساس بها»، يقول أوشيما.

«وما الذي يحدو بالناس ليصيروا أرواحاً؟ أهو دوماً سبب سلبي؟».

«لست خبيراً في ذلك، لكن على حد علمي، نعم، تتمخض تلك الأرواح كلها عن مشاعر سلبية. أغلب المشاعر المتطرفة لدى البشر تجعلهم يميلون إلى التطرف في فرديتهم وفي سلبيتهم. فتنشأ هذه الأرواح تلقائياً. ومن المحزن أنه لا توجد حالات لبزوغ روح ما من أجل قضية منطقية أو لنشر السلام في العالم».

«وماذا عن بزوغها بفعل الحب؟».

يقلّب أوشيما الأمر في ذهنه، «سؤال صعب، وكل ما أستطيع قوله أنني لم أعرف حالة كهذه من قبل. هناك بالطبع قصة عهد الأقحوان في *حكايات ضوء القمر والمطر*، هل قرأتها؟».

«لا»، أجيب.

«كتبها رجل يدعي أيودا آكيناري[3] في أواخر حقبة الإيدو[4]، إلا

(3) أيودا آكيناري: (25 يونيو 1734 أوساكا - 8 أغسطس 1809 كيوتو) كاتب وعالم وشاعر ياباني، ويعد من أهم الأعلام الأدبية اليابانية في القرن الثامن عشر، ومن أهم أعماله «حكايات القمر والمطر» و «حكايات مطر الربيع».

(4) حقبة الإيدو: من 1603 وحتى 1867، وتتميز بالحكم العسكري الديكتاتوري =

أن أحداثها تدور في بدايات فترة الدويلات المتحاربة[5] مما يجعل أسلوب أيودا نفسه يتسم ببعض الحنين للماضي. على كل، تدور القصة حول صديقين من محاربي الساموراي المتعاهدين بالدم على الأخوّة، وهو عهد بالغ الجدية بالنسبة إلى الساموراي، حيث يعني أن يضحى كل منهما بحياته من أجل الآخر إذا ما تطلّب الأمر ذلك. ثم يبتعد هذان الصديقان عن بعضهما، ويقوم كل منهما على خدمة سيد مختلف، ويكتب أحدهما للآخر أنه سيزوره في موسم تفتّح الأقحوان مهما حدث، ويرد الآخر أنه سينتظر وصوله. ولكن قبل أن ينطلق الآخر في رحلته، يتورّط في بعض المشكلات المتعلقة بالحكم، وينتهي به الأمر في السجن، حيث لا يستطيع الخروج أو إرسال الخطابات، ويمضي الصيف وبعده الخريف ويأتي موسم إزهار الأقحوان، وهكذا يكون قد عجز عن الوفاء بعهده لصديقه. والشرف بالنسبة إلى الساموراي أهم من الحياة. فينتحر هذا الساموراي على طريقة الهاراكيري، ويصير روحاً ويسافر أميالاً وأميالاً ليزور صديقه. يجلسان بالقرب من زهور الأقحوان ويتحدثان حتى الامتلاء، ثم تتلاشى الروح عن وجه الأرض. حكاية جميلة».

«ولكن كان على الساموراي أن يموت لكي يصير روحاً».

«صحيح»، يقول أوشيما، «من الواضح أن الناس لا يستطيعون أن يصيروا أرواحاً بالشرف أو بالحب أو بالصداقة. يجب أن يموتوا، أي أن يضحّوا بحياتهم من أجل الشرف أو الحب أو الصداقة، وحينئذ فقط يصيرون أرواحاً. لكنك تقصد الأرواح *الحية*.. جميل، إنها قصة أخرى. يبدو أنها دائماً تنشأ بفعل الشر».

= الذي أعلن رسمياً عام 1603 على يد أول الشوجان (أعلى رتبة ساموراي) توكوجاوا لاياسو.

(5) حقبة الدويلات المتحاربة: من القرن الخامس قبل الميلاد وحتى توحيد الصين على يد أسرة كين في 221 قبل الميلاد.

أتمعّن في كلامه.

«ولكن كما قلت أنت»، يواصل أوشيما، «ربما هناك حالات يصير فيها الناس أرواحاً حية بفعل الحب، أخشى أنني لم أبحث كفاية في هذا الأمر. قد يحدث أن يستطيع الحب إعادة بناء العالم، كما يقولون، كل شيء ممكن من أجل الحب وبه».

«هل أحببت من قبل؟»، أسأل.

يحدق بي مندهشاً، «ماذا تعتقد؟ هل تراني نجمة بحر أم شجرة فلفل. أنا بشري حي أتنفس. بالطبع أحببت من قبل».

«لم أقصد ذلك»، أقول، وقد احمرّ وجهي خجلاً.

«أعرف»، يجيب ويبتسم بودّ.

عندما يغادر أوشيما أعود إلى حجرتي. أضبط مشغّل الأسطوانات على سرعة 45، وأخفض الإبرة وأستمع إلى «كافكا على الشاطئ»، وأنا أقرأ كلمات الأغنية على الغلاف.

تجلس على حافة العالم
وأنا في بخيرة بركانية مبدّدة
كلمات بلا حروف
تقف في ظلال الباب.

نور القمر يشعّ على سحلية نائمة
والسماء تمطر سمكاً صغيراً
وخارج النافذة جنود
يسرقون أنفسهم لكي يموتوا.

(لازمة)

كافكا جالس على كرسي على الشاطئ،
يفكر في البندول الذي يحرّك العالم
يبدو أنه
عندما ينغلق قلبك،
يصبح ظل طائر الفينيق الجامد
سكيناً يقطع أحلامك

أصابع البنت الغارقة
تبحث عن حجر المدخل، والمزيد.
ترفع طرف ثوبها اللازوردي،
عيناها تحدقان
في كافكا على الشاطئ.

أعيد سماع الأغنية ثلاث مرات، متسائلاً، وقبل كل شيء آخر، كيف يمكن لأغنية بمثل هذه الكلمات أن تبيع أكثر من مليون نسخة. لست أقول إنها كلمات مبهمة تماماً، إنما كأنها تجريدية وسريالية. ليست بالضبط الكلمات التي تجذب الأذن من المرة الأولى. ولكن حين تسمعها بضع مرات تبدأ بالإحساس بالإلفة معها. مرة بعد مرة، تستوطن الكلمات قلبي. شعور غامض. خيالات بعيدة كل البعد عن المعاني تبدأ في الظهور كأنها كيانات مفصولة كلياً عما حولها، وتقف هناك وحدها، كأنني في حلم عميق.

اللحن جميل، بسيط ولكن مختلف أيضاً. وصوت الآنسة ساييكي يذوب فيه بصورة طبيعية. صوتها يحتاج إلى المزيد من القوة - فلا يمكنك أن تعتبرها مغنية محترفة - لكنه يصفّي ذهنك، كمطر الربيع حين يغسل السلالم الحجرية في الحديقة. هي تعزف على البيانو وتغني، وهناك مجموعة وتريات صغيرة وناي، لا بدّ أن الإنتاج كان

بسيطاً، ولكن في الحقيقة إنها هذه البساطة التي تشحن الأغنية بهذا القدر من الجاذبية.

في اللازمة يظهر تسلسلان إيقاعيان غير عاديين. التسلسلات الأخرى في الأغنية ليست بالنافرة، لكنْ هذان التسلسلان مختلفان، من النوع الذي تكتشفه حين تسمعه مرات عدة. في البداية شعرت بالحيرة حيالهما. ولو بالغت قليلاً لقلت شعرت بالخيانة، إلى هذا الحد. عدم توقع الأصوات بالمرة صدمني، وأربكني كريح باردة تتسرب فجأة من شق. بيد أنه ما إن تنتهي اللازمة، حتى يعود اللحن الجميل ويأخذك مرة أخرى إلى عالم أصلي من التناغم والحميمية. تختفي الرياح القاسية. يلعب البيانو النوتة الأخيرة فيما تحمل الوتريات التسلسل النغمي الأخير بهدوء. ولا يلبث صوت الناي البطيء أن يختم الأغنية.

بعد أن أسمعها مرارا، أبدأ في تكوين فكرة عما قد يكون حرّك الكثير من الناس فيها. أغنية مباشرة ورقيقة في الوقت عينه، صورة لقلب قادر وإنما سَمِح، يجلب شعوراً إعجازياً ما. هذا التداخل بين المتناقضات. بنت التسعة عشر عاماً، الخجولة الآتية من بلدة بعيدة، تكتب كلمات عن حبيبها المسافر بعيداً، وتجلس إلى البيانو وتبدع لحنها، ثم تغني إبداعها هذا دونما خجل أو تردد. هي لم تكتب الأغنية لكي يسمعها الآخرون، وإنما لها هي فقط، لتدفئ بها قلبها، ولو قليلاً. وهذا الاستغراق الذاتي ينتقل بنغماته الرقيقة - والقوية في آن - إلى قلوب مستمعيها.

أعدّ عشاء بسيطاً من بعض المكوّنات من الثلاجة، ثم أسمع مجدداً «كافكا على الشاطئ». أجلس على الكرسي وأغمض عيني وأحاول أن أتصور الآنسة سايكي ذات التسعة عشر عاماً في الأستوديو، وهي تعزف على البيانو وتغني. أفكر في الحب الذي كان يعتمل في داخلها وهي تغني، وكيف شحن العنف اللاواعي هذا الحب للأبد.

تنتهي الأسطوانة. ترتفع الإبرة وتعود إلى مهدها.

لعل الآنسة سايكي كتبت «كافكا على الشاطئ» في هذه الحجرة بالذات. وكلما سمعت الأغنية أكثر، تأكد شعوري بأن هذا الكافكا على الشاطئ هو الفتى في اللوحة المعلقة على الحائط. أجلس إلى المكتب وكما فعلت هي الليلة الماضية، أسند ذقني بيدي وأحدق من الزاوية نفسها في اللوحة أمامي مباشرة. الآن أنا متيقن، لا شك في أنها كتبتها هنا. أراها تحدق في اللوحة، تتذكر الفتى، وتكتب القصيدة تلحّنها، لا بدّ أن هذا كان ليلاً. حين كان الظلام حالكاً في الخارج.

أنهض، أتجه إلى اللوحة وأتأملها عن كثب. ينظر الفتى أمامه في الأفق البعيد، في عينيه عمق غامض. في أحد أركان السماء سحابتين، السحابة الكبرى تشبه كائن سفينكس رابض.

أبحث في ذاكرتي. كان سفنكس عدو أوديب الذي هزمه بحلّ الأحجية، وما أن عرف الوحش أنه خسر، قفز فوق الجرف وقتل نفسه، وبفضل هذا، صار أوديب ملكاً على «طيبة» وانتهى به الأمر أن تزوّج أمه. أما كافكا، فأظن أن الآنسة سايكي قد أتت به من التداخل بين العزلة الغامضة للفتى في الصورة وبين عالم كافكا الروائي. مما يشرح العنوان: نفس متوحدة تجول شاطئ اللا معقول.

كلمات أخرى تتشابك مع أشياء حدثت لي. الجزء المتعلّق بـ«السماء تمطر سمكاً صغيراً» - أليس هذا بالضبط ما حدث في السوق هناك حيث أسكن حين أمطرت السماء مئات من السردين والأسقمري؟ والجزء المتعلق بالظل «يصير سكينا يقطع أحلامك» - لعل هذا يشير إلى موت أبي طعناً. أسجّل كلمات الأغنية كلها في دفتر الملحوظات وأدرسها جيداً، واضعاً خطوطاً تحت الكلمات التي تهمني على الأخص. ولكن كلها في النهاية تحمل الكثير من المعاني. ولا أعرف ماذا أفعل بها.

كلمات بلا حروف
تقف في ظل الباب. . .
وأصابع البنت الغارقة
تبحث عن حجرة المدخل. . .
ومن خارج النافذة هناك جنود
سرقوا أنفسهم إلى الموت. . .

ما الذي يمكن أن يعنيه هذا؟ أيعقل أن يكون هذا كله مجرد مصادفات؟ أذهب إلى النافذة وأطل على الحديقة. الظلمة تبدأ بالانتشار. أذهب إلى قاعة القراءة، وأجلس على الأريكة وأفتح ترجمة تانيزاكي لـ *سيرة الأمير جينجي*. عند العاشرة أذهب للنوم، أطفئ المصباح المجاور لسريري وأغمض عيني، وأنتظر عودة الآنسة ساييكي ذات الخمسة عشر عاماً.

24

عند الثامنة مساءً وصلت الحافلة التي استقلاها من كوبي إلى محطة طوكوشيما.

«حسناً يا سيد ناكاتا، ها قد وصلنا إلى شيكوكو».

«يا له من جسر رائع، لم يرَ ناكاتا جسراً ضخماً كهذا من قبل».

ترجّل كلاهما من الحافلة وجلسا على مقعد في المحطة يتلفّتان حولهما.

«إذن، هل وصلتك رسالة من الرب يخبرك فيها أين عليك أن تذهب الآن؟ وماذا عليك أن تفعل؟»، يسأل هوشينو.

«لا، ليس لدى ناكاتا أي فكرة بعد».

«عظيم...».

يحكّ ناكاتا رأسه بباطن كفّه لفترة، وكأنه يَزِنُ الأمور، «سيد هوشينو..»، يقول أخيراً.

«ماذا؟».

«أنا آسف، ولكن ناكاتا يرغب كثيراً في النوم، إنني نعسان لدرجة أنني أشعر أنني ربما سأغط في النوم هنا».

«مهلاً، لا يمكنك أن تغط في النوم هنا»، قال هوشينو منزعجاً، «اسمع سأجد لنا مكاناً تستطيع النوم فيه.. اتفقنا؟ لكن انتظرني هِنا قليلاً».

«وهو كذلك، ناكاتا سينتظر هنا وسيحاول ألا يغطّ في النوم».

«رائع، هل أنت جائع؟».

«لا، فقط نعسان».

وصل هوشينو سريعاً إلى مكتب الاستعلامات السياحية، ووجد نزلاً بسعر معقول يشمل الفطور، واتصل ليحجز غرفة. كان النزل بعيداً عن المحطة، فاستعانا بسيارة أجرة، وفور وصولهما طلب ناكاتا من الخادمة أن تعد لهما فراشيهما.

تجاوز ناكاتا أخذ الحمام وخلع ملابسه، ورقد على الفراش، وبغمضة عين بدأ يشخر بسلام وبانتظام، «سأنام طويلاً، فلا تقلق»، قال قبل أن يغرق في النوم.

«لن أزعجك، نم قدر ما تشاء»، قال هوشينو، وكان ناكاتا أصبح خارج العالم بالفعل.

استمتع هوشينو بحمّامه، ثم خرج ليتفقد المنطقة، ثم عرج على أحد محلات السوشي ليتناول عشاء وزجاجة جعة. لم يكن يحب الخمور، فكانت زجاجة جعة متوسطة الحجم كافية لتدبّ في وجهه الدماء وتضعه في حالة نفسية جيدة. بعد العشاء لعب باشينكو وخسر ثلاثة آلاف ين في ساعة. ولفتت قبعته لفريق الشونيشي دراجونز للبايسبول أنظار بعض المارة، فقرّر أنه لا بدّ من أنه الوحيد في طوكوشيما الذي يعتمر هذه القبعة.

عاد إلى النزل ليجد ناكاتا كما تركه، نائماً بسلام. كان نور الغرفة مضاءً، وكان من الواضح أن ناكاتا غير منزعج منه. يا له من عجوز سلس. فكر هوشينو. ثم خلع قبعته وقميصه المبهرج وبنطاله الجينز، وانسلّ تحت الأغطية وأطفأ الأنوار، لكنه أحس بطاقة كبيرة في داخله، ومع وجوده لأول مرة في مكان جديد تماماً عليه، لم يستطع النوم. يا الله، فكّر، كان يجب أن أجد عاهرة وأمارس الجنس. ولكن حين

سمع ناكاتا يتنفس بوداعة وانتظام، شعر فجأة بالإحراج من هذا الخاطر، ولم يكن، مع هذا، متأكداً من سبب هذا الإحراج.

محدقاً بالسقف في الظلام، على سرير في نزل رخيص في مدينة يزورها للمرة الأولى، بجوار عجوز لا يعرف عنه شيئاً، بدأت تساوره الشكوك حول نفسه. كان يجب أن يكون الآن في طريق العودة إلى طوكيو، ليكون الآن في مكان ما بالقرب من ناجويا. لم يكن يكره وظيفته، وكان دائماً لديه فتاة في طوكيو تجد له الوقت حين يريد أن يراها. ومع هذا ما لبث أن فرّغ حمولة الأثاث في كوبي، وبشكل عفوي تماماً، اتصل بسائق يعرفه في المدينة وطلب منه أن يحلّ محله ويعود بشاحنته إلى طوكيو. ثم اتصل بالشركة وتحايل للحصول على ثلاثة أيام أجازة. ثم مضى إلى شيكوكو مع ناكاتا، وهو لا يحمل سوى حقيبة صغيرة بها عدة الحلاقة وغيار واحد.

استغرب هوشينو في البداية الشبه الكبير بين العجوز وجده الراحل. إلا أن هذا الانطباع تلاشى تدريجياً، وأصبح الآن مهتماً بناكاتا نفسه من باب الفضول. ما يتحدث عنه الرجل العجوز، وحتى الطريقة التي يتحدث بها، كانا بالتأكيد غير مألوفين، لكن ظريفين. كان يريد أن يعرف إلى أين سيذهب العجوز، وما الذي سيفعله حين يصل إلى هناك.

كان هوشينو الولد الثالث بين خمسة أولاد لأسرة من المزارعين. وقد ظلّ ولداً مؤدّباً حتى المدرسة الثانوية، لكن بعد انتسابه إلى معهد التجارة تعرّف إلى عدد من أصحاب السوء، وبدأ يتورّط في المشكلات، حتى أن الشرطة قبضت عليه مرات عدة. استطاع أن يتخرّج لكنه لم يستطع إيجاد وظيفة لائقة - ولم يكن ينقصه في خِضَمّ مشقاته تلك سوى مشكلاته مع إحدى الفتيات - ولذا قرر أن يلتحق

بقوات الدفاع الذاتي[1]. كان يأمل أن يصير سائق دبابة، لكنه لم يحصل على الدرجات المطلوبة وقضى معظم وقته يقود عربات النقل الضخمة. وبعد ثلاثة أعوام في القوات، خرج منها ووجد وظيفة في شركة نقل، وخلال الست سنوات الماضية كان يكسب عيشه من القيادة.

ناسبه الأمر. إذ لطالما أحب العربات. فعندما يعتلي كرسي القيادة ويضع يديه على العجلة، يشعر أنه في ملكوته الصغير الخاص به وحده. كانت وظيفة مجهدة بساعاتها الطويلة الشاقة، لكنه كان يدرك أنه لن يحتمل وظيفة عادية في شركة ما، أن يركب كل صباح إلى مكتب قاتم تعلوه الأوساخ فقط ليرصد له رئيسه في العمل جميع حركاته وسكناته.

كان من النوع الشرس الذي ينخرط فوراً في المشاجرات. كان نحيفاً وقصير القامة نسبياً، وملامحه لا توحي بالقسوة، إنما ينطبق عليه القول إن المظاهر خدّاعة بحق. كان قوياً بصورة مخادعة، وما إن يبلغ مرحلة ما من الغضب حتى تنبعث من كل كيانه نظرة مجنونة، تجعل معظم خصومه يفرّون هاربين. انخرط في الكثير من الشجارات، كجندي وكسائق شاحنة. لكنه بدأ يدرك مؤخراً أن سياق الحياة هذا، المتقلّب بين نصر وهزيمة، لا يصل به إلى أي مكان. بيد أنه على الأقل، فكّر مزهواً، لم يصب بأي جراح خطيرة.

خلال أيامه المتوحشة في الثانوية، كان جده هو الوحيد الذي يأتي إلى قسم الشرطة وينحني معتذراً للضباط لكي يطلقوا سراحه. وخلال عودتهما إلى البيت كانا يتوقفان في مطعم ما، حيث يدعوه جده إلى وجبة شهية. ولم يكن الأخير يصدّع رأسه بالمواعظ. لم يأت

(1) قوات الدفاع الذاتي: القوات العسكرية التي تأسست بعد الحرب العالمية الثانية في اليابان، ولم تنخرط في حرب حقيقية وإنما في بعض عمليات حفظ السلام الدولية.

والداه لإخراجه ولو مرة واحدة. كانا يكدحان في العيش، ولم يكن لديهما لا الوقت ولا الجهد لرعاية ابنهما الثالث الفاشل. وكان هوشينو أحياناً يتساءل عما كان سيحل به لو لم يكن لديه جد يدفع له الكفالة. وحده العجوز كان يعرف أن هوشينو ما زال حياً، ويقلق بشأنه.

ورغم كل هذا فإنه لم يشكر جده قط على كل ما فعله من أجله. لم يدر ماذا يقول له، كما كان منشغلاً جداً بتدبّر أمر عيشه. لم يلبث جده أن توفي بالسرطان بعيد التحاق هوشينو بقوات الدفاع. وقد أصيب في أيامه الأخيرة بالخرف ولم يعد قادراً حتى على التعرف إليه. ولم يعد هوشينو إلى البيت منذ وفاة العجوز.

حين صحا هوشينو في الثامنة من صباح اليوم التالي، كان ناكاتا لا يزال نائماً بعمق كما لو أنه لم يتحرك ولو بوصة واحدة طوال الليل. وكان إيقاع تنفسه على حاله أيضاً. نزل هوشينو، وتناول إفطاره مع نزلاء آخرين. وجبة بالغة التقشف، بيد أنه يستطيع أن يطلب قدر ما يشاء من حساء الميزو والأرز.

«هل سيتناول رفيقك الإفطار؟»، سألته الخادمة.

«ما زال يتناول الأرز مع الملائكة، لا أعتقد أنه سيحتاج إلى الإفطار. لو سمحت هل تستطيعين تأجيل ترتيب الغرفة قليلاً؟».

عند الظهر كان ناكاتا لا يزال نائماً بعمق، فحجز هوشينو ليلة أخرى في النزل. وخرج إلى محل سوبا[2] وتناول الأرز بالدجاج والبيض. ثم تجوّل في المنطقة لفترة، وانتهى به الأمر في مقهى، حيث تناول القهوة ودخّن سيجارة وتصفح عدداً من مجلات الرسوم المتحركة.

حين عاد إلى النزل، قبيل الساعة الثانية، وجد أن ناكاتا لا يزال

(2) السوبا نوع من المعكرونة اليابانية مصنوعة من دقيق الحنطة السوداء، وتحضر إما حارة بالصلصة أو بمرق اللحم كحساء.

نائماً. تحسّس جبين العجوز بقلق، فلم يجد أثراً للحمى. وكان تنفسه منتظماً وهادئاً والدماء تجري في وجنتيه. بدا على ما يرام. كان نائماً بسلام فحسب، من دون أن يتقلب حتى في السرير.

«أهو بخير، أينام عادة بهذا القدر؟»، سألت الخادمة عندما تفقدت أمرهما، «لعله مريض؟».

«إنه مرهق»، شرح لها هوشينو، «فلندعه ينم قدر حاجته».

«حسناً، لكنني لم أرَ أحداً ينام بهذا القدر من قبل...».

حان موعد العشاء وماراثون النوم لا يزال مستمراً. ذهب هوشينو إلى مطعم كاري وطلب طبقاً كبيراً من لحم البقر بالكاري، وسلطة. وبعدها - كما في الليلة الماضية - ذهب إلى حانة الباشينكو نفسها ولعب القمار مجدداً لمدة ساعة. لكن هذه المرة تحسّن حظه، ولقاء أقلّ من ألف ين كسب علبتي مارلبورو. كانت الساعة التاسعة مساءً عندما عاد غانماً إلى النزل، ولم يستطع أن يصدق عيناه- كان ناكاتا ما زال نائماً.

حسب هوشينو الساعات. العجوز نائم منذ أكثر من أربع وعشرين ساعة. حسناً، لقد قال إنه سوف ينام طويلاً، لا داعي للقلق إذن، ولكن هذا سخف! شعر هوشينو بأنه عاجز على نحو لم يعهده من قبل. لنفرض أن العجوز لن يستيقظ أبداً؟ ماذا بحق الجحيم سيفعل حينئذ؟

«يا الله»، قال وهو يهزّ رأسه.

عندما استيقظ هوشينو قرابة الساعة السابعة من الصباح التالي، وجد ناكاتا قد صحا بالفعل ووقف ينظر من النافذة.

«ها أنت ذا يا جدي، لقد صحوت إذن»، قال هوشينو، بارتياح.

«أجل، ناكاتا صحا. لا أعرف كم نمت، لا بدّ أنه وقت طويل. أشعر أنني رجل جديد».

«بالطبع وقت طويل! غفوت عند الساعة التاسعة مساء أول من

أمس، أي أنك نمت حوالى أربع وثلاثين ساعة. كنت مثل بياض الثلج».

«ناكاتا جائع قليلاً».

«أقطع ذراعي إن لم تكن جائعاً. فأنت لم تأكل شيئاً منذ يومين».

نزلا معاً إلى المطعم وتناولا الإفطار. وذهلت الخادمة من كمية الأرز التي تناولها ناكاتا.

«أنت نهم في الأكل كما في النوم!»، قالت متعجبة، «وكأنك تعوّض أكل اليومين في وجبة واحدة!».

«نعم، يجب أن آكل كثيراً الآن».

«تتمتع بصحة جيدة حقاً، أليس كذلك؟».

«نعم، صحة ناكاتا جيدة. لا أستطيع القراءة، ولكن أسناني كلها سليمة ولا أحتاج إلى نظارات طبية، ولم أضطر في حياتي إلى زيارة للطبيب. كتفاي لا يتصلّبان البتة. ومعدتي تفرغ حمولة جيدة كل صباح».

«أليس هذا رائعاً؟»، قالت الخادمة منبهرة. «بالمناسبة، ما برنامجكما اليوم؟».

«سنتجه غرباً»، أعلن ناكاتا.

«غرباً»، قالت متفكرة، «هذا يعني أنكما متجهان إلى تاكاماتسو».

«لست فطناً جداً ولا أعرف الجغرافيا».

«في جميع الأحوال لمَ لا ننطلق إلى تاكاماتسو يا جدي؟» تدخل هوشينو مؤيداً، «وسنرى ما سنفعله بعد أن نصل إلى هناك».

«وهو كذلك. لنذهب إلى تاكاماتسو إذن، وسنرى ما سنفعله بعد أن نصل هناك».

«أسلوبكما في السفر فريد»، علّقت الخادمة.

«هذا صحيح»، قال هوشينو.

عادا إلى غرفتهما، ودخل ناكاتا إلى الحمام، بينما تمدّد هوشينو، وهو لا يزال مرتدياً اليوكاتا[3]، على التاتامي[4] وشاهد الأخبار في التلفزيون. لم يكن هناك الكثير من الأحداث. ما زالت الشرطة تبحث عن خيوط جريمة قتل نحات مشهور وقعت في حي ناكانو- لكن لا أدلة ولا شهوداً. والبحث لا يزال جارياً عن ابن الرجل ذي الخمسة عشر عاماً الذي اختفى قبل الجريمة بوقت قصير.

عجباً! فكر هوشينو، فتى في الخامسة عشرة. لماذا يكثر هذه الأيام تورّط الفتية بهذا السن في أعمال العنف؟ بالطبع حين كان هو نفسه بهذا السن سرق دراجة نارية من مرأب، واستمتع كثيراً بركوبها - ولا مؤاخذة - من دون رخصة، لذا لا يحق له أن يتذمّر الآن. إلا أن هذا لا يعني المقارنة بين أن يستعير المرء دراجة وأن يقطّع أباه أشلاء. ربما كان الحظ فقط الذي منعه من طعن أبيه، لأنه بكل تأكيد كان قد نال نصيبه من الضرب.

كانت نشرة الأخبار قد انتهت عند خروج ناكاتا من الحمام. «سيد هوشينو، هل أستطيع طرح سؤال عليك؟».

«ما الأمر؟».

«أيؤلمك ظهرك ولو قليلاً؟».

«فعلاً، أظن أن هذا من مخاطر العمل، كل السائقين الذين أعرفهم يعانون آلاماً في الظهر ، مثلما يعاني جميع قاذفي الكرات في البايسبول التهابات في الكتفين، ولم تسأل؟».

«عندما رأيت ظهرك خمنت أنك تعاني من هذه المشكلة»

«والله. . .».

«هل تمانع لو لمست ظهرك؟».

---

(3) اليوكاتا: الزى الياباني التقليدي.

(4) التاتامي: تعني في الأصل حصيرة وهى حصيرة يابانية تقليدية من القش.

«بكل سرور».

انبطح ناكاتا على بطنه وباعد ناكاتا ساقيه. ثم وضع يديه على العمود الفقري تماماً وأبقاهما هناك. بينما انشغل هوشينو بمشاهدة برنامج تلفزيوني حول أخبار المشاهير وأسرارهم، من قبيل خطوبة ممثلة مشهورة على روائي شاب يقلّ عنها شهرة. لم يكن هوشينو مهتماً بهذا البرنامج، لكن لم يكن هناك سواه على التلفزيون. من الواضح أن دخل الممثلة يفوق دخل الروائي عشر مرات، وهذا الأخير لا يتمتع حتى بوسامة استثنائية ولا ينضح وجهه بالذكاء.

وجد هوشينو الأمر كله مريباً، «هذا الزواج لن يعمّر طويلاً، لا بدّ أن هناك سوء تفاهم».

«سيد هوشينو، عظامك منزاحة قليلاً من موضعها».

«ليس بالشيء المفاجئ، كل حياتي منزاحة عن موضعها»، أجاب هوشينو متثائباً.

«سيتسبب لك هذا بالكثير من الأوجاع ما لم تفعل شيئاً حياله».

«هذا رأيك؟».

«ستشعر بالصداع، ولن تتمكن من التبرّز جيداً. ثم سيخذلك ظهرك».

«لن يكون هذا جيداً».

«ما سأفعله سيوجعك بعض الشيء، ألديك مانع؟».

«لا، تَصَرَّفْ على راحتك»

«للأمانة، سوف يؤلمك كثيراً».

«اسمع يا جدي، لقد تعرضت للضرب طوال حياتي - في البيت، وفي المدرسة، وفي قوات الدفاع- وما زلت حياً. ليس زهواً أو ما شابه لكن الأيام التي لم أتعرّض فيها للضرب تعدّ على أصابع اليد الواحدة. ولهذا لا يزعجني الإحساس ببعض الوجع، أياً كان مصدره. فهات ما لديك».

ضيق ناكاتا عينيه وركّز جيداً لكي يتأكد من أنه يضع إبهاميه في الموضع الصحيح. ثم بدأ يضغط ببطء شديد، تحسباً لرد فعل هوشينو. تنفّس ناكاتا بعمق ثم أطلق صرخة سريعة تشبه زعق طائر في الشتاء، وضغط بكل عزمه على الموضع ما بين العضلة والعمود الفقري. كان الألم الذي أحسّ به هوشينو مروّعاً. لمعت في عقله بارقة ضوء كبيرة ثم استحال كل شيء في عينيه إلى الأبيض. توقف تنفسه. وشعر كأن أحدهم رماه من قمة برج عال إلى أعماق الجحيم، لم يكن قادراً حتى على الصراخ من فظاعة الألم. تبدّدت وتلاشت جميع الأفكار في رأسه، وكأن جسده تشظّى أشلاء. حتى الموت لن يكون بهذه الفظاعة، هذا ما شعر به. حاول أن يفتح عينيه لكنه لم يقو على ذلك. فقط رقد هناك مكانه، قليل الحيلة، منبطحاً على التاتامي، تسيل دموعه ولعابه على وجهه. استمرّ هذا الألم نحو نصف دقيقة.

في نهاية الأمر، صار في وسعه أن يتنفس مجدداً. ترنح وهو يجلس. وتموج التاتامي أمامه كاليم في الإعصار.

«بكل تأكيد، كان هذا مؤلماً».

هزّ هوشينو رأسه مرات عدة كما لو أنه يتأكد من أنه لا يزال حياً، «كلمة ألم لا تصلح حتى لوصف هذا. إنه شيء يشبه أن يسلخ جلدك وأنت حي، وأن تتعرض للخوزقة، وتطحن عظامك، ثم يجري عليك قطيع هائج من الثيران. *ما الذي فعلته بي بحق الجحيم*؟».

«لقد أعدت عظاماً إلى موضعها. ستكون بخير في الوقت الحالي. لن يؤلمك ظهرك، وأضمن لك أنك ستتبرز جيداً».

وبالفعل، عندما انسحب الألم كانسحاب المد، شعر هوشينو بتحسّن في ظهره. تلاشى شعوره بالثقل وفتور الهمة. وتحسّن شعوره عند الصدغين، واستطاع أن يتنفس بسلاسة أكبر. وبطبيعة الحال، شعر بحاجة لدخول الحمام.

«فعلاً، أشعر بتحسّن في مواضع عدة».

«كانت المشكلة كلها في العمود الفقري»، قال ناكاتا.
«لكن الألم كان رهيباً».

استقلا قطار «سكة حديد اليابان» السريع من محطة طوكيوشيما إلى تاكاماتسو. تكفل هوشينو بدفع نفقات النُّزُل والسفر. أصرّ ناكاتا على أن يدفع عن نفسه، لكن هوشينو تجاهل ذلك.

«سأدفع الآن، ثم سنسوّي الأمر لاحقاً. لا أحب عندما يتجادل الرجال حول النقود، حسناً؟».

«وهو كذلك، ناكاتا لا يفهم جيداً في النقود، ولهذا سأفعل ما تقول»، قال ناكاتا.

«لا بدّ من أن أقول لك إنني أشعر بتحسن عظيم بفضل هذا الشياتسو[5] الذي عملته لي، فدعني على الأقل أرد لك جميلك هذا، حسناً؟ لم أشعر منذ زمن طويل بالراحة التي أشعر بها الآن. كأنني ولدت من جديد».

«رائع، ناكاتا لا يعرف ماذا تعني شياتسو. لكنني أدرك أهمية العظام».

«ولا أنا أعرف ماذا تسمي ما فعلته - شياتسو، تجبير، شيروبراكتيك[6]- وأياً كان اسمه، أنت موهوب به، يمكنك أن تكسب أموالاً من هذا، يمكنك تكديس الكثير منها فقط لو عالجت زملائي من سائقي الشاحنات».

---

(5) الشياتسو: (شي) باليابانة تعني أصابع، و (تسو) تعني ضغط. وهو طريقة يابانية تقليدية للعلاج بالتدليك.

(6) Chiropractic: chieros في الأغريقية تعني يد، وPrakikos تعني عملي، والشيروبراكتيك أحد استخدامات الطب البديل التكميلي، وهو يعتمد على تشخيص وعلاج اضطرابات العمود الفقري الميكانيكية بتعمد التأثير على الجهاز العصبي ومن ثم تحقيق تحسن في الصحة.

«بمجرد أن رأيت ظهرك عرفت أن عظامك ليست في موضعها الصحيح. عندما أرى الأشياء في غير موضعها الصحيح أرغب في تصحيحها، لقد صنعت الأثاث لفترة طويلة، وكنت كلما رأيت شيئاً معوجّاً، أقوم بتقويمه. هكذا هو ناكاتا. ولكن هذه المرة الأولى التي أقوّم فيها عظام أحدهم».

«أعتقد أنها موهبة فطرية»، قال هوشينو منبهراً.

«ناكاتا كان يستطيع محادثة القطط».

«أتمزح؟».

«لكنني فقدت هذه المقدرة منذ فترة قصيرة. لا بدّ من أن جوني واكر هو السبب».

«فهمت».

«أنا غبي، لهذا لا أفهم الأشياء الصعبة. وهناك الكثير من الأشياء الصعبة التي تحدث مؤخراً. أسماك وعلق تهطل من السماء، مثلاً».

«أحقاً؟».

«لكنني مسرور أنني استطعت تقويم ظهرك».

«وأنا سعيد كذلك»، قال هوشينو.

«حسن».

«بمناسبة العلق...».

«أجل ناكاتا يذكر هذا جيداً».

«هل لك علاقة به؟».

فكر ناكاتا لبرهة، وهو أمر نادر. «أنا لا أعرف نفسي حقاً. كل ما أعرفه هو أنه عندما فتحت مظلتي بدأت السماء تمطر علقاً».

«وكيف عرفت بأنها...».

«أفظع الشرور قتل الآخرين،» قال ناكاتا وأومأ برأسه بحسم.

«بالتأكيد، القتل شر بكل تأكيد».

«هذا صحيح، القتل سيء»، كرّر ناكاتا وهو يومئ بشدّة.

خرجا من محطة تاكاماتسو ودلفا إلى مطعم «نودلز» وتناولا «الأودون» للغداء، خارج المطعم احتشدت أرصفة المحطة بالرافعات التي جعلتها النوارس محطة تجمّع لها.

استمتع ناكاتا بكل خيط من خيوط «النودلز» في طبق الأودون.

«أودون لذيذ».

«يسرني أنه أعجبك»، قال هوشينو، «ما رأيك إذن، هل تجد هذا المكان مناسباً؟».

«أجل، ناكاتا يظن أنه مكان مناسب».

«إذن فقد اخترنا البقعة الصحيحة، والآن ما الذي ستفعله؟».

«عليّ أن أجد حجر المدخل».

«حجر *المدخل*؟».

«أجل».

«مممم»، قال هوشينو، «أقطع ذراعي إن لم يكن ثمة قصة طويلة وراء هذا».

أمال ناكاتا صحنه ورشف الحساء حتى القطرة الأخيرة. «فعلاً، إنها قصة طويلة، لكنها طويلة جداً إلى درجة أنني لا أفهمها أنا نفسي. ومع هذا حين نصل إلى هناك، ناكاتا يظن أننا سنفهم».

«كالمعتاد، عليك الذهاب إلى هناك حتى تفهم؟».

«هذا صحيح».

«وحتى نصل إلى هناك، لن أفهم شيئاً؟».

«صحيح. قبل أن نصل إلى هناك لن أفهم شيئاً أنا الآخر».

«هذا كاف. أنا لا أحب القصص الطويلة، على كل حال أتصوّر أننا يجب أن نعثر على حجر المدخل هذا».

«كلام سليم»، قال ناكاتا.

«وأين هو إذن؟».

«ناكاتا لا يعرف».

«كأنني كنت أتوقّع إجابة حقاً»، قال هوشينو وهو يهزّ رأسه.

25

يأخذني النوم لبرهة. ثم أصحو. ثم يأخذني النوم ثانية. ثم أصحو. وهكذا دواليك. لا أريد أن أفوّت لحظة ظهورها. لكنني أفوّتها فعلاً. أنظر فأجدها أصبحت جالسة إلى المكتب، تماماً كالليلة الماضية. تشير الساعة بجانب سريري إلى ما بعد الثالثة بقليل. إنني متيقن من أنني أقفلت الستائر قبل ذهابي إلى السرير. إلا أنني أجدها مجدداً مشرعة تماماً. لكن لا شعاع قمر الليلة، هذا هو الفرق الوحيد. القمر محتجب وراء غلالة كثيفة من الغيم. وربما تُمْطِرُ في الخارج. الغرفة أكثر ظلمة من الليلة الماضية، لا ينيرها جزئياً سوى ضوء مصابيح الإنارة التي بين أشجار الحديقة. تستغرق عيناي فترة حتى تعتاد العتمة.

الفتاة وراء المكتب. تسند رأسها بيديها، وتحدّق في اللوحة. إنها ترتدي ملابس الليلة الماضية. ورغم شدة تركيزي لا تسمح لي العتمة الشديدة برؤية ملامح وجهها جيداً. لكنّ الغريب أن جسدها وظلها بالغا البروز، هناك في العتمة. إنها الآنسة سايكي في صغرها- ليس لديّ أدنى شك في هذا.

تبدو مستغرقة في التفكير، أو في حلم عميق طويل. أنتظر لحظة، ربما تكون هي نفسها حلماً عميقاً طويلاً تحلم به الآنسة سايكي. على كلٍ، أحاول أن أتنفس بهدوء شديد حتى لا أخلّ

بالمشهد أمامي. لا أتحرّك بوصة واحدة، فقط أنظر لمحاً إلى الساعة من حين لآخر. يمر الوقت ببطء وثبات.

فجأة ودون سابق إنذار، يأخذ قلبي في الخفق بقوة. صوت، كأنه قرع على الباب، يتردد صداه في عتمة الغرفة الغارقة في السواد. أجفل بشدة حتى أكاد أهب قافزاً من السرير.

يتحرك ظل الفتاة الأسود بخفة شديدة. تنظر وتصغي في الظلام. لقد سمعته - صوت قلبي. تميل رأسها قليلاً، تماماً كحيوان في الغابة يركّز لمعرفة مصدر صوت مجهول مفاجئ. ثم تستدير وتقف قبالتي. ومع هذا لا أرى انعكاسي في عينيها، أجزم بهذا. لست في حلمها. أنا وهي في عالمين منفصلين يفصل بينهما حدّ لا مرئي.

وبالسرعة التي يهتاج فيها قلبي يعود إلى حالته الطبيعية. وتنفّسي كذلك. ها قد عدت غير مرئي بالنسبة إليها. وها هي كفّت عن الإصغاء. تعود إلى «كافكا على الشاطئ». الرأس تسنده اليدان. والقلب مشدود مجدداً إلى الفتى في ذلك المشهد الصيفي.

تظل هكذا نحو عشرين دقيقة، ثم تتلاشى. كما حدث الليلة الماضية، تنهض واقفة، حافية القدمين، تمضي دونما صوت إلى الباب، ومن دون أن تفتحه، تختفي وراءه. أجلس لفترة دون حراك، وأنهض أخيراً. أدع الأنوار مطفأة، وأمشي في العتمة، وأجلس على المقعد الذي كانت جالسة عليه. أضع يديّ على المكتب وأتشرّب ما بقي من ومض حضورها. أغمض عينيّ، وأمتصّ حفنات من قلبها المرتجف لأدعها تتسرب إلى داخل قلبي. أبقيهما مغمضتين.

أكتشف شيئاً آخر مشتركاً بيني وبين الفتاة. كلانا يحبّ شخصاً لم يعد ينتمي إلى هذا العالم.

بعد هذا بفترة قصيرة أغرق في نوم مضطرب. جسمي بحاجة إلى الراحة، لكن فكري يعارض ذلك. وأنا أتأرجح كالبندول بينهما.

بعدها، مع هذا- لا أعرف حتى إذا كان الصباح قد طلع أم لا- تبدأ الطيور ضجيجها في الحديقة، وتقودني إلى الصحو التام.

أرتدي الجينز وقميصاً طويل الكمين فوق الكنزة الخفيفة وأخرج. إنها الخامسة فجراً والمدينة لا تزال نائمة. أخرج من شوارعها العتيقة نحو غابات الصنوبر التي تقف كمصدّ للرياح، ثم أعبر جدار الكورنيش إلى الشاطئ. بالكاد تلفع جسمي نسمة واحدة. السماء مغطاة بطبقة من الغيوم الرمادية، لكن لا يبدو إنها ستمطر قريباً. صباح هادئ وساكن. تمتص الغيوم، كطبقة عازلة، كل صوت يصدر من الأرض.

أسير لفترة بموازاة البحر. أتصور فتى اللوحة سائراً على الطريق نفسه، حاملاً كرسيه القماش، ثم جالساً على الشاطئ، لكنني لا أعرف أي المناظر على طول هذا الشاطئ الذي يظهر في اللوحة. لا تظهر اللوحة سوى الشاطئ وخط الأفق، والسماء والغيوم. وجزيرة. إلا أن هناك جزراً عدة على امتداد الشاطئ، فلا أستطيع أن أتذكّر بالضبط شكل الجزيرة في اللوحة. أفترش الرمال بمواجهة البحر وأرسم على الرمل إطار صورة. أتخيل الفتى جالساً هناك. نورس أبيض وحيد يحلق بلا هدف في السماء الخالية من الريح. موجات صغيرة ترتطم بالشاطئ بإيقاع منتظم، مخلّفة وراءها منحنى رقيقاً وفقاقيع صغيرة على الرمال.

أدرك فجأة: إنني أغار من فتى اللوحة.

«إنك تغار من فتى اللوحة»، يهمس في أذني الفتى المدعو كرو.

تغار من فتى مثير للشفقة، ابن العشرين سنة الذي قتل هباءً وبالخطأ - منذ كم سنة، ثلاثين تقريباً؟ الغيرة قاتلة. هذه أول مرة في حياتك تشعر فيها بالغيرة. وها قد فهمت أخيراً ما الذي تعنيه. إنها أشبه بنيران تلسع قلبك.

في حياتك لم تحسد أحداً، ولا رغبت في أن تكون مكان أحد -

لكن هذا أكثر ما ترغب فيه الآن، أن تكون هذا الفتى. حتى مع علمك أنه في العشرين من عمره هشّموا رأسه بماسورة حديدية وضربوه حتى الموت، فما زلت تود أن تتبادل وإياه المكان. أنت مستعد لهذا لكي تحب الآنسة سايكي خمس سنوات، ولتحظى بكل الحب الذي يملأ قلبها. لكي تحتضنها قدر ما ترغب، وتمارس معها الحب مرات ومرات. لكي تمرّر أصابعك على كل جزء من جسمها. وهي أيضاً. وبعد أن تموت، يبقى حبك قصة منقوشة في قلبها للأزل. سيظل حبها لك حياً في ذاكرتك ليلة بعد ليلة.

فعلاً، أنت في موقف لا تحسد عليه. لقد وقعت في حب فتاة لم تعد موجودة، وتغار من فتى لن يعود من الموت. ومع ذلك فالعواطف التي تجتاحك أكثر واقعية وأشد ألماً من كل ما شعرت به في حياتك. ولا سبيل للخروج . لا مفر. لقد دخلت إلى واحدة من متاهات الزمن، والأنكى من هذا أنك ليس لديك أدنى رغبة في الخروج منها. ألستُ مصيباً في ذلك؟

يأتي أوشيما متأخراً قليلاً عن الأمس. وقبل وصوله أكنس الأرض والطوابق الأولى، أمسح الغبار عن المكاتب والمقاعد، أفتح النوافذ وأنظّفها، أدعك الحمامات بالفرشاة، أرمي القمامة، أبدّل مياه أواني الزهور. ثم أضيء الأنوار، أشغّل سجلات البحث على الكمبيوتر، ولا يتبقى سوى أن أفتح البوابة الأمامية.

يرى أوشيما عملي ويهز رأسه برضا، «إنك تتعلم بسرعة كبيرة، ولا يفوتك شيء».

أعد له قهوته. وكالأمس، أعد لنفسي كوب «إيرل جراي». في الخارج بدأت السماء تمطر بغزارة. يمكن سماع الرعد البعيد. لم تحن الظهيرة بعد، لكن الظلمة توحي بالمساء.

«أوشيما، أريد أن أطلب منك خدمة».

«وما هي؟».

«أيمكنك أن تحصل لي على النوتة الموسيقية لـ **كافكا على الشاطئ**؟».

يقلّب أوشيما الأمر في ذهنه، «إذا كانت موجودة على الموقع الإلكتروني للشركة المنتجة. أعتقد في هذه الحال أنه يمكنك تحميلها مقابل رسم ما، سوف أرى ما يمكنني عمله وأعلمك بالنتيجة».

«شكراً لك».

يجلس في ركن من مكتب الاستقبال، ويضع مقداراً لا يذكر من السكر في قهوته ثم يحرّكها. «أعجبتك الأغنية إذن؟»، يسألني.

«أجل، كثيراً».

«أنا أيضاً أغرمت بها. لحن جميل، فريد من نوعه. بسيط وعميق في آن. يخبر الكثير عن الملحن».

«لكن الكلمات شديدة الرمزية»، أجازف بالقول.

«منذ الأزل والشعر والرمزية لا ينفصلان. كالقرصان وزجاجة الروم».

«هل تظن أن الآنسة سايكي تدرك جميع معاني الكلمات؟».

ينظر أوشيما إلى أعلى، يستمع إلى قصف الرعد وكأنه يحسب المسافة بيننا وبينه. ثم يلتفت نحوي ويهزّ رأسه، «ليس بالضرورة، الرمزية والمعنى أمران منفصلان. أظن أنها عثرت على الكلمات الصحيحة لأنها تجاهلت أموراً كالمعنى والمنطق. التقطت الكلمات في حلم كأنها تمسك برقّة، أجنحة فراشة مرفرفة. الفنانون هم أولئك القادرون على تجنب الإسهاب».

«ترى إذن أن الآنسة سايكي عثرت على هذه الكلمات في ملكوت آخر - في الأحلام؟».

«معظم الشعر العظيم هكذا. إذا لم تتمكّن الكلمات من خلق نفق تنبؤي تتصل من خلاله بالقارئ، فلن تشكّل قصيدة».

«لكن قصائد كثيرة تزعم هذا فحسب».

«صحيح، إنها حيلة نوعاً ما. وقد لا تكون صعبة. ما دمت تستخدم بعض الكلمات ذات الوقع الرمزي، فإن النتيجة قد تكون قصيدة».

«في *كافكا على الشاطئ* أشعر بوجود شيء طارئ وخطير».

«وأنا أيضاً»، يقول أوشيما. «ليست الكلمات مجرّد شيء يطفو على السطح. إنها لا تنفصل عن اللحن، فلا يمكنني النظر إلى الكلمات وحدها وأقرر مدى إقناعها بمفردها». يهزّ رأسه قليلاً. «على أي حال، لقد كانت بكل تأكيد موهوبة بالفطرة، ولديها حسّ موسيقي حقيقي. وكانت أيضاً عملية كفاية بحيث اغتنمت الفرصة المؤاتية. ولو لم تبعدها تلك الحادثة الرهيبة عن الأضواء، فأنا واثق من أن موهبتها كانت ستنمو أكثر بكثير. كيفما نظرت إلى الأمر لشعرت بخسارة حقيقية...».

«أين إذن ذهبت تلك الموهبة كلها؟».

ينظر أوشيما إليّ. «تقصد أين ذهبت موهبة الآنسة سايكي بعد موت حبيبها؟».

أومئ برأسي، «إذا اعتبرنا الموهبة نوعاً من الطاقة الطبيعية، أفلا تحتاج إلى مخرج ما؟».

«لا أعرف»، يجيبني، «ليس في مقدور أحد أن يتنبأ بمصير المواهب. أحياناً تتلاشى بكل بساطة، وأحياناً أخرى تجري تحت الأرض كالسيل ثم تنفجر حيث لا يتوقعها أحد».

«قد تكون الآنسة سايكي ركزت مواهبها في مجال آخر غير الموسيقى»، أجازف بالقول.

«مجال آخر؟»، يقول أوشيما ويعقد حاجبيه باهتمام واضح، «ماذا تعني؟».

أشرد بحثاً عن الكلمات، «لا أعرف. . . فقط لديّ إحساس بأن هذا ما حدث. ربما ركّزت مواهبها في شيء ما غير ملموس».

«غير ملموس؟».

«شيء لا يراه الناس. شيء تسعى إليه بنفسك. سعي داخلي».

يزيح أوشيما شعره عن جبهته، وتنفرد خصلات منه بين أصابعه الرقيقة. «فكرة جميلة. كل ما علمناه بعد أن عادت الآنسة ساييكي هو أنها ربما قد وظّفت مواهبها بعيداً عن الأنظار- كما تقول، في شيء ما غير ملموس. ولكن تذكّر أنها اختفت نحو ربع قرن، ولهذا ما لم تسألها بنفسك فلن تعرف».

أتردد قليلاً، «هل أستطيع أن أسألك سؤالاً بالغ الغباء؟».

«بالغ الغباء؟».

أَحْمَرُّ خجلاً، «معتوه كلياً».

«لا مشكلة لدي، أنا لست ضد الأشياء المعتوهة كلياً».

«لا أصدق أنني بالفعل أقول هذا لأحد».

ينتظرني أوشيما لأواصل.

«هل يعقل أن تكون الآنسة ساييكي. . . أمي؟».

يسند أوشيما ظهره إلى مكتب الاستقبال، ويتأنّى بحثاً عن الكلمات الصحيحة. وبينما أنتظر أسمع دقات ساعة الحائط.

أخيراً يتكلم، «ما تقترحه إذن أن الآنسة ساييكي عندما كانت في العشرين تركت تاكاماتسو يائسة، وكانت تعيش وحدها عندما صادفت أباك، كيوتشي تامورا، وتزوّجا. ثم رزقا بك، ثم بعد أربع سنوات، حدث شيء ما وفرّت هاربة، وتركتك. لا نعرف ما الذي حدث بعد ذلك، لكنها عادت وظهرت في شيكوكو. هل هذا ما ترمي إليه؟».

«أجل».

«هذا ليس بمُحال، أقصد أنه حالياً ليس لدي ما أعارض به فرضيتك. فالكثير من حياتها يكتنفه الغموض التام. هناك شائعات تروي

أنها عاشت في طوكيو، علاوة على أنها من سن والدك، ومع هذا فعندما عادت إلى تاكاماتسو كانت بمفردها. كم قلت لي عمر أختك؟».

«واحد وعشرون عاماً».

«في مثل سني»، يقول أوشيما، «وأنا لست أختك- هذا ما أنا متيقن منه. لديّ أبوان وأخ- من دمي. وهذه شجرة عائلية كافية بالنسبة إليّ»، يطوي ذراعيه ويرمقني لفترة، «لدي سؤال، هل سبق أن نظرت في شهادة ميلادك؟ هكذا تستطيع أن تعرف اسم والدتك وسنها».

«بالطبع اطلعت عليها».

«وماذا وجدت فيها؟».

«لا وجود للاسم»، أقول.

يبدو مندهشاً. «لا اسم؟ أيعقل هذا؟».

«فعلاً، لم يكن هناك اسم، لا أعرف لماذا. فبحسب شهادة ميلادي لا أم لي، ولا أختاً كبرى، ليس هناك سوى اسمي واسم أبي. قانوناً، أنا ابن زنى، طفل غير شرعي».

«لكنك بالفعل كان لك أم وأخت كبرى».

أومئ برأسي. «حتى الرابعة كنا نحن الأربعة نعيش سوياً. هذا ليس من خيالي. أتذكره بوضوح. ورحلت الاثنتان بعد أن أتممت الرابعة بفترة قصيرة». أخرج محفظتي وأريه صورتي أنا وأختي على الشاطئ. يحدق بها للحظة ويبتسم ويعيدها إلي.

«كافكا على الشاطئ».

أومئ وأعيد الصورة إلى محفظتي. تمور الريح في الخارج مرسلة زخات المطر إلى زجاج النافذة. ويلقي ضوء السقف بظلّينا أنا وأوشيما على الأرض حيث نبدو كشخصين يتباحثان في أمر مشؤوم في عالم آخر.

«ألا تتذكر وجه أمك؟»، يسألني، «لقد عشت معها حتى الرابعة من عمرك، بالتأكيد تذكر شكلها».

أهز رأسي نفياً. «لا أذكر شيئاً. ولا أدري لماذا، ولكن الجزء الذي يجب أن يشغله وجهها في ذاكرتي مظلم وفارغ».

يقلّب أوشيما هذا في ذهنه لفترة، «أخبرني المزيد عن السبب الذي يجعلك تعتقد أن الآنسة سايكي قد تكون أمك».

«هذا كاف»، أقول، «فلننس الأمر، إنني أبالغ لا أكثر».

«لا مانع لديّ في ذلك، قل كل ما يخطر ببالك، ونستطيع أن نقرر معاً إذا كنت تبالغ أم لا».

يتحرّك ظل أوشيما على الأرض بالتزامن مع حركاته، ومع هذا يبدو أكثر نشاطاً منه بقليل.

«هناك عدد مدهش من المصادفات التي تربط بيني وبين الآنسة سايكي» أقول، «وكأنها قطع بازل تجتمع معاً. وقد فهمت هذا عندما استمعت إلى *كافكا على الشاطئ*. أولاً، حقيقة أنني انجرفت إلى هذه المكتبة كأنما بفعل القدر. خط مستقيم من ناكانو إلى تاكاماتسو. شيء بالغ الغرابة عندما تفكر فيه».

«كحبكة تراجيديا إغريقية»، يقول أوشيما.

«بالإضافة إلى ذلك»، أضيف، «فأنا مغروم بها».

«بالآنسة سايكي؟».

«أجل، على الأرجح».

«*على الأرجح*؟»، يكرر أوشيما كلامي، مقطّباً. «أتعني أنه *على الأرجح* أن تكون الآنسة سايكي هي التي تحبها، أم أنه على الأرجح أن تكون مغروماً بالآنسة سايكي؟».

يحمرّ وجهي. «لا أستطيع أن أشرح بوضوح» أجيبه، «الأمر معقد وهناك الكثير من الأشياء المستعصية على فهمي».

«لكنك على الأرجح مغرم بفتاة هي *على الأرجح* الآنسة سايكي».

«هذا صحيح»، أجيبه «صحيح جداً».

«على الأرجح، وصحيح جداً في آن».

أومئ.

«وفي الوقت نفسه من الممكن أن تكون أمك؟».

واحدة أخرى من إيماءاتي الأشبه بماركتي المسجلة.

«بالنسبة إلى فتى في الخامسة عشرة لم تنبت ذقنه بعد، فمن المؤكد أنك تحمل الكثير من الأعباء». يرتشف أوشيما قهوته ويعيد الكوب بحرص إلى الطبق. «لست أقول إن هذا خطأ. لكن هناك نقطة حرجة يمكن أن يبلغها أي شيء».

لا أقول شيئاً.

يتلمس أوشيما صدغيه ويشرد لبرهة. يعقد أصابعه النحيلة على صدره، «سأحاول العثور على تلك النوتة بأسرع ما يمكنني. وسأنهي العمل هنا، لِمَ لا تعود إلى غرفتك إذن؟».

عند الغداء أجلس في مكتب الاستقبال بدلاً من أوشيما. الرواد أقل من المعتاد، ربما كان ذلك بسبب المطر المتواصل. وحين يعود من استراحته يناولني مظروفاً كبيراً فيه نسخة مطبوعة على الكمبيوتر من النوتة الموسيقية لـ «كافكا على الشاطئ».

«عالم رائع هذا الذي نعيش فيه».

«شكراً»، أقول له.

«إن لم يكن لديك مانع، هلا أخذت فنجان قهوة إلى الطابق العلوي؟ بلا كريما ولا سكر. أنت تعدّ قهوة جيدة».

أعدّ فنجان القهوة وأحمله على صينية إلى الطابق الأول. كعادته، باب حجرة الآنسة سايكي مفتوح وهي تجلس وراء مكتبها، تكتب. حين أضع فنجان القهوة على مكتبها تنظر إلي وتبتسم، ثم تعيد قلمها الحبر إلى غطائه وتضعه فوق الأوراق.

«هل اعتدت على المكان هنا؟».

«أعتاد تدريجياً»، أجيبها.

«هل لديك بعض الوقت؟».

«نعم».

«لِمَ لا تجلس إذن؟»، تشير الآنسة ساييكي إلى كرسي خشبي بجانب مكتبها. «لنتحدث قليلاً».

يقصف الرعد مجدداً. ما زال بعيداً، لكنه يدنو تدريجياً. أجلس.

«أخبرني مجدداً بعمرك، 16 عاماً؟».

«أتممت لتوي الخامسة عشرة»، أجيب.

«أنت هارب من البيت أليس كذلك؟».

«أجل».

«هل ثمة ما اضطرك إلى ذلك؟».

أهز رأسي. غير عالم بماذا أرد.

تحمل الآنسة ساييكي الفنجان وترشف قليلاً بينما تنتظر إجابتي.

«أحسست أنني لو بقيت هناك فسوف أُدمَّر بما لا يدع مجالاً للإصلاح».

«تُدَمّر؟»، تقول الآنسة ساييكي، وقد زمّت عينيها.

«أجل»، أجيبها.

بعد فترة صمت، تقول، «يبدو غريباً أن يستخدم فتى في مثل عمرك كلمة دمار، ومع هذا لا بدّ أن أقول لك إنني لم أفهم ما الذي تعنيه تحديداً؟».

أبحث عن الكلمات الصحيحة. أبحث قبل كل شيء عن الفتى المدعو كرو. لا أجده. لقد تركني أختار الكلمات بنفسي، وهذا يستغرق وقتاً. بيد أن الآنسة سايكي تنتظرني بصبر. يلمع البرق في الخارج، ويليه دوي بعيد.

«أعني أنني كنت سأتحول إلى شخص لا أريد أن أصيره».

تنظر إليّ الآنسة سايكي باهتمام شديد، «ما دام هناك ما يسمّى بالزمن، فالجميع سينتهون إلى الدمار، ويصيرون شيئاً آخر. وهذا يحدث باستمرار. عاجلاً أم آجلاً».

«ولكن حتى حين يحدث ذلك، فلا بدّ من مكان تعودين إليه».

«مكان أعود إليه؟».

«مكان يستحق أن تعودي إليه».

تحملق الآنسة سايكي فيّ مباشرة.

يحمر وجهي. ثم أستجمع شجاعتي وأنظر إليها.

ترتدي فستاناً أزرق فاتحاً قصير الكمّين. لا بدّ من أنها تملك خزانة كاملة من الفساتين بمختلف تدرجات اللون الأزرق. الإكسسوار الوحيد الذي تضعه سلسال فضي رفيع، وساعة يد صغيرة حزامها من الجلد الأسود. أبحث فيها عن ابنة الخمسة عشر عاماً وأجدها أمامي مباشرة. إنها مختفية، نائمة - مثل لوحة ثلاثية الأبعاد- في غابة قلبها. ومع هذا فإذا أمعنت النظر فستجدها. يأخذ قلبي في الخفقان، كأن أحدهم يدقّ مسماراً في جدار.

«بالنسبة إلى سنك، فإن كلامك منطقي جداً».

أحار في الإجابة فأكتفي بالصمت.

«حين كنت في الخامسة عشرة»، تقول الآنسة سايكي مبتسمة، «كان كل ما أردته الانطلاق إلى عالم آخر، عالم لا يصل إليه أحد، عالم وراء مسار الزمن».

«لكن لا مكان كهذا في هذا العالم».

«بالضبط، ولهذا ما زلت هنا، في هذا العالم حيث تستمر الأشياء بالفناء، وتتقلّب القلوب، ولا يكفّ الزمن عن المرور». تصمت برهة كأنما تشير إلى مرور الزمن. «ومع هذا أتعرف»، تستأنف كلامها «حين كنت في الخامسة عشرة، كنت أفكر أنه في مكان ما في العالم لا بدّ من

وجود مكان كهذا، كنت متأكدة من أنني سأصل إلى مدخل ما أعبُرُ منه إلى هذا العالم الآخر».

«أكنت وحيدة في الخامسة عشرة؟».

«بمعنى ما، أظن. لم أكن بمفردي، وإنما كنت أشعر بوحدة رهيبة، لأنني أدركت أنني لن أكون أسعد مما كنت حينئذ. كنت متيقنة من ذلك. ولهذا أردت أن أرحل- كما أنا تماماً- إلى مكان لا وجود للزمن فيه».

«ما أريده هو أن أكبر بصورة أسرع».

ترجع الآنسة سايكي إلى الخلف لتمعن النظر في ملامحي، «لا بدّ من أنك أقوى وأكثر استقلالية مني إذن. حين كنت في سنك كنت مشحونة بأوهام الهروب من الواقع، لكنك تقف في مواجهة الواقع مرفوع الرأس. فرق كبير بيننا».

قوي ومستقل؟ لست أيا منهما. كل ما أفعله هو الانجراف مع الواقع. لكني لا أقول شيئاً.

«أتعرف، أنت تذكرني بولد - كان عمره 15 عاماً - كنت أعرفه قبل زمن بعيد».

«هل أشبهه؟»، أسألها.

«أنت أطول جسماً وأضخم عضلات، ولكن هناك شبه. لم يكن يستمتع بمحادثة من هم في مثل سنه، وكان يقضي معظم وقته منعزلاً في حجرته، يقرأ أو يسمع الموسيقى. كان يقطّب حاجبيه بالطريقة نفسها أيضاً حين يواجه سؤالاً صعباً. أنت كذلك تحب القراءة؟».

أومئ.

تنظر الآنسة سايكي إلى ساعتها. «شكرا لك على القهوة».

أفهم الإشارة، فأنهض وأتجه إلى الباب. تحمل الآنسة سايكي قلمها الحبر، وتنزع غطاءه على مهل وتعود إلى كتابتها.

يلمع البرق مجدداً، فتمتلئ الحجرة لبرهة بلون عجيب. وبعد

لحظة يدوي البرق. هذه المرة أقرب من المرات السابقة.

«كافكا»، تناديني الآنسة سايكي.

أتوقف وأستدير.

«لقد تذكرت الآن أنني ألّفتُ كتاباً عن البرق ذات مرة».

كتاب عن البرق؟

«جلت في كل أنحاء اليابان لمقابلة الناجين من الصواعق. استغرقني الأمر سنوات عدة، وكانت أغلب المقابلات ممتعة بحق. أصدرت الكتاب دار نشر متواضعة، ولم يشتره أحد. لم يكن الكتاب يتضمن أي خلاصات، ولا أحد يرغب في قراءة كتاب بلا خلاصات. لكن في ما يخصني كان من المناسب جداً ألا أصل إلى خلاصات».

يدق شاكوش ضئيل على درج في مكان ما من رأسي، وبعناد. أحاول أن أتذكر شيئاً ما، شيئا ما مهما للغاية- لكنني لا أعرف ما هو. كانت آنسة سايكي قد عادت إلى كتابتها مرة أخرى وأذهب أنا إلى حجرتي.

تستمر العاصفة لساعة أخرى. دويّ الرعد لا يصدّق، لدرجة أنني أخشى أن يتكسّر زجاج النوافذ في المكتبة. وكلما انفجرت صاعقة في السماء، ترتسم على الحائط الأبيض قبالة النافذة المبرقشة، صورة تشبه شبحاً قديماً. بيد أن العاصفة تبدأ بالخفوت عند الساعة الثانية ويأخذ شعاع أصفر في التسلل من بين الغيوم، وكأن صلحاً قد تمّ التوصل إليه أخيراً. تستمر مياه المطر في الهطول تحت شعاع الشمس الرقيق.

مساءً، أشرع في إقفال المكان. تودّعنا الآنسة سايكي وتذهب إلى البيت. أسمع محرك سيارتها الجولف وأتصورها جالسة أمام عجلة القيادة، تدير المفتاح. أخبر أوشيما أنني سأتولى الإقفال، فيتوقف عن العمل وهو يصفّر لحن مونولوغ أوبرالي، ويذهب ليغسل وجهه في

الحمّام، ثم يغادر. أسمع هدير سيارته المازدا وهي تبتعد. ويتلاشى الصوت في المسافة. الآن المكتبة كلها ملكي. يصبح الجوّ أهدأ من قبل حتى.

أذهب إلى حجرتي وأقرأ النوتة الموسيقية لـ«كافكا على الشاطئ». ومثلما ظننت، التسلسلات الإيقاعية بسيطة. لكن اللازمة تتضمن تسلسلين مختلفين. أذهب إلى قاعة القراءة وأحاول عزفها على البيانو هناك. يبدو عزفها صعباً في البداية لكن بعد عدد من المحاولات أصل إلى الإيقاع الصحيح. في البداية تبدو جميع التسلسلات الإيقاعية خطأ، وأشعر يقيناً بأن هناك خطأ في الطباعة، أو أن البيانو غير مدوزن. ولكن كلما استمعت إلى وقع هذين التسلسلين، ازدادت قناعتي بأن الأغنية كلها تقوم عليهما. هما اللذان يقيان الأغنية من الانحطاط إلى مستوى أغنية بوب سخيفة، ويمنحانها عمقاً وجوهراً خاصين. ولكن كيف خرجت الآنسة سايكي بهما؟

أعود إلى غرفتي، أغلي ماء في الغلاية الكهربائية وأعدّ الشاي. أخرج الاسطوانات القديمة التي وجدناها في المخزن، وأضعها واحدة بعد الأخرى في المشغّل. «*بلوند أون بلوند*» لبوب ديلان، ***الألبوم الأبيض*** للبيتلز، ***دوك أوف ذا باي*** لـ لأوتيس ريدينج، ***جيتز/ جيلبترو*** لستان غيتز، كل الألبومات الشهيرة في الستينات. لا بدّ من أن هذا الفتى الصغير- والآنسة سايكي بجانبه - قد فعلا ما أفعله أنا الآن. أضع الاسطوانة، وأخفض الأبرة. أشعر أن الموسيقى تأخذني والغرفة بأسرها إلى زمن مختلف، وإلى عالم ما قبل ولادتي. وبينما أستمتع بها، أسترجع محادثتي عصراً مع الآنسة سايكي، محاولاً تذكّر جميع كلماتها.

«حين كنت في الخامسة عشرة، كنت أفكر أنه في مكان ما في العالم لا بدّ من وجود مكان كهذا، كنت متأكدة من أنني سأصل إلى مدخل ما أعبر منه إلى هذا العالم الآخر».

أسمع صوتها قربي. وأسمع قرع باب داخل رأسي. قرع ثقيل مثابر.

مدخل؟

أرفع الأبرة عن ألبوم ستان جيتز، وأضع «كافكا على الشاطئ»، وأخفض الأبرة.

أصابع البنت الغارقة
تبحث عن حجر المدخل، والمزيد.
ترفع طرف ثوبها اللازوردي،
عيناها مثبتتان على-
كافكا على الشاطئ.

الفتاة التي تزور هذه الغرفة وجدت على الأرجح حجر المدخل؛ فهي في عالم آخر، تماماً كما كانت في الخامسة عشرة، وتزور ليلاً هذه الحجرة، في ردائها الأزرق الفاتح، لتحدّق في كافكا على الشاطئ.

فجأة، لا أدري كيف، أتذكر حديث أبي عن أنه قد أصيب ذات مرة بصاعقة. لم يخبرني بهذا بنفسه - لكني قرأته في حوار أجرته معه إحدى المجلات. حصل ذلك حين كان طالباً في مدرسة الفنون، كان يعمل مؤقتاً كتابع في أحد ملاعب الجولف. ويوماً ما كان يسير وراء لاعبه عبر الملعب، عندما تغيّر فجأة لون السماء وانفجرت فوقهما عاصفة رعدية. فلاذا بشجرة تعرّضت مباشرة لقصف الرعد، وانشطرت إلى نصفين، وتوفي اللاعب الذي كان تابعه، بينما أبي، الذي حدس بالخطر ، قفز مبتعداً عن الشجرة في الوقت المناسب. أصيب ببعض الحروق الطفيفة، واحترق شعره، وقذف به قصف البرق إلى صخرة، فارتطم بها رأسه وغاب عن الوعي، لكنه نجا من المحنة ولم يصب إلا بندوب صغيرة على جبهته، هذا ما كنت أحاول تذكره عصر اليوم وأنا

أتجه إلى الباب خارجاً من عند الآنسة سايكي، مستمعاً إلى دوي الرعد. وكانت تلك الحادثة التي قرر أبي بعدها أن يأخذ عمله كنحّات على محمل الجد.

لعل الآنسة سايكي قابلت أبي خلال جولتها لإنجاز كتابها عن الرعد. أمر منطقي تماماً. ألا يمكن أن يكون هناك الكثير من الناس الذين صعقهم البرق وظلوا على قيد الحياة؟

أتنفس بهدوء شديد، في انتظار الفجر. تنشقّ غيمة ويشرق القمر فوق أشجار الحديقة. هناك الكثير والكثير من المصادفات، كل شيء يبدو أنه يُسرع إلى وجهة واحدة.

26

بدأ الوقت يداهمها، وكان عليهما العثور على مكان يبيتان فيه ليلتهما. ذهب هوشينو إلى مكتب الاستعلامات السياحية بمحطة تاكاماتسو وحجز غرفة في نزل يقع بالقرب من المحطة، وكان أمراً لطيفاً أن يتمكنا من الوصول إليه سيراً على الأقدام، وعدا ذلك فقد كان النزل بحدّ ذاته نموذجياً وبليداً إلى حدّ ما. وهذا لم يزعج هوشينو وناكاتا كثيراً، ما دام هناك مكان ينامان فيه . وكما من قبل، كانت الإقامة تشمل الإفطار، ولكن العشاء على حسابهما. وكان هذا على الأخص مناسباً لناكاتا الذي بات يحق له أن يسقط نائماً في أي وقت.

ما إن أصبحا في الغرفة، حتى استلقى هوشينو على فراشه، ومرة أخرى صعد ناكاتا على ظهره وضغط بإبهاميه أعلى وأسفل ظهره، متفقداً حالة مفاصله وعضلاته. أصبحت الأخيرة ألين بكثير، فاكتفى باقتفاء العمود الفقري وتفقّد مدى تكلس العضلات.

«أمن مشكلة ما؟»، سأله هوشينو بقلق.

«لا، كل شيء على ما يرام. ناكاتا لا يرى أي مشكلة الآن، عمودك الفقري بحالة جيدة».

«هذا مريح»، قال هوشينو، «كنت آمل ألا أتعرض لجلسة تعذيب أخرى».

«أعرف، ناكاتا آسف حقاً، لكنك قلت لي إنك لا تمانع في تحمّل الألم، ولهذا تشجعت وفعلتها بأقوى ما أستطيع».

«أجل، أعرف أنني قلت هذا. لكن، اسمع يا جدي، هناك حدود. وأحيانا عليك أن تلجأ إلى المنطق العام. ولكن ليس من حقي أن أتذمّر - لقد عالجت ظهري بالفعل. ولكن، يا إلهي، في حياتي كلها لم أشعر بمثل هذا الألم. كان يفوق الخيال! كأنك كنت تقطّع أضلاعي. وكأنني متّ وعدت للحياة أو ما شابه».

«ناكاتا مات ذات مرة لثلاثة أسابيع».

«أتمزح؟»، قال هوشينو، وهو لا يزال منبطحاً على وجهه. رشف بعض الشاي ثم مضغ بعض الطعام الذي كان قد اشتراه، «متّ حقاً إذن؟».

«نعم».

«وإلى أين ذهبت كل هذه المدة؟».

«ناكاتا لا يذكر. أحسست أنني في مكان بعيد، أفعل شيئاً آخر. كان رأسي طافياً في مكان لا أذكر منه شيئاً. ثم عدت إلى هذا العالم ووجدت أنني صرت غبياً. لم يعد في استطاعتي القراءة والكتابة».

«لا بدّ من أنك تركت قدرتك على ذلك هناك في الجانب الآخر».

«ربما».

صمتا لفترة. قرر هوشينو أنه من الأفضل أن يصدق كل ما يخبره به العجوز، مهما كان شاذاً عن المألوف. وفي نفس الوقت شعر بعدم الارتياح وكأن تأمّله هذه الفكرة - الموت لمدة لثلاثة أسابيع - سوف يفضي به إلى فوضى لا يستطيع التحكم فيها. فمن الأفضل أن ينقل الحديث باتجاه أمور أكثر عملية. «إذن. وبما أننا أصبحنا في تاكاماتسو، يا سيد ناكاتا، فإلى أين ستذهب؟».

«لا فكرة لدي»، أجابه ناكاتا، «لا أدري ما الذي عليّ فعله».

«وماذا عن حجر المدخل؟».

«صحيح. لقد غاب هذا تماماً عن بال ناكاتا. علينا أن نعثر على الحجر، لكن لا أعرف أين أبحث، ذهني مشوّش ولا يريد أن يصفو. لست ذكياً أصلاً، وهذا الشيء لا يزيد الموقف إلا سوءاً».

«إننا في ورطة إذن، أليس كذلك؟».

«نعم، أظن هذا».

«ولا توجد أي متعة في الجلوس هنا ننظر إلى بعضنا ، هذا لن يقودنا إلى شيء».

«معك حق».

«أعتقد أننا يجب أن نسأل الناس من حولنا، أتفهمني، لعل هذا الحجر في مكان ما قريب من هنا».

«كما تشاء، ناكاتا سيفعل كما تقول، أنا مغفّل حقاً، ولذلك اعتدت أن أسأل الناس».

«كان جدي يقول دوماً إن سؤال الناس يحرج المرء للحظة لكن عدم السؤال يحرجه مدى الحياة».

«أنا أوافق. فعندما تموت يختفي كل ما تعرفه».

«حسناً، لم يكن هذا ما عناه بالضبط»، قال هوشينو وهو يحك رأسه، «على أي حال، هل ثمة في خيالك صورة ما عن هذا الحجر؟ نوعه؟ حجمه؟ شكله أو لونه؟ فيمَ يستخدم؟ فإذا لم يكن لدينا بعض التفاصيل، سيكون صعباً علينا أن نسأل. سيعتبر الناس أننا نثرثر كلاماً مجنوناً إذا سألناهم فقط: **هل يوجد اي حجر مدخل بالقرب من هنا؟** سيحسبوننا معتوهين. أتفهم قصدي؟».

«نعم. أفهم. قد أكون غبياً، لكني لست معتوهاً».

«حسناً».

«الحجر الذي يبحث عنه ناكاتا مميز جداً. ليس كبيراً جداً. وهو

أبيض وليس له أي رائحة. ولا أعرف فيمَ يستخدم. إنه مستدير، كأنه كعكة أرز». ورسم بيديه شكلاً دائرياً بحجم أسطوانة موسيقية.

«مممم، أتظن إذن أنك ستعرفه إذا رأيته؟ كأن تصرخ: وجدته، حين تلمحه».

«ناكاتا سيعرفه فوراً».

«لا بدّ من أن ثمة أسطورة أو قصة ما وراء هذا الحجر، ربما كان مشهوراً ومعروضاً في معبد أو ما شابه».

«ربما. أظن ذلك».

«وقد يكون في أحد البيوت، يستخدمه الناس للوزن عندما يصنعون المخللات».

«لا، هذا مستحيل».

«ولمَ لا؟».

«لأنه ما من أحد يستطيع تحريك الحجر».

«ما من أحد *سواك*، أهذا ما تقصده؟».

«نعم. أظن أن ناكاتا يستطيع تحريكه على الأرجح».

«وماذا بعد أن تحركه؟».

ناكاتا فعل شيئاً غير مألوف- وفكّر طويلاً في الجواب. على الأقل بدأ يفعل هذا، وهو يحك شعره القصير. «لا أعرف حقاً»، أجاب أخيراً، «كل ما أعرفه أنه آن الأوان لكي يقوم شخص ما بتحريكه».

فكر هوشينو، هو الآخر، قليلاً، «وهذا الشخص هو أنت، صحيح؟ على الأقل في الوقت الراهن».

«أجل»، أجابه ناكاتا، «هذا صحيح».

«وهذا الحجر لا يمكن العثور عليه إلا في تاكاماتسو؟».

«لا، ليس فقط في تاكاماتسو، لا يهم حقاً أين يكون، لقد صودف فقط أنه الآن هنا. لكان الأمر أسهل بكثير لو كان في حي ناكانو».

«ولكن لا بدّ من أن تحريك هذا الحجر ينطوي على الخطر».

«هذا صحيح، ربما لم يكن على ناكاتا التحدّث عن الأمر برمته، لكن الأمر بالغ الخطورة».

«اللعنة»، قال هوشينو وهو يهز رأسه ببطء. اعتمر قبعته الشونيشي دراجونز وأخرج شعره المربوط على شكل ذيل الحصان من فتحة القبعة. «يبدو هذا كله كأنه أحد أفلام إنديانا جونز[1] أو ما شابه».

في الصباح التالي ذهبا إلى مكتب استعلامات السائحين بالمحطة ليستفسرا عما إذا كان هناك أي أحجار شهيرة في تاكاماتسو أو جوارها.

«أحجار؟»، قالت الفتاة الواقفة وراء المكتب، مقطّبة حاجبيها قليلاً. لقد تدربت على توفير كل المعلومات عن الأماكن السياحية المعتادة، لا أكثر، وبدا بوضوح أن السؤال قد أربكها، «عن أي نوع من الأحجار تبحثان؟».

«حجر بهذا الحجم تقريباً»، قال هوشينو، راسماً بيديه دائرة بحجم اسطوانة موسيقية، تماماً كما فعل ناكاتا من قبل، «اسمه حجر المدخل».

«حجر المدخل؟».

«أجل. هذا هو اسمه. إنه مشهور جداً على حدّ علمي».

«المدخل إلى أين؟».

«لو كنت أعرف لما كنت قد شغلتك بالسؤال».

راحت الفتاة تفكّر في الأمر، بينما هوشينو يحدق في وجهها. قرّر أنها جميلة نوعاً ما، رغم أن عينيها متباعدتين قليلاً عن بعضهما، مما يمنحها مظهر ثور متحفّز. أجرت اتصالات عدة، وبدا أنها لم تتوصل إلى شيء.

«أنا آسفة»، قالت أخيراً، «لم يسمع أحد عن حجر بهذا الاسم».

---

(1) إنديانا جونز: فيلم مغامرات أمريكي معروف.

«أبداً».

هزّت رأسها، «لا تؤاخذني على السؤال، ولكن هل أنتما هنا فقط لرؤية هذا الحجر؟».

«أجل، لا أعرف إذا كنا هنا لرؤيته فقط، ولكن على كل، أنا من ناجويا والعجوز من حي ناكانو بطوكيو».

«نعم، ناكاتا من حي ناكانو»، تدخّل ناكاتا، «لقد ركبت عربات نقل كثيرة، ودعاني أحدهم مرة إلى حنكليس، وقد قطعت كل هذه المسافة من دون أن أصرف قرشاً من جيبي».

«فهمت. . .»، قالت الفتاة.

«لا تشغلي بالك إذا لم يكن أحد يعرف شيئاً عنه، فما بيدك أنت. ليس خطأك بالطبع، ربما يكون اسمه مختلفاً، هل ثمة أحجار أخرى مشهورة هنا؟ أعني حجراً مرتبطاً بخرافة ما؟ أو يصلي له الناس؟»

نظرت الفتاة بعينيها المتباعدتين عن بعضها، نظرة خجولة شملت قبعته وشعره المعقوص على شكل ذيل حصان، ونظاراته الشمسية الخضراء، والقرط في أذنه، وقميصه الحريري المشجّر، «يسعدني أن أدلكما على المكتبة العامة. يمكنكما البحث هناك عن الأحجار الموجودة، فأنا لا أعرف الكثير عن الأحجار. آسفة.».

لم تأت زيارة المكتبة بنتيجة. لم يجدا كتاباً واحداً عن الأحجار في تاكاماتسو أو جوارها. قال لهما أمين المكتبة أنه بإمكانهما البحث في بعض المراجع، وطرح أمامهما كومة من الكتب: *أساطير إقليم كاجاوا*، *أساطير كوبو دايشي في شيكوكو*، *تاريخ تاكاماتسو*، وما شابه. راح هوشينو يجري على الصفحات وهو يتنهد بعمق. ومن ناحيته، أخذ ناكاتا يقلب على مهل ألبوم صور بعنوان *الأحجار الشهيرة في اليابان*.

«لا أستطيع أن أقرأ»، قال، «هذه المرة الأولى التي أدخل فيها إلى مكتبة».

« لا أفتخر بذلك»، قال هوشينو، «لكنها المرة الأولى لي أيضاً، مع أنني أعرف القراءة».

«من الممتع أننا هنا الآن».

«يسرني ذلك».

«هناك مكتبة في حي ناكانو، أظن أنني سأزورها من وقت لآخر، وأفضل ما في الأمر أنه لا حاجة إلى قطع تذكرة. لم يكن ناكاتا يعرف أنهم يسمحون لك بالدخول حتى لو كنت تجهل القراءة».

«لي ابن عم وُلِدَ ضريراً لكنه يذهب إلى السينما»، قال هوشينو، «أي متعة في هذا؟».

«أستطيع أن أرى، لكنني لم أذهب إلى السينما في حياتي».

« أتمزح! سأصحبك إلى السينما ذات يوم».

جاء أمين المكتبة وطلب منهما خفض صوتيهما، فتوقفا عن الحديث وعادا إلى الكتب. عندما فرغ ناكاتا من *الأحجار الشهيرة في اليابان*، أعاده إلى الرف وآخذ يقلّب صفحات *قطط من العالم*.

متمتماً طوال الوقت، تمكن هوشينو من أن يتصفّح بسرعة الكتب المكومة أمامه، ولسوء الحظ لم يجد ضالته في أي منها. كان هناك إشارات عديدة إلى الجدران الحجرية في قلعة تاكاماتسو، وإنما حجارة هذه الجدران كثيرة إلى حدّ أنه يستحيل على ناكاتا الاختيار بينها. كما كانت هناك أيضاً أسطورة مثيرة للاهتمام عن كوبو دياشي، وهو كاهن شهير من حقبة هيان، يقال إنه عندما رفع حجراً في البريّة، تفجّر نبع وصار المكان حقل أرز خصيب. وكانت هذه كل القصة. وقرأ هوشينو أيضاً عن المعبد الذي فيه حجر يسمى «حجر كنز الأطفال»، لكن طوله يزيد على النصف متر، وله شكل العضو الذكري. لا يمكن أن يكون الحجر الذي يبحث عنه ناكاتا.

أخيراً استسلما وغادرا المكتبة وتوجها إلى مطعم قريب ليتناولا

العشاء، وطلبا نودلز بالتيمبورا[2] ، وطلب هوشينو صحن نودلز زيادة مع حساء خضروات.

«أمضيت وقتاً ممتعاً في المكتبة»، قال ناكاتا، «لم أكن أعلم أن هناك أنواعاً كثيرة إلى هذا الحدّ من القطط في العالم».

«لم نستطع العثور على الحجر، لكن لا مشكلة»، قال له هوشينو، «ما زلنا في البداية، فلننم جيداً الآن، ونرَ ماذا سيحمل لنا الغد».

عادا صباح اليوم التالي إلى المكتبة. ومرة أخرى بحث هوشينو في مجموعة كبيرة من الكتب. في حياته لم يقرأ هذه الكمية من الكتب. بات بوسعه الآن التحدّث كالعارفين عن تاريخ شيكوكو. كما اكتشف أن الناس على مرّ العصور عبدوا أنواعاً شتى من الأحجار. ومع هذا - فإن مواصفات حجر المدخل هذا - لم يجدها. وبحلول العصر بدأ رأسه يؤلمه، فغادرا المكتبة، ورقدا طويلاً على مقعد في حديقة محدّقين في الغيوم التي تمضي ببطء في السماء. دخّن هوشينو، ورشف ناكاتا شايه الساخن من الترموس.

«سترعد مرة أخرى غداً»، قال ناكاتا.

«هل تعني أنك سوف تجعلها ترعد؟».

«لا، ناكاتا لا يمكنه ذلك. الرعد يأتي وحده».

«الحمد لله»، قال هوشينو.

عادا إلى النزل، وأخذا حماماً، ثم ذهب ناكاتا إلى السرير وسرعان ما غطّ في النوم. بينما جلس هوشينو يشاهد مباراة بايسبول على التليفزيون بصوت خفيض، كان فريق «جاينتس» يهزم فريق «هيروشيما» بعنف، فسئم من المباراة وأطفأ التلفزيون. لم يكن يشعر بالنعاس بعد، وشعر

---

(2) أكلة يابانية من أسماك مقلية صغيرة بالخضروات.

بالعطش، فخرج ووجد حانة، وطلب كوباً كبيراً من الجعة، ومعه طبق من شرائح بصل. كان يفكر في التودّد إلى شابة تجلس قريباً منه، ثم فكر أنه ليس الوقت ولا المكان المناسبين لذلك. فغداً صباحاً عليه البحث مجدداً عن الحجر الضائع.

انتهى من الجعة، واعتمر قبعة الشونيشي دراجونز، وغادر ليتسكع في الجوار. ليست تاكاماتسو من أجمل المدن التي يمكن زيارتها، استنتج، لكنه استمتع بالسير على هواه في مكان يزوره للمرة الأولى. لطالما استمتع بالسير على أي حال. واضعاً سيجارة مارلبورو بين شفتيه، ويديه في جيبيه. دلف من شارع إلى آخر، ومن حارة إلى أخرى. وعندما فرغ من سيجارته بدأ يصفر. مرّ بنواحي حيّة ومزدحمة، وأخرى مهجورة يسيطر عليها هدوء قاتل. لكن هذا لم يجعله يغيّر إيقاع سيره. فهو شاب وافر الصحة، حرّ، ولا يخشى شيئاً.

كان يمشي في حارة ضيّقة مليئة بحانات ونوادي الكاريوكي التي بدا وكأنما ستتغير أسماؤها خلال ستة أشهر، حين وصل إلى بقعة مظلمة ومهجورة، فسمع أحدهم يصيح به «هوشينو! هوشينو!».

في البداية لم يصدق أذنيه. فلا أحد يعرفه في تاكاماتسو - فظن أنه لا بدّ يقصد هوشينو آخر. لم يكن اسمه شائعاً، لكنه لم يكن نادراً كذلك. فلم يلتفت نحو الصوت واستمر في المشي. لكن الشخص المجهول ظل يتبعه وينادي عليه باسمه.

توقف هوشينو والتفت وراءه، ليجد رجلاً عجوزاً قصير القامة يلبس بدلة بيضاء. شعر أشيب، نظارتان جدّيتان، شارب ولحية قصيرة أبيضان، وقميص أبيض وربطة عنق. بدا يابانياً، ولكن مظهره كله كان أشبه بجنتلمان ريفي من الجنوب الأمريكي. لم يكن يتعدى طوله المتر ونصف المتر، لكنه بدا أشبه بتمثال مصغّر أو نسخة مصغّرة عن رجل، أكثر من كونه مجرد شخص قصير. كان يرفع يديه إلى الأمام وكأنه يحمل صينية.

«سيد هوشينو»، قال العجوز بصوت واضح لطيف اللكنة.
حدق هوشينو بالرجل مذهولاً.
«نعم، أنا هو فعلاً، أنا الكولونيل ساندرس[3]».
«أنت تشبهه تماماً»، قال هوشينو مبهوراً.
«لا أشبهه فحسب، بل أنا هو، الكولونيل ساندرس».
«رجل الدجاج المقلي؟».
أومأ العجوز مؤكداً، «بشحمه ولحمه».
«حسناً، ولكن كيف تعرف اسمي؟».
«دائماً أطلق على مشجعي فريق الشونيشي دراجونز اسم هوشينو. وأسمّي مشجعي «جيانتس» الأصلي باسم ناجاشيما».
«حسناً، لكن هوشينو هو اسمي الحقيقي فعلاً».
«محض صدفة»، صاح العجوز، «لا تلمني على ذلك».
«ماذا تريد إذن؟».
«ألا تريد واحدة من فتياتي؟».
«آه، فهمت»، قال هوشينو، «أنت قوّاد. ولهذا ترتدي مثل هذه الملابس».

«يا سيد هوشينو، لا أعرف كم مرة سأضطر إلى تكرار ذلك، لكنني لا ألبس مثل أحد. أنا الكولونيل ساندرس. كن واثقاً من هذا الأمر، اتفقنا؟».

«حسناً.. ولكن إذا كنت حقا الكولونيل ساندرس، فما الذي تفعله هنا بالعمل قواداً في الحواري الخلفية في تاكاماتسو؟ أنت مشهور، ولا بدّ من أنك تعيش ملكاً من رسوم السماح باستخدام اسمك وحده، يجب أن تكون الآن في مكان في أمريكا تتبختر على حمام

---

(3) كولونيل ساندرس أو هيرلاند ديفيد ساندرس (9 سبتمبر 1890– 16 ديسمبر 1980) مؤسس مطاعم كنتاكي للدجاج المقلي أو كنتاكي فرايد تشيكن.

السباحة وتستمتع بتقاعدك. ما قصتك إذن؟».

« هناك نوع من الدوامة تربط العمل في العالم ببعضه البعض».

«دوّامة؟».

«قد لا تكون عالماً بها، لكن هكذا نحصل على ثلاثة أبعاد. بسبب الدوامة الالتفافية. إذا أردت عالماً لطيفا ومستقيماً طوال الوقت، فعليك العيش في عالم مرسوم بالمسطرة».

«أنت غريب جداً، أتعرف هذا؟»، قال هوشينو. «ولكن يبدو أن حظي هذه الأيام أن ألتقي العجائز غريبي الأطوار. المزيد من هذا ولن أعود قادراً على تمييز رأسي من رجلي».

«ربما يحدث هذا فعلاً يا سيد هوشينو، ولكن لم تقل لي، ما رأيك في فتاة جميلة؟».

«أتعني واحدة من اللائي نراهن في غرف التدليك؟».

«غرف التدليك؟ ما هي هذه؟».

«تعرفها، تلك الأماكن التي لا يسمحون لك فيها بالممارسة الكاملة، لكنهم يمصّون لك ويجعلونك تقذف بأيديهم بلا إيلاج وإخراج».

«لا، لا»، قال الكولونيل ساندرس وهو يهز رأسه بغضب. «ليس هذا أبداً. بناتي يفعلن الشيء كله - مصّ وكل شيء، بما في ذلك الطريقة القديمة التي تتضمن الإيلاج والإخراج».

«عرفت، أنت تقصد أرض الصابون إذاً[4]».

---

(4) أرض الصابون - Soapland أو سوبيراندو باليابانية: نوع من الدعارة حيث يستحم الرجال مع العاهرات. وتتميز تلك الأماكن بأن منطقة عمل النساء تتكون من حجرتين، إحدهما صغيرة بأريكة وسرير صغيرين والأخرى حجرة استحمام كبيرة، وغالبا ما يغسل الرجل أسنانه ويستحم، ثم يرقد على سرير هوائي بينما تقوم المرأة بتغطية جسدها كله ببلسم ناعم وتنزلق بجسدها إلى أعلى وأسفل على جسد الرجل، ويعد هذا من أرقى أنواع الإيروتيكية ولهذا تعد أرض الصابون من أكثر أنواع الدعارة كلفة في اليابان.

«أرض ماذا؟».

«لا تهزأ بي. . . حسناً؟ أنا بصحبة صديق، ولدينا عمل غداً باكراً. ولا وقت لدي الليلة لهذه المسخرة».

«ألا ترغب في فتاة إذن؟».

«لا فتاة، ولا دجاج مقلياً، سأعود لأنال قسطاً من النوم».

«ولكن قد لا تستطيع النوم بهذه السهولة؟»، قال كولونيل ساندرس بأسلوب العارف بالأمور، «عندما يبحث الشخص عن شئ ما ولا يجده، فغالباً ما يجافيه النوم».

وقف هوشينو مشدوهاً يحدق في الرجل، «يبحث عن شيء ما؟ وكيف عرفت أنني أبحث عن شيء ما؟».

«واضح من مظهرك. أنت شخص صادق بالفطرة. وكل ما تفكر فيه يظهر جليّاً على وجهك. كسمكة الأسقمري المجفّفة المقسومة إلى نصفين- كل ما يجول في رأسك يراه الجميع».

«فرك هوشينو خدّه بطريقة غريزية، ثم فرد يده أمام عينيه ونظر إليها، لكنه لم يرَ فيها شيئاً. كله جليّ على وجهي ؟».

«إذن؟»، قال الكولونيل ساندرس وهو يرفع إصبعه إلى أعلى من باب التأكيد «هل ما يصادف أنك تبحث عن شيء صلب ومستدير؟».

عبس هوشينو وقال، «دعك من هذا أيها العجوز ، من أنت؟ وكيف تعرف هذا؟».

«قلت لك - كله مكتوب على وجهك. ألا تفهم؟»، قال الكولونيل ساندرس وهو يهز إصبعه. «لم أستمر في هذه التجارة طوال السنوات الماضية فقط لأنني أتمتع بصحة جيدة. إذن، ألا ترغب في فتاة حقاً؟».

«إنني أبحث عن حجر ما، يدعى حجر المدخل».

«أعرف هذا».

«حقاً؟».

«أنا لا أكذب. ولا أمزح. أنا رجل صريح، لا أحب اللف والدوران».

«أيمكنك إذن أن تخبرني بمكانه؟».

تنحنح الكولونيل ساندرس وعدل نظارته السوداء على وجهه، «هل أنت واثق من أنك لا تريد فتاة؟».

«إن أخبرتني بمكان الحجر، سأفكّر في الأمر»، أجابه هوشينو متشككاً.

«عظيم، تعال معي». ومن دون أن ينتظر رده، استدار وانطلق بهمّة في الحارة.

هرع هوشينو ولحق به. «أنت أيها الكولونيل العجوز، لا أحمل سوى حوالى 25,000 ين».

فرقع الكولونيل ساندرس بلسانه وهو يجدّ في سيره. «إنه أكثر من كاف. تستطيع الحصول به على فتاة جديدة، على حسناء في التاسعة عشرة. وستقوم لك بكل شيء - مص وعشرة وإيلاج وإخراج، وكل ما تتمناه. وبعدها سأقدّم لك العرض المجاني- سأخبرك كل شيء عن الحجر».

«يا الله»، شهق هوشينو.

27

عند الساعة الثانية وسبع وأربعين دقيقة ألاحظ أن الفتاة هنا- بكّرت قليلاً عن الليلة الماضية. هذه المرة بقيت صاحياً أنتظرها. وفيما عدا الرمش من حين لآخر، لم أغمض عيني مرة واحدة. ظننت أنني متيقظ تماماً، ولا أعرف كيف فوّتّ مجدداً لحظة ظهورها.

كانت ترتدي نفس الفستان الأزرق الفاتح وتجلس في المكان نفسه. رأسها بين يديها. وتحدّق بصمت في لوحة «كافكا على الشاطئ». وأنا أحدّق فيها منقطع الأنفاس. أنا وهي واللوحة، ثلاثي الغرفة الصامت. هي لا تملّ من النظر إلى اللوحة، وأنا لا أملّ من النظر إليها. المثلث الثابت. ثم يحدث شيء غير متوقع بتاتاً.

«آنسة سايكي»، أسمع نفسي أقول. لم يكن في نيتي أن أناديها، ولكن تتملّكني الفكرة وتتحول فجأة إلى كلمات. صوتي أقرب إلى الهمس، لكنها تسمعه، وينهار أحد جوانب المثلث. ربما كنت أتمنى في سرّي انهياره - لا أعرف.

تنظر نحوي. لكن لا يبدو أنها تحاول أن تراني. ما زال رأسها بين يديها بينما تدير وجهها بهدوء. وكأن شيئا ما- لا تعرف كنهه - قد حرك الهواء بخفة شديدة من حولها.

لا أدري ما إذا كانت تراني أم لا، لكني أريدها أن تراني، أصلي لكي تلاحظني وتعرف أنني موجود، «آنسة سايكي»، أكرر ندائي. لا

أستطيع منع نفسي من التفوّه باسمها. قد يرعبها صوتي فتغادر ولا تعود ثانية أبداً. سيكون ذلك رهيباً. لا. ليس رهيباً. هذا ليس ما أقصده. مُدمِّر أقرب كلمة يمكن أن تصف ما أقصده. فإذا ذهبت ولم تعد، سأخسر كل ما لدي إلى الأبد. كل المعنى وكل الاتجاه. كل شيء. أدرك ذلك لكنني أجازف وأنادي اسمها. وبصورة تلقائية، يستمر لساني وشفتاي بتكرار اسمها.

تكف عن النظر إلى اللوحة. إنها تنظر إليّ، أو على الأقل أصبح ضمن مجال رؤيتها. من حيث أجلس لا يمكنني رؤية تعبيرات وجهها. الغيوم تتحرك في الخارج وشعاع القمر يتراقص. لا بدّ من أن الريح تعصف الآن، لكنى لا أسمعها.

«آنسة سايبكي»، أكرّر، مدفوعاً بقوة طارئة، إلزامية، وطاغية.

ترفع رأسها عن يديها، وترفع يدها اليمنى أمامها وكأنها تشير لي ألا أقول المزيد. ولكن هل هذا ما تريد أن تقوله حقا؟ فقط لو أستطيع التقدّم منها والتحديق في عينيها، لأرى فيمَ تفكر الآن، وأي مشاعر تعتمل في داخلها. بمَ تحاول أن تخبرني؟ إلامَ تشير؟ اللعنة، أتمنى لو أعرف. ولكن تلك الظلمة الظلماء، ظلمة قبيل الساعة الثالثة مباشرة، تطيح كل أمل بهذا. تضيق أنفاسي. أغمض عيني. أشعر حمل الهواء الثقيل في صدري، وكأنني ابتلعت سحابة هواء دفعة واحدة. أفتح عينيّ بعد ثوان، فأجدها قد تلاشت. كل ما تبقى كرسي شاغر. ينزلق ظل غيمة على الجدار فوق المكتب.

أنهض من السرير، وأتجه إلى النافذة وأنظر إلى السماء الليلة. وأفكر في الوقت الذي لا يمكن أن يستعاد. أفكر في الأنهار، في المدّ والجزر والغابات والمطر والبرق والصخور والظلال. كل هذه الأشياء في داخلي.

•

عصر اليوم التالي، يأتي محقّق بوليسي إلى المكتبة. أكون وحيداً في

غرفتي فلا أعرف بقدومه. يطرح المحقّق على أوشيما الأسئلة نحو 20 دقيقة ثم يغادر. ثم يأتي أوشيما إلى غرفتي ويخبرني بالأمر.

«جاء محقق من قسم الشرطة يسأل عنك»، يقول أوشيما، ثم يأخذ زجاجة مياه غازية من الثلاجة، وينزع غطاءها ويصب الماء في كوب ثم يشرب.

«وكيف عرف أنني هنا؟».

«لقد استخدمت الموبايل، موبايل والدك».

أتذكّر وأومئ. تلك الليلة التي صحوت فيها ووجدت نفسي مغطى بالدم في الغابة وراء ذلك المعبد، واتصلت بساكورا. «أجل، مرة واحدة فقط».

«تحققت الشرطة من سجل المكالمات وتتبعوك إلى تاكاماتسو. عادةً، لا يدخل ضباط الشرطة في التفاصيل، لكنني أقنعته أثناء الدردشة بأن يخبرني كيف تتبعوا المكالمة. يمكنني دوماً أن أستخدم سحري لو أردت. وأخبرني سراً أيضاً أنهم لم يتوصلوا إلى معرفة الشخص الذي اتصلت به، لا بدّ من أنها بطاقة مسبقة الدفع. على كلّ، إنهم يعرفون أنك جئت إلى تاكاماتسو، وبحثوا في كل الفنادق، ووجدوا أن فتى يُدعى كافكا تامورا، تنطبق عليه أوصافك، نزل في فندق في المدينة، بتدبير خاص مع «جمعية الشبان المسيحيين»، وأنه غادر يوم 28 مايو، أي يوم مقتل والدك نفسه».

على الأقل لم تصل الشرطة إلى ساكورا. أشعر بالامتنان لهذا. لقد تسببت لها بإزعاج كاف.

«وتذكّر مدير الفندق أنك استفسرت عن مكتبتنا. أتذكّر أن مساعدته اتصلت بنا لتتأكد من أنك تأتي إلى هنا حقا؟».

أومئ.

«وهكذا جاءت الشرطة إلى هنا». يشرب أوشيما من المياه الغازية. «بالطبع كذبت. أخبرت المحقق أنني لم أرك منذ يوم 28.

وأنك كنت تأتي كل يوم ولم تعد منذ ذلك اليوم».

«قد يوقعك هذا في مشكلات».

«لو لم أفعل هذا لكنت الآن في مأزق كبير».

«لكنني لا أريد أن أورّطك معي في الأمر».

يقطّب أوشيما جبينه ويبتسم، «لم تدرك بعد، أليس كذلك؟ لقد ورّطتني بالفعل».

«أجل، أعتقد ذلك».

«دعنا لا نتجادل في الأمر، اتفقنا؟ ما حدث قد حدث، والحديث عنه الآن لن يفيدنا في شيء».

لا أعلّق..

«على أي حال ترك المحقق بطاقته وطلب مني أن أتصل به فوراً إذا رأيتك مجدداً».

«هل أنا مشتبه فيه؟».

يهزّ أوشيما رأسه ببطء، «أشك في ذلك، لكنهم يعتقدون أنك قادر على مساعدتهم في التوصل للقاتل. لقد ظللت أتابع الأمر في الصحف، التحقيقات لم تصل إلى شيء، وبدأ صبر الشرطة ينفد. لا بصمات، ولا خيوطاً لحل الجريمة، ولا شهوداً. أنت الخيط الوحيد لديهم. مما يفسّر سعيهم الحثيث للعثور عليك. وأبوك رجل شهير كذلك، وجريمة مقتله تملأ شاشات التلفزة والصحف. أي أن الشرطة لن تقف هكذا مكتوفة اليدين».

«ولكن إذا اكتشفوا أنك كذبت عليهم، فلن تعود شهادتك لصالحي مقبولة - وبالتالي لم يعد لديّ حجة غياب. وقد يعتقدون أنني القاتل».

يهز أوشيما رأسه ثانية. «الشرطة اليابانية ليست بهذا الغباء يا كافكا، صحيح أنهم يفتقرون إلى الخيال، لكن لا تعوزهم الكفاءة. أنا متأكد أنهم تحققوا من قوائم المسافرين من طوكيو إلى شيكوكو. لا

أدري إن كنت تعلم بهذا لكن لديهم كاميرات تصوير على جميع بوابات المطارات، ليصوروا كل المسافرين، وهم الآن يعلمون أنك لم تكن في طوكيو وقت الحادث. إن تبادل المعلومات في اليابان دقيق جداً، صدقني. إذن فالشرطة لا تعدّك مشتبهاً فيه، ولو كانوا يحسبونك مشتبهاً فيه لكانوا أرسلوا ضابطاً من وكالة الشرطة الوطنية، وليس محققاً من قسم الشرطة المحلية. ولكانوا استجوبوني لساعات، وكان سيكون من المستحيل أن أكذب عليهم. كل ما يريدونه هو بعض المعلومات عن الحادث».

منطقي جداً كلامه هذا.

«على أي حال، من الأفضل أن تتوارى لفترة، قد تكون الشرطة الآن تقوم بتمشيط المنطقة بحثاً عنك. كان المحقّق يحمل صورة لك. نسخة من الصورة الرسمية في المدرسة الثانوية. لا أستطيع أن أقول إنها تشبهك كثيراً، فأنت تبدو فيها مجنوناً حقاً».

كانت تلك الصورة الوحيدة التي تركتها ورائي. كنت دوما أتحاشى التصوير، ولكن تلك الصورة لم تكن اختيارية.

«قال المحقق إنك كنت مشاغباً في المدرسة. وانك وأصدقاؤك في الفصل تورطّتم في بعض الأحداث العنيفة، وأنه تم توقيفك ثلاث مرات».

«مرتان فقط. ولم يوقفوني عن الدراسة، فقط عوقبت رسمياً» أشرح له الأمر. أتنفّس بعمق، ثم أخرج الهواء ببطء، «مررت بهذا. أجل».

«تفقد السيطرة على نفسك؟»، يقول أوشيما.

أومئ.

«وتؤذي الآخرين؟».

«لا يكون هذا قصدي، ولكن كأن شخصاً آخر يعيش في داخلي. وعندما أعود إلى طبيعتي، أجدني قد أذيت شخصاً ما».

«إلى أي مدى تصل الأذية؟»، يسأل.

أتنهّد. «لا شيء مهماً. لا كسور في العظام أو تحطيم أسنان أو ما شابه».

يجلس أوشيما على السرير، يتربع ويرفع شعره عن جبهته. يرتدي بنطالاً أزرق فاتحاً وقميص بولو أسود وينتعل «أديداس» أبيض، «يبدو لي أنه لديك الكثير من المشكلات لتتعامل معها».

الكثير من المشكلات. أنظر إليه، «أليس لديك منها؟».

يشيح أوشيما بيديه في الهواء، «ليست بهذه الكثرة. ولكن هناك مشكلة أساسية. بالنسبة إلي، وأنا فيزيائياً داخل هذا الجسد - هذه الحاوية الناقصة- فإن القضية الأساس أن أنجو يوماً من بعد يوم. قد يكون أمراً سهلاً، أو بالغ الصعوبة، الأمر كله يعتمد على نظرتك للأمور. وفي الحالين، حتى وإن سارت الأمور جيداً، لا يعد هذا إنجازاً عظيماً. فلن يهلل لي أحد أو شيئاً كهذا».

أصمت برهة، ثم أسأله «ألا تفكر أبداً في الخروج من هذه الحاوية؟».

«أتقصد أن أغادر جسدي فيزيائياً؟».

أومئ.

«رمزياً؟ أم واقعياً؟».

«أياً منهما».

يرفع أوشيما شعره إلى الوراء بيد، أتصوّر تروس المحرّك تحت جبهته الشاحبة تعمل بأقصى سرعتها، «أترغب أنت في هذا؟».

آخذ نفساً، «أوشيما، أقول لك الحق أنا لا أحب الحاوية التي علقت بها. لم أحبها قط. أكرهها، في الحقيقة. وجهي، يداي، دمي، جيناتي... أكره كل ما ورثته عن أبويَّ. لم أرغب في شيء قط سوى أن أفرَّ من هذا كله، مثل الفرار من البيت».

يحملق فيَّ ويبتسم، «لديك جسد لطيف بعضلات. ولا يهم ممن ورثته، فأنت وسيم حقاً. ربما تكون أكثر تفرّداً من كونك وسيماً. لكنك

لست بشعاً. على الأقل أنا معجب بشكلك. أنت ذكي وسريع. وعضوك جميل أيضاً. أحسدك عليه. ومما لا شك فيه أن أسراباً من البنات سيقعن عند قدميك، ولهذا لا أرى سببا لعدم رضاك عن حاويتك».

أَحْمَرُّ خجلاً.

«حسناً، أظن أن هذا كله خارج الموضوع»، يواصل أوشيما، «لست مولعاً بحاويتي. وكيف لي أن أرضى عن هذا الجسم من الدرجة الثالثة؟ إنه غير ملائم تماماً، أقول لك. وبرغم هذا، بالداخل هنا، هذا ما أفكر فيه: لو عكسنا القشرة الخارجية والجوهر، بمعنى آخر أن نعتبر القشرة الخارجية هي الجوهر، والجوهر هو القشرة الخارجية، فقد يسهل علينا أكثر أن نفهم حياتنا».

أحدق بيديَّ، مفكراً في الدم الذي يجري فيهما، كيف أحسُهما لزجتين. أفكر في جوهري، وفي قشرتي. جوهري أنا، محاطاً بالقشرة التي هي أنا. إلا أن هذه الفكرة تذهب بعيداً: ما كل هذا سوى دم.

«وماذا عن الآنسة ساييكي؟»، أسأله.

«ماذا تقصد؟».

«أتعتقد أن *لديها* مشكلات عليها التعامل معها؟».

«الأفضل أن تسألها بنفسك»، يجيبني.

عند الثانية، أحمل كوباً من القهوة على صينية إلى الآنسة سايكي في الأعلى، حيث تجلس إلى مكتبها. وكالمعتاد، على المكتب أوراق كتابة وقلم حبر، لكن القلم ما زال في غطائه. يداها على المكتب، وهي غائبة تحدّق في الفراغ. لا تنظر إلى شيء محدّد، فقط تحدّق في الفراغ. تبدو مرهقة. النافذة خلفها مفتوحة، ونسيم أول الصيف يحرّك الستائر البيضاء المنسدلة بنعومة. يبدو المشهد لوحة جميلة في قصة.

«شكراً لك»، تبادرني حين أضع كوب القهوة على مكتبها.

«تبدين مرهقة قليلاً».

تومئ. «أظن أنني أبدو أكبر من عمري حين أكون مرهقة».
«إطلاقاً، تبدين رائعة، كالمعتاد».
تبتسم «بالنسبة إلى سنّك، فأنت تعرف كيف تجامل امرأة».
يَحْمَرُّ وجهي.
تشير الآنسة سايكي إلى كرسي، نفس كرسي الأمس. أجلس.
«أنا معتادة على الإرهاق، ولكن لا أعتقد أنك كذلك».
«أظن لا».
«حين كنت في الخامسة عشرة لم أكن أشعر بالإرهاق أيضاً، بالطبع»، ترفع كوب القهوة وترشف رشفة، «كافكا، ماذا ترى بالخارج؟».
أنظر إلى خارج النافذة. «أرى الأشجار والسماء وبعض الغيوم. وبعض الطيور على الأغصان».
«لا شيء خارجاً عن المألوف، أليس كذلك؟».
«صحيح».
«ولكن إذا علمت إنك ربما لن ترى هذا ثانية غداً، فسيبدو لك كل شيء خاصاً وغالياً، أليس كذلك؟».
«أظن هذا».
«ألم تفكر في هذا من قبل؟».
«بلى».
ترتسم نظرة دهشة على محياها، «متى؟».
«عندما أحبّ».
تبتسم ابتسامة واهنة تستمر على شفتيها. ويذكرني هذا في كيف يبدو الماء المنعش عندما يرش على الأرض في يوم صيفي.
«هل أنت مغروم؟».
«أجل».
«ووجهها وكل كيانها يبدو لك مميزاً وغالياً، كلما رأيتها؟».

«صحيح. وأفكر أنني قد أفقده».

تنظر الآنسة سايكي لي طويلاً، وتتلاشى ابتسامتها بالتدريج. «تخيل طائراً يقف على غصن رفيع»، تقول، والغصن يتمايل مع الريح، وكلما تمايل الغصن يتبدَّل مجال رؤية الطائر. أتدري ما أعنيه؟".

أومئ.

«حين يحدث هذا، في ظنِّك كيف سيتكيّف الطائر؟».

أهزّ رأسي، «لا أعرف.»

«يحرك رأسه إلى أعلى وأسفل، ليتمايل مع الغصن. في المرة القادمة عندما تشتد الريح، تأمّل الطيور جيداً. أقضي وقتاً طويلاً وأنا أنظر من هذه النافذة. ألا تظن أن هذا النوع من الحياة مرهق؟ أن تظل تحوّل رأسك كلما مال الغصن الذي تقف عليه؟».

«أظن ذلك».

«أما الطيور فتعتاد على الأمر. إنها فطرتها. لا تفكّر فيه، بل تقوم به، ولهذا فهو ليس مرهقاً كما نظن نحن. لكنني بشر، ولست طيراً، ولهذا أحياناً يكون هذا مرهقاً».

«أأنتِ على غصن في مكان ما؟».

«بطريقة ما. . وأحيانا تكون الريح شديدة». تضع الكوب على طبقه، وتنزع الغطاء عن قلمها الحبر.

هذه إشارتي. فأنهض. «آنسة سايكي، أود أن أسألك شيئاً».

«شيئاً شخصياً؟».

«أجل، وقد يكون خارج الموضوع أيضاً».

«لكنه مهم؟».

«بالنسبة إلي، نعم».

تعيد وضع القلم على المكتب، وعيناها تترقرقان بلمعان محايد بعض الشيء، «وهو كذلك».

«هل لديك أطفال؟».

تأخذ نفساً وتحبسه بداخلها. يتراجع وجهها إلى مكان بعيد، ثم يعود، وكأنه موكب استعراضي يختفي في الشارع ثم يعود ليسير في نفس الشارع نحوك مرة ثانية.

«ولماذا تريد أن تعرف؟».

«إنه أمر شخصي. لكنه ليس مجرد خاطر عابر».

ترفع قلمها المون بلان الرفيع وكأنها تفحص سماكته ووزنه، ثم تعيده إلى المكتب، وتنظر لأعلى، «أنا آسفة، لا أستطيع أن أجيبك بنعم أو لا. على الأقل الآن. أنا مرهقة الآن والريح شديدة بالخارج».

أومئ. «آسف، ما كان يجب أن أسأل».

«لا عليك، أنا لا ألومك»، تقول برقة، «شكراً على القهوة. أنت تعد قهوة ممتازة».

أغادر وأهبط إلى غرفتي في الطابق السفلي. أجلس على سريري وأحاول أن أقرأ، ولكن لا يبدو أن شيئاً يدخل إلى دماغي. أشعر أنني أحملق في جدول من الأرقام العشوائية، فقط أتابع الكلمات بعينيّ. أضع الكتاب، وأذهب إلى النافذة وأنظر إلى الحديقة. ثمة طيور على بعض الأغصان، إنما لا رياح. أأنا واقع في حب الآنسة سايكي حين كانت في الخامسة عشرة من عمرها؟ أم انني أحب الحقيقية، الآنسة سايكي الخمسينية الموجودة في الطابق الأعلى؟ لم أعد أعرف شيئاً. أغمض عينيَّ وأحاول العثور على محور ما في داخلي لأتشبث به.

ولكن، أتعرف. إنها مصيبة. كل يوم، وفي كل مرة أرى وجهها، كل مرة *أراها* فيها، يكون يوماً ثميناً تماماً.

28

بالنسبة إلى رجل في مثل سنه كان الكولونيل ساندرس يمشي بخفة وبسرعة مشّاء متمرِّس. وبدا أنه يعرف كل خرم إبرة في المدينة. فقد هبط سلالم مظلمة ضيقة، وانعطف من الطرق الجانبية، لينفذ من الممرات الضيقة ما بين المنازل. قفز فوق بركة مياه، وبإشارة آمرة قصيرة هشَّ كلباً كان ينبح خلف سياج من النباتات. كانت قامته الضئيلة تهرول داخل البدلة البيضاء كروح قلقة تبحث عن موطنها في الأزقة الخلفية للبلدة. وكان هوشينو يبذل كل ما في وسعه لكي يلحق به، وما لبث أن انقطع نفسه، وبدأ العرق ينضح من تحت أبطيه. ولم يلتفت الكولونيل ساندرس إلى الخلف مرة واحدة ليتأكد من أن هوشينو يتبعه.

«ألم نقترب حتى بعد؟»، صاح هوشينو وقد نفد صبره.

«عمَّ تتحدث أيها الشاب الصغير؟ أتسمى هذا سيراً؟» أجاب الكولونيل ساندرس من دون أن ينظر خلفه أيضاً.

«أجل، لكنني زبون. أتتذكر؟ ما الذي سيحدث لشهيتي الجنسية إذا خارت قواي؟».

«يا للعار! وتسمي نفسك رجلاً؟ إذا كان القليل من المشي سيبدد رغبتك، فليس لديك ما تبدأ به أيضاً».

«يا إلهي»، تمتم هوشينو.

دخل الكولونيل ساندرس إلى شارع جانبي آخر، ثم طريق

رئيسي، متجاهلاً تماماً إشارات السير. ثم تجاوز جسراً وانعطف منه إلى معبد. يوحي منظره بأنه معبد كبير نسبياً، غير أن الوقت كان متأخراً ولم يكن هناك أحد غيرهما. أشار الكولونيل ساندرس لهوشينو بالجلوس على مقعد خشبي أمام مقام المعبد. كان هناك مصباح بجانب المقعد، وكان المكان مضاءً كأنه النهار. نفّذ هوشينو الأمر، وجلس الكولونيل ساندرس بجانبه.

«أنت لن تجعلني أفعلها هنا. أليس كذلك؟»، سأله هوشينو بتوتر.

«لا تكن غبياً. نحن لسنا كالغزلان التي تحوم حول المعابد وتفعلها فيها. لن أجعلك تفعلها في معبد. من تحسبني على أي حال؟». ثم أخرج موبايلاً فضي اللون من جيبه وطلب رقماً من ثلاثة أرقام. «أجل، أنا»، قال عندما رد الطرف الآخر. «المكان المعتاد. المعبد. لديّ شاب اسمه هوشينو هنا معي. نعم. . . نفس المعتاد. نعم، فهمت، فقط تعالي على وجه السرعة». أغلق التليفون وأعاده إلى جيب بذلته البيضاء.

«هل تتصل بالفتيات من هذا المعبد دائماً؟».

«هل من مشكلة في هذا؟».

«لا، ليس فعلاً، فقط كنت أحسب أنه لا بدّ من وجود مكان أفضل من هذا. مكان. . . . . عادي أكثر؟ مقهى، أو غرفة فندق؟».

«المعبد مكان هادئ. والهواء هنا جاف ونقي».

«هذا صحيح، لكن انتظار فتاة على مقعد أمام مقام معبد- يجعل الاسترخاء صعباً. أشعر وكأنني سأقع ضحية إحدى تعاويذ أرواح الثعالب[1] هذه أو ما شابه».

«ما الذي تقوله؟ أنت لا تسخر من شيكوكو الآن؟ أليس كذلك؟

---

(1) الثعالب مادة شائعة في الفولكلور الياباني، حيث تصوّرها القصص ذكية تمتلك قدرات سحرية تزداد بتقدمها في السن واكتسابها المزيد من الحكمة.

تاكاماتسو مدينة محترمة- إنها عاصمة الإقليم، في الحقيقة. وليست مجرد أرض قفر بعيدة عن المدن. ليس لدينا هنا ثعالب».

«حسناً، حسناً، كنت أمزح فحسب... لكنك تعمل في هذا المجال، وكنت أظن أن من واجبك أن تقلق بشأن *الجو*. أتفهم ما أقصده؟ شيء ترفيهي يضعك في المزاج المناسب. لا أعرف، ربما لا يكون هذا من شأني».

«معك حق. هذا ليس من شأنك»، ردد الكولونيل ساندرس ببطء، «والآن بخصوص الحجر...».

«نعم! الحجر.... أخبرني عنه».

«بعد أن تفعل هذا الشيء. بعدها سنتحدث».

«فعل الشيء مهم. أليس كذلك؟».

أومأ كولونيل ساندرس بجديّة مرتين، وهو يحك لحيته، «هذا صحيح. إنه نوع من الشكليات الذي يتوجّب عليك القيام به. ثم سنتحدث عن الحجر. أنا متأكد أنك ستسر بهذه الفتاة. إنها الأفضل بين البنات، صدر ريّان، وبشرة كالحرير. خاصرة مدورة، حارة ورطبة أينما شئت، آلة جنس طبيعية. لو تحدثنا بلغة السيارات، إنها سيارة أربعةط أربعة في السرير، بطارية رغبة توربينيّة، قدمك أنت على المسرع، عصا السرعة العارمة في يدها هي، تنعطف، تغير هي السرعة بِوَلَه، فتنطلق أنت في حارة السرعة و... بانج! أنت هناك، هوشينو مات وذهب للنعيم».

«أنت شخصية عجيبة، أتعرف هذا؟»، قال هوشينو بإعجاب.

«كما قلت لك، أنا لست في هذا المجال لأنني أتمتع بصحة جيدة».

وصلت البنت بعد 50 دقيقة، وكان الكولونيل ساندرس محقاً- كان جمالها ساحقاً. تنورة ضيقة، كعب عال أسود، حقيبة كتف صغيرة

لامعة. كان يمكنها بسهولة أن تصير عارضة أزياء. وصدر عارم أيضاً، يبرز من بلوزتها القصيرة.

«أتفي بالغرض؟»، سأل كولونيل ساندرس.

كان هوشينو عاجزاً عن النطق، فأومأ برأسه ببساطة. «إنها آلة جنس بحق، يا هوشينو، أحرز هدفاً باسمك»، قال الكولونيل ساندرس، مبتسماً للمرة الأولى. ثم صفع هوشينو على مؤخرته.

قادت الفتاة هوشينو إلى فندق حب قريب، حيث ملأت البانيو، ثم تعرَت سريعاً ثم عرَته وغسلت له كل جسده بحرص، ثم راحت تلعقه وتلحسه بلسانها بطريقة فنية تماماً، وتفعل به ما لم يره أو يسمع به طيلة حياته. لم يكن في وسعه أن يفكر في أي شيء سوى أن يقذف، وبالفعل، قذف.

«يا الله، كان هذا خيالياً، لم أشعر بشيء كهذا من قبل» قال هوشينو، وهو يغطس في البانيو الساخن شاعراً بوهن لذيذ.

«هذه مجرد بداية»، قالت الفتاة، «انتظر حتى ترى ما ينتظرك».

«أجل، لكن كان هذا رائعاً».

«إلى أي حدّ؟».

«كأنه لم يعد هناك ماض أو مستقبل».

«الحاضر الصرف ليس إلا تقدّم خفي لماض يلتهم المستقبل. في الحقيقة، ما الحسيّات سوى ذكرى بالفعل».

نظر هوشينو لأعلى وفمه نصف مفتوح، وحدق فيها، «ما هذا؟».

«هنري بيرغسون[2]»، أجابت وهي تلعق المني من رأس عضوه.

«مامي مو ميميلاي».

«عذراً؟».

(2) الفيلسوف الفرنسي.

«المادة والذاكرة. ألم تقرأ هذا الكتاب؟».

«لا أعتقد»، أجاب هوشينو بعد برهة. فيما عدا دليل سائقي قوات الدفاع الذي أجبروه على دراسته - وكتب تاريخ شيكوكو التي تصفحها لتوه في المكتبة - لم يستطع أن يتذكر أنه قرأ شيئاً غير المانجا[3].

«أقرأته أنتِ؟».

أومأت الفتاة، «عليَّ أن أقرأه، أنا طالبة في كلية الفلسفة، والامتحانات قريبة».

«بالله عليك»، قال هوشينو، «وهذه وظيفة مؤقتة؟».

«لدفع المصاريف».

أخذته إلى السرير، وجعلت تتلمس كل نواحي جسده بأناملها ولسانها، حتى انتصب مجدداً. وقف وقفة حاسمة مثل برج بيزا وقت المهرجان.

«أترى، ها أنت مستعد مرة أخرى» علّقت الفتاة، منتقلة برويّة إلى مجموعة نغمات أخرى في سيمفونيتها. «ألديك أي طلبات خاصة؟ شيء تريدني أن أفعله؟ طلب مني السيد ساندرس أن ألبّي لك كل طلباتك».

«لا أستطيع أن أفكر في أي شيء خاص، ولكن هل لك أن تحكي المزيد من هذه الأمور الفلسفية؟ لا أعرف لماذا أرغب فيها، لكنها قد تبطئ القذف عندي. وإلا فسوف أفقد السيطرة وأقذف سريعاً».

«لنرَ إذن. . . . هذا قديم بحق، ولكن ما رأيك في بعض من هيجل؟».

«أياً كان».

(3) المانجا: الكلمة اليابانية للدلالة على الكوميكس والقصص المصورة.

«أنصحك بهيجل، إنه قديم نوعاً ما لكن القديم يحلو».

«يبدو جيداً لي».

«في نفس الوقت الذي أكون «أنا» فيه ماهية علاقة، «أنا» أيضاً الذي أفعل العلاقة».

«مممم».

«كان هيجل يرى أن وعي الشخص بالذات ليس منفصلاً عن وعيه بالشيء ، ولكنه يصير من خلال انعكاس الذات عبر تأمل الشيء قادراً -إرادياً - على اكتساب فهم أعمق للذات. وهذا كله يمثل الوعي بالذات».

«لا أفهم شيئاً مما تقولينه».

«لنر، فكر في ما نفعله الآن. بالنسبة إلي أنا، *أنا* الذات *وأنت* الشيء. أما بالنسبة إليك، فالأمر بالطبع العكس تماماً- الذات *أنت* والشيء *أنا*. وبتبادل الذات والشيء، يمكننا أن نتجلى في النهاية وبالتالي نكتسب الوعي بالذات. إرادياً».

«مازلت لا أفهم، لكنه بالتأكيد يمنحني إحساساً جيداً».

«وهذا هو المطلوب»، قالت الفتاة.

بعد هذا ودّع الفتاة وعاد إلى المعبد، حيث كان الكولونيل ساندرس جالساً على المقعد تماماً حيث تركه.

«أكنت تنتظر هنا طيلة الوقت؟»، سأله هوشينو.

هزّ الكولونيل ساندرس رأسه بحنق، «أيبدو أنني أمتلك كل وقت الفراغ هذا أيها المأفون؟ لا. لقد عدت للعمل في الحواري الخلفية بينما كنت أنت تبحر في النعيم. وقد اتصلت بي عندما انتهيتما وأسرعت إلى هنا. إذن، كيف كانت آلتنا الجنسية الصغيرة؟ أراهن أنها كانت ممتازة».

«كانت مذهلة. لا شكاوى. قذفت ثلاث مرات. *إرادياً*. لا بدّ من أنني فقدت خمسة أرطال».

«يسرني سماع هذا، والآن، بخصوص الحجر...».

«نعم. لهذا أتيت إليك».

«في الحقيقة، الحجر في الغابة هنا، في هذا المعبد».

«هل تقصد حجر المدخل؟».

«نعم حجر المدخل».

«هل أنت واثق من أن هذا ليس من نسج خيالك؟»

انفجر الكولونيل ساندرس غاضباً، «ما الذي تقوله أيها التافه؟ هل كذبت عليك من قبل؟ هل كنت أنسج من خيالي حين قلت لك إنني سأحضر لك آلة جنس صغيرة مطواعة، ووفيت بوعدي مع أنها صفقة من الدرجة الثالثة، 15 ألف ين فقط، وتباهيت أنت بما يكفي لتقذف ثلاث مرات، ليس أقل من هذا. كل هذا وما زلت مرتاباً بي؟».

«لا تعقّد الأمور هكذا! أصدّقك بالطبع. كل ما في الأمر أنني أرتاب بعض الشيء حين تسير الأمور بسلاسة هكذا. يعني، فكر أنت فيها- أنا أسير في الشارع، ويناديني رجل ببدلة مضحكة، ويخبرني أنه يعرف أين الحجر، ثم أذهب معه، وأضاجع تلك الحسناء القاتلة».

«ثلاث مرات».

«أياً كان، أقذف ثلاث مرات، ثم تخبرني أن الحَجَر الذي أبحث عنه موجود هنا؟ هذا يربك أياً كان».

«ما زلت لا تفهم، أليس كذلك؟ نحن نتحدث عن كشف حجاب هنا»، قال الكولونيل ساندرس، مطرقعاً بلسانه. «كشف يقفز ما وراء الحياة اليومية. حياة بدون كشف ليست حياة على الإطلاق. ولست في حاجة سوى إلى الانتقال من منطق *الملاحظة*، إلى منطق *الفعل*. هذا هو الجوهر، هل لديك أدنى فكرة عما أقوله أيها الغبي العجل على الطبق الذهبي؟».

«الانعكاس والتبادل بين الذات والشيء. . .؟»، بدأ هوشينو بوجل.

«جميل، يسرني أنك بلغت هذا المستوى على الأقل. وهو المطلوب. تعال معي، وسيكون في وسعك تقديم احتراماتك لحَجَرك الغالي. عرض مغر، لك أنت خصيصاً».

29

أتصل بساكورا من هاتف المكتبة العمومي. أعرف أنني لم أتصل بها البتة منذ تلك الليلة في منزلها- فقط تركت ورقة صغيرة. فأشعر ببعض الحرج بسبب الطريقة التي غادرت بها. بعد أن تركت بيتها، ذهبت مباشرة إلى المكتبة، وأقلني أوشيما إلى الكوخ حيث مكثت لعدة أيام، ولم يكن في متناولي أي هاتف. ثم جئت لكي أعمل وأقيم في المكتبة، ملاقياً كل ليلة روح الآنسة سايكي الحية. وقد غرقت حتى النخاع في حب تلك الفتاة ذات الـ15 عاماً. حدثت أكوام من الأشياء الكافية لكي تشغل أيّ كان. لا أقصد أن أقدم الأعذار.

أتصل بها قرابة التاسعة ليلاً، فتردّ بعد ست رنّات.

«أين كنت مختفٍ طوال هذا الوقت؟»، تسألني باحتجاج.

«ما زلت في تاكاماتسو».

تصمت قليلاً، وأسمع في الخلفية صوت برنامج موسيقي في التلفزيون.

« بطريقة ما ما زلتُ حيّاً»، أضيف.

صمت. ثم ما يشبه تنهيدة راحة.

«ماذا قصدت بالاختفاء هكذا؟ لقد قلقت عليك، فعدت مبكرة ذلك اليوم، حتى أنني اشتريت لنا بعض الأشياء من السوق».

«أعرف أنه كان خطأ. حقاً. لكن كان عليّ أن أغادر. كان عقلي

مشوَّشاً وكان عليّ أن أبعد لكي أفكّر في كل شيء، وأحاول الوقوف على قدميَّ مرة أخرى. كان وجودي معك - لا أعرف كيف أصفه - لا أجد الكلمات».

«محفّز مبالغ فيه؟».

«بالضبط، لم أقترب إلى هذا الحدّ من فتاة من قبل».

«بلا مزاح؟».

« تعرفين، رائحة فتاة، ومثل هذه الأمور...».

«شيء قاس فعلاً أن تكون صغيراً، أليس كذلك؟».

«أظن ذلك»، أقول، «وما أخبار شغلك؟».

«مكان مجنون. لكنني أردت أن أعمل وأدّخر، فلا يحقّ لي أن أتذمّر».

أصمت لحظة ثم أخبرها أن الشرطة تبحث عني.

تصمت هي لفترة، ثم تقول بحذر: «بسبب حكاية الدم تلك؟».

أقرر أن أتراجع عن إخبارها بالحقيقة، «لا، ليس لهذا السبب، إنهم يبحثون عني لأني هربت من البيت. يريدون أن يمسكوا بي ويعيدوني إلى طوكيو، هذه كل الحكاية. لهذا ربما يتصلون بك. ذلك اليوم، ليلة بتّ عندك، اتصلت بك من موبايلي، وقد تتبعوا سجلات المكالمات وعرفوا أنني هنا في تاكاماتسو».

«لا تقلق إنها بطاقة مسبقة الدفع، لن يستطيعوا معرفة هويتي».

«أرحتني... لم أرد أن أتسبب لك في المزيد من المشكلات».

«يا حنون، ستفرّ الدمعة من عيني...».

«لا، أعني ما أقوله. هذا فعلاً ما أشعر به؟».

«أعرف»، تقول، وكأنها تفضّل ألا تقرّ بذلك، «وأين يقيم هاربنا الصغير هذه الأيام؟».

«عند شخص أعرفه سمح لي بالإقامة عنده».

«ومنذ متى تعرف أحداً في تاكاماتسو؟».

كيف أستطيع أن أوجز كل ما حدث معي خلال الأيام القليلة الماضية؟، «حكاية طويلة»، أجيبها.

«معك أنت الحكاية دائماً طويلة».

«لا أعرف لماذا، لكن هذا ما يحدث دائماً».

«لعلها نزعة فيك؟».

«أظن ذلك... سأحكي لك كل شيء يوماً ما عندما يتسنى لي الوقت. ليس الأمر أنني أخفي شيئاً. لكنني لا أعرف كيف اشرح كل شيء عبر الهاتف».

«لا مشكلة، كل ما أتمناه ألا تكون متورّطاً في مشكلة ما».

«لا، لا شيء من هذا. إنني بخير، لا تقلقي».

تتنهّد ثانية. «أفهم أنك تريد أن تدبّر أمورك بنفسك، فقط لا تتورّط في أمور غير قانونية. اتفقنا؟ لا شيء يستحق. لا أريد أن أراك تموت ميتة بائسة مثل بيلي ذي كيد [رجل العصابات الأمريكي]».

أصحّح لها «بيلي ذي كيد لم يمت مراهقاً، لقد قتل 21 شخصاً وتوفي في الحادية والعشرين».

«إذا كان هذا ما تقوله... على أي حال هل كنت بحاجة إلى شيء مني؟».

«كنت أريد أن أشكرك، وأن أعتذر منك لأنني رحلت هكذا بينما كنت لطيفة للغاية معي».

«شكراً، لكن لم لا ننسَ كل هذا؟ اتفقنا؟».

«وكنت في حاجة إلى سماع صوتك أيضاً».

«يسرني سماع هذا، ولكن ما الذي يفيدك به صوتي؟».

«لا أعرف كيف أقولها لك بالضبط... ربما يبدو هذا غريباً، لكنك تعيشين في العالم الحقيقي، تتنفسين هواء حقيقياً، وتقولين كلاماً حقيقياً. والتحدث معك يجعلني أشعر، في الوقت الراهن، أنني على اتصال بالواقع، وهذا فعلاً مهمٌّ لي الآن».

«والناس الذين تعيش معهم الآن أليسوا كذلك؟».

«لست متأكداً».

«ما تقوله إذن أنك تعيش الآن في مكان غير حقيقي مع أناس منفصلين عن الواقع؟».

أفكّر في هذا لبعض الوقت، «تستطيعين قول ذلك».

«كافكا أنا أعرف أنها حياتك أنت، ولا أريد التدخّل فيها، لكن يبدو لي أنه من الأفضل لك أن تغادر ذاك المكان. لا أعرف ما هو هذا المكان، لكنني أشعر أنه سيكون ذكاء منك لو رحلت. سمه حاسة سادسة، لمَ لا تأتي وتقيم عندي؟ ويمكنك البقاء قدر ما تشاء».

«لماذا أنت كريمة إلى هذا الحدّ معي؟».

«هل أنت مغفّل؟».

«ما قصدك؟».

«لأنك تعجبني ألا تفهم هذا؟ أنا أصلاً فضولية ، وأنا لا أفعل هذا مع أي كان. لكنني فعلت هذا لأنك تعجبني. فهمت؟ لا أعرف كيف أشرح لك، لكنني أشعر كأنك أخي الصغير».

للحظات أشعر بارتباك كامل، وحتى بدوار. لم يقل لي أحد مثل هذه الكلمات من قبل.

«ما زلت معي؟»، تسألني ساكورا.

«أجل»، أقول في النهاية.

«قل شيئاً إذن».

أعتدل في وقفتي وآخذ نفساً عميقاً، «ساكورا، كنت أودّ فعلاً أن أقيم معك، حقاً. لكنني غير قادر حالياً، كما قلت لك، لا أستطيع المغادرة حالياً. . إنني مغروم».

«مغروم بشخص معقّد، غير حقيقي؟».

«تستطيعين قولْ ذلك».

أسمع تنهّدها ثانية- تنهيدة طويلة من أعماق قلبها. «أتعرف؟ حين

يحبّ الفتية من أمثالك يكونون مشوّشين، وإذا كانت الفتاة التي تحبها منفصلة عن الواقع، فهذه مصيبة، أتفهمني؟».

«أجل أفهمك».

«كافكا؟».

«ممم؟».

«اتصل بي إذا حصل أي شيء؟ لا تتردد أبداً».

«أقدّر لك هذا».

أغلق الخط، وأعود إلى غرفتي، أضع أسطوانة كافكا على الشاطئ في مشغّل الاسطوانات وأخفض الإبرة. ومرة أخرى، شئت أم أبيت، شيء ما يأخذني بعيداً إلى ذلك *المكان*. ذلك *الزمان*.

أحسّ بحضورها وأفتح عيني. ظلام. تشير الأرقام الفلورسنت في المنبه الذي بجانبي إلى ما بعد الثالثة. لا بدّ من أنني غفوت. في الضوء الخافت الآتي من عامود الإضاءة في الحديقة أراها جالسة هناك. كعادتها تجلس إلى المكتب، محملقة في اللوحة على الحائط. بلا حراك، ورأسها على يديها. أظل في السرير، وأحاول بصعوبة ألا أتنفّس، بالكاد أفتح عينيّ، وأحدّق في ظلها. خارج النافذة يتلاعب نسيم البحر بأغصان القرانيا.

لكن بعد فترة أحسّ بشيء مختلف. شيء في الهواء يزعج التناغم الكامل في عالمنا الصغير. أكابد لكي أرى في العتمة. ماذا يكون؟ تزداد الريح شدة بين وقت وآخر، والدم الجاري في عروقي يأخذ في اللزوجة والثقل. ترسم أغصان القرانيا متاهة متشابكة على زجاج النافذة. أخيراً أفهم السرّ. الظلّ الذي أراه ليس ظل الفتاة الصغيرة. يبدو شبيهاً به. نسخة عنه. لكنه ليسا تماماً الظل نفسه. أشبه بلوحة منسوخة عن لوحة أخرى، مع إهمال بعض التفاصيل. تسريحة الشعر مختلفة مثلاً. وكذلك الملابس. حضورها بكامله مختلف. أهزّ رأسي عن غير قصد.

من تجلس هناك ليست الفتاة- إنها شخص آخر. شيء ما يحدث، شيء فائق الأهمية. أشدّ يديّ بقوة تحت الأغطية، وأشعر قلبي عاجزاً عن تحمل المزيد، يأخذ في النبض بقوة، في إيقاع عشوائي.

وكأن نبض قلبي هو الإشارة. يبدأ الظلّ الجالس على الكرسي في التحرك، وببطء شديد يغيّر اتجاهه كسفينة ضخمة تغيّر مسارها. تبعد رأسها عن يديها وتديره نحوي. أدرك بدايةً أنها الآنسة سايبكي. أبتلع ريقي ولا أحبس أنفاسي. إنها الآنسة سايبكي *الحاضر*، سايبكي *الحقيقية*. تنظر إليّ لفترة. تنظر بهدوء وتركيز مثلما تنظر إلى اللوحة، وترد الفكرة فجأة إلى خاطري- إنه محور *الزمن*. في مكان ما لا أعرف عنه شيئاً، شيء ما يحدث للزمن. يختلط الواقع والأحلام، مثلما تتدفق معاً مياه البحر والنهر. أحاول فهم معنى ذلك، ولكن الأمر برمته يبدو غير منطقي.

على الأقل تنهض على قدميها وتأتي ناحيتي. قامتها منتصبة كعهدها دائماً. إنها حافية، ألواح الأرضية تصدر صريراً تحت خطاها. تجلس على حافة السرير دون كلمة. وتظل ساكنة لفترة. لجسدها كثافة وثقل محددان. ترتدي بلوزة بيضاء حريرية وتنورة سماوية اللون تصل حتى ركبتيها. تمد يدها وتلمس رأسي. تمرّر أصابعها في شعري القصير. اليد حقيقية، وكذلك الأصابع. تعاود النهوض، وفي الضوء الواهي المنبعث من الخارج- وكأنها تفعل أمراً طبيعياً للغاية- تأخذ في خلع ملابسها. ليست في عجلة من أمرها، لكنها حاسمة، غير متردّدة. وفي حركة سلسة وطبيعية، تفك أزرار بلوزتها، وتنزل تنورتها ثم كيلوتها. تسقط ملابسها على الأرض قطعة بعد قطعة، ولا يصدر النسيج الناعم أي صوت. إنها نائمة، أدرك. عيناها مفتوحتان، ولكن لها مظهر السائر في المنام.

حين تتعرّى تماماً تنسلّ إلى السرير الضيق وتلفّ ذراعيها العاريتين حولي. تمسّ أنفاسها الدافئة رقبتي مسّاً حفيفاً، عانَتُها تلامس وركي،

لا بدّ أنها تحسبني حبيبها الميت منذ وقت طويل، ولذا تفعل ما اعتادا على فعله هنا في هذه الغرفة. نائمة تأتي بالحركات التي اعتادتها قبل وقت طويل.

أفكر أنني من الأفضل أن أوقظها، فهي ترتكب خطأ فظيعاً، وعليّ أن أُعلمها. هذا ليس حلماً- *إنها الحياة الحقيقية*. ولكن كل شيء يحدث بسرعة شديدة، وليس لدي القوة لأقاوم. أفقد توازني كلياً، أحسّ كأنني أغوص في دوامة من دوامات الزمان.

وتغوص في دوامة من دوامات الزمان.

وقبل أن تنتبه، يكون حلمها قد لفّ نفسه حول ذهنك. وبرقة ودفء كسائل المشيمة. تخلع الآنسة سايبكي قميصك، ثم كيلوتك. وتقبل رقبتك مرات ومرات، ثم تمد يدها وتمسك عضوك، الذي ينتصب بقوة كالبورسلان. وتلامس برقّة خصيتيك، وتقود أصابعك بصمت إلى عانتها. فرجها دافئ ورطب. تقبّل صدرك، وتمص حلمتيك. وتغوص أصابعك داخلها على مهل.

أين تبدأ مسؤوليتك هنا؟ ماحياً السديم عن ناظريك، تصارع لترى أين أنت حقاً. تحاول أن تجد اتجاه التيار، تكابد لكي تمسك بمحور الزمان. لكنك لا تستطيع الوقوف عند الحد الفاصل بين الحلم والحقيقة. أو حتى بين ما هو حقيقي وما هو ممكن. كل يقينك أنك في موقف حرج. حرج وخطير. شيء ما يجرك بعيدا عنه، عاجزاً عن تحديد أسس النبوءة، أو المنطق. كالنهر يفيض، يمحو المدينة، وتغرق علامات الطرق تحت الأمواج، وكل ما يمكنك رؤيته الأسطح المجهولة للبيوت الغارقة.

وجهك إلى أعلى، وتعتليك الآنسة سايبكي. تدخل عضوك الصخري إلى داخلها. إنك قليل الحيلة، وهي التي تختار. تتلوّى فوقك كأنها تقتفي صورة ما بجسدها. ينسدل شعرها الناعم على كتفيك ويهتزّ بنعومة كأغصان الصفصاف. شيئاً فشيئاً تغوص في الطمي الدافئ. يصير

العالم كله دافئاً، ورطباً، وغائباً، وكل ما هو موجود عضوك المصمت الرطب. تغمض عينيك ويبدأ حلمك أنت. من الصعب تحديد مرور الوقت. يأتي المدّ ويعلو القمر. وما تلبث أن تقذف. ليس في وسعك منع هذا. تقذف وتقذف مرات ومرات في داخلها. الجدران الدافئة بداخل فرجها تجمع سائلك. كل هذا فيما هي نائمة بعينيها المفتوحتين على وسعهما. إنها في عالم آخر، وإلى هناك تذهب بذورك- تبذر في مكان متفرّق.

يمر وقت طويل. لا أستطيع أن أتحرك. كل جزء في مشلول. أو ربما أنا فقط لا أرغب في التحرك. تهبط عني وترقد بجانبي. بعد فترة تنهض، تلبس كيلوتها، وترفع تنورتها وتزرر بلوزتها. تمرّر يدها ثانية على شعري. كل هذا يحدث دون أن تقول كلمة واحدة. لم تقل شيئاً منذ أن دخلت إلى الغرفة. الصوت الوحيد هو صرير ألواح الأرضية، وهبوب الرياح في الخارج بلا انقطاع، وزفير الحجرة وارتعاش زجاج النافذة. كورس خلفي.

تسير، وهي لا تزال نائمة، عبر الحجرة وتغادر. الباب موارب، لكنها تنزلق من ذلك الشق الصغير كسمكة رقيقة حالمة. ينغلق الباب في صمت. أشاهدها من مكاني على السرير، ما زلت غير قادر على الحركة. لا أستطيع حتى أن أحرّك إصبعاً. شفتاي مختومتان. والكلمات هاجعة في ركن من أركان الزمان.

ما زلت عاجزاً عن الحركة، راقداً في السرير، محاولاً سماع أي شيء. يخيّل لي أنني سأسمع هدير سيارة الجولف في المرأب. لكنني لا أسمع شيئاً مهما أصخت السمع. ترفع الريح السحب عاليا ثم تشتتها. ترتعش أغصان القرانيا. وتتوهج في الظلام سكاكين لا تحصى. النافذة نافذة قلبي، والباب باب روحي. أرقد هناك مستيقظاً حتى مطلع الفجر، محملقا في الكرْسي الشاغر.

30

تسلقا الحافة المنخفضة إلى الغابات. أخرج الكولونيل ساندرس مصباحاً صغيراً من جيبه وأنار الممر الضيق. لم تكن الغابة عميقة جداً، بيد أن العتمة تظلّل الأغصان المتشابكة للأشجار العملاقة بالغة القدم في الأعلى. ضوع العشب يهبّ قوياً من أعماق الأرض.

قاد الكولونيل ساندرس الطريق، متمهلاً في خطاه هذه المرة، منيراً المصباح ليتأكد من محط قدميهما، خاطياً خطوة بعد أخرى بحرص وتروٍّ.

مشى هوشينو وراءه مباشرة. «أيها العم، هل هذا اختبار في الشجاعة أم ماذا؟»، قال مخاطباً ظهر الكولونيل ساندرس الأبيض، «يا ماما عفريت!».

« لِمَ لا تخرس ولو من باب التغيير؟»، أجابه الكولونيل ساندرس من دون أن يلتفت إليه.

«حسناً، حسناً...». فجأة تساءل هوشينو في سرّه عن أحوال ناكاتا الآن. من المحتمل أن يكون لا يزال نائماً. وكأن صفة «نوم عميق» وجدت فقط لتصف طريقته في النوم. أي أحلام يحلم أثناء هذا النوم المحطم للأرقام القياسية. لم يستطع هوشينو أن يتخيل تلك الأحلام، «هل وصلنا؟».

«تقريباً،» أجابه الكولونيل ساندرس.

«قل لي...».

«ماذا؟».

«هل أنت فعلاً الكولونيل ساندرس؟».

تنحنح الكولونيل ساندرس، «ليس تماماً. إنني أستعير مظهره مؤقتاً».

«هذا ما ظننته... ومن تكون إذن؟».

«لا اسم لي».

«وكيف تسير دون اسم؟».

«لا مشكلة في هذا. أساساً أنا بلا اسم ولا شكل».

«يعني أنت ضرطة مثلاً؟».

«يمكنك أن تقول هذا. بما أنه لا شكل لي، أستطيع أن أكون ما أريده».

«هه...».

«وهذه المرة قررت أن أتخذ شكلاً مألوفاً، شكل رأسمالي شهير. كنت أفكّر في ميكي ماوس، ولكن ديزني حريصة جداً في ما يتعلق بحقوق الملكية الفكرية لشخصياتها».

«لا أظن أنني أرغب في أن يكون ميكي ماوس قوّادي».

«مفهوم طبعاً».

«كما أن ثياب الكولونيل ساندرس تليق بشخصيتك».

«لكنني بلا شخصية. أو مشاعر. *ربما أتخذ شكلاً، ربما أتحادث، لكنني لست إلهاً ولا بوذا، لي بالأحرى كيان بارد يختلف قلبه عن قلب الإنسان*».

«ما هذا...؟».

«إنه من *حكايات ضوء القمر والمطر* لأيودا أكيناري. أشك في أن تكون قد قرأته».

«لقد نلت مني».

«إنني أظهر الآن في هيئة آدمية، لكنني لست إلهاً ولا بوذا. وقلبي يعمل على نحو مختلف عن قلوب البشر لأنه ليس لدي أحاسيس. هذا هو المعنى».

«ممم.. لست واثقا من أنني أفهمك، ولكنك تقول إنك لست بشرياً ولا إلهاً ولا بوذا أيضاً، صحيح؟»

«لست إلهاً ولا بوذا، مجرد كيان بارد. وبالتالي لا يهمني إطلاقاً خير الإنسان ولا شره».

«يعني؟»

«بما أنني لست إلهاً ولا بوذا، فلا أحتاج إلى أن أحكم ما إذا كان الناس أخياراً أم أشراراً، وهكذا لا أُضطر إلى التصرف وفقاً لمعايير الخير والشر».

«بمعنى أخر أنت موجود ما وراء الخير والشر».

«أنت طيب جداً. أنا لست *ما وراء الخير والشر*، بل إنني لا أعبأ بهما. ولا فكرة لدي عما هو الخير وما هو الشر. أنا كائن نفعي، محايد، وكل ما يعنيني إتمام المهمة الموكلة إليّ».

«*إتمام المهمة*؟ ما الذي يعنيه هذا؟».

«ألم تتعلّم في المدرسة؟».

«بلى. لقد ذهبت إلى الثانوية، لكن التجارية. وقضيت معظم وقتي على الدراجات النارية».

«أنا أشبه المراقب، أشرف على شيء ما لكي أتأكد من أنه يقوم بدوره الأصلي. أتحقق من العلاقات بين العوالم المختلفة، وأطمئن إلى أن كل شيء يسير وفق النظام الصحيح، حتى تتبع النتائج المسببات ولا تختلط المعاني ببعضها البعض. حتى يأتي الماضي قبل الحاضر، ويليهما المستقبل. قد تخرج الأشياء عن النظام بعض *الشيء*، وهذا لا بأس به. فلا شيء كاملاً. بيد أن كل ما يهمني بصورة أساسية أن تبقى دفاتر الحسابات متوازنة.. أقول لك الحق، أنا شخصياً لا تهمني

التفاصيل كثيراً. والمصطلح الفني لهذا الأمر هو **اختصار المسار الحسي للمعلومات المتواصلة**، لكنني لا أريد أن أشغلك بكل هذا. هذا أمر يطول شرحه، وأنا أعرف أنه يفوق قدرتك على الفهم. وكلمة أفضل من عشرة، ما أعنيه أنني لا أشكو من كل تفصيل صغير. وبالطبع لو لم تكن الحسابات موزونة في النهاية فعندها تحدث مشكلة. فأنا الذي أتحمل المسؤولية في النهاية».

«لدي سؤال لك. إذا كنت شخصاً مهماً إلى هذا الحدّ، فكيف أصبحت قوّاداً في أزقة تاكاماتسو؟».

«أنا لست شخصاً. حسناً؟ كم مرة على أن أعيد عليك هذا حتى تفهم؟».

«على راحتك...».

«القوادة مجرد حجة لكي آتي بك إلى هنا. فأنا في حاجة إلى مساعدتك في أمر ما، وفكرت أن أمنحك مكافأة مقابل ذلك وأجعلك تقضي وقتا ممتعاً. إنها مثل مجاملة علينا القيام بها».

«مساعدتي في أمر ما».

«مثلما شرحت لك من قبل، أنا بلا مظهر، أنا كيان ميتافيزيقي مفهومي، بوسعي اتخاذ أي مظهر، لكنى أفتقر إلى الجوهر، ولكي أتمكّن من تأدية عمل حقيقي أحتاج إلى شخص لديه جوهر لكي يساعدني».

«وفي هذا الوقت بالذات يصادف أن هذا الجوهر هو أنا».

«تماماً».

يواصلان سيرهما البطيء، حتى يصلا إلى معبد صغير تحت شجرة سنديان كثيفة. معبد قديم ومتهدّم دونما مذبح ولا أي شكل من أشكال الزّينة.

يسلّط الكولونيل ساندرس ضوء مصباحه على المعبد. «الحجر هنا بالداخل، افتح الباب».

«مستحيل!»، ردّ هوشينو، «لا يفترض بنا أن نفتح أبواب المعابد

كما يحلو لنا. ستحل عليّ اللعنة، فيقع أنفي من وجهي مثلاً».

«لا تقلق. قلت لك لا بأس، هيا تفضّل وافتحه. لن تحلّ عليك لعنة، وسيظل أنفك وأذناك كما هما. يا إلهي، أنت فعلاً من الطراز القديم».

«ولِمَ لا تفتحه أنت إذن؟ أنا لا أودّ أن أتورّط في هذا».

«كم مرة سأشرح لك!؟ لقد قلت لك من قبل إنني بلا جوهر. أنا مفهوم مجرّد. لا أستطيع أن أفعل شيئاً بنفسي. ولهذا تحملت معاناة جرّك إلى هنا، وجعلتك تفعل ذلك الشيء ثلاث مرات بسعر مخفّض».

«يا رجل، صحيح كانت مذهلة... لكن أن نسرق معبداً؟ مستحيل! كان جدّي ينصحني دوماً ألا أعبث بالمعابد، وكان شديد الصرامة في هذا الشأن».

«انسَ جدك. ولا تتفلسف عليّ بأخلاقك القروية الساذجة من إقليم جيفو. حسناً؟ لا وقت لدينا لهذه الترّهات».

دون أن يكف عن الارتعاش، فتح هوشينو باب المعبد، وسلّط الكولونيل ساندرس ضوء مصباحه إلى داخله. وبالطبع، كان هناك حجر مستدير قديم. تماماً كما وصفه ناكاتا، كان في حجم كعكة أرزّ كبيرة، حجر أبيض أملس.

«هذا هو؟»، سأله هوشينو.

«أجل»، أجابه الكولونيل ساندرس، «احمله خارجاً».

«على رسلك. هكذا ستكون سرقة».

«لا يهمّ. لن يلاحظ أحد اختفاء حجر كهذا، ولن يهتم أحد».

«أجل، لكن هذا الحجر يخص الربّ؟ وسيغضب إذا أخذناه».

طوى الكولونيل ساندرس ذراعيه على صدره ونظر لهوشينو مباشرة، «بالله عليك؟».

فوجئ هوشينو بالسؤال للحظة.

ضغط عليه كولونيل ساندرس أكثر. «وما هو شكل ربنا؟ وما الذي يفعله؟».

«لا تسألني أنا. ربنا هو ربنا. إنه في كل مكان، يراقب أفعالنا، ويحكم إذا كانت خيّرة أم شريرة».

«يبدو أنه حكم في مباراة كرة قدم».

«نوعاً ما، أظن ذلك».

«يعني ربنا يلبس سروالاً قصيراً ويضع صفارة في فمه وينظر في ساعة معصمه؟».

«أنت تعرف أن هذا ليس ما أقصده».

«وهل هناك قرابة بين ربنا الياباني والرب الأجنبي؟ أم أنهما عدوّان؟».

«وما أدراني أنا؟».

«اسمع- الرب موجود في عقول الناس. وفي اليابان تحديداً لطالما كان الرب مفهوماً مرناً. أنظر لما حدث بعد الحرب. أمر دوغلاس ماك آرثر[1] إمبراطور اليابان بأن يستقيل من وظيفة الرب. وقد فعل، وألقى خطبة يقول فيها إنه مجرد شخص عادي. وهكذا لم يعد يلعب دور الرب من بعد 1946. هكذا هم الأرباب اليابانيون- يمكن قرص أذنهم وتعديلهم. يجعجع أمريكاني يدخن غليوناً رخيصاً ويصدر أوامره، وها أنت ذا، يختفي الرب. شيء ما بعد حداثي جداً. إذا كنت تعتقد أن الرب موجود، فهو موجود، وإن لم تكن تعتقد بذلك، فهو غير موجود، وإذا كانت هذه حال الرب، فما كنت لأقلق بخصوصه لو كنت مكانه».

---

(1) دوغلاس ماك آرثر (1880- 1964) جنرال أمريكي لعب دوراً محوريا في الحرب العالمية الثانية، وقد أشرف على احتلال اليابان في الفترة من 1945 وحتى 1951، وينسب له القيام بالعديد من التغييرات الديمقراطية في البلاد.

«حسناً. . .».

«عموماً، احمل الحجر خارجاً فحسب وسأتحمل أنا المسؤولية كاملة. قد لا أكون إلهاً أو بوذا، لكن لدي علاقاتي، وسأحرص ألاّ تحلّ عليك أي لعنة».

«متأكّد؟».

«أنا لا أُخْلِفُ وعودي».

مدّ هوشينو يديه، وبحرص شديد كأنه يخرج من منجم، التقط الحجر، «ثقيل جداً».

«إنه ليس حلوى. الأحجار دائما ثقيلة».

«حتى بالنسبة إلى حجر، فهذا ثقيل جداً»، قال هوشينو، «ما الذي تريدني أن أفعله به الآن؟».

«خذه معك وضعه قرب سريرك، وبعد هذا سيسير كل شيء في مجراه الطبيعي».

«تريدني أن آخذه معي إلى الفندق؟».

«يمكنك أن تستقل سيارة أجرة إذا كان ثقيلاً عليك».

«أجل، لكن هل يصح أن آخذه من هنا هكذا؟».

«اسمع - كل شيء يتغيّر، الأرض والزمن والمفاهيم والحب والحياة والإيمان والعدل والشر - كلها مفاهيم سائلة متغيرة. لا تبقى على شكل واحد أو في مكان واحد. العالم كله أشبه بطرد فيد إكس كبير».

«إمممم».

«وهذا الحجر هناك، يتخذ مؤقتاً شكل الحجر. ولن يغيّر نقله شيئاً».

«وهو كذلك، ولكن ما هو المميز جداً في هذا الحجر؟ لا يبدو أن له قيمة معيّنة».

«الحجر في حدّ ذاته بلا معنى. الموقف هو الذي يستدعي شيئاً ما، وفي هذا الوقت بالذات صدف أنه هذا الحجر. لقد عبّر عن هذا

أنطون تشيخوف على أفضل نحو عندما قال: *إذا ظهر مسدس في قصة ما، فسيكون من الضروري في النهاية أن يطلق النار*، أتدري ماذا كان يقصد؟».

«لا».

تنهد الكولونيل ساندرس «كنت أعرف ذلك، لكن كان عليّ أن أسأل. من باب الأدب أقصد».

«أنا ممتنّ جداً».

«يقصد تشيخوف أن الضرورة مفهوم مستقل في حدّ ذاته. لها تكوين مختلف عن تكوين المنطق أو الأخلاق أو المعنى. وتكمن وظيفتها في الدور الذي تلعبه. وما لا يلعب دوراً لا يجب أن يكون موجوداً. وما تتطلبه الضرورة يجب أن يكون موجوداً. هذا ما تسميه فن صنع الدراما. أما المنطق والأخلاق والمعنى فليس لها أي يد في هذا الشأن. المسألة كلها مسألة تسوية علاقات. وقد فهم تشيخوف فن صنع الدراما بشكل جيد جداً».

«أنت تفوق مستواي بكثير».

«وهذا الحجر الذي تحمله هو مسدس تشيخوف. سيكون عليه أن يطلق النار. ومن هنا تأتي أهميته. لكنه لا ينطوي على ما هو مقدس أو إلهي. لذلك لا تقلق من أي لعنات».

قطب هوشينو جبينه، «هذا الحجر مسدس؟».

«بالمعنى المجازي فقط. لا تقلق- لن ينطلق منه الرصاص».
أخرج الكولونيل ساندرس قطعة من قماش فيروشيكي[2] من جيبه وناولها لهوشينو، «لفّه في هذه. من الأفضل ألا يراه أحد»

«قلت لك إنها سرقة!».

(2) فيروشيكي نوع من قماش التغليف الياباني التقليدي كان يستخدم غالباً في تغليق الأقمشة والهدايا والبضائع الأخرى.

«هل أنت أصمّ؟ هذه ليست سرقة، نحن في حاجة إلى هذا الحجر في أمر مهم، لذلك فإننا سنستعيره لبعض الوقت».

«حسناً، حسناً، فهمت. يعني حسب قواعد الدراما، نحن مجرد أدوات في يد الضرورة».

«بالضبط»، قال الكولونيل ساندرس مومئاً، «أرأيت، أنت فعلاً تفهم القصد».

حاملاً الحجر الملفوف في القماش الأزرق السماوي، سار هوشينو وراء الكولونيل في الممر خارجين من الغابات. كان الكولونيل ينير له الطريق ببطاريته. وكان الحجر أثقل بكثير مما بدا عليه فاضطر هوشينو إلى التوقف مرات عدة لكي يلتقط أنفاسه. خرجا سريعاً من أرض المعبد المضاءة جيداً، ثم إلى الشارع الرئيسي. أوقف الكولونيل ساندرس سيارة أجرة وانتظر حتى صعد إليها هوشينو مع الحجر.

«يعني يجب أن أضعه قرب وسادتي؟».

«صح.» قال الكولونيل ساندرس. «هذا كل ما عليك فعله، لا تحاول فعل شيء آخر، فقط أبقِ الحجر قربك».

«عليّ أن أشكرك لأنك دللتني على الحجر».

ابتسم الكولونيل ساندرس، «لا داعي لذلك، هذا واجبي. إنني أؤدي مهمتي. لكن ما رأيك في الفتاة يا هوشينو؟».

«لقد كانت مذهلة».

«يسرّني أنها أعجبتك».

«لكنها كانت حقيقية أليس كذلك؟ يعني لم تكن روح ثعلب ولا مفهوماً مجرداً؟».

«لا روحاً ولا مفهوماً، بل فتاة حقيقية، آلة جنس حيّة. سيارة 4ط4 حقيقية. لم يكن العثور عليها سهلاً، فاطمئنّ».

يتنهّد هوشينو الصعداء.

كانت قد تخطّت الواحدة بعد منتصف الليل حين وضع هوشينو الحجر الملفوف في القماش إلى جانب وسادة ناكاتا. ظن أن وضعها إلى جانب وسادة ناكاتا بدلا من وسادته سيقلل من احتمالات نزول اللعنة عليه. ومثلما توقّع، كان ناكاتا لا يزال نائماً كالخشبة كما في الأمثال. فك هوشينو القماش ليصبح الحجر مرئياً، ولبس بيجامته، وزحف إلى الفرشة الأخرى وغطّ فوراً في النوم. رأى حلماً واحداً سريعاً - ربٌّ يرتدي سروالاً قصيراً وله بطتا رجل مشعرتين، يهرول في ملعب، ويعزف على قيثارة.

في الخامسة فجراً، استيقظ ناكاتا من نومه ووجد الحجر قرب وسادته.

31

عند الواحدة ظهراً تماماً حمل القهوة إلى المكتب في الطابق الأول. الباب مفتوح كالعادة. الآنسة ساييكي تضع يدها على النافذة وتنظر إلى الخارج بسكون. غائبة في أفكارها، وغير واعية ليدها الأخرى التي تلعب أصابعها بأزرار بلوزتها. هذه المرة لا يوجد قلم أو أوراق على المكتب. أضع كوب القهوة على المكتب. طبقة رقيقة من السحب تغطي السماء. والطيور في الخارج صامتة من باب التغيير.

أخيراً تلاحظ وجودي فتعود من عالمها وتجلس إلى المكتب وتأخذ رشفة من القهوة. تشير لي بصمت أن أجلس على الكرسي. أجلس وأنظر إليها قبالتي وهى ترتشف قهوتها. هل تتذكر شيئاً مما حدث الليلة الماضية؟ لا أستطيع أن أجزم. تبدو وكأنها تعرف كل شيء، وفي الوقت نفسه كأنها لا تعرف شيئاً. يلمع في رأسي جسدها العاري، وأتذكّر إحساسي به. لست متأكداً حتى من أنه جسد المرأة التي تجلس قبالتي هنا. وفي الوقت عينه، أنا متيقن من أنها هي.

ترتدي بلوزة خضراء فاتحة ذات لمعة حريرية، وتنورة بيج ضيقة. وتتدلى من رقبتها سلسلة فضية رفيعة. تبدو غاية في الأناقة. أصابع يديها النحيفتين تتشابك بروعة على المكتب. «إذن، هل صرت تحب هذا المكان من العالم الآن؟»، تسألني.

«أتعنين تاكاماتسو؟».

«أجل».

«لا أعرف. لم أرَ الكثير منها، فقط مناظر قليلة على الطريق، هذه المكتبة، بالطبع، النادي الرياضي، المحطة، الفندق. . . أماكن كهذه».

«ألا تجدها مملة؟».

أهزّ رأسي. «لا أعرف بعد. لم يتسع لي الوقت لكي أملّ، والمدن متشابهة على كل حال، لمَ تسألين؟ أتظنين أنها مملّة؟».

تهزّ كتفها. «كنت أراها مملّة حين كنت صغيرة. كنت أتوق إلى الرحيل بعيداً. أن أرحل من هنا إلى مكان آخر، حيث ينتظرني شيء مميّز، وحيث سأقابل أناساً أكثر تشويقاً».

«أناس أكثر تشويقاً؟».

تهزّ رأسها برقة، «كنت صغيرة ومعظم الصغار لديهم هذا الشعور، على ما أظن. ألستَ كذلك؟».

«لا. لم أشعر أبداً أنني إذا ذهبت إلى مكان آخر سيكون هناك شيء مميّز في انتظاري. أردت فقط أن أكون في مكان آخر. أي مكان ما عدا هناك».

«هناك؟».

«نوغاتا، حي ناكانو، حيث ولدت ونشأت».

حين أنطق الاسم تلمع عيناها. على الأقل هذا ما بدا لي.

«وما دمتَ كنتَ راغباً فحسب بمغادرة ذاك المكان فلم تهتم إلى أين ستذهب؟».

«هذا صحيح، لم يكن مهماً إلى أين سأذهب. كان عليّ أن أرحل فحسب وإلا كنت واثقاً من أنني سأدمَّر تماماً».

تنظر ساهية إلى يديها الهاجعتين على المكتب. ثم تقول بهدوء شديد: «كان هذا إحساسي عندما رحلت من هنا في العشرين من عمري. كان عليّ أن أرحل لكي أنجو بنفسي. وكنت مقتنعة أنني لن أرى هذا المكان مرة أخرى طيلة حياتي. ولم أفكر في الرجوع قط،

ولكن حدثت أمور وها أنا ذا. وكأنني أبدأ كل شيء من جديد»، تستدير وتنظر من النافذة.

السحب التي تغطي السماء لا تزال على حالها، ولا رياح تذكر. المنظر كله يبدو ساكناً كلوحة خلفية في فيلم ما..

«أمور عجيبة لا يمكن تصديقها تحدث في الحياة»، تقول.

«أتعنين أنني قد أعود من حيث بدأت؟».

«لا أعرف. هذا عائد لك، في وقت ما في المستقبل. لكنني أعتقد أن مكان مولد الشخص أو مماته مهم جداً. لا يمكنك أن تختار أين تولد، لكنك تستطيع أن تختار أين تموت - إلى حدّ ما»، تقول كل هذا بصوت رقيق، وهي تحملق خارج النافذة وكأنها تتحدث إلى شخص مُتَخَيَّل في الخارج. تتذكر أنني موجود فتستدير ناحيتي، «إنني متحيّرة لِمَ اعترف بكل هذا لك أنت».

«لأنني لست من هنا، وفارق السن بيننا كبير جداً».

«أحسب أن هذا هو السبب».

لمدة عشرين أو ربما ثلاثين ثانية يشرد كل واحد منا في أفكاره الخاصة. تحمل فنجانها وترشف مجدداً.

أقرّر أن أكون مباشراً وأقول ما يجول في خاطري «آنسة سايكي، أنا أيضاً لديّ اعتراف أود قوله لك».

تنظر إليّ وتبتسم، «يعني نحن نتبادل الأسرار».

«ما أريد قوله ليس سراً. إنه مجرد نظرية».

«نظرية؟»، تكرر، «أتريد الاعتراف بنظرية؟».

«أجل».

«يبدو أمراً مشوّقاً».

«إنه استكمال لما كنا نتحدث عنه، أعني، هل عدت إلى هذه البلدة لكي تموتي هنا؟».

كقمر فضّي عند الفجر، ترتسم ابتسامة على شفتيها، «قد يكون

هذا صحيحاً. ولكن يبدو غير مهم ما إذا قصدت مكاناً لتموت فيه أو لتعيش فيه، حين تكون الأشياء التي تفعلها كل يوم متشابهة جداً».

«أتتمنين الموت؟».

«لا أعرف...»، تقول، «أنا لا أعرف نفسي».

«كان أبي يتمنى الموت».

«وهل مات؟».

«ليس منذ فترة طويلة»، أخبرها، «بل منذ وقت قصير جداً.»

«ولِمَ كان والدك يتمنّى الموت؟».

آخذ نفساً عميقاً. «لفترة طويلة لم أستطع أن أفهم. ولكن الآن أظن أنني فهمت. حين جئت إلى هنا، فهمت أخيراً».

«لماذا؟».

«كان أبي يحبّك، لكنه لم يستطع استعادتك. أو لعله من بداية الأمر أصلاً لم يستطع أن يجعلك له. أدرك هذا، ولهذا أراد أن يموت، ولهذا أيضاً أراد من ابنه- ابنك أنت أيضاً - أن يقتله. والذي هو أنا- بكلام آخر أرادني أن أنام معك ومع أختي الكبرى أيضاً. تلك كانت نبوءته، لعنته. وقد برمجها في داخلي».

تعيد الآنسة سايكي فنجان القهوة إلى الطبق على المكتب بصوت محايد، قاس. وتنظر إليّ مباشرة، لكنها لا تراني حقاً. إنها تحدق في فراغ ما. فضاء خاو في مكان آخر، «هل أعرف والدك؟».

أهزّ رأسي. «كما قلت لك. إنها مجرد نظرية».

تضع يداً فوق الأخرى على المكتب. وتبقي آثاراً واهية لابتسامة.

«بحسب نظريتك، إذن، أنا والدتك؟».

«هذا صحيح»، أجيبها، «لقد عشت مع أبي، وولدتني، ثم رحلت وتركتني، في الصيف، ما إن أتممت الرابعة».

«هذه نظريتك إذن».

أومئ.

«مما يفسر سؤالك لي بالأمس عما إذا كان لدي أطفال».

أومئ ثانية.

«وأخبرتك أنني لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال. لم أستطع أن أجيب بنعم أو لا».

«أعرف».

«فتبقى نظريتك مجرد فرضية إذن».

أومئ مجدداً، «هذا صحيح».

«أخبرني إذن، كيف مات والدك؟».

«قُتِل».

«لم تقتله أنت، أليس كذلك؟».

«لا، لم أقتله. لديّ حجة غياب».

«لكنك غير متأكّد تماماً».

أهزّ رأسي، «لستُ متأكداً على الإطلاق».

تحمل كوب القهوة مرة أخرى وتأخذ رشفة صغيرة، وكأن القهوة بلا طعم. «ولماذا أنزل والدك بك هذه اللعنة؟».

«لا بدّ من أنه أرادني أن أحقّق إرادته».

«أن ترغب فيّ، أهذا ما تعنيه؟».

«هذا صحيح»، أقول.

تحدق الآنسة سايبكي في الفنجان، ثم تنظر إليّ ثانية.

«وهل هذا صحيح، هل ترغب فيّ؟».

أومئ موافقاً بوضوح.

تغمض عينيها، أحدّق في جفنيها المغمضين طويلاً، يمكنني من خلالهما أن أرى الظلام الذي تراه. أشكال غريبة تطفو في العتمة ثم لا تلبث أن تختفي.

وأخيراً تفتح عينيها. «تعني أنك، نظرياً، ترغب فيّ».

«لا، بعيداً عن النظرية. أنا راغب فيك، وهذا يتجاوز كثيراً جميع النظريات».

«أترغب في ممارسة الجنس معي؟».

أومئ.

تزمّ عينيها وكأن شيئا ما يزعجهما. «أسبق لك أن مارست الجنس مع فتاة من قبل؟».

أومئ مرة أخرى. *الليلة الماضية* - معك، على ما أظن. لكنني لا أستطيع أن أقول هذا بصوت عال. فهي لا تتذكر شيئاً.

شيء ما أشبه بالتنهيدة يخرج من شفتيها. «كافكا، أعرف أنك تدرك هذا، إنك في الخامسة عشرة وأنا تجاوزت الخمسين».

«الأمر ليس بهذه البساطة. نحن لا نتكلم عن هذا النوع من الزمن هنا. أنا أعرفك حين كنت في الخامسة عشرة. وأنا واقع في حبّك حين كنت في تلك السن. إنني متيم بك. عبرها هي، أنا متيّم بك *أنت*. تلك الفتاة الصغيرة لا تزال في داخلك، نائمة في داخلك. ما إن تنامي *أنت* حتى تدبّ فيها الحياة. لقد رأيتها».

تغمض عينيها مجدداً. ويترعش جفناها بوهن.

«أنا أحبك وهذا هو المهم. أعتقد أنك تدركين هذا».

وكمن يظهر إلى سطح البحر من أعماقه السحيقة، تأخذ نفسا عميقاً. تروح تبحث عن كلمات، لكنها - الكلمات - أبعد من أن تصل إليها. «آسفة يا كافكا، أيمكن أن تغادر الآن؟ أود أن أكون وحدي قليلاً»، تقول، «واغلق الباب وأنت خارج».

أومئ. أنهض وأهمّ في الخروج. أستدير وأسير عبر الحجرة إلى حيث هي. أمدّ يدي وألمس شعرها. تمسّ يداي أذنها الصغيرة تحت خصلات شعرها. لا أستطيع أن أمنع نفسي.

ترفع آنسة سايكي نظرها، مندهشة، وبعد لحظات من التردد

تضع يدها على شعري، «في كل الأحوال، أنت - ونظريتك - ترميان إلى هدف بعيد جداً. أتعي هذا؟».

أومئ، «أعرف، ولكن يستطيع المجاز اختصار المسافة».

«نحن لسنا مجازاً».

«أعرف، لكن المجاز يساعد على إزالة الحاجز بيني وبينك».

تبتسم وهي تنظر إلى أعلى، «هذه أغرب عبارة عفوية سمعتها في حياتي».

«الكثير من الأشياء الغريبة تستمر في الحدوث- لكنني أشعر باقترابي من الحقيقة».

«تشعر باقترابك فعلياً من حقيقة مجازية؟ أم تقترب مجازياً من حقيقة فعلية. أم لعلهما يكملان بعضهما البعض؟».

«أياً منهما. لا أظن أنني قادر على تحمّل هذا الحزن الذي أشعر به الآن».

«وأنا أيضا لديّ هذا الشعور».

«لقد عدت إذن لكي تموتي».

تهزّ رأسها، «لأكون صادقة، لست أحاول أن أموت. بل أنتظر أن يأتي إليّ الموت فحسب. كالجلوس على مقعد في المحطة، في انتظار القطار».

«وهل تعرفين موعد وصول القطار؟».

تُبعد يدي عنها. وتلمس جفنيها بأناملها. «كافكا، لقد استنفدت قدراً كبير جداً من حياتي، واستهلكت نفسي هباءً. وكان عليّ في مرحلة ما من حياتي أن أكفّ عن العيش. لكنني لم أفعل. كنت أعرف أن الحياة عديمة الجدوى، لكنني لم أستطع الكف عنها، ولهذا انتهى بي الأمر إلى مراقبة الوقت فحسب، وهدره في مساع عبثية. وانقطع نَفَسي وأنا أؤذي نفسي، وهذا جعلني أؤذي المحيطين بي، ولهذا أُعاقب الآن، لأن لعنة حلّت عليّ. لقد كنت أملك شيئاً بالغ الكمال.

كان هذا ذات مرة، وبعدها، كل ما استطعت فعله أن أحتقر نفسي. وهذه هي اللعنة التي لا أستطيع الفرار منها. ولهذا لا أخشى الموت. وإجابة عن سؤالك، بلى، أنا أعرف بالتحديد متى سيحين الوقت».

مرة أخرى، أمسك يدها. كفتا الميزان تتأرجحان، وأي وزن ضئيل قد يغلّب إحداهما على الأخرى. يجب أن أفكّر. يجب أن أقرّر. عليّ القيام بخطوة متقدّمة، «آنسة سايكي، أترغبين في النوم معي؟».

«أتعني حتى لو كنت أملك في نظريتك هذه؟».

«كأن كل شيء حولي في تحوّل دائم، وكأن كل شيء مزدوج المعنى».

تمعن التفكير في هذا. «هذا لا ينطبق على حالتي، ومع ذلك، بالنسبة إلي، قد لا يكون هناك فارق كبير بين الأشياء، قد يكون الأمر شيئاً من قبيل إما كل شيء وإما لا شيء».

«وهل اخترتِ بينهما؟».

تومئ.

«هل تمانعين لو سألتك سؤالاً؟».

«عن ماذا؟».

«من أين أتيت بذينك التسلسلين الإيقاعيين؟».

«*التسلسلان*؟».

«في *كافكا على الشاطئ*».

تنظر إليّ. «أيعجبانك؟».

أومئ.

«وجدتهما في غرفة قديمة. بعيدة جداً. وكان حينها باب الحجرة مفتوحاً»، تقول برقّة، «غرفة بعيدة، بعيدة جداً». تغمض عينيها وتعود لتغرق في ذكرياتها، «كافكا، أغلق الباب وراءك»، تقول.

وهذا ما أفعله.

•

مساء، بعد أن نقفل المكتبة، يصحبني أوشيما إلى مطعم مأكولات

بحرية، بعيد إلى حدّ ما، وعبر نافذة واسعة فيه نرى البحر المظلم.
أفكر في الكائنات التي تعيش تحت الماء.

«أحيانا يجدر بالمرء أن يخرج ويتناول وجبة محترمة»، يقول لي، «استرخ، لا أظن أن الشرطة منتشرة في المكان. وكلانا يحتاج إلى تغيير المنظر قليلاً».

نأكل الكثير من السلطة، ونتقاسم طبق «بايلاّ- Paella»، «أتمنى أن أذهب إلى أسبانيا يوماً ما»، يقول أوشيما.

«ولماذا أسبانيا بالذات؟».

«لكي أحارب في الحرب الأهلية».

«لكنها انتهت منذ وقت بعيد».

«أعرف. مات لوركا، ونجا همينغواي»، يقول أوشيما، «وما زال يحق لي أن أذهب إلى إسبانيا وأن أكون جزءاً من الحرب الأهلية هناك».

«مجازاً؟».

«تماماً»، يقول، ويرمقني باستغراب، «كائن غير محدد الجنس يعاني من سيلان الدم ولم يخطُ خارج شيكوكو طيلة حياته، لن يذهب لكي يحارب حقاً في إسبانيا على ما أظن».

نقض على طبق البايلاّ، ونهضمه بالمياه الغازية.

«أمن تطورات جديدة في قضية أبي؟»، أسأله.

«لا شيء يذكر، باستثناء خبر التأبين في قسم الأخبار الفنّية، لم تعد الصحف تذكر شيئاً عن الأمر. لا بدّ من أن التحقيقات متعثرة. الحقيقة المحزنة أن عدد حالات القبض على الجناة في انخفاض دائم هذه الأيام تماماً كسوق الأسهم. أقصد أن الشرطة لا تستطيع حتى اقتفاء أثر الابن الذي اختفى».

«الشاب البالغ خمسة عشر عاماً».

«وصاحب سوابق في ممارسة العنف»، يضيف أوشيما، «الهارب الصغير الممسوس».

«وماذا عن تلك الحادثة التي هطلت فيها أشياء من السماء؟».

يهزّ أوشيما رأسه. «إنهم يأخذون استراحة من هذه القضية. فلم يسقط شيء غريب آخر من السماء. إلا إذا حسبت ذلك الرعد الاحتفالي الذي سقط علينا قبل يومين».

«الأمور استتبت إذن؟».

«يبدو هكذا. أو لعلنا فقط في عين العاصفة».

أومئ. وآخذ صَدَفَة محار وأنزع اللحم بالشوكة، ثم أضع القشر في طبق مليء بالقشور.

«أما زلت مغروماً؟»، يسألني أوشيما.

«وماذا عنك أنت؟».

«أتعني، إذا ما كنتُ مغروماً؟».

أومئ.

«بمعنى آخر أنت تتمادى وتسأل سؤالاً شخصياً عن الرومانسية اللا-اجتماعية التي تصبغ حياتي المثلية ذات الجنس المشوّش؟».

أومئ. ويستأنف هو.

«بلى لديّ شريك» يقرّ. وتظهر الجدّية على وجهه وهو يأكل محارة. «ليس حبا مشبوباً عاصفاً من النوع الذي تجده في أوبرا بوتشيني أو خلافه.. نحن نبقي على مسافة حذرة بيننا. ولا نخرج معاً كثيراً، لكننا نفهم بعضنا على مستوى أساسي وعميق».

«تفهمان بعضكما؟».

«حين كان هايدن يؤلف الموسيقى، كان يحرص دوماً على أن يكون في زيه الرسمي، لدرجة ارتداء الباروكة البيضاء».

أنظر إليه مندهشاً، «وما علاقة هايدن بما نتحدّث عنه الآن؟».

«لم يكن يؤلف الموسيقى جيداً ما لم يفعل ذلك».

«وكيف هذا؟».

«لا أعرف، هذا شأنه هو وباروكته، أمر غير قابل للشرح على ما أظن».

«قل لي، حين تكون وحدك، أتفكر أحياناً في شريكك وتشعر بالحزن؟».

«بالطبع»، يقول. «يحدث لي هذا أحياناً، حين يصير البدر أزرق، حين تتجه الطيور جنوباً، حين...».

«ولماذا *بالطبع*؟».

«كل من يعشق يكون في بحث عن أجزائه المفقودة من نفسه. ولهذا يحزن العاشق عندما يفكر في معشوقه. تماما كعودتك إلى غرفة عشت فيها ذكريات عزيزة عليك، ولم ترها منذ فترة طويلة. إنه مجرد شعور طبيعي، ولست أنت من اكتشفه، فلا، لا تذهب إلى الشهر العقاري لكي تسجّله باسمك، حسناً؟».

أضع شوكتي وأرفع نظري.

«غرفة عزيزة، قديمة وبعيدة؟».

«تماماً»، يقول أوشيما، ويلوّح بشوكته مؤكداً، «محض مجاز طبعاً».

تأتي الأنسة سايكي إلى غرفتي بعد التاسعة مساء تلك الليلة. أكون جالساً إلى المكتب أقرأ كتاباً، حين أسمع صوت سيارتها الجولف تتوقف في ساحة المرأب. أسمع صفق الباب. خربشة حذائها المطاطي على الحصى. وأخيراً يدق بابي. أفتحه، وها هي أمامي. هذه المرة، مستيقظة تماماً، مرتدية بلوزة حريرية ذات خيوط رفيعة، وبنطال جينز أزرق، وحذاء رياضياً أبيض. هذه هي المرة الأولى التي أراها فيها بالبنطال.

«لم أرَ هذه الغرفة منذ زمن بعيد»، تقول. تستند إلى الحائط وتنظر إلى اللوحة، «ولا هذه أيضاً».

«هل المكان المصوّر فيها قريب من هنا؟»، أسألها.

«هل تعجبك؟».

أومئ، «مَن الرَّسّام؟»

«فنان شاب أقام ذات صيف لدى عائلة كوميورا» تقول، «لم يكن مشهوراً، على الأقل حينذاك. لقد نسيت اسمه. لكنه كان ودوداً جداً وأظن أن لوحته جميلة. كنت أجلس إلى جانبه طوال الوقت وأراقبه وهو يعمل، مُدْلِيَةً باقتراحاتي المازحة فيما يرسم. كنا نتفق معاً. كان ذلك منذ وقت بعيد. كنت في الثانية عشرة، وكان الولد الذي في الصورة في الثانية عشرة أيضاً».

«يبدو كأنه البحر الذي هنا».

«لنتمش»، تقول، «سآخذك إلى هناك».

أسير معها إلى الشاطئ. نجتاز غابة صنوبر، ونسير على الشاطئ الرملي. تنفصل السحب ويلمع الضوء الساطع من نصف قرص القمر على الأمواج. أمواج صغيرة نادراً ما تبلغ رمل الشاطئ. تجلس على الرمل، وأجلس بجانبها. ما زالت الرمال دافئة ورقيقة.

وكما لو أنها تتأكد من الزاوية، تشير إلى مكان ما على طول الشاطئ. «هناك»، تقول، «لقد رسم ذلك المكان من هنا، وضع الكرسي القماش هناك، وأجلس الولد في الوضع الذي يريده ووضع حامل اللوحات هنا. أتذكر هذا جيداً. أترى موضع الجزيرة هو نفس موضعها في اللوحة؟».

أتبع إشارة يدها، وبالتأكيد هو المشهد عينه، لكن مهما حملقت في المنظر لا أشعر أنه يشبه ذاك الذي في الصورة. أخبرها بهذا.

«لقد تغيّر كلياً»، تجيب الآنسة سايكي. «فقد كان هذا قبل أربعين سنة خلت، والأشياء لا تبقى على حالها. هناك عوامل كثيرة تؤثر على الشاطئ؛ الأمواج والرياح والأعاصير. تذهب رمال ويأتي غيرها. ولكن هذا هوْ المكان بعينه. أَتَذَكَّر ما حدث هناك كأنه اليوم. كان ذلك الصيف الذي جاءتني فيه دورتي الشهرية الأولى أيضاً».

نجلس هناك متأمّلين المنظر أمامنا. تتحرك السحب ويسترسل شعاع القمر على صفحة البحر. تصفّر الرياح عبر غابات الصّنَوْبَر، وكأنها حشد من البشر يكنسون الأرض معاً. أغرف حفنة رمل وأدعها تنسلّ من بين أصابعي، تسقط على الشاطئ و كالزمن المفقود، تصير جزءاً منه. أكرر هذا مرّات ومرّات.

«بماذا تفكر؟»، تسألني الآنسة سايكي.

«في الذهاب إلى إسبانيا».

«وماذا ستفعل هناك؟».

«آكل بعض البايلاّ اللذيذة».

«فقط؟».

«وأحارب في الحرب الأهلية الإسبانية».

«التي انتهت قبل أكثر من ستين عاماً».

«أعرف، مات لوركا، وعاش هيمنغواي».

«وأنت تريد المشاركة فيها»

أومئ. «أجل، أفجّر بعض الجسور وخلافه».

«وتقع في غرام إنغريد بيرغمان».

«ولكن في الواقع، أنا هنا في تاكاماتسو، واقع في حبك أنت».

«لِحَظِّك التّعِس».

أحيطها بذراعي.

تحيطها بذراعك.

وتميل عليك. ويمرّ الوقت.

«هل تعرف أنني فعلت هذا الشيء نفسه منذ وقت طويل مضى؟ هنا في هذا المكان؟».

«أعرف»، تجيبها.

«وكيف تعرف؟»، تسألك وهي تنظر في عينيك.

«كنت هناك حينها».

«تفجّر الجسور؟».

«نعم، كنت هناك، أفجّر الجسور»

«مجازاً».

«بالطبع».

تحتضنها. ، تدنيها منك. تقبلها. وتشعر باسترخاء جسدها.

«نحن جميعاً نحلم، أليس كذلك؟»، تقول.

جميعنا نحلم.

«لمَ كان عليك أن تموت؟».

«لم يكن بيدي حيلة»، أجيب.

تسيران معاً على الشاطئ وتعودان إلى المكتبة. تطفئ نور غرفتك، وتسدل الستائر ودون كلمة أخرى تقفزان إلى السرير وتمارسان الجنس. الجنس نفسه الذي مارستماه الليلة الماضية تقريباً، مع فارقين، فهى تبكي بعد الجنس. تدفن وجهها في الوسادة وتدمع في صمت. لا تعرف ماذا تفعل. برقّة تضع يدك على كتفها العاري. تعلم أنه يجب أن تقول شيئاً ما، ولا تعرف ماذا تقول. تغرق الكلمات في جوف الزمان، تتكوّم دون صوت في العمق السحيق لفوهة بركانية. وهذه المرة، عندما تغادر، تستطيع أن تسمع هدير محرك سيارتها. وهذا هو الفارق الثاني. تشغّل المحرّك، ثم تطفئه لفترة، كأنها تفكر في أمر ما، ثم تدير المفتاح مرة أخرى وتقود خارجة من المرأب. وهذا الفاصل الزمني الخاوي يتركك حزيناً. حزن فظيع، كضباب بحريّ، يقوده الخواء إلى قلبك ويبقى طويلاً هناك، طويلاً جداً. ويصير أخيراً جزءاً منك.

تترك وراءها وسادة رَطبة، مبللة بالدموع. تلمس الدفء بيدك وأنت تشاهد السماء في الخارج تنير تدريجاً. ينعق غراب من بعيد. وتستمر الأرض في دورانها البطيء. وبعيداً عن جميع التفاصيل الواقعية، هناك الأحلام. والجميع يعيش فيها.

32

حين استيقظ ناكاتا في الخامسة فجراً، رأى الحجر الكبير بجانب وسادته. وكان هوشينو لا يزال نائماً بِدَعَةٍ على فراشه، فمه نصف مفتوح، وشعره منفوش، وقبعة الشينوشي دراجونز مرمية بجانبه. كان وجهه وهو على هذه الحال كأنما يقول للناظر إليه: مهما حدث لا تتجرأ وتوقظني.

لم يفاجأ ناكاتا بصورة خاصة لأنه وجد الحجر. فقد تأقلم ذهنه سريعاً مع الواقع الجديد، وتقبّله، فلم يتعجب من أين جاء. لم يكن التفكير في السبب والأثر من مميزاته.

قعد على الأرض قرب السرير، وراح يتأمّل الحجر، ويحملق فيه بكل جدية واهتمام. ثم مدّ يده ولمسه كما لو أنّه يربت على قطّ كبير نائم. في البداية بحذر شديد، بأطراف أصابعه فقط، وعندما شعر أن ذلك آمن، مرَّر يده بحرص على سطح الحجر كله. وبينما يفعل ذلك، استغرق في التفكير - أو على الأقل بدا أنه يفكّر. وكما لو كان يدرس خريطة، جرى بيده على كلّ نواحي الحجر، حافظاً في ذاكرته كل منحنى وتعرّج فيه، متشرباً ملمسه بقوة. ثم فجأة رفع يده وراح يهرش شعره القصير، باحثاً، ربما، عن العلاقة المتبادلة بين الحجر ورأسه.

وأخيراً، أطلق ما قد يشبه التنهيدة، ثم وقف وفتح النافذة ومدّ

رأسه إلى الخارج. لم يكن هناك ما تمكن رؤيته سوى قفا المبنى المجاور. مبنى رث وبائس، من النوع الذي يسكنه أناس رثّون، ويمضون فيه يوماً رثّاً بعد الآخر، مؤدّين عملهم الرث. ذلك النوع من المباني، الذي لم تشمله الرحمة، وتجده في كل مدينة، والذي يحب تشارلز ديكنز أن يصفه في عشر صفحات. وكانت الغيوم التي تعلو المبنى كالأوساخ المتراكمة التي تمكن رؤيتها في مكنسة كهربائية لم تنظّف من قبل. أو ربما تشبه أكثر جميع تناقضات «الثورة الصناعية الثالثة» وقد تكثّفت وطفت في السماء. كان يبدو أنها ستمطر قريباً. نظر ناكاتا إلى الأسفل وراح يراقب قطّاً أعجف أسود، منتصب الذيل، يقوم بدورية حراسة عند حائط ضيّق يقع بين المبنيين. «سيكون هناك رعد اليوم»، صاح ناكاتا، ويبدو أن القط لم يسمعه، لم يلتفت حتى، بل واصل دوريته بخمول، ثم اختفى في ظلال المبنى.

انطلق ناكاتا في البهو، وفي يده حقيبة بلاستيكية بداخلها أدوات الاستحمام، متجهاً إلى الحمامات المشتركة. وهناك غسل وجهه ونظف أسنانه، وحلق ذقنه بشفرة حلاقة آمنة الاستعمال. أخذ كل وقته. فغسل وجهه بحرص وتمهّل، ونظّف أسنانه بحرص وتمهّل، وحلق ذقنه بحرص وتمهّل. وشذّب شعيرات أنفه بمقص، وشذب حاجبيه، ونظف أذنيه. كان من النوع الذي يحب التمهّل في ما يقوم به. ولكن هذا الصباح زاد في التمهّل. لم يكن هناك سواه مستيقظاً ويغسل وجهه في هذه الساعة المبكرة، وكان ما زال هناك وقت قبل الإفطار. ولم يبدُ على هوشينو أنه سيستيقظ عمّا قريب. فالمكان كله له. نظر ناكاتا في المرآة وهو يستعد لليوم بترف، واسترجع صور القطط التي رآها في ذلك الألبوم في المكتبة منذ يومين. ولأنه لا يستطيع القراءة، لم يعرف أسماء تلك القطط، ولكن في ذاكرته نُقشت صور واضحة لوجوهها جميعاً.

«هناك بالفعل الكثير من القطط في العالم»، حدّث نفسه بينما

ينظف أذنيه بقطنة صغيرة. لقد آلمته زيارته الأولى إلى مكتبة إذ أدرك مدى ضآلة معرفته. كانت الأشياء التي لا يعرفها عن العالم غير محدودة. وغير المحدود، تعريفاً، هو ما لا حدود له، وقد تسبّبت له هذه الفكرة ببعض الصداع. سلّم أمره، وانتقل في أفكاره إلى قطط العالم. كم سيكون جميلاً، حدّث نفسه، لو يقابل جميع قطط العالم. لا بدّ من أنه ثمة في العالم جميع أنواع القطط التي تختلف في أفكارها وأحاديثها. هل تتحدث القطط الأجنبية لغات أجنبية؟ تساءل. لكنه موضوع شائك آخر، سبّب له التفكير فيه المزيد من الصداع.

بعد طقوس النظافة هذه، دخل إلى بيت الراحة واهتمّ بالأمر المعتاد. ولم يستغرقه ذلك قدر ما استغرقته طقوس النظافة. أتمّ الأمر. حمل حقيبته البلاستيكية وعاد إلى الغرفة. هوشينو نائم بهدوء كما تركه. طوى ناكاتا القميص المشجر والبنطال الجينز ووضعهما فوق بعضهما بجوار فراش هوشينو، وأضاف قبعة الشينوشي دراجونز أعلاهما كأنها خلاصة مجموعة من الأفكار المختلطة. خلع رداء اليوكاتا وارتدى بنطاله وقميصه المعتادَين، ثم فرك يديه ببعضهما وأخذ نفساً عميقاً.

جلس مرة ثانية أمام الحجر، وراح يحملق فيه لفترة قبل أن يمدّ يده بتردد ويلمسه. «سوف ترعد اليوم»، قال غير مخاطب أحداً محدداً. ربما كان يوجه كلامه للحجر. لكنه قال هذه الكلمات وهو يومئ برأسه مرات عدة.

كان ناكاتا واقفاً عند النافذة، يمارس تمارينه الرياضية الروتينية، عندما صحا هوشينو أخيراً، وراح يدندن موسيقى التمارين في الراديو، وكان ناكاتا يتحرّك في إيقاع مضبوط مع اللحن.

نظر هوشينو في ساعته. كانت بعد الثامنة بقليل. مد رقبته ليرى إن كان الحجر لا يزال هناك حيث وضعه. بدا له الحجر في النور

أضخم وأصلب مما يتذكره، «يعني لم يكن حلماً في نهاية الأمر»، قال.

«آسف، ماذا قلت ؟»، سأله ناكاتا.

«الحجر»، قال هوشينو، «هذا الحجر، لم يكن حلماً».

«أصبح الحجر لدينا»، قال ناكاتا ببساطة، وهو مستغرق في تمرينه، وكأن هذه التمارين فرضية أساسية من فرضيات الفلسفة الألمانية في القرن التاسع عشر.

«هذه قصة طويلة يا جدي، أقصد كيف وصل الحجر إلى هنا».

«نعم، ناكاتا فكّر أن الأمر قد يكون هكذا».

«عموماً»، قال هوشينو وهو يجلس على السرير ويتنهد بعمق، «المهم، اختصاراً للوقت، ها هو الحجر هنا».

«لدينا الحجر»، كرر ناكاتا، «هذا هو المهم».

كان ناكاتا على وشك الإجابة لكنه أدرك فجأة أنه يتضوّر جوعاً.

«اسمع، ما رأيك ببعض الطعام».

«ناكاتا جائع فعلاً».

بعد الإفطار، بينما يشرب الشاي، سأله هوشينو، «وما الذي ستفعله بالحجر إذن؟».

«وماذا يتوجّب على ناكاتا أن يفعله به؟».

«ارحمني قليلاً»، قال هوشينو، وهو يهزّ رأسه، «لقد قلتَ إنه عليك أن تجد هذا الحجر، ولهذا تدبرت أن أعود به الليلة الماضية، فلا تدمِّرني الآن بهذا الكلام الفارغ حول ما يجدر بك أن تفعله به».

«نعم. أنت محق. بيد أنني لم أعرف بعد ماذا يفترض بي أن أفعله به».

«هذه مشكلة».

«مشكلة فعلاً»، ردّ ناكاتا وإن لم يظهر على وجهه أنه يواجه أي مشكلة.

«لكن إذا أمضيت وقتاً تفكّر في الأمر، فستعرف ما الذي عليك فعله، أليس كذلك؟».

«أعتقد ذلك. ناكاتا يستغرق وقتاً أطول من الناس الآخرين في فعل الأشياء».

«حسناً، لكن اسمع يا سيد ناكاتا».

«نعم يا سيد هوشينو».

«أنا لا أعرف من أطلق عليه هذا الاسم، لكن بما أن اسمه حجر المدخل، فأظن أنه لا بدّ من أنه كان يشكّل مدخلاً إلى مكان ما منذ زمن طويل. ألا تظن ذلك؟ لا بدّ من وجود أسطورة ما تفسّر الأمر».

«نعم، لا بدّ من ذلك».

«لكنك لا تعلم شيئاً عن المدخل الذي نتكلم عنه؟».

«لا، ليس بعد. لقد تعودت محادثة القطط. لكنني لم أحادث حجراً من قبل».

«يبدو أن هذا لن يكون سهلاً».

«إنه مختلف عن محادثة القطط».

«لكن ماذا عن سرقة الحجر من المعبد - أعني هل أنت متأكد أنه لن تحلَ علينا لعنة ما؟ هذا يزعجني حقاً. أَخْذ الحجر شيء أما التعامل معه فقد يكون كابوساً. الكولونيل ساندرس قال لي إنه لن تكون هناك أي لعنات. لكنني لا أستطيع الوثوق بالرجل. أتفهمني؟».

«الكولونيل ساندرس؟».

«هناك رجل عجوز يحمل هذا الاسم، ذلك الرجل على إعلانات كنتاكي. الذي يلبس بدلة بيضاء، وله لحية، ويضع نظارات غبية. هل عرفته؟».

«أنا آسف جداً، لكن لا أعتقد انني أعرف هذا الشخص».

«ألا تعرف دجاج كنتاكي؟ هذا غريب. على أي حال. الرجل مفهوم مجرد، ليس بشراً ولا إلهاً ولا بوذا. وليس له شكل محدَّد، لكن عليه أن يتجسّد في شخص ما لتصبح له هيئة فاختار الكولونيل ساندرس».

بدا ناكاتا تائهاً في هذا كله وهرش شعره القصير. «لا أفهم».

«حسناً، أقول لك الحق، ولا أنا أيضاً، مع أنني أنا الذي أجعجع الآن»، قال هوشينو. «عموماً، هذا العجوز ظهر لي فجأة من حيث لا أعلم، وراح يثرثر عن كل هذا. المهم، لكي لا أطيل، دلّني الرجل على مكان الحجر، وحملته وعدت به إلى هنا. لست أحاول أن أكسب تعاطفك أو خلافه، لكنها كانت ليلة طويلة وشاقة، أؤكد لك. ما أرغب فيه حقاً الآن أن تستلم أنت زمام الأمر».

«سأفعل ذلك».

«كان هذا سريعاً».

«سيد هوشينو؟»، قال ناكاتا.

«ماذا؟».

«سيكون هناك رعد كثير قريباً. فلننتظر».

«أتعني أن الرعد له علاقة بمسألة الحجر؟».

«لست متأكداً تماماً. لكنني بدأت أحسّ بهذا».

«رعد، هه؟ شيء ظريف. حسناً، سنرى ما سيحدث».

حين عادا إلى غرفتهما قفز هوشينو على الفراش وشغّل التلفزيون. لم يكن يعرض شيئاً سوى مجموعة برامج لربات البيوت، وبما أنه لم يكن من وسيلة أخرى لقتل الوقت، ظلّ يتفرج، معلّقاً بنقد سريع على كل ما يشاهده.

أما ناكاتا فجلس أمام الحجر، يحدق فيه، ويمسّده، ويغمغم بشيء ما من حين لآخر. لم يستطع هوشينو أن يفهم ما كان يقوله. كان كل ما يعرفه أن العجوز يتحدث إلى الحجر.

بعد عدة ساعات، هرع هوشينو إلى محل أطعمة سريعة قريب وعاد بحقيبة مليئة بعلب حليب وحلويات تناولاها للغداء. وبينما كانا يأكلان ظهرت الخادمة لتنظّف الغرفة، ولكن هوشينو قال لها ألا تزعج نفسها، فهما لا يحتاجان إلى ذلك.

«ألن تخرجا إلى أي مكان؟».

«لا، لدينا عمل لننجزه هنا».

«لأنه سوف يكون هناك رعد»، أضاف ناكاتا.

«رعد، فهمت. . .»، قالت الخادمة بارتياب قبل أن تغادر، وبدا عليها أنها تفضّل ألا تتعامل مع هذين الرجلين غريبي الأطوار.

عند الظهر تقريباً سُمع دويّ الرعد بعيداً، ثم، وكأنه في انتظار إشارة، بدأ رذاذ خفيف. كانت عاصفة بليدة كقرع خفيف على الطبل. لكن سرعان ما أخذت قطرات المطر تكبر، وغمر الوابل الأجواء برائحة رطبة وثقيلة.

ما إن بدأ الرعد، حتى جلس هوشينو وناكاتا متقابلين، بينهما الحجر، كهنديين يتبادلان الغليون. استمرَّ ناكاتا بالغمغمة والتمسيد على الحجر أو على رأسه، وراح هوشينو يدخن سيجارة مارلبورو ويشاهد.

«سيد هوشينو؟»، قال ناكاتا.

«ما الأمر؟».

«أتبقى معي لبعض الوقت؟».

«طبعاً، لن أذهب إلى أي مكان في هذا المطر».

«هناك احتمال أن يحدث شيء غريب».

«أتمازحني؟»، قال هوشينو، «إن كل ما حدث حتى الآن كان غريباً كفاية».

«سيد هوشينو».

«نعم».

«فجأة وجدت نفسي أسأل نفسي، ماذا أنا أصلاً؟ ماذا يكون ناكاتا؟».

فكّر هوشينو في هذا قليلاً، «سؤال صعب. مفاجئ بعض الشيء، يعني حتى أنا لا أعرف ماذا أكون أنا، فلن أفتي في هذا. التفكير ليس من مهاراتي بالضبط، أتفهمني؟ لكنني أعرف أنك رجل مستقيم وصادق. أحياناً كثيرة تكون قديم الطرز، لكنني أثق بك، ولهذا جئت معك كل هذه المسافة إلى شيكوكو. قد لا أكون ذكياً جداً، أنا أيضاً، لكن لي نظرة في الناس».

«سيد هوشينو؟».

«نعم».

«الأمر ليس أنني غبي فحسب، ناكاتا فارغ من الداخل. أخيراً فهمت هذا. ناكاتا يشبه مكتبة ليس بها كتاب واحد. لم يكن الأمر هكذا دوماً. تعودت أن يكون في داخلي كتب. ولوقت طويل لم أكن قادراً على التذكر، لكنني أتذكّر الآن. لقد كنت شخصاً عادياً، كأي شخص آخر. ولكن حدث شيء ما وانتهى بي الأمر وعاءً فارغاً».

«صحيح، لكن إذا نظرت إلى الأمر من هذه الزاوية، فنحن جميعاً فارغين، ألا تعتقد هذا؟ نأكل، نتبرّز، نعمل بوظيفة بائسة لكي نحصل على راتبنا البائس، ونمارس الجنس من حين لآخر، إذا حالفنا الحظ. ومع هذا هناك أشياء شيقة تحدث في الحياة - كما يحدث معنا الآن. لا أعرف لماذا. كان جدي يقول دوماً إن الأمور لا تسير أبداً كما تتوقع، وهذا ما يجعل الحياة شيقة. شيء منطقي، لو فاز الشينوشي دراجونز بكل مباراة يلعبونها، لما شاهد أحد مباريات البايسبول؟».

«كنتَ تحب جدك كثيراً، أليس كذلك؟».

«صحيح، لو لم يكن بجانبي، لا أعرف ما كان سيحدث لي. كان يجعلني أشعر أنه عليَ أن أحاول فعل شيء في حياتي. كان يجعلني أشعر - لا أعرف - أنني متصل. لهذا تركت العصابة وذهبت

إلى قوات الدفاع. وفي لمح البصر، لم أعد أدخل في المشكلات».

«لكن أتعرف يا سيد هوشينو. ناكاتا لم يقف بجانبه أحد... لست متصلاً على الإطلاق. لا أستطيع أن أقرأ. وظلي ليس سوى نصفه».

«لا أحد كاملاً».

«سيد هوشينو؟».

«نعم».

«لو كنت ذاتي الحقيقية، أظن أنني كنت سأعيش حياة مختلفة. مثل أخويَ. كنت ذهبت إلى الجامعة، وعملت في شركة، وتزوجت وكوَّنت أسرة، وقدت سيارة كبيرة، ولعبت الجولف في الأجازات. لكنني لم أكن عادياً، ولهذا أنا هذا الناكاتا الذي أنا عليه اليوم. فات الأوان على البدء من جديد. أدرك هذا. ومع هذا، ولو حتى لفترة قصيرة، ما زلت أودُ أن أكون ناكاتا العادي. حتى هذا الوقت، لم يكن هناك شيء مخصوص أود أن أفعله. كنت دوماً أفعل ما يريد الآخرون مني فعله. وربما صار هذا عادة عندي. لكنني الآن أريد أن أعود شخصاً طبيعياً. أريد أن أكون ناكاتا الذي له أفكاره الخاصة، ومعناه الخاص».

تنهَد هوشينو، «إذا كان هذا ما تريده، فاسعَ إليه. مع أنني لا أعرف شيئاً عن ناكاتا الطبيعي».

«ولا ناكاتا أيضاً».

«سأدعو لك في صلواتي حتى تعود طبيعياً».

«قبل ذلك هناك بعض الأمور التي عليَ الاهتمام بها».

«مثل ماذا؟».

«مثل جوني واكر».

«جوني واكر؟»، قال هوشينو. «أجل، لقد ذكرته من قبل. أتعني رجل الويسكي؟».

«أجل لقد قصدت الشرطة فوراً، وأخبرتهم عنه. أعلم أنه كان عليَّ أن أبلغ المحافظ، لكنه ما كان ليستمع إلي. ولهذا عليَ أن أجد حلاً بنفسي. لا بدّ أن أهتم بهذا الأمر قبل أن أعود ناكاتا الطبيعي مرة أخرى. لو أمكن».

«في الحقيقة لا أفهم شيئاً. ولكن يخيّل لي أنك تقول إنك بحاجة إلى هذا الحجر لكي تفعل ما تحتاج إلى فعله».

«هذا صحيح. لا بدّ من أن أسترجع نصف ظلي الآخر».

صار دويُّ الرعد يصمُّ الآذان. أولاً ترتعش السماء بالبرق، وبعدها يقصف الرعد. فيرتجُّ الهواء، ويهتزُّ زجاج النوافذ بعنف. وتغطت السماء بالغيوم السوداء، وصارت الغرفة معتمة إلى حدّ أن أحدهما لم يعد قادراً على رؤية وجه الآخر. إلا أنهما لم يشعلا الضوء. وظلا جالسين كما هما، والحجر بينهما. كان المطر يضرب سياطه بالخارج، ومجرد النظر إليه يسبب الاختناق، وكانت كل صاعقة تنير الغرفة للحظة. فظلا صامتين لوقت.

«حسناً، ولكن لِمَ ينبغي أن يكون لك أي علاقة بهذا الحجر يا سيد ناكاتا؟»، سأل هوشينو حين اختفى صوت الرعد قليلاً. «لماذا يجب أن يكون أنت؟».

«لأنني أنا الذي دخلت وعدت».

«لا أفهم قصدك».

«كنت أعيش هنا ذات مرة، وعدت مرة أخرى. كان هذا حين كانت اليابان في حرب كبيرة. رفع الغطاء، ورحلت من هنا. وعدت بالصدفة. ولهذا لستُ طبيعياً، ولم يعد لي سوى نصف ظل فقط. ولكن حين عدت كان باستطاعتي التحدُث مع القطط، مع أنني لم أعد أفعل هذا الآن. وأستطيع أيضاً جعل أشياء تسقط من السماء».

«كذاك العلق؟».

«أجل».

«موهبة فريدة، ليس بوسع أي كان فعل هذا».
«هذا صحيح، لا يستطيع أي كان فعل هذا».
«أهذا لأنك خرجت وعدت مرة أخرى؟ يخيَّل إلي أنك حقاً غير طبيعي بالمرّة».
«بعد أن عدت، لم أعد طبيعياً. لم يعد بمقدوري القراءة. ولم ألمس امرأة في حياتي».
«شيء يصعب تصديقه».
«سيد هوشينو؟».
«أجل»
«أنا خائف. كما قلت لك، أنا فارغ تماماً، مَنْزِلٌ مشرّع وغير مسكون. أي شخص يمكنه الدخول وقتما يشاء. وهذا أكثر ما يرعبني. أستطيع أن أجعل السماء تمطر أشياء، ولكن معظم الوقت لا أعلم شيئاً عما ستمطره المرة المقبلة. ماذا لو كانت عشرة آلاف سكين، أو قنبلة كبيرة أو غازاً ساماً - لا أعلم ماذا سأفعل. ربما أعتذر من جميع الناس، ولكن هذا لن يكون كافياً».
«معك حق»، قال هوشينو، «الاعتذار لن يجدي نفعاً. العلق سيء جداً، لكن هذه الأشياء أسوأ بكثير».
«جوني واكر دلف إلى داخل ناكاتا. جعلني أفعل أشياء لا أريد أن أفعلها. جوني واكر استغلني، ولكن لم يكن لدي القوة لأواجهه. لأن داخلي فارغ».
«مما يفسر لماذا تريد أن تعود وتكون طبيعياً. ناكاتا ذو جوهر».
«بالضبط. أنا لست ذكياً جداً، ولكنني أستطيع أن أصنع الأثاث، وقد قمت بهذا يوماً بعد يوم، كنت أستمتع بصنع الأشياء- مكاتب، كراس، مكتبات، شيء جميل أن تصنع أشياء جميلة. خلال تلك السنوات التي كنت أصنع الأثاث فيها لم تراودني أي رغبة في أن أكون ناكاتا طبيعياً. ولم يكن هناك من يحاول الولوج إلى داخلي. ناكاتا لم

يكن يخيفه شيء أبداً. لكن بعد مقابلة جوني واكر أصبحت خائفاً جداً».

«وما الذي أجبرك جوني واكر على فعله بعد أن أصبح بداخلك؟».

دوى رعد هائل، وبدا البرق قريباً جداً. حتى أن أذن هوشينو آلمته من شدة الدوي.

أمال ناكاتا رأسه جانباً، يستمع باهتمام، وهو يمسّد ببطء سطح الحجر. «جعلني أهرق دماً».

«دم؟».

«أجل، لكن الدم لم يلتصق بيد ناكاتا».

فكر هوشينو في هذا لبرهة، متحيراً. «عموماً، حين تفتح حجر المدخل سيعود كل شيء إلى طبيعته، إلى حيث يجب أن يكون، صحيح؟ كالماء عندما يهبط من أماكن عالية إلى أمكان منخفضة؟».

وضع ناكاتا هذا في اعتباره، «قد لا يكون الأمر بهذه البساطة. مهمة ناكاتا أن يجد حجر المدخل، ويفتحه. أما ما يحدث بعد هذا، فأخشى أنه لا علم لي به».

«حسناً، لكن لمَ الحجر في شيكوكو؟».

«الحجر في كل مكان وليس في شيكوكو فقط، وليس من الضروري أن يكون حجراً».

«لا أفهم. . . إذا كان في كل مكان، أفلم يكن بمقدورك فعل كل هذا وأنت في بيتك في ناكانو؟ لكنت وفرت المال والجهد».

فرك ناكاتا شعره القصير. «سؤال صعب. لقد كنت حتى الآن أستمع للحجر، لكنني لم أعد قادراً على فهمه. لكنني أعتقد أن كلانا كان عليه أن يأتي إلى هنا. كان علينا أن نعبر جسراً كبيراً. لم يكن هذا ليفلح في حي ناكانو».

«هل لي أن أسألك عن شيء آخر؟».

«نعم».

«لو فعلاً فتحت حجر المدخل هنا، فهل سيحدث شيء مذهل؟ مثل... ما اسمه هذا... آه الجني الذي يخرج فجأة كما في حكاية علاء الدين؟ أم ستأتي أميرة تحوّلت إلى ضفدعة وتقبّلني قبلة فرنسية؟ أم سيأكلنا الفضائيون أحياء؟».

«قد يحدث شيء ما، ولكن أيضاً قد لا يحدث شيء. لم أفتحه بعد، لهذا لا أعرف، لن نستطيع أن نعرف إلا إذا فتحناه».

«ولكن قد يكون خطراً، أليس كذلك؟».

«نعم، بالضبط».

«يا إلهي». سحب هوشينو سيجارة مارلبورو من علبته وأشعلها. «كان جدي يخبرني دوماً أن عيبي الوحيد أنني أجري مع الأشخاص الذين لا أعرفهم دون أن أفكر في ما أفعله. يبدو لي أنني كنت أفعل هذا دوماً. الطفل هو أبو الرجل، كما يقولون. عموماً لا أستطيع أن أفعل شيئاً الآن، لقد قطعت كل هذه المسافة، وتحمّلت متاعب إيجاد هذا الحجر. ولا يمكنني أن أعود دون أن أرى ما بداخله. نعرف أنه قد يكون خطراً، ولكن فليكن لما لا نفتحه ونرى ما سيحدث؟ على الأقل ستكون قصة رائعة للأحفاد».

«ناكاتا يود أن يطلب منك خدمة يا سيد هوشينو».

«ما هي؟».

«أيمكنك أن تحمل الحجر؟».

«لا مشكلة».

«إنه أثقل بكثير مما كان عندما حملته إلى هنا».

«أعرف أنني لست شوارزنيجر، ولكنني أقوى مما أبدو عليه. كنت دوماً الثاني في مسابقة السواعد في وحدتنا في قوات الدفاع. ثم عالجتني أنت من آلام الظهر، فأستطيع إذن أن أحاول بكل طاقتي».

نهض هوشينو، وأمسك الحجر بكلتا يديه وحاول أن يرفعه، إلا

أنه لم يتزحزح قيد أنملة، «معك حق، إنه أثقل بكثير»، قال وهو لا يزال قابضاً عليه، «أمس كان حمله سهلاً، والآن يبدو كأنه مثبت بالأرض بمسامير».

«إنه حجر قيّم، ولهذا لا يمكن تحريكه بسهولة. ولو كان الأمر سهلاً، لكانت مشكلة».

«أعتقد هذا».

التمعت السماء مرات عدة. وهزّت سلسلة من الصواعق الأرض، فبدا كأن أحدهم قد أزال لتوه غطاء الجحيم. هكذا تخيل هوشينو. دوّت صاعقة أخيرة بالقرب من الأرض وفجأة حل صمت كثيف وخانق. كان الهواء رطباً وراكداً، ومثقلاً بشيء ما غير ملحوظ ومريب، وكأنّ عدداً لا يحصى من الآذان طفا محلقا في الجو، في انتظار التقاط أثر لمؤامرة. تجمّد الرجلان في مكانهما، يلفّهما ظلام منتصف اليوم. ثم عاودت الرياح صفع سياط المطر بزجاج النافذة. ودوى الرعد، وإنما ليس بعنف كما سبق. لقد عبرت عين العاصفة المدينة.

رفع هوشينو رأسه وراح ينظر حول الغرفة. كان كل شيء يبدو بارداً وبعيداً على نحو غريب، حتى أن جدران الغرفة الأربعة باتت أشدّ خواءً. تحولت سيجارة المارلبورو في الطفّاية إلى رماد. بلع هوشينو ريقه، ونفض الصمت عن أثنيه. «يا سيد ناكاتا؟».

«ما الأمر يا سيد هوشينو؟».

«أشعر كأنني في كابوس».

«على الأقل نحن معاً في الكابوس نفسه».

«معك حق»، قال هوشينو، وفرك حلمة أذنه من باب التسليم بالأمر. «أنت محق كهذا المطر، مطر يا مطر، هيا امضِ بعيداً، ولا تعد قريباً. . . عموماً، هذا يجعلني أشعر بتحسّن». ثم نهض مرة أخرى، ليحاول زحزحة الحجر. فأخذ نفساً عميقاً، وأمسكه وركز كل قوته في يديه. وبهمهمة منخفضة استطاع أن يرفع الحجر بوصة أو اثنتين.

«لقد زحزحته قليلاً»، قال ناكاتا.

«ليس مثبتاً بالمسامير إذن، ولكن عليَ أن أحرّكه أكثر من هذا».

«عليك أن تَقْلُبَه».

«كالفطيرة؟».

أومئ ناكاتا برأسه. «هذا صحيح. صحيح. الفطيرة من أكلات ناكاتا المفضلة».

«يسرّني أن أعرف هذا. لديهم فطير في الجحيم إذن، هه؟ عموماً، سأحاول مرة أخرى. أظن أنني أستطيع قلب هذا الشيء».

أغمض هوشينو عينيه واستجمع كل قوته في حركة واحدة. *ها هي!* قال في نفسه. *إما الآن وإلا فلا!*

أحكم قبضته عليه، ثم أخذ نفساً كبيراً، وأطلق صرخة جبارة ودفعة واحدة رفع الحجر، وأمسك به في الهواء بزاوية 45 درجة. كان هذا الحد الذي تقف عنده قوته. بطريقة ما تمكّن من إبقائه على هذه الوضعية. شهق، وجسده كله يؤلمه، وعظامه وعضلاته وأعصابه تصرخ ألماً، لكنه ظل صامداً، أخذ نفساً عميقاً أخيراً، وصرخ صرخة دخول المعركة، لكنه لم يسمع صوته. لم يكن يعلم شيئاً عما يخرج من فمه. عيناه مغمضتان بشدة، استطاع أن يسحب من جسده قوه لم يكن يعلم بوجودها، قوة تتجاوز حدوده. وجعل نقص الأكسجين كل شيء يبدو أبيض في عينيه. ارتعشت أعصابه عصباً بعد الآخر، كفيوزات تحترق. لم يستطع أن يسمع أو يرى شيئاً، أو حتى يفكر. كان هناك هواء كافياً. ومع هذا، زحزح الحجر لأعلى ثم بصرخة أخيرة، قلبه. فقط أفلت قبضته، وانقلب الحجر بفعل وزنه. أدى سقوط الحجر إلى ارتجاج هائل وكأن المبنى برمته يرتج.

ارتدّ هوشينو إلى الخلف. وارتمى هناك، مفرشحاً ظهره على التاتامي، شاهقاً من أجل إدخال الهواء، وغصّ رأسه بدوامات ودوامات من الطين الناعم. *لا أظن*، فكر مع نفسه، *أنني سأرفع شيئاً بهذا الثقل*

أبداً طوال حياتي. (وفيما بعد، رغم هذا، اكتشف أن هذا التوقع كان مبالِغاً في التفاؤل).

«سيد هوشينو؟».

«ماذا».

«الحجر انفتح، بفضلك».

«أعرف يا جدي؟ أقصد يا سيد ناكاتا؟».

«ماذا؟».

وجهه لأعلى وعيناه ما زالتا مغمضتين، أخذ هوشينو نفساً طويلاً آخر وزفره. «يستحسن أن يكون قد انفتح، وإلا لكنت قد قتلت نفسي عبثاً».

33

أُعِدّ المكتبة قبل أن يصل أوشيما. أَكْنُسُ الأرض، وأُلمّع النوافذ، وأُنَظِّفُ الحمّام، وأُلمّع الكراسي والمكاتب. أَرُشُّ الدرابزين وأمسَحُه حتى يلمع. أزيل الغبار عن الزجاج المبرقش عند بسطة الدرج، والأوراق الساقطة من الحديقة، وأشغل التكييف في قاعة القراءة وأجهزة امتصاص الرطوبة في المخازن. أُعِدّ القهوة. وأُبْري الأقلام. مكتبة مهجورة في الصباح - فيها شيء يمسّني بحق. هنا ترقد في سلام كل الكلمات والأفكار الممكنة. أريد أن أبذل ما في وسعي للحفاظ على هذا المكان، وأبقيه مرتباً ومنظماً. أحياناً أكفّ عما أفعله وأحملق في الكتب الصامتة على الأرفف، أمد يديّ وألمس كعوب بعضها. في العاشرة والنصف، كالمعهود، تهدر المازدا مياتا في المرأب، ويظهر أوشميا، ويبدو ناعساً قليلاً. ندردش قليلاً حتى يحين موعد فتح المكتبة.

«إذا لم يكن هناك مانع، أريد أن أخرج لبعض الوقت»، أقول له فور أن نفتح المكتبة.

«إلى أين؟».

«أحتاج إلى الذهاب إلى ناد رياضي. لم أتمرّن البتة منذ مدة».

لم يكن هذا السبب الوحيد. تأتي الآنسة سايكي في وقت متأخر من الصباح، ولا أريد أن أصادفها. أريد بعض الوقت لأستجمع أفكاري قبل أن أراها ثانية.

ينظر أوشيما إليّ، ثم وبعد فترة صمت، يومئ. «عليك أن تكون حذراً. لا أريد أن أكون متسلطاً، لكن الحرص واجب؟».

«لا تقلق، سأكون حريصاً»، أطمئنه.

أضع الحقيبة على كتفي وأستقل القطار. وفي محطة تاكاماتسو أركب حافلة إلى النادي. أبدّل ملابسي وأرتدي ملابس الرياضة في حجرة الخزائن، ثم أقوم ببعض تمارين التحمية، مستمعاً إلى «برنس» عبر «الووكمان». منذ مدّة لم أتمرّن، وعضلاتي تشتكي، لكنني أتدبّر أمرها. مجرد رد فعل طبيعي للجسد- تصرخ العضلات من الوزن الزائد الذي تحمله. استمع إلى «ليتل ريد كورفيت»، وأحاول تهدئة رد فعل العضلات، قمعها في الحقيقة. أتنفس بعمق، أحتفظ بالهواء ثم أطلقه. شهيق، حبس، زفير. تنفس عادي، مرة بعد أخرى. أضغط على عضلاتي إلى أقصى حدّ. أتعرّق بجنون، حتى يُثْقل العرق قميصي. أعود إلى البرّاد عدة مرات لكي أشرب المياه.

أقوم بجولتي المعتادة على الآلات، الآنسة سايكي والجنس معها يحتلان تفكيري، أحاول أن أهدّئ رأسي، أن أصفّيه من كل شيء، لكن الأمر ليس سهلاً. أركز على عضلاتي، أنغمس في الروتين المعتاد. الآلات المعتادة نفسها، الأوزان نفسها، العدد نفسه. «برنس» يغني الآن «سيكسي ماذر فاكر». ما زال رأس عضوي أحمر ملتهباً وأشعر بحرقة خفيفة حين أتبوّل. مازال عضوي بجلده الحديث صغيراً وطرياً. الخيالات الجنسية المكثفة، وصوت «برنس» المتسلل، وعبارات من مختلف الكتب - دوامة فوضوية تعصف بتفكيري، أشعر برأسي على وشك الانفجار.

آخذ حماماً سريعاً. وأرتدي ملابس تحتية نظيفة وأعود بالحافلة إلى المحطة. أشعر بالجوع. أمرّ بمقهى بالقرب من المحطة وأتناول وجبة سريعة. أنتبه أنني أكلت هنا في أول يوم لي في تاكاماتسو، وهذا

يجعلني أحسب عدد الأيام التي قضيتها هنا. نحو أسبوع منذ إقامتي في المكتبة، لا بدّ إذن أنني وصلت إلى شيكوكو قبل ثلاثة أسابيع.

بعد الأكل أشرب الشاي وأنا أشاهد الناس يسرعون من المحطة وإليها. جميعهم ذاهب إلى مكان ما. بإمكاني أنا أيضاً أن أنضم إلى السرب لو أردت. أستطيع أن أركب القطار إلى مكان آخر، أن أرمي كل شيء هنا وراء ظهري، وأذهب إلى مكان جديد كلياً، وأبدأ من الصفر، كما لو كنت أفتح صفحة جديدة في دفتر الملحوظات. أستطيع الذهاب إلى هيروشيما، فوكيوكا، إلى أي مكان. لست مضطراً إلى البقاء هنا. أنا حُرّ تماماً. ولا أحتاج سوى إلى حقيبة ظهري وملابسي وحقيبة الاستحمام وحقيبة النوم. لم أنفق من النقود التي أخذتها من مكتب أبي سوى النذر القليل.

لكنني أعلم أنه لا يمكنني الذهاب إلى أي مكان.

«ولكنك تعلم جيداً أنه لا يمكنك الذهاب إلى مكان»، يقول الفتى المدعو كرو.

حضنت الآنسة ساييكي، ودخلتها مرات كثيرة. وتلقفته هي كله. لا يزال عضوك يحرقك، لا يزال يتذكر شعوره وهو بداخلها. هذا مكان لك أنت فقط. فكّر في المكتبة. في السكون. في الكتب الصامتة على الأرفف. فكّر في أوشيما. في غرفتك. في لوحة «كافكا على الشاطئ» المعلّقة على الحائط. في ابنة الخامسة عشرة التي تحدّق في اللوحة. تهز رأسك. ما من سبيل لك لتغادر من هنا. لست حراً. هل هذا ما تريده حقاً؟ أن تكون حراً؟

في المحطة، أمرّ بدورية شرطة، لا تعبأ بأمري. بالنسبة إليهم أنا مجرد ولد سمّرته الشمس يحمل حقيبة على ظهره. أنا مجرد واحد منهم. ذائب في المشهد. لا داعي للسرعة، أتصرّف بشكل طبيعي، وهكذا لن يلاحظني أحد.

أقفز إلى القطار الصغير ذي العربتين وأعود إلى المكتبة.

«ها قد عدت إذن»، يبادرني أوشيما. ينظر إلى حقيبة ظهري مذهولاً. «يا إلهي، أتمشي دائماً حاملاً كل هذا ؟ أنت لينوس حقيقي».

أغلي ماء وأعدّ كوب شاي. أوشيما كالمعتاد يبري قلمه الرصاص الطويل. متى تنتهي أقلامه؟ متى تصير قصيرة، لا فكرة لديّ.

«حقيبة ظهرك تعني لك الحرية؟»، يقول.

«أظن هذا».

«أن يملك المرء شيئاً يجسّد له الحرية يمكن أن يجعله أسعد حتى مما لو نال الحرية التي يجسّدها هذا الشيء».

«أحياناً»، أقول.

«أحياناً»، يكرر. «أتعرف، لو كان هناك مسابقة لأقصر ردّ في العالم، لكنت فزت فيها بلا أي جهد».

«ربما».

«ربما»، يقول أوشيما كمن فاض به الكيل، «ربما معظم البشر لا يحاولون أن يكونوا أحراراً يا كافكا، هم فقط يعتقدون أنهم كذلك. كل هذا مجرد وهم، ولو صاروا أحراراً فعلاً، فسيقعون في مأزق حقيقي. الأفضل أن تعرف هذا جيداً. الناس لا يحبوّن أن يكونوا أحراراً حقاً».

«بمن فيهم أنت؟».

«أجل. أنا أيضا أفضّل ألا أكون حراً، إلى حد ما. عرّف جان جاك روسو الحضارة بأنها عندما يبني الناس الأسوار. ملحوظة ثاقبة جداً. وحقيقية- كل الحضارة نتاج لنقص الحرية داخل الأسوار. سكان أستراليا الأصليون هم الاستثناء الوحيد، إذ أنشأوا حضارة بلا أسوار، ظلوا متمسكين بحريتهم بأيديهم وأسنانهم حتى القرن السابع عشر. كان يمكنهم الذهاب أينما شاؤوا، ومتى شاؤوا، وأن يفعلوا ما يريدونه. كانت حياتهم ترحالاً بكلّ معنى الكلمة. المشي هو الاستعارة الصائبة لوصف حياتهم. وعندما جاء البريطانيون وبنوا الأسوار لكي يضعوا

مواشيهم في حظائر، لم يستطع سكان أستراليا الأصليون أن يفهموا، ولجهلهم بالهدف من ذلك من حيث المبدأ، تمّ تصنيفهم كأشخاص خطرين وغير اجتماعيين وسيقوا بعيداً، إلى البراري. لهذا أريدك أن تكون حذراً. من يبني أسواراً عالية وقوية يبقى في أفضل حال. أنت تنكر هذه الحقيقة فقط عندما تكون أنت نفسك مهدداً بأن تساق إلى البرية...».

أذهب إلى غرفتي وأضع حقيبتي. ثم أتوجّه إلى المطبخ، وأعدّ بعض القهوة وآخذها إلى الآنسة سايبكي. أصعد كل درجة على مهل حاملاً الصينية المعدنية، تصرّ الألواح الخشبية القديمة تحت أقدامي. عند بسطة الدرج، أدوس على قوس قزح بألوانه الزاهية المتسللة من الزجاج المبرقش.

الآنسة سايبكي وراء مكتبها، تكتب. أضع فنجان القهوة، فتنظر إليّ وتشير عليّ بالجلوس على الكرسي المعتاد. ترتدي اليوم قميصاً بلون القهوة بالحليب فوق كنزة خفيفة سوداء. وشعرها معقوص إلى الوراء بمشبك، ويتدلى من أذنيها قرطين مكوّنين من لؤلؤتين صغيرتين.

تظل صامتة مدة. تراجع ما كانت تكتبه. لا شيء غير عادي في تعبيراتها. تضع قلمها الحبر في غطائه وتضعه على أوراقها. تنظر إلى أصابعها لترى إذا كانت تلطخت بالحبر. يسطع من النافذة ضوء شمس الأحد. وثمة شخص ما في الحديقة في الخارج، يتحدث.

«أخبرني السيد أوشيما أنك ذهبت إلى النادي»، تقول وهي تتفرّس في وجهي.

«صحيح»، أقول.

«ما التمارين التي تمارسها هناك؟».

«أستخدم الآلات والأثقال الحرة»، أجيب.

«ولا شيء آخر؟».

أهزّ رأسي.

«رياضة تدل على الوحدة قليلاً، أليس كذلك؟».

أومئ.

«أتصوّر أنك تريد أن تصبح أقوى».

«يجب أن يكون المرء قوياً لكي يعيش. خاصة في مثل حالتي».

«لأنك تعيش وحدك».

«لم يقف أحد بجانبي. على الأقل حتى الآن. ولهذا يجب أن أتدبّر أموري في كل شيء، يجب أن أصير أقوى- مثل غراب رحّال، لهذا أسميت نفسي كافكا. هذا ما تعنيه كافكا باللغة التشيكية - أتعرفين؟ كرو- أي غراب».

«مممم»، تقول منبهرة برقة، «إذن فأنت كرو».

«هذا صحيح»، أقول.

هذا صحيح، يقول الفتى المدعو كرو.

«مع ذلك لا بدّ من وجود حدّ ما لأسلوب الحياة»، تقول، «لا يمكنك أن تستخدم هذه القوة كجدار تحيط نفسك به. سيكون هناك دوماً ما هو أقوى منك يخترق حصنك. نظرياً على الأقل».

«القوة نفسها تصير الطريقة التي تحكمين بها على الأمور».

تبتسم، «أنت سريع البديهة».

«القوة التي أبتغيها ليست تلك القوة التي تفرّق بين الفوز والخسارة. أنا لا أبحث عن جدار يصد القوّة القادمة من الخارج. ما أريده هو أن أكون قادراً على امتصاص تلك القوة القادمة من الخارج، والوقوف ندّاً لها. القوة على تحمّل الأشياء بهدوء - أشياء مثل الظلم، سوء الحظ، الحزن، الأخطاء، سوء الفهم...».

«لا بدّ من أنها أصعب قوة يمكن اكتسابها».

«أعلم...».

تزيد ابتسامتها درجة أخرى، «يبدو أنك تعلم كل شيء».

أهزّ رأسي. «ليس صحيحاً، عمري 15 سنة فقط، وهناك الكثير من الأشياء التي لا أعلمها. يجب أن أعلمها، لكنني لا أعلمها. لا أعلم شيئا عنك مثلاً».

ترشف من قهوتها. «ليس هناك ما يجب أن تعرفه، لا يوجد في داخلي ما تحتاج إلى أن تعرفه».

«أتتذكرين نظريتي؟».

«بالطبع،»، تقول، «ولكن هذه نظريتك أنت. وليست نظريتي. وهي لا ترتّب أي مسؤوليات عليّ، صحيح؟».

«بالضبط. من يفترض النظرية هو المسؤول عن إثباتها»، أقول، «مما يقودني إلى السؤال...».

«عن؟».

«قلتِ لي أنكِ وضعت كتاباً عن الذين أصابتهم صاعقة».

«هذا صحيح».

«هل توجد نسخ منه؟».

تهزّ رأسها. «أولاً، لم يصدر الناشر نسخاً كثيرة منه، وقد توقّف عن نشره منذ وقت طويل، وأظن أن أي نسخ بقيت تم التخلص منها. حتى أنا ليس لدي نسخة منه. وكما قلت لك سابقاً، لم يهتمّ أحد به».

«وما سبب اهتمامك بهذا الموضوع؟».

«لست متأكدة. أتصوّر أنه كان هناك شيء رمزي في هذا الأمر، أو لعلني فقط أردت أن أشغل نفسي، ولهذا حدّدت هدفاً أركّز عليه ويبقي فكري مشغولاً. لا أستطيع أن أتذكر الآن دافعي الأصلي. خطرت لي الفكرة وبدأت البحث فيها لا أكثر. كنت حينها كاتبة غير قلقة على الأمور المادية وتملك الوقت كله. ولهذا انشغلت بهذه الفكرة. لكن ما أن انخرطت فيها حتى صارت الفكرة نفسها مذهلة.

مقابلة أناس من مختلف الأنواع، وسماع مختلف الحكايات، ولولا هذا المشروع لكنت على الأرجح انسحبت أكثر من الواقع وانتهى بي الأمر في عزلة تامة».

«حين كان أبي صغيراً كان يعمل صبياً في ملعب جولف وذات مرة ضربته صاعقة. وكان محظوظاً بأن نجا، أما اللاعب الذي كان يتبعه فقد مات».

«كثير من الناس يموتون من الصواعق في ملاعب الجولف، حيث المساحات الشاسعة والمفتوحة، وعدم وجود مكان يأوي المرء إليه، الصواعق تعشق نوادي الجولف، أكان أبوك اسمه تامورا أيضاً».

«نعم، وأظن أنه كان في مثل سنك».

تهز رأسها. «لا أتذكر شخصاً اسمه تامورا، لم أقابل أحداً بهذا الاسم».

أظل صامتاً.

«هذا جزء من نظريتك أليس كذلك؟ أنني ووالدك تقابلنا بينما كنت أقوم بالبحث من أجل الكتاب، ونتيجة لهذا ولدت أنت».

«نعم».

«عظيم، وهذا يضع نهاية للأمر، أليس كذلك؟ حيث إنه لم يحدث هذا أبداً. نظريتك ليست متماسكة».

«ليس بالضرورة»، أقول.

«ماذا تقصد؟».

«لأنني لا أصدّق كل ما تقولينه لي».

«ولم لا؟».

«حسناً، لأنك قلت للتو أنك لم تقابلي شخصاً اسمه تامورا من قبل دون أن تفكري في الأمر ولو قليلاً حتى. عشرون سنة وقت طويل، ولا بدّ أنك قد قابلت عدداً كبيراً من الناس، ولا أظن أنك ستتذكرين بهذه السرعة ما إذا كنت قابلت شخصاً يدعى تامورا أم لا».

تهز رأسها وترشف رشفة أخرى من قهوتها. ترتسم ابتسامة واهنة على شفتيها، «كافكا، أنا. . .»، تتوقف باحثة عن الكلمات المناسبة.

أنتظرها حتى تجدها.

«أشعر أن الأشياء من حولي تتغير»، تقول.

«كيف؟».

«لا أعرف بالتحديد، ولكن ثمة ما يحدث. ضغط الهواء، تردد الأصوات، وانعكاس الضوء وتحرك الأجسام ومرور الوقت- كل هذا يتحول شيئاً فشيئاً. وكأن كل تغيير بسيط هو نقطة تسقط وراء نقطة في بركة ماء». تمسك قلمها الأسود المون بلان، وتنظر إليه، وتعيده إلى مكانه، ثم تنظر إليّ مباشرة، «من المحتمل أن يكون ما حدث بيننا الليلة الماضية في غرفتك جزء من ذلك. لا أعرف إذا كان ما فعلناه خطأ أم صواباً، لكنني وقتها قررت ألا أجبر نفسي على أن أحكم على شيء. أعتقد أنني قرّرت أن أترك التيّار يحملني إلى حيث يشاء».

«أتريدين رأيي؟».

«تفضل».

«أعتقد أنك تحاولين اللحاق بالوقت الضائع».

تفكر في هذا برهة، «ربما تكون مصيباً»، تقول، «ولكن كيف تعرف ذلك؟».

«لأنني أفعل الشيء نفسه».

«تلحق بالزمن الضائع؟».

«نعم»، أقول. «أشياء كثيرة سُرقت من طفولتي. أشياء كثيرة مهمة، وعليّ الآن أن أستعيدها».

«لكي تستمر في العيش».

أومئ. «هذا ضروري. الناس بحاجة إلى مكان يرجعون إليه. وأعتقد أنه لا يزال ثمة وقت لذلك. . بالنسبة إلى كلينا».

تغمض عينيها، وتضع أصابعها على مكتبها. وكأنها تسلم أمرها

له، ثم تفتح عينيها ثانية «من أنت؟»، تسأل. «ولماذا تعرف الكثير عن كل شيء؟».

تخبرها أنها بالتأكيد تعرف من أنت. أنا كافكا على الشاطئ، تقول. حبيبك- وابنك. الفتى المدعو كرو. وكلانا لا يستطيع أن يكون حراً. كلانا عالق في دوامة، ويجري وراء الزمن. وكلانا، بطريقة ما، صعقنا البرق. لكنه ليس البرق الذي يمكنك رؤيته أو سماعه.

تلك الليلة تمارسان الحب مرة أخرى. وتسمع فيما يمتلئ الخواء بداخلها، صوتاً خفيفاً، كالرمل الناعم على الشاطئ ينسحب في ضوء القمر . تحبس أنفاسك، وتصغي. أنت الآن داخل نظريتك. ثم خارجها. داخلها ثانية، ثم خارجها. تأخذ نفساً، تحبسه، تطلقه. نفس، تحبسه، تطلقه. «برنس» يواصل غناءه كحلزون في رأسك. يسطع القمر وينحسر المد. وتجري مياه البحر في مياه النهر. ويرتجف غصن شجرة القرانيا خارج النافذة. تحتضنها بقوة، وتدفن رأسها في صدرك. تشعر بأنفاسها على جلدك العاري. تجري بأناملها على عضلاتك، عضلة، عضلة. ثم، تلعق عضوك الزاخر برقة، وكأنها تداويه. وأنت تأتي مرة أخرى، في فمها. وهي تبتلع ماءك، وكأن كل نقطة منه ثمينة. تقبّل عضوها، وتتلمس بلسانك دفأه ونعومته. تصير هناك شخصاً آخر، شيئا آخر. تصير في مكان آخر.

«ليس في داخلي ما تحتاج إلى معرفته»، تقول هي.

وحتى فجر يوم الإثنين، تظلان متعانقين في السرير. تصغيان إلى مرور الزمن.

34

تعبر فوق المدينة غيمة ضخمة محمّلة بالرعد والبرق، وتطلق حزمة من سهام البرق وكأنها تبحث في كل حارة وزقاق عن مغزى أخلاقي طال فقدانه، وفي النهاية، تتضاءل لتصير صدى واهناً وغاضباً آتياً من السماء الشرقية. حينئذ فقط تتوقف زخّات المطر، ويلي هذا صمت رهيب. ينهض هوشينو ويفتح النافذة ليسمح لبعض الهواء بالدخول. ها قد تلاشت غيوم العاصفة، وتغطت السماء ثانية بغشاء رقيق من السحب الباهتة. المباني مبللة، والشروخ الرطبة على أجسادها مظلمة، كشرايين العجائز. تساقط الماء من كابلات الكهرباء وكوّن بركاً من الوحل. حلقت الطيور خارجة من أعشاشها، صادحة عالياً وكأنها تتنافس على الديدان التي خرجت الآن بعد خفوت العاصفة.

يدير هوشينو رقبته من جنب لآخر مرات عديدة لكي يحرّك عموده الفقري. ثم يمطّ جسمه، ويروح ينظر من النافذة. ثم يمد يده إلى علبة المارلبورو ويشعل سيجارة.

«يا سيد ناكاتا، بعد كل هذا الجهد في قلب الحجر وفتح المدخل، ما زال لم يحدث شيء خارج عن المألوف. لم يظهر ضفدع، ولا عفاريت، لا شيء غريباً بالمرة، وهذا يناسبني... طبعاً.. ومع صخب الرعد ذاك... ومع ذلك اسمح لي أن أقول لك إنني خائب الظن بعض الشيء».

لم يتلقَ رداً، فاستدار وراءه. كان ناكاتا مائلا إلى الأمام، مغمض العينين وواضعاً يديه على الأرض. بدا العجوز أشبه بدودة لا حول لها ولا قوة.

«ما الأمر؟ هل أنت بخير؟»، سأل هوشينو.

«آسف، يبدو أنني متعب قليلاً فقط. ناكاتا لا يشعر أنه بخير، أود أن أرقد وأنام قليلاً».

بالفعل كان وجه ناكاتا شاحباً بطريقة فظيعة. عيناه غائرتان، وأصابعه ترتعش. استغرق الأمر ساعات قليلة فحسب ليتقدم في العمر إلى هذا الحدّ.

«حسناً، سأبسط لك الفراش، ونم قدر ما تشاء». قال هوشينو، «ولكن أأنت متأكد من أنك بخير؟ أتؤلمك معدتك؟ أتشعر ببعض الصمم؟ أو بطنين في أذنك؟ أو لعلك تريد أن تدخل إلى الحمّام. هل أستدعي طبيباً؟ هل لديك تأمين صحي؟».

«نعم، أعطاني المحافظ بطاقة تأمين، وأنا أحفظها في حقيبتي».

«جيد»، قال هوشينو وهو يسحب الفراش من الخزانة ويبسطه على الأرض. «أعرف أنه ليس الوقت المناسب للخوض في تفاصيل، ولكنه ليس محافظ طوكيو من منحك بطاقة التأمين، إنها بطاقة تأمين وطنية تصدرها الحكومة اليابانية. لا أعرف الكثير عن هذا الأمر، ولكنى واثق من أن هذا هو الواقع. فالمحافظ لا يعتني بكل تفاصيل حياتك بنفسه، حسناً؟ لذلك إنسَ أمره قليلاً إذن».

«ناكاتا يفهم. المحافظ لم يعطني بطاقة التأمين. لا أظن أنني بحاجة إلى طبيب. سأكون بخير فقط لو حظيت بقدر من النوم».

« لحظة، لن تدخل مجدداً في ماراتون النوم الممتد 36 ساعة، أليس كذلك؟».

«لا أعرف، فأنا لا أتحكّم في عدد ساعات نومي».

«جميل، أظن أن هذا منطقي»، أقرّ هوشينو، «لا أحد له يد في هذا. حسناً. نم كما يحلو لك. كان يوماً عصيباً مع كل هذا الرعد، والحديث مع حجر، وانفتاح المدخل... هذا لا يحدث كل يوم بالتأكيد. لقد أجبرت على أن تتعب رأسك كثيراً، لا بدّ إذن أنك مرهق، لا تقلق بخصوص أي شيء، فقط استرخ. ودع رجلك هوشينو يهتم بالباقي».

«أشكرك كثيراً. دائماً أتعبك معي، أليس كذلك؟ ناكاتا لن يمكنه أبداً أن يشكرك بما يكفي على كل ما فعلته. لو لم تكن معي، لما عرفت كيف سأتصرف، وأنت لديك بالفعل أعمالك المهمة».

«أجل. أظن ذلك»، قال هوشينو بصوت مكتئب. لقد حدثت أشياء كثيرة جداً حتى أنه نسي عمله تماماً. «بالمناسبة، عليّ فعلاً العودة للعمل بسرعة، أراهن أن مديري يتذمّر الآن بينما نتكلم. لقد اتصلت به وأخبرته أنني سأغيب عدة أيام لأهتم بأمر ما، لكنني لم أخابره منذ ذلك الوقت. سيردّ على تصرّفي ما إن يراني».

أشعل هوشينو سيجارة مارلبورو جديدة، ونفخ دخانها بترف. ورأى غراباً يحطّ على كابل هاتفي، فصنع له حركات بوجهه، «ولكن من يعبأ؟ فليقل ما يشاء- فلينفخ الدخان من أذنيه لو أراد، لا يهمني. أترى، لقد عملت لسنوات أكثر من أي شخص آخر، عملت حتى الإنهاك. *اسمع يا هوشينو هناك نقص في السائقين، لمَ لا تذهب أنت إلى هيروشيما سريعاً. حاضر، تحت أمرك*... لطالما فعلتُ ما يُطلب مني دون تذمّر. وهم المسؤولون عن تدهور ظهري. لو لم تعالجه أنت، لكان تدهور أكثر. ما زلت في العشرينات من عمري فقط، ولماذا إذن أدمّر صحتي في وظيفة فاشلة؟ وما المشكلة في عدة أيام أجازة من حين لآخر؟ ولكن أتعرف يا سيد ناكاتا، أنا...».

انتبه هوشينو فجأة أن العجوز قد غطّ في النوم. كان يتنفس بسلام ودَعَةٍ مغمِضاً عينيه وزامّاً شفتيه. والحجر راقد قرب وسادته.

عجباً، في حياتي لم أرَ أحداً يغفو بهذه السرعة، فكر هوشينو بإعجاب.

ولديه كل الوقت، تمدّد هوشينو وشاهد التلفزيون قليلاً، لكنه لم يستطع تحمل برامج الظهيرة السخيفة فقرر أن يخرج. كان في حاجة إلى شراء كيلوت جديد. كان يمقت غسل الملابس الداخلية، وكان يعتقد دائماً أنه من الأفضل له أن يشتري الرخيصة منها، من أن يتعب نفسه في غسيل الوسخة. ذهب إلى مكتب الاستقبال ودفع أجرة اليوم التالي وأخبرهم أن رفيقه نائم وألا يوقظوه، «علماً أنه لن يمكنكم إيقاظه لو حاولتم»، أضاف.

تجوّل في الشوارع، مستنشقاً عبير ما بعد المطر في الهواء، مرتدياً قبعة الدراجونز كالمعتاد، ونظارات «رايبان» مائلة للخضرة وقميص «آلوها». اشترى جريدة من كشك بالمحطة ليعرف أخبار الدراجونز- لقد خسروا أمام «هيروشيما» على أرض الأخير- ثم تصفّح مواعيد الأفلام وقرر أن يشاهد فيلم جاكي شان الأخير. كان التوقيت مناسباً تماماً، فسأل عن الاتجاهات في كشك الشرطة ووجد أن السينما قريبة، فتمشّى. اشترى تذكرة وفولاً سودانياً ودخل إلى الصالة.

عندما خرج من السينما كان المساء قد حلّ بالفعل. لم يكن جائعاً كثيراً، لكنه لم يستطع أن يفكر في شيء آخر يفعله فقرر أن يتناول العشاء. عرج على مكان قريب وطلب سوشي وجعة. كان مرهقاً أكثر مما يظن وشرب نصف زجاجة الجعة فقط.

هذا منطقي طبعاً، حدّث نفسه. لقد استنفد هذا الحجر الثقيل كل قواي. أشعر أنني الأخ الأكبر في الخنازير الثلاثة الصغار، وما على الذئب الماكر سوى أن ينفخ فيّ فأطير فوراً حتى أوكاياما.

غادر الحانة واتجه دون تخطيط إلى صالة الباشينكو. وقبل أن يحسّ خسر ألفي ين. فاعتبر أن اليوم ليس يوم حظه، فترك الباشينكو وهام على وجهه في الشوارع. تذكر أنه لم يشتر بعد ملابس داخلية.

اللعنة، كان هذا أصلا سبب خروجي، قال في نفسه. ذهب إلى محل في السوق يقدّم تخفيضات واشترى ثياباً داخلية وجوربين أبيضين. الآن يمكنه أخيراً أن يرمي ملابسه الداخلية الوسخة. قرر أنه حان الوقت لشراء قميص «آلوها» جديد، فجال على المتاجر بحثاً عن واحد، ليكتشف أن الخيارات في تاكاماتسو قليلة جداً. كان يرتدي قمصان «آلوها» في الصيف والشتاء على السواء، إلا أن هذا لا يعني أن أي قميص «آلوها» يفي بالغرض.

مرّ على مخبز قريب واشترى بعض الخبز، في حال استيقظ ناكاتا جائعاً في منتصف الليل، وكذلك علبة عصير برتقال صغيرة. ثم توجه إلى بنك وسحب من آلة الصراف المالي مبلغ 50,000 ين. نظر إلى الإيصال ووجد أنه تبقى في حسابه مبلغ لا بأس به. كانت السنوات القليلة الأخيرة مشحونة بالعمل حتى أنه بالكاد كان يجد الوقت ليصرف المال.

كان الليل حينئذ قد حلّ تماماً وانتابته رغبة مفاجئة في كوب قهوة. نظر حوله ووجد لافتة مقهى خارج الطريق العام. مقهى من الطراز القديم الذي لم يعد يوجد منه الكثير الآن. دلف وقعد على مقعد ناعم ومريح وطلب كوب قهوة. تسللت موسيقى الحجرة من مكبّرات الصوت البريطانية المصنوعة من خشب الجوز. كان هوشينو الزبون الوحيد. أسند ظهره إلى مقعده ولأول مرة منذ فترة طويلة شعر باسترخاء تام. كان كل ما في المكان له أثر مهدئ، فمن الطبيعي أن يشعر المرء بالراحة. وكانت القهوة، التي قدمت في كوب كبير، غنية وشهية. أغمض هوشينو عينيه، متنفساً بهدوء واستمع إلى تمازج الأوتار والبيانو. لم يكن بالكاد سمع موسيقى كلاسيكية من قبل، إلا أنها كانت ناعمة ووضعته في حالة تأملية.

غارقاً في مقعده، وعينيه مغمضتين، مستغرقاً في الموسيقى، عبرت رأسه أفكار عديدة معظمها يتعلق به، لكنه كلما استغرق في

أفكاره عن نفسه، شعر أنه أصبح أقلّ واقعية. فأخذ يشعر بأنه ملحق بشيء ما لا معنى له يجلس هناك فحسب.

لطالما كنت من مشجعي الشينوشي دراجونز، حدّث نفسه، ولكن من هم الدراجونز بالنسبة إلي عموماً؟ لنفترض أنهم غلبوا الجيانتس- فكيف يجعلني هذا شخصاً أفضل؟ كيف يعقل هذا؟ ولماذا بحق الجحيم ضيّعت كل هذا الوقت وكأن الفريق امتداد لي شخصياً؟

قال السيد ناكاتا إنه فارغ. ربما كان هكذا، وما أدراني أنا؟ ولكن ماذا يعني هذا بالنسبة إليّ *أنا*؟ قال إن حادثاً ما وقع له وهو صغير جعله هكذا- فارغاً. ولكن *أنا* لم يقع لي أي حادث. إذا كان السيد ناكاتا فارغاً، فهذا يجعلني *أسوأ* من فارغ! هو على الأقل لديه سبب لهذا- بصرف النظر عما جعلني أترك كل شيء وأتبعه حتى شيكوكو. لكن لا تسألني ما هو هذا الشيء...

طلب هوشينو كوب قهوة آخر.

«أعجبتك القهوة إذن؟»، سأله صاحب المقهى ذو الشعر الرمادي. (هوشينو لم يعرف هذا بالطبع، وإنما كان صاحب المقهى موظفاً في وزارة التعليم، عاد بعد تقاعده إلى مسقط رأسه تاكاماتسو وفتح هذا المقهى الذي يقدّم فيه قهوة لذيذة على أنغام الموسيقى الكلاسيكية).

«إنها رائعة. لها نكهة لطيفة جداً».

«أقوم بتحميص البنّ بنفسي. وأختاره حبة حبة».

«لا عجب أنها بهذه الجودة إذن».

«ألا تزعجك الموسيقى؟»

«الموسيقى؟»، رد هوشينو، «لا، إنها رائعة. لا مانع إطلاقاً من سماع. من الذي يعزف؟».

«ثلاثي روبينشتاين وهيفيتز وفيورمان. ثلاثي المليون دولار،

عرفوا بهذا الاسم. الفنانون الكاملون. هذا تسجيل لهم من عام 1941، وما زال بريقهم لم يَخْبُ بعد».

«حقاً لم يَخْبُ، الأشياء الجيدة لا تموت أبداً، أليس كذلك؟».

«البعض يفضل نسخة أكثر بنيوية وكلاسيكية ومباشرة من «ثلاثية الأرشيدوق». مثل نسخة الثلاثية النمساوية».

«لا، أعتقد أن هذه الثلاثية لطيفة»، قال هوشينو. «ثمة فيها... لا أعرف كيف أصفه... شعور رقيق».

«شكراً جزيلاً لك»، قال صاحب المقهى، شاكراً هوشينو بالنيابة عن ثلاثي المليون دولار وعاد إلى مكانه خلف النضد.

وفيما كان هوشينو يتلذّذ بكوب القهوة الثاني عاد إلى تأملاته. لكنني أساعد السيد ناكاتا. أقرأ له الأشياء، وكنت أنا من عثر له على الحجر في النهاية. لم ألاحظ هذا من قبل، ولكن مساعدة الآخرين شيء جميل حقاً... لست نادماً على ذلك- التهرّب من العمل، والمجيء إلى شيكوكو. وكل الأشياء المجنونة التي تحدث تباعاً..

أشعر أنني أنتمي إلى هذا المكان. وأنا مع السيد ناكاتا لا تشغلني مسألة من *أكون*؟ ربما كانت هذه مبالغة، ولكن أراهن أن مريدي بوذا وحواريي عيسى شعروا الإحساس نفسه. حين *أكون مع بوذا، أشعر دائماً أنني حيث انتمي* - شيء من هذا القبيل. أنسى أمر الثقافة، الحقيقة، وكل هذا الهراء. هذا النوع من الوحي هو كل شيء.

حين كنت صغيراً، حكى لي جدي قصصاً عن مريدي بوذا. كان أحدهم اسمه ميوجا. كان هذا الرجل مجنوناً تماماً، ولم يكن يستطيع أن يتذكر حتى أبسط سوترا [أي قاعدة من قواعد الفلسفة الهندوسية]. وكان المريدون الآخرون يستفزونه دوماً. وفي أحد الأيام قال له بوذا، «يا ميوجا، أنت لست ذكياً جداً، ولذلك ليس عليك أن تتعلم أي ساتورات. وبدلاً من هذا، أريد منك أن تجلس على المدخل وتقوم بتلميع أحذية الجميع». وكان ميوجا رجلاً مطيعاً، ولهذا لم يقل لسيده أن يغرب عن

وجهه. وظل يلمّع الأحذية بصمت لمدة عشر سنوات، ثم عشرين سنة. وفي أحد الأيام انفتحت له طاقة النور وأصبح أحد أعظم مريدي بوذا. لا ينسى هوشينو هذه القصة، وكان يظن أن هذه الحياة لا بد أنها أتفه حياة، تلميع الأحذية لعقود. لا بدّ من أنك تمزح، كان يحدّث نفسه. لكن عندما يفكر في الأمر الآن تبدو القصة مختلفة. الحياة تافهة بصرف النظر عن كيف تعيشها. لكنه لم يكن يفهم هذا حين كان صغيراً.

شغلته هذه الأفكار حتى انقطعت الموسيقى التي سرحت معها تأملاته.

«عفواً» صاح هوشينو بصاحب المقهى، «ذكِّرني ما اسم هذه الموسيقى؟»

«ثلاثية الأرشيدوق لبيتهوفن».

«مارشي دوق؟»

«أرشي. أرشيدوق. أهداها بيتهوفن للأرشيدوق رودولف النمساوي. هذا ليس اسمها الرسمي، إنه بالأحرى الاسم الشائع للمقطوعة. كان رودولف ابن الإمبراطور ليوبولد الثاني. وكان موسيقياً ماهراً جداً، درس البيانو ونظرية الموسيقى على يد بيتهوفن وبدأ عندما كان في السادسة عشرة. واتخذ بيتهوفن مثالاً أعلى. ولم يكوّن شهرة لنفسه سواء كعازف بيانو أم كمؤلف موسيقي، لكنه كان يقف في الكواليس يمد يد المساعدة لبيتهوفن الذي لم يكن يعرف كثيراً كيف يشق طريقه في العالم. ولولا وجوده معه لكان بيتهوفن عانى كثيراً».

«هذه النوعية من البشر ضرورية في الحياة».

«قطعاً».

«كانت ستعمّ الفوضى العالم لو كان الجميع عباقرة. على أحد ما أن يراقب العمل ويهتم به».

«تماماً. عالم مليء بالعباقرة سيعاني مشكلات وخيمة».

«تعجبني هذه المقطوعة حقاً».

«جميلة، لا تملّ من سماعها أبداً، يمكنني القول إنها أرقى ثلاثيات بيتهوفن على الإطلاق، وضعها عندما كان في سنّ الأربعين، ولم يؤلف غيرها أبداً، لا بدّ من أنه قرر أنه قد وصل بها إلى الذروة في هذا النوع من الموسيقى»

«أظن أنني أدرك ما تقصده. الوصول إلى الذروة أمر بالغ الأهمية»، قال هوشينو.

«عُدْ مرة أخرى».

«سأعود طبعاً».

عندما عاد إلى الغرفة كان ناكاتا، كما هو متوَقَّع، لا يزال غائباً عن الدنيا. خبرَ هوشينو هذا من قبل، ولذلك لم يفاجأ هذه المرة. فقط دعه ينام قدر ما يحلو له، قرر في قرارة نفسه. كان الحجر لا يزال هناك، إلى جنب وسادته مباشرة، ووضع هوشينو كيس الخبز إلى جانبه. أخذ حمّاماً ولبس ملابسه الداخلية الجديدة، ثم كوم القديمة في كيس ورماها في سلة المهملات. زحف إلى فراشه وسرعان ما غطّ في النوم.

استيقظ صباح اليوم التالي قبيل الساعة التاسعة. وكان ناكاتا لا يزال نائماً، وتنفّسه هادئ ومنتظم.

ذهب هوشينو ليتناول إفطاره بمفرده، وطلب من الخادمة ألا توقظ رفيقه، «يمكنك أن تتركي الفراش على حاله»، قال لها.

«أهو بخير، ينام كل هذا الوقت؟» سألت الخادمة.

«لا داعي للقلق، فهو لن يموت. إنه فقط يحتاج إلى النوم لكي يستعيد عافيته، أنا أعرف ما هو الأفضل له».

اشترى جريدة من المحطة وجلس على مقعد وتصفّح قائمة الأفلام. كانت السينما القريبة من المحطة تعرض مجموعة أعمال فرانسوا تروفو. لم يكن لدى هوشينو أدنى فكرة عن تروفو، أو حتى ما إذا كان رجلا أم امرأة، إلا أن مشاهدة فيلمين بدا له وسيلة فضلى لقتل

الوقت حتى حلول المساء، فقرر أن يذهب. كان الفيلمان المعروضان هما «الضربات الأربعمائة» و «اقتل عازف البيانو». لم يكن في قاعة العرض سوى أربعة أو خمسة أشخاص. لم يكن هوشينو من العارفين بالأفلام، كان من حين لآخر يذهب إلى السينما ليشاهد فيلم كاراتيه أو مغامرات. ولذلك كانت تلك الأعمال الأولى لتروفو تفوق مستوى فهمه، وبطيئة الإيقاع، كما هو متوقع في الأفلام القديمة. ومع ذلك استمتع هوشينو بأجواء الفيلم، وكيف ترتسم العوالم الداخلية للشخصيات على نحو يمكن تأويله من عدة وجوه. وعموماً، وبالحدّ الأدنى لم يشعر بالملل. «لا مانع لديّ من مشاهدة المزيد من أفلام هذا الرجل»، قال لنفسه فيما بعد.

غادر السينما، ومشى إلى السوق ودخل إلى المقهى الذي دخله بالأمس. تذكَّره صاحب المقهى. وجلس هوشينو على المقعد نفسه وطلب قهوة. ومرة أخرى، كان الزبون الوحيد في المقهى. كانت موسيقى وترية تبث من الستريو.

«كونشيرتو التشيللو الأول لهايدن. بيير فورنييه هو الذي يعزف منفرداً»، شرح له صاحب المقهى وهو يقدّم له كوب القهوة.

«صوت طبيعي فعلاً»، علّق هوشينو.

«حقاً، أليس كذلك؟» قال صاحب المقهى. «بيير فورنييه أحد أحبّ العازفين إلى قلبي على الإطلاق. كالنبيذ الفاخر، لعزفه مذاق وجوهر يدفئ الدم ويشجعك بشكل رقيق. أدعوه دوماً بالمايسترو فورنييه لشدّة احترامي له. لا أعرفه بشكل شخصي، بالطبع، ولكنني أشعر دوماً أنه معلّمي».

مستمعاً إلى تشيلو فورنييه المتدفّق بأناقة، انسحب هوشينو إلى طفولته. كان معتاداً أن يذهب إلى النهر كل يوم ليصطاد السمك. لم يكن حينها يقلقه شيء، كما يتذكر. فقط يعيش كل يوم بيومه. طالما أنا حي فأنا شيء *ما*. هكذا كان الأمر بالضبط. ولكن في محطة ما في

طريق سيره تغيّر الأمر كله. حوّلني العيش إلى لاشيء. أمر غريب. . . يولد الناس ليعيشوا، صح؟ ولكن كلما عشت أطول، فقدت ما في داخلي أكثر فأكثر - وصرت خاوياً. وأراهن أنني إذا عشت أطول، فسأصير أكثر خواء وتفاهة. هناك خطأ ما في ذلك. لا يصح أن تؤول الحياة إلى هذا! أليس من الممكن أن أحوِّل الاتجاه، الاتجاه الذي وُضِعَ لي؟

«لا مؤاخذة. . .»، صاح هوشينو بصاحب المقهى الواقف وراء النضد.

«أي خدمة؟».

«كنت أتساءل، لو لديك وقت، أيمكنك أن تأتي لنتحدث سوياً؟ أود معرفة المزيد عن هايدن هذا».

سُرَّ صاحب المقهى بفرصة أن يلقي محاضرة موجزة عن هايدن وموسيقاه. كان بالأساس رجلاً متحفظاً، لكن عندما يتعلق الأمر بالموسيقى الكلاسيكية فقد كان فصيحاً. شرح لهوشينو كيف أصبح هايدن مؤلفا موسيقيا أجيراً، وكيف خدم على مدار حياته الطويلة أسياداً كثراً، مبدعاً عدداً لا يحصى من المؤلفات الموسيقية تحت الطلب. كان هايدن رجلاً عمليا، وليّن العريكة ومتواضعاً وكريماً، قال صاحب المقهى، إلا أنه أيضاً كان معقداً يسود داخله صمت قاتم.

«كان هايدن لغزاً. لا أحد يعرف حجم العواطف الجياشة التي كانت تعتمل بداخله. وكان عليه مع هذا - في زمن الإقطاع الذي ولد فيه- أن يخفي ذاته الشخصية بمهارة وبكل طاعة، ليظهر بمظهر الشخص السعيد والراضي. وإلا لكان سُحِقَ سحقاً. قارَنَهُ كُثُر على نحو غير مستحبّ بباخ وموزار - من حيث موسيقاه وأسلوب حياته. وكان على مدار حياته كلها مبدعاً، بالتأكيد، لكنه لم يكن حاداً بالضبط. ولو أَصَخْتَ السّمْعَ جيداً إلى موسيقاه فستلتقط حنيناً خفياً للذات العصرية. كصدى بعيد مليء بالتناقضات، هذا كله في موسيقى هايدن، ينبض

بصمت. استمع لهذا الإيقاع، أتسمعه؟ هادئ جداً - صح؟ - إلا أن به روح مثابرة ذات حركة داخلية تغصّ بفضول شبابي سلس».

«كأفلام فرانسوا تروفو».

«بالضبط!»، تعجَّب صاحب المقهى بسرور، وربّت على ذراع هوشينو بانفعال. «لقد جئت بالمقارنة الصحيحة تماماً، تجد نفس الروح المتحركة لدى تروفو. روح مثابرة بحركة داخلية تغص بفضول شبابي سلس»، كَرَّر.

عندما انتهت كونشيرتو هايدن طلب منه هوشينو أن يضع ثلاثية الأرشيدوق، نسخة روبنشتاين وهيفيتز وفيورمان، مرة أخرى. وبينما يستمع إليها، استغرق مرة أخرى في أفكاره. اللعنة، لا يهمني ما يحدث، قرّر بينه وبين نفسه، سأتبع السيد ناكاتا ما دمت حياً. ولتذهب الوظيفة إلى الجحيم.

35

عندما يرن جرس الهاتف في السابعة صباحاً، أكون لا أزال نائماً أحلم. أرى نفسي في كهف سحيق، يلفّني الظلام، وأمسك مصباحاً يدوياً وأبحث عن شيء ما. أسمع صوتاً واهناً يأتي من بعيد، من مدخل الكهف، ينادي باسمي. أصرخ مجيباً، ولكن من يناديني لا يسمعني. فيظلّ يناديني مراراً، فأتجه إلى مدخل الكهف. بعد قليل سأجد المدخل، أعتقد هذا. ولكن في داخلي، أشعر بالراحة لأنني لم أجده. هنا أستيقظ. أنظر حولي، مستجمعاً شتات وعيي. أدرك أن جرس هاتف مكتب الاستقبال في المكتبة يرن. يتسلل شعاع الشمس من الستائر، والآنسة سايكي ليست بجانبي في الفراش.

أنهض من الفراش بالكنزة الخفيفة و«البوكسر» وأخرج لأرد على الهاتف. استغرق بعض الوقت حتى أصل إليه لكنه يستمر في الرنين.

«آلو؟».

«أكنتَ نائماً؟»، يسألني أوشيما.

«نعم».

«آسف لإيقاظك مبكراً هكذا في الإجازة، لكننا نواجه مشكلة».

«مشكلة؟».

«سأخبرك بها فيما بعد، ولكن من الأفضل أن تغيب عن المكتبة

لفترة، سنرحل بسرعة، فاحزم أغراضك، وانتظرني حتى أصل، وفي الأثناء لا تفعل شيئاً؟».

أعود إلى حجرتي وأحزم حقيبتي. لا حاجة إلى العجلة ما دامت العملية برمتها لا تحتاج إلى أكثر من خمس دقائق. ألمّ الغسيل المنشور في الحمام، وأجمع أدوات الاستحمام في حقيبة، وأضع الكتب ودفتر اليوميات في حقيبة الظهر، ثم أرتدي ملابسي وأرتّب السرير. أفرد الملاءة، أعدِّل وضع الوسائد، وأفرد الغطاء، مغطيا كل أثر عمّا حدث هناك. أجلس على الكرسي وأفكر في الآنسة سايبكي، التي كانت بصحبتي منذ سويعات قليلة.

لديّ بعض الوقت فأتناول طبق «كورن فليكس» سريع. أغسل الطبق والملعقة وأضعهما مكانهما. أنظف أسناني، أغسل وجهي، أتمعن في وجهي في المرآة، ثم أسمع صوت المياتا في المرأب.

رغم أن الجو رائع، فإن أوشيما يغلق سقف السيارة. أعلق حقيبتي على كتفي، وأمضي إلى السيارة وأجلس في المقعد الأمامي. وكما من قبل، يحكم أوشيما ربط حقيبتي في خلفية السيارة. يرتدي نظارة شمس من نوع «آرماني»، وقميص كتان مخططاً فوق كنزة بيضاء خفيفة بقبّة 7، وجينز أبيض وحذاء «كونفرس أول ستارز». ملابس اعتيادية ليوم العطلة.

يناولني قبّعة زرقاء نقش عليها شعار «النورث فايس». «ألم تقل إنك فقدت قبعتك في مكان ما؟ خذ هذه، ستستر وجهك قليلاً».

«شكراً»، أقول، وأشدّ القبعة على رأسي.

يتمعّن أوشيما في شكلي في القبّعة ويومئ برضا.

«لديك نظارة شمسية، أليس كذلك؟».

أومئ، وأخرج «الريفو» السماوية من جيبي وألبسها.

«ظريف جداً»، يقول، «جرّب أن تضع القبعة بالمعكوس».

أنفّذ اقتراحه.

يومئ أوشيما ثانية، «رائع، تبدو كمغني راب مرموق»، يحوّل على السرعة الأولى، ويدوس دواسة البنزين ويرفع قدمه عن الفرامل.

«إلى أين سنذهب؟»، أسأله.

«إلى المكان السابق نفسه».

«جبال كوتشي؟».

يومئ، «صحيح. مرّة أخرى قيادة لمدّة طويلة». يشغّل الستريو. مقطوعة أوركسترالية مرحة لموزار سمعتها سابقاً. «سيرناد بوق الإنذار» على ما أظن؟

«أمللت من الجبال؟».

«لا، أحب المكان هناك، إنه هادئ، وأستطيع أن أقرأ كثيراً».

«جيد»، يقول أوشيما.

«ما المشكلة؟».

ينظر أوشيما بتجهّم إلى المرآة الخلفية، ويلمحني ثم يوجه نظره إلى الأمام مرة أخرى. «أولاً، عاودت الشرطة الاتصال بي. اتصلوا بي في منزلي الليلة الماضية، يبدو أنهم أصبحوا جديين في تتبعك، ويبدو أن المسألة برمّتها توتّرهم».

«ولكن لديّ حُجّة غياب، أليس كذلك؟».

«نعم، لديك. حُجّة غياب لا جدال فيها. يوم حدوث الجريمة كنتَ في شيكوكو. لا ريب لديهم في هذا. إنهم يفكرون في إمكانية أن تكون قد تآمرت مع شخص آخر».

«تآمرت؟».

«قد يكون لديك شريك».

شريك؟ أهزّ رأسي. «ومن أين جاءتهم هذه الفكرة؟».

«إنهم متكتّمون بشكل مبالغ فيه في هذا الخصوص. ويلحّون في الأسئلة، ولكن كن متحفّظاً تماما إذا أردت قلب الطاولة عليهم. ولذلك قضيت الليلة بأكملها على الإنترنت أراجع المعلومات. أكنتَ تعرف أن

هناك عدة مواقع ظهرت عن القضية؟ أصبحتَ مشهوراً حقاً. الأمير الرحالة الذي يحمل مفتاح اللغز».

أهزّ كتفي. *الأمير الرحالة*؟

«من الصعب أن تفصل المعلومات الحقيقية عبر الإنترنت عن التحليلات والتوقعات، ولكن يمكننا تلخيص الأمر كالآتي: الشرطة الآن وراء رجل في الستينات من عمره. ظهر ليلة وقوع الجريمة في مركز الشرطة بالقرب من سوق نوغاتا واعترف بقتل شخص ما في الجوار. قال إنه طعنه. لكنه راح يخرّف ويقول الترّهات، فاعتبره الشرطي المناوب مجنوناً وسرّحه من دون أن يعرف منه القصة كاملة. وبالطبع حين اكتشفت الجريمة، عرف الشرطي أنه ارتكب خطأ، إذ لم يأخذ اسم الرجل أو عنوانه، ولو عرف رؤساؤه بالأمر فستنفتح في وجهه أبواب الجحيم، ولهذا التزم الصمت. ولكن حدث شيء ما - لا أعلم ما هو- واكتشفوا الأمر كله. خضع الشرطي لمجلس تأديبي، بالطبع. رجل مسكين، من المحتمل ألا يعود لحياته الطبيعية أبداً».

يزيد أوشيما السرعة لكي يتجاوز تويوتا تِرْسِلْ بيضاء، ثم ينزلق عائداً بسلاسة إلى خط سيره. «تمكنت الشرطة من تحديد هوية العجوز. لا يعرفون عنه شيئاً، ولكن اتضح أنه معوّق ذهنياً. ليس متخلّفاً، بل يعاني علّة ما. يعيش بمفرده على المعونة ومساعدة بعض الأقارب. لكنه اختفى من شقته. تتبعت الشرطة تحركاته ويعتقدون أنه سافر استوقافاً إلى شيكوكو. يظن سائق حافلة محلي أن الرجل ركب معه حتى كوبي. وقد تذكره بسبب طريقته غير المألوفة في الكلام وترديده أشياء غريبة. ومن الواضح أنه خرج مع شاب في العشرينات من عمره من محطة طوكوشيما. وقد وجدوا الفندق الذي نزلوا فيه، وطبقاً لأقوال خادمة الفندق، استقلا القطار إلى تاكاماتسو. تحركات العجوز وتحركاتك متوازية تماماً. كلاكما غادر نوغاتا بحي ناكانو واتجه مباشرة إلى تاكاماتسو. مصادفات كثيرة إلى حدّ ما، ولهذا بديهي أن

تستنتج الشرطة شيئاً من هذا كله- أنكما قد خططتما للجريمة معاً. حتى أن وكالة الشرطة الوطنية قد اشتركت في العملية، وهم الآن يفتّشون المدينة. وقد لا يسعنا أن نخبّئك في المكتبة بعد الآن، ولهذا ارتأيت أنه من الأفضل أن تختبئ في الجبال».

«عجوز معوّق ذهنياً من ناكانو؟».

«هل يذكّرك بأحد ما؟».

أهز رأسي. «لا».

«عنوانه ليس بعيداً عن منزلك. مسافة 15 دقيقة سيراً على الأقدام».

«ولكن هناك الآلاف في ناكانو. أنا حتى لا أعرف اسم جارنا الأقرب».

«وهناك المزيد»، يقول أوشيما ويرمقني سريعاً، «إنه الشخص الذي جعل سمك الأسقمري والسردين يسقط من السماء في سوق نوغاتا. على الأقل، هو من تنبأ للشرطي بأن الكثير من السمك سيهطل من السماء قبل يوم من هطوله حقاً».

«أمر مذهل».

«أليس كذلك؟ وفي اليوم نفسه، في المساء، انهمرت كميات كبيرة من العَلَق الكبير في مرأب سيارات في فوجيغاوا على طريق توماي السريع. أتتذكر؟».

«أجل أتذكر».

«علمت الشرطة بهذا كله. يظنون أنه لا بدّ من وجود صلة بين كل هذه الأحداث وهذا الرجل الغامض الذي يبحثون عنه. تحركاته تسير بالتوازي مع جميع هذه الأحداث».

تنتهي مقطوعة موزار، وتبدأ أخرى.

واضعاً كلتا يديه على عجلة القيادة، يروح أوشيما يهزّ رأسه، «تحوّل غريب حقاً في الأحداث. لقد بدأت بشكل غريب، ومع الوقت

تصير أكثر غرابة. ومن المستحيل أن تتوقع ما سيحدث بعد هذا. بيد أنه ثمة أمر مؤكد. يبدو أن كل شيء يتجمّع هنا. خط سير العجوز وخط سيرك لا بدّ أن يتقاطعا».

أغمض عينيّ وأسمع هدير المحرّك. «ربما يجدر بي الذهاب إلى بلدة أخرى»، أقول له، «لا أريد التسبّب بالمزيد من المتاعب لك أو للآنسة سايكي».

«ولكن إلى أين ستذهب؟».

«لا أعرف. لكنني سأعرف إذا أخذتني إلى المحطة. لا يهم أصلاً».

يتنهد أوشيما. «لا أظن أنها فكرة صائبة. لا بدّ من أن المحطة تعجّ الآن برجال الشرطة الذين يبحثون جميعاً عن فتى طويل في الخامسة عشرة من عمره يحمل حقيبة ظهر وحفنة من الهواجس».

«لمَ لا تأخذني إذن إلى محطة بعيدة لا يكون فيها رجال شرطة».

«سيّان. سيجدونك في نهاية الأمر».

لا أقول شيئاً.

«اسمع، لم يصدروا مذكرة بالقبض عليك. فأنت لست على قائمة المسجّلين خطرين المطلوبين من الشرطة أو ما شابه».

أومئ.

«مما يعني أنك ما زلت حراً. ولهذا لا أحتاج إلى إذن أحد لكي آخذك إلى حيث أشاء. أنا لا أخرق القانون، أعني أنني حتى لا أعرف اسمك الحقيقي يا كافكا. فلا تقلق بشأني، أنا شخص حريص جداً. لا أحد يوقع بي بسهولة».

«أوشيما»، أقول.

«نعم؟».

«لم أخطط لأي مؤامرة مع أحد. لو أردت أن أقتل أبي لما طلبت ذلك من أحد».

«أعرف».

يتوقف عند إشارة حمراء ويتحقق من المرآة الخلفية، ثم يضع حبة من حلوى الليمون في فمه ويعرض عليَّ واحدة.

أقذفها في فمي، «وماذا بعد هذا؟»

«ماذا تعني؟».

«لقد قلت «أولاً». وأنت تخبرني عن ضرورة أن أختبئ في الجبال. لا بدّ أن من أن يكون هناك سبب ثان».

يحدّق أوشيما في الضوء الأحمر.

«مقارنة بالسبب الأول، السبب الثاني ليس ببالغ الأهمية».

«ومع ذلك أريد معرفته».

«إنه بخصوص الآنسة ساييكي» يقول. أخيراً يتحول الضوء إلى الأخضر وينطلق سريعاً. «أنت تنام معها، صحيح؟».

لا أعرف بماذا أجيبه.

«لا تقلق، أنا لا ألومك. فقط لديَّ حدس بهذه الأمور، هذا كل ما في الأمر. إنها شخص رائع، سيدة جذابة جداً ومميزة من كل النواحي. وهي تكبرك بكثير، بالتأكيد، ولكن وماذا بعد؟ أنا أتفهم انجذابك إليها، ورغبتك في ممارسة الجنس معها، ولم لا إذن؟ أترغب هي في ممارسة الجنس معك؟ هذا يمنحها بعض القوة. هذا لا يزعجني. لو كنتما مرتاحين لهذا، هذا لا يعنيني في شيء»، يدير أوشيما حبة الليمون في فمه، «ولكنني أعتقد أنه من الأفضل أن تبقيا على مسافة لبعض الوقت. ولا أعني بسبب تلك الفوضى الدموية في ناكانو».

«لماذا إذن؟».

«إنها في موقف بالغ الحرج حالياً».

«وكيف هذا؟».

«الآنسة ساييكي»، يبدأ أوشيما، ثم يروح يبحث عن الكلمات،

«أقصد أنها. . . تحتضر. . . لقد شعرت بهذا منذ وقت طويل».

أرفع نظارتي وأحدّق به، بينما ينظر أمامه مباشرة. ننعطف إلى الطريق السريعة إلى كوتشي. ويفاجئني هذه المرةِ بعدم تخطّيه حد السرعة المسموح به. تمر بنا تويوتا سوبرا عاصفة.

«عندما تقول إنها تحتضر. . . تقصد أنها تعاني من مرض لا شفاء منه؟ السرطان أو فقر الدم أو ما شابه».

يهز أوشيما رأسه. «ربما. لكنني لا أعلم شيئاً عن صحتها. كل ما أعرفه أنها ربما تكون مصابة بمرض ما. أعتقد أن الأمر نفسي، نابع من افتقادها الرغبة في الحياة».

«أتعتقد أنها فقدت الرغبة في العيش؟».

«أظن ذلك، فقدت الرغبة في الاستمرار في العيش».

«أتظن أنها ستحاول الانتحار؟».

«لا، لا أظن»، يجيب أوشيما، «كل ما في الأمر أنها بهدوء شديد وبثبات شديد أيضاً، تتجه نحو الموت. أو أن الموت يتجه إليها».

«كقطار متجه إلى المحطة؟».

«شيء من هذا القبيل»، قال أوشيما ثم مطّ شفتيه. «ثم ظهرت أنت. طازج كالخيار، وغامض مثل كافكا الحقيقي. انجذبتما إلى بعضكما، وإذا استخدمنا التعبير الكلاسيكي، نشأت بينكما علاقة».

«ثم؟».

لبرهة يرفع أوشيما كلتا يديه عن عجلة القيادة. «هذا كل شيء».

أهزّ رأسي ببطء. «أراهن أنك تظن أنني *أنا* القطار».

يصمت أوشيما طويلاً. «بالضبط»، يقول أخيراً، «هذا هو الأمر بالضبط».

«أي أنني سأجلب لها الموت».

« اعذرني، أنا لا أحمّلك مسؤولية ذلك»، يقول، «في الحقيقة هذا الأفضل».

«لماذا؟».

لا يجيب. *يُفترض بك أن تعرف الإجابة بنفسك*. يقول لي صمته. أو لعله يقول. *هذا أوضح من أن تسأل عنه*.

أسند ظهري إلى المقعد، أغمض عينيّ وأدع جسدي يسترخي، «أوشيما؟».

«ما الأمر؟».

«لم أعد أعرف ماذا أفعل بعد الآن. أنا حتى لا أعرف في أي اتجاه أذهب. ما الصواب، وما الخطأ - هل عليّ السير قدماً أم العودة إلى الوراء. إنني تائه كلياً».

يبقى صامتاً. لا شيء يشير إلى أنه سيجيب قريباً.

«لا بدّ من أن تساعدني. ماذا يفترض بي أن أفعل؟»، أسأله.

«لا يفترض بك فعل شيء»، يجيب ببساطة.

«ولا شيء».

يومئ «ولهذا أصحبك الآن إلى الجبال».

«ولكن ماذا سأفعل حين أصل إلى هناك؟».

«فقط استمع للرياح»، يقول، «هذا ما أفعله دوماً».

أَتَفَكَّرُ في كلامه.

يضع يده برقة على يدي. «هناك أخطاء كثيرة لست مسؤولاً عنها، ولا أنا مسؤول عنها. وليست أخطاء النبوءات، أو اللعنات، أو الحمض النووي، أو اللامعقول. ليست أخطاء البنيوية ولا الثورة الصناعية الثالثة. كلنا نموت ونفنى، ولكن هذا لأن العالم نفسه قائم على الدمار والخسران. حيواتنا ليست سوى ظلال هذا المبدأ الأساسي. قل إن الهواء يهب. يمكن أن يكون رياحاً قوية وعنيفة أو نسيماً رقيقاً. ولكن في النهاية كل هواء يخبو ويتبدّد. ليس للرياح شكل. مجرد حركة هواء. عليك أن تستمع جيداً، وعندها ستفهم مغزى المجاز».

أشدّ على يده. ناعمة ودافئة. يده الرائقة، غير محددة الجنس، الرحيمة الرقيقة، «أتظن إذن أنه من الأفضل لي أن أبتعد عن الآنسة سايكي في الوقت الراهن؟».

«نعم يا كافكا. هذا أفضل ما يمكنك فعله حالياً. يجب أن ندعها ونفسها. إنها ذكية وقوية. لقد احتملت بمفردها أفظع أنواع الوحدة لزمن طويل، وعانت الكثير من الذكريات المؤلمة. ففي مقدورها اتخاذ أي قرار تحتاج إليه بمفردها».

«أنا إذن مجرد طفل يقف عقبة في الطريق».

«ليس هذا ما أعنيه»، يقول أوشيما برقة، «ليس هذا هو الأمر إطلاقاً. لقد فعلت ما كان عليك أن تفعله. ما كان منطقياً بالنسبة إليك، وبالنسبة إليها. فاترك لها الباقي. ربما يبدو كلامي قاسياً، ولكن ليس بيدك ما تفعله من أجلها الآن. أنت في حاجة إلى الذهاب إلى الجبال والقيام بما يخصك أنت. بالنسبة إليك، التوقيت سليم».

«أقوم بما يخصني؟».

«فقط، أبق أذنيك مفتوحتين يا كافكا»، يرد أوشيما، «أصغ فحسب. تخيل نفسك صَدَفة».

36

لم يدهش هوشينو حين عاد إلى النّزل ووجد ناكاتا لا يزال نائماً. وكيس الخبز وعصير البرتقال الذي كان قد وضعه بجانبه لم يُمَسّ بعد. لم يتحرك العجوز بوصة واحدة، وربما لم يستيقظ مرة واحدة كل هذا الوقت. حسَبَ هوشينو الساعات، نام ناكاتا في الثانية من ظهيرة اليوم السابق، مما يعني أنه نائم منذ ثلاثين ساعة بالتمام والكمال. في أي يوم نحن؟ تساءل هوشينو. كان يفقد إحساسه بالزمن. فأخرج دفتره من حقيبته وتحقق من اليوم. لِنَرَ، قال بينه وبين نفسه، لقد وصلنا طوكوشيما يوم السبت في الحافلة من كوبي، ثم نام ناكاتا حتى يوم الاثنين. ويوم الاثنين غادرنا طوكوشيما إلى تاكاماتسو، وكان يوم الخميس هو يوم صخب الحجر والرعد، وظُهْر اليوم التالي غفا. وهذا يجعل اليوم. . . الجمعة. وكأن العجوز جاء إلى شيكوكو للمشاركة في مهرجان للنوم.

وكما في الليلة السابقة، أخذ هوشينو حماماً، وشاهد التلفزيون لفترة، ثم رقد على فراشه. كان ناكاتا لا يزال يتنفس بسلام. أياً كان، فكّر هوشينو، دع نفسك للتيار. دعه ينام قدر ما يحلو له. لا داعي للقلق. وسقط هو نفسه في النوم في العاشرة والنصف مساءً.

في الخامسة فجراً، صحا على رنين منبّه موبايله المقفل في حقيبته. كان ناكاتا لا يزال غائباً عن العالم كخشبة.

حمل هوشينو الموبايل، «آلو».

«سيد هوشينو!» جاءه صوت رجل.

«الكولونيل ساندرس؟»، قال هوشينو، وقد تعرّف على الصوت.

«هو نفسه. كيف حال صديقنا الرياضي؟».

«بخير. على ما أظن... ولكن كيف عرفت رقمي؟ أنا لم أعطك الرقم، وموبايلي مقفل طوال الوقت حتى لا يزعجني أولئك المهرّجون في العمل. كيف اتصلت بي إذن؟ أنت تخيفني يا رجل».

«كما قلت لك، لست إلهاً ولا بوذا، ولا بشراً. أنا شيء آخر - مفهوم مطلق. وأن أجعل موبايلك يرن مجرد حيلة بسيطة. أبسط من البساطة. لا تدع كل أمر بسيط يؤثر فيك هكذا. كان بوسعي أن أجري وأكون إلى جانبك عندما تستيقظ، لكنني لم أرد أن أصدمك هكذا».

«طبعاً ستصدمني».

«ولهذا فضّلت الاتصال بك على الموبايل، أنا رجل مهذّب رغم كل شيء».

«أنا شاكر جداً»، قال هوشينو، «على أي حال، ما الذي علينا أن نفعله بالحجر؟ لقد وضعناه بالمقلوب أنا وناكاتا وانفتح المدخل. وكانت عاصفة مجنونة في الخارج، ووزن الحجر كان طناً. آه، هذا صحيح - لم أخبرك بشأن ناكاتا من قبل. إنه رفيقي في السفر».

«أعرف كل شيء عن السيد ناكاتا»، قال كولونيل ساندرس، «لا داعي للشرح».

«أنت تعرفه؟»، قال هوشينو. «حسناً... عموماً، بعد هذا دخل ناكاتا في بياته الشتوي ، وما زال الحجر هنا. ألا تظن أننا يجب أن نعيده إلى المعبد؟ لربما حلّت علينا لعنة لأننا أخذناه دون إذن».

«ألا تيأس أبداً يا رجل؟ كم مرة أقول لك إنه لا توجد أي لعنة»، قال كولونيل ساندرس باشمئزاز، «احتفظ بالحجر الآن. أنت فتحته،

وفي النهاية سيكون عليك أن تغلقه مرة أخرى. وبعدها يمكنك أن تعيده. ولكن لم يحن الوقت لهذا بعد. اتفقنا؟».

«أجل، فهمت»، قال هوشينو، «لا بدّ من غلق الأشياء بعد فتحها. ولا بدّ من إعادة الأشياء إلى أماكنها. وهو كذلك! عموماً لقد قررت ألا أفكر في الأمور كثيراً. سأدع نفسي على سجيتها، بغض النظر عن هذا الجنون. لقد عشت نوعاً من الخلاص الليلة الماضية. كنت أتعامل مع توافه الأمور بجدية فائقة - مضيعة حقيقية للوقت».

«خلاصة حكيمة جداً. فالمثل يقول تفكير بلا جدوى أسوأ من عدم التفكير».

«يعجبني هذا القول».

«له معان كثيرة ألا توافقني الرأي».

«وهل سمعتَ هذا القول: «سدّينا شط السيد والسيد ما سدّ شطنا؟»».

«وما معنى هذا القول اللعين أصلاً؟».

«لقد اخترعته. لخبطة لسان لا أكثر».

«وما القصد منه؟».

«لا قصد على الإطلاق. فقط أردت أن أقول هذا».

«هوشينو. كفى تعليقات حمقاء، اتفقنا؟ لا جَلَدَ لي على هذا الكلام الفارغ. ستجنّني إذا استمررت في هذا».

«أنا آسف»، قال هوشينو، «ولكن لماذا اتصلت بي أصلاً؟ لا بد أن لديك سبب للاتصال في هذا الوقت المبكر».

«صحيح، لقد فاتني هذا تماماً»، قال كولونيل ساندرس، «إليك الأخبار- أريدك أن تترك هذا النزل في التو والحين. لا وقت للإفطار. فقط أيقظ سيد ناكاتا، وخذ معك الحجر واخرج من النزل. خذ سيارة أجرة، ولكن لا تدع موظف النزل يطلبها لك. اخرُجْ إلى الشارع

الرئيسي ونادي على سيارة بنفسك. ثم أعطِ السائق هذا العنوان. ألديك قلم لتسجل العنوان؟».

«أجل، لحظة»، قال هوشينو وهو يخرج من حقيبته قلمه ودفتر ملحوظاته، «مقشة وجاروف، شوف».

«كفاك من هذه النكت الغبية!»، زعق الكولونيل ساندرس عبر الهاتف، «أنا جاد في هذا، لا وقت لدينا».

«حسناً، حسناً، تفضَّل قل».

أملاه الكولونيل ساندرس العنوان وسجّله هوشينو وهو يكرره ليتأكد من أنه أخذه بدقة: «شقة 308، مرتفعات تاكاماتسو بارك 16-15، بلوك 3، سليم؟»

«هذا حسنٌ»، كرّر الكولونيل ساندرس. «ستجد المفتاح تحت حامل مظلة سوداء أمام الباب. افتح الباب وادخل. يمكنكما البقاء هناك قدر ما تريدان. هناك مؤونة من الطعام والأشياء الأخرى، حتى لا تضطرا إلى الخروج في الوقت الحالي».

«أهذا منزلك؟».

«أجل. لكنه ليس ملكي، إنه مستأجر. تصرفا كأنكما في بيتكما إذن، لقد جهّزت المكان لكما».

«كولونيل؟».

«نعم».

«قلت لي إنك لست إلهاً، ولا بوذا، ولا بشراً، صحيح؟».

«صحيح».

«أعتقد إذن أنك لست من هذا العالم».

«ها قد فهمتني».

«فكيف إذن تستأجر شقة؟ أنت لست بشري، ولا تملك الأوراق والوثائق التي يتطلّبها إيجار شقة، صح؟ بطاقة عائلية، ورقم وطني، وإثبات مصدر دخل، ودمغة وطابع رسمي وكل هذا. إذا لم تكن تملك

هذه المستندات فلا أحد يؤجّرك، فهل تزوّرها؟ كأن تحوّل ورقة شجر إلى دمغة رسمية مثلاً؟ هناك أشياء سفلية مثل هذه تحدث حقاً، ولا أريد أن أتورط في أمور من هذا القبيل».

«أنت لا تستوعب فعلاً»، قال الكولونيل ساندرس وهو يتكتك بلسانه، «عقلك عبارة عن حفاض مبلل. أهو مصنوع من الجلو، يا ذو العقل الرخو. ورقة شجر؟ ماذا تحسبني؟ أحد تلك السناجب السحرية؟ أنا مفهوم، فهمت؟ مف-هوم-مجرّد! المفاهيم المجردة والسناجب ليست الشيء نفسه. هل تظن حقاً أنني ذهبت إلى مكتب سمسار، وملأت الاستمارات وفاصلتهم في السعر؟ يا للسخف! أنا لدي سكرتيرة تهتم بهذه التفاصيل. تقوم سكرتيرتي بجمع كل الأوراق والأشياء اللازمة معاً. ماذا كنت تتوقع؟».

«آه، لديك سكرتيرة إذن».

«نعم أيها الأبله. صحيح! من تحسبني، على أي حال؟ إنك مسطول بالمرة. أنا رجل مشغول، فلمَ لا يكون لديّ سكرتيرة؟».

«وهو كذلك، هو كذلك - لا تعمل فضيحة. كنت فقط أستفسر منك. على أي حال، لماذا علينا أن نتحرّك بسرعة هكذا؟ ألا يمكننا على الأقل أن نتناول لقمة قبل أن نغادر؟ أكاد أموت من الجوع، و السيد ناكاتا نائم نومة أهل الكهف. ولا أستطيع أن أوقظه مهما حاولت».

«اسمع، هذه ليست نكتة. الشرطة تقلب المدينة عليكما. وأول ما سيفعلونه هذا الصباح القيام بجولة على الفنادق والنزل، والتحقيق مع الجميع. لديهم بالفعل وصفاً لكما أنتما الاثنان. ولن يمرّ وقت طويل حتى يعثروا عليكما. لنعترف بالأمر، كلاكما مميزان جداً، وليس أمامنا وقت نضيّعه».

«الشرطة؟»، صرخ هوشينو، «مهلاً عليّ! نحن لم نرتكب خطأ. طبعاً سرقت بعض الدراجات النارية أيام الثانوية، فقط لأقوم بها بجولة لا لأبيعها أو ما شابه. كنت دوما أعيدها. ومنذ ذلك الوقت لم أرتكب

شيئاً غير قانوني. كان أسوأ ما فعلته أنني أخذت ذلك الحجر من المعبد. وأنت الذي قلت لي أن آخذه».

«لا علاقة للأمر بالحجر»، قال الكولونيل ساندرس، «أحياناً تكون غبياً فعلاً. انس الحجر. الشرطة لا تعرف شيئاً عنه، ولن تهتم ولو عرفت. لن يخرجوا في حملة تفتيش في الفجر ويطرقوا الأبواب بحثاً عن حجر. نحن نتكلم هنا عن شيء أخطر بكثير».

«ماذا تقصد؟».

«الشرطة تبحث عن السيد ناكاتا بسبب جريمة».

«لا أفهم. إنه آخر شخص يمكن أن تتخيله يرتكب جريمة. أي جريمة؟ وكيف تورّط فيها؟».

«لا وقت للخوض في هذا الآن. عليك أن تخرجه من هناك، كل شيء يعتمد عليك. هل تفهمني بوضوح؟».

«لا أفهم شيئاً»، كرر هوشينو وهو يهز رأسه. «الأمر فقط غير منطقي. وهل سيلقون القبض عليّ بصفتي شريكه؟».

«لا، لكنني متأكد أنهم سيحققون معك. الوقت يمرّ، لا تشغل نفسك بهذا الآن، فقط افْعَلْ ما أقوله لك».

«اسمع. لا بدّ من أن تفهم أمراً واحداً عني، أنا لا أكره في حياتي شيئاً بقدر ما أكره الشرطة. إنهم أسوأ من الياكوزا - أسوأ حتى من قوات الدفاع. أمر مريع، كل ما يفعلونه مريع. الواحد منهم يمشي مزهوّاً ولا يحب شيئاً في العالم بقدر تعذيب الضعفاء. لقد خضت معارك كثيرة معهم عندما كنت في الثانوية، وحتى بعد أن عملت سائق نقل، وآخر ما أريده الآن أن أتعارك معهم. مستحيل أن تغلبهم، وأيضاً لا تستطيع نزعهم من رأسك بعد هذا. أتفهمني؟ يا إلهي، كيف تورطت في هذا كله؟ أترى، قصدي أن...».

وانقطع الاتصال.

«يا ويلي»، قال هوشينو، ثم تنهد بعمق وألقى الموبايل في حقيبته، ثم حاول أن يوقظ ناكاتا.

«أنت يا سيد ناكاتا، يا جدو، حريقة! فيضان! زلزال! ثورة! غوريلا هاربة! اصحَ».

مرّ بعض الوقت قبل أن يستيقظ ناكاتا. «لقد أنهيت ضبط الحواف»، قال، «واستخدمت الباقي للإشعال، لا، القطط لن تستحم. أنا الذي سأستحم»، من الواضح أنه كان لا يزال في عالمه الصغير الخاص.

هز هوشينو كتف العجوز، وقرص أذنه، ووضع إصبعه في أذنه واستطاع أخيراً إعادته إلى أرض الأحياء.

«أهذا أنت يا سيد هوشينو؟».

«أجل قم»، أجاب هوشينو، «آسف على إيقاظك».

«لا مشكلة، كان ناكاتا سيستيقظ قريباً على أي حال. لا تقلق. لقد فرغت من إشعال النار».

«جميل. ولكن حصل شيء ما - شيء غير سار بالمرة- ويجب أن نخرج من هنا فوراً».

«أمر يتعلق بجوني واكر؟».

«لا أعرف هذا. لديّ مصادري، وقد أخبروني أنه من الأفضل أن نهرب. الشرطة تبحث عنا».

«حقاً؟».

«هذا ما قاله. ولكن ماذا حدث وبينك وبين جوني واكر هذا؟»

«ألم يخبرك ناكاتا بهذا أصلاً؟».

«لا، لم تخبرني؟».

«لكن أظن أنني أخبرتك» .

«لا، لم تخبرني أبداً بالجزء الأهم في الحكاية».

«حسناً. ما حدث أن ناكاتا قتل جوني واكر».

«أنت تمزح بالتأكيد».

«لا، لا أمزح».

«يا للمصيبة»، تمتم هوشينو.

رمى هوشينو أغراضه في حقيبته ولف الحجر في قطعة القماش. كانت قد عادت إلى وزنها الأصلي. لم تكن خفيفة، لكنه على الأقل يستطيع حملها. وضع ناكاتا أغراضه في حقيبته القماش. ثم ذهب هوشينو إلى مكتب الاستقبال وأخبرهم أن شيئاً ما طرأ فجأة وعليهما مغادرة الفندق. وبما أنه كان قد دفع مقدماً، فلم تستغرق الإجراءات وقتاً طويلاً. كان ناكاتا ما زال مترنحاً قليلاً من النوم، لكنه أستطاع أن يسير. «كم استغرقت في النوم؟»، سأل.

«دعني أرى»، قال هوشينو. وهو يحسب في رأسه، «نحو أربعين ساعة».

«لقد نمت جيداً».

«لا عجب من هذا، إذا لم تشعر بالانتعاش بعد هذا الرقم القياسي من النوم، فلا فائدة إذن من النوم، أليس كذلك؟ أنت جوعان؟».

«نعم، جائع جداً».

«أيمكنك أن تنتظر قليلاً؟ علينا أولا أن نخرج من هنا بأسرع ما يمكن ثم نأكل».

«لا مشكلة، أستطيع أن أنتظر».

ساعد هوشينو ناكاتا على عبور الشارع الرئيسي ثم أشار لسيارة أجرة. وقال للسائق عن العنوان، فأومأ السائق برأسه وانطلق بسرعة.

غادر التاكسي المدينة، ثم عبر طريقاً عاماً، ثم إلى الضواحي. كانت منطقة راقية وهادئة، مناقضة كلياً للمنطقة المزدحمة المجاورة للمحطة التي كانا يقيمان فيها. وقد استغرقت رحلة الوصول إليها 25 دقيقة.

توقفا أمام مبنى سكني نموذجي مكوّن من خمسة طوابق، وله مدخل نظيف كمرآه لامعة. مرتفعات تاكاماتسو بارك، هكذا كتب على اللافتة، رغم أنه على مدى النظر لا وجود لأي حديقة. استقلا المصعد إلى الطابق الثاني، حيث وجد هوشينو المفتاح تحت حامل المظلات. كانت الشقة مؤلّفة من غرفتي نوم ومطبخ وغرفة جلوس وحمّام. وكان المكان كله جديداً تماماً، وبدا من مظهر الأثاث أنه لم يستخدم من قبل أبداً. وكان في غرفة الجلوس تلفزيون بشاشة كبيرة، وستريو صغير، وكنبة كبيرة وأخرى لشخصين، وفي كل حجرة نوم سرير مجهز. وكان في المطبخ الأدوات المعتادة، والأرفف مملوءة بمجموعة لا بأس بها من الأطباق والأكواب. وعلى الحوائط لوحات صور حديثة. بدا المكان نموذجاً جيداً لشقة يمكن لسمسار أن يفتخر بها وهو يريها لعملائه.

«ليست سيئة بالمرة»، قال هوشينو، «لا سمة مميزة فيها، لكنها نظيفة على الأقل».

«جميلة جداً»، أضاف ناكاتا.

كانت الثلاجة البيج الكبيرة مملوءة بالطعام الذي راح ناكاتا يتأمله وهو يتمتم في سريرته، وأخيراً أخرج بعض البيض والفلفل الأخضر والزبدة. غسل الفلفل بالماء وقطعه قطعاً صغيرة ثم شوّحه على النار. وبعد هذا كسر البيض في صحن وخلطه بملعقة خشبية. ثم أحضر المقلاة، وراح يعدّ أومليت بالفلفل لشخصين. ثم أخذ الوجبة مع التوست إلى المائدة، مع الشاي الساخن.

«انت طاه ممتاز»، قال هوشينو، «إنني منبهر».

«لقد عشت بمفردي، ولهذا اعتدت على الطهو».

«أنا أيضا أعيش بمفردي، ولكن لا تطلب مني أن أطبخ شيئاً، لأنني أغرق في شبر ماء».

«لدى ناكاتا وقت فراغ كبير ولا شيء آخر يفعله».

أكلا التوست والأومليت، وظلا جائعين، فعاد ناكاتا إلى المطبخ وطبخ بعض اللحم والسبانخ، مع شريحتين آخريين من التوست. وما أن بدآ يشعران بآدميتهما مرة أخرى، غرقا على الكنبة وتناولا كوب شاي آخر.

«إذن»، قال هوشينو، «فقد قتلت رجلاً؟».

«أجل، قتلت رجلاً»، أجاب ناكاتا، وراح يقدم تقريراً مفصلاً حول قيامه بطعن جوني واكر حتى الموت.

«يا للمصيبة»، قال هوشينو عندما فرغ ناكاتا، «قصة مرعبة. لن تصدّقها الشرطة أبداً، مهما كانت أمانتك. أقصد، أنني *أنا* أصدقك، ولكن لو أنك حكيت لي هذا قبل أسبوع فقط لكنت طردتك من وجهي فوراً».

«أنا نفسي لا أفهم».

«في كل الأحوال، لقد قُتِلَ أحدهم، والقتل ليس شيئا سهل الخلاص منه، الشرطة لا تلعب في هذا».

«ناكاتا آسف لأنك تورطت في الأمر».

«ألن تسلّم نفسك؟».

«لا، لن أسلّم نفسي»، ردّ ناكاتا بحسم لا يشبهه، «لقد حاولت بالفعل، ولكن الآن لا أريد أن أسلم نفسي، هناك بعض الأشياء التي يجب على ناكاتا أن يفعلها. وإلا لكان مجيئي كل هذه المسافة بلا فائدة».

«عليك أن تعيد إغلاق حجر المدخل هذا».

«أجل، الأشياء التي تنفتح، لا بدّ من إغلاقها. ثم سأعود طبيعياً. ولكن هناك بعض الأمور التي على ناكاتا الاهتمام بها أولاً».

«الكولونيل ساندرس، الرجل الذي دلّني على مكان الحجر»، قال هوشينو، «هو الذي ساعدنا على الاختباء. ولكن لماذا يفعل هذا؟ هل هناك صلة ما بينه وبين جوني واكر؟».

كلما حاول هوشينو أن يفك خيوط المسألة، ازدادت حيرته. من الأفضل ألا أحاول أن أعثر على المنطق، قرر هوشينو في قرارة نفسه، في أمر غير منطقي البتة، «تفكير بلا جدوى أسوأ من عدم التفكير»، قال بصوت عال وهو يطوي ذراعيه على صدره.

«سيد هوشينو؟»، قال ناكاتا.

«ماذا؟».

«أشمّ رائحة البحر».

مضى هوشينو إلى النافذة وفتحها، وخرج إلى الشرفة الضيّقة وتنفس بعمق. لم يشمّ رائحة بحر. وفي الأفق كانت سحب الصيف البيضاء تطفو فوق غابات الصنوبر، «لا أشم شيئاً»، قال هوشينو.

جاء ناكاتا ووقف قربه وراح يتشمم، محركاً أنفه كالسنجاب. «أنا أشمها... البحر هناك.» أشار ناكاتا صوب الغابة.

«لديك أنف قوي جداً»، قال هوشينو، «أنا لدي مشكلة بسيطة في اللحمية ولذلك أصاب دائماً بالزكام».

«سيد هوشينو، لمَ لا نتمشّى حتى البحر؟».

فكّر هوشينو واستنتج أن نزهة قصيرة إلى الشاطئ لن تكون مضرّة، «حسناً، هيا بنا».

«ناكاتا يجب أن يفرغ في الحمّام أولاً، إذا لم يكن لديك مانع».

«خذ وقتك، لسنا مستعجلين».

وبينما كان ناكاتا في الحمّام، راح هوشينو يتفرّج على الشقة. مثلما قال الكولونيل، هناك تقريباً كل ما يحتاجان إليه؛ كريم حلاقة في الحمام، فرشاتا أسنان جديدتان، قطن للأذن، لاصق للجروح، مقصّ أظافر. كل الأساسيات، وحتى المكواة وطاولتها. كرم شديد منه، فكر

هوشينو، يخيّل إليّ أن سكرتيرته هي التي فعلت كل هذا. لم تنسَ شيئاً.

فتح هوشينو الخزانة ووجد ملابس داخلية جديدة. لا يوجد قمصان «آلوها»، مع الأسف، فقط بعض القمصان المقلّمة وقمصان «بولو»، وتيشيرتات تومي هيلفيجر جديدة تماماً، «كنت أظن أن الكولونيل ساندرس سريع البديهة»، اشتكى هوشينو للا أحد. «كان عليه أن يلاحظ أنني لا أرتدي سوى قمصان آلوها. وبما أنه كلف نفسه كل هذا العناء، فكان بمقدوره على الأقل أن يشتري لي قميص آلوها واحداً». لاحظ أن القميص الذي يرتديه تفوح منه رائحة بشعة، فخلعه وارتدي قميص بولو. وكان على مقاسه تماماً.

سارا بين أشجار الصنوبر، وتجاوزا سور الكورنيش إلى الشاطئ. كان «البحر الداخلي» ساكناً. جلسا متجاورين على الرمل، وراحا يتفرجان على الأمواج ترتفع كملاءات في الهواء ثم تتكسّر بصوت ناعم. عدة جزر صغيرة يمكن رؤيتها في الأفق. لم يكن أيٌّ منهما قد ذهب إلى البحر كثيراً، فاحتفت عيونهما بالمنظر.

«سيد هوشينو؟»، قال ناكاتا كاسراً الصمت.

«ماذا؟».

«البحر شيء جميل حقاً، أليس كذلك؟».

«فعلاً، يشعرك بالهدوء».

«لماذا هو هكذا؟».

«ربما لأنه كبير جداً وفارغ»، قال هوشينو مشيراً بيده حوله. «لم تكن لتشعر بهذا الهدوء لو كان ثمة هنا مطعم سفن إليفن أو محلات صويا، أليس كذلك؟ أو محل باشينكو هناك أو محل رهونات يوشيكاوا هنا؟ ولكنك هنا لا ترى شيئاً على مدّ النظر، شيء رائع».

«أظن أنك على حق»، قال ناكاتا، متأملاً في كلام هوشينو، «سيد هوشينو؟».

«نعم».

«أريد أن أسألك شيئاً آخر».

«تفضّل».

«ماذا يوجد في قاع البحر؟».

«هناك ما يشبه عالماً آخر، كل أنواع السمك، والمحار والأعشاب. ألم تذهب إلى حوض أسماك من قبل؟».

«لا، ولا مرة. المكان الذي عاش فيه ناكاتا لمدة طويلة، ماتسوموتو، ليس فيه مثل هذه الأمور».

«بلى، لا أظن أن فيه شيئاً كهذا»، قال هوشينو، «بلدة كهذه، بعيدة في الجبال - أتوقع أن يكون فيها متحف للفطر أو ما شابه. على أي حال، هناك في قاع البحر يوجد كل شيء. والحيوانات البحرية تختلف عنا - فهي تأخذ الأكسجين من الماء ولا تحتاج إلى الهواء. وهناك بعض الأشياء الجميلة عندهم تحت، أشياء لذيذة، وهناك أيضا أشياء خطرة. وأشياء مرعبة أيضاً. إذا لم تكن قد رأيتها قبلاً، فمن الصعب أن أشرحها لك، ولكن هناك تحت، كل شيء مختلف عما اعتدنا عليه هنا. الدنيا تحت مظلمة، وفيها بعض أفظع المخلوقات التي لم ترَ مثلها من قبل. ما رأيك بعد أن ينتهي كل ما نحن فيه الآن، أن نذهب معاً إلى حوض أسماك؟ ستستمتع بالتأكيد، وأنا أيضا لم أذهب إلى حوض أسماك منذ وقت طويل. أنا متأكد أنه يوجد واحد هنا».

«نعم، أحب كثيراً أن أذهب إلى مكان كهذا».

«والآن ثمة ما أريد أنا أن أسألك عنه».

«نعم؟».

«ذلك اليوم الذي رفعنا فيه الحجر، فتحنا المدخل، أليس كذلك؟».

«نعم، أنا وأنت فتحنا المدخل، وبعد هذا ناكاتا سقط في النوم».
«ما أريد أن أعرفه هو هل حدث شيء بسبب انفتاح المدخل؟».
أومأ ناكاتا. «نعم، حدث شيء».
«ولكنك ما زلت لا تعرف ما هو هذا الشيء».
هزّ ناكاتا رأسه بحسم. «لا، ناكاتا لا يعرف بعد».
«إذ ربما يحدث في مكان آخر إذن، في هذه اللحظة؟»
«نعم، أظن ذلك. كما قلت، إنه يحدث. وأنا في انتظار أن ينتهي».
«وما إن ينتهي أياً كان ما يحدث فسيعود كلّ شيء تلقائياً إلى طبيعته؟».
يهزّ ناكاتا رأسه بحسم مجدداً، «هذا ناكاتا لا يعرفه. أنا أفعل ما أفعله لأنه محتّم عليّ. وليس لدي أي فكرة عما سيحدث بسبب ما أفعله. أنا لست ذكياً جداً، ولهذا من الصعب عليّ أن أحلّ كل هذا. ولا أعرف ماذا سيحدث».
«على كل حال، سوف يأخذ الأمر بعض الوقت، صح؟ يعني لينتهي هذا الذي يحدث أو لتكون خاتمة ما؟».
«هذا صحيح».
«وبينما نحن ننتظر علينا أن نحرص على ألا نقع في أيدي الشرطة، لأنه ما زال هناك أمور يجب أن تفعلها؟».
«صحيح. لا مانع لديّ من زيارة الشرطة، أنا مستعد لفعل ما يأمر به المحافظ. ولكن الآن ليس الوقت المناسب».
«أتعرف؟ لو سمعت الشرطة حكايتك المجنونة، فسيرمونها وراء ظهرهم، ويفبركوا اعترافاً مناسباً، اعتراف يسهل على الجميع تصديقه. كأن يقولوا إنك كنت تسرق البيت وسمعت صوت شخص، فأمسكت بسكين من المطبخ وطعنته. هم لا يهتمون أصلاً بالحقائق. يُلْبِسون الواحد التهمة فقط ليرفعوا معدلات القبض على المجرمين. ولا يرمش

لهم جفن. وفجأة تجد نفسك في السجن أو في عنبر المجانين الخطرين. يغلقون عليك بالقفل ويرمون المفتاح. وليس لديك المال لكي تدفع أجرة المحامي، فيرتجلون لك معتوهاً من المحكمة لا يهتم بك أكثر مما يهتمون هم، وطبعا واضح جداً كيف ينتهي كل هذا».

«أخشى أنني لا أفهم كل...».

«أنا فقط أخبرك كيف هي الشرطة. صدقني. أنا أعرفهم»، قال هوشينو، «لهذا لا أريد التورّط معهم. أنا والشرطة لسنا على وفاق فحسب».

«أنا آسف على المشكلات الكثيرة التي سببتها لك».

تنهّد هوشينو بعمق، «إذا تناولت السم تحصل على الطبق».

«وما معنى هذا؟».

«إذا كنت ستتجرّع السم، فيمكنك أيضاً أن تأكل الطبق الذي وضع فيه السم».

«ولكن إذا أكلت الطبق ستموت، وهذا مضر بالأسنان أيضاً، وستؤذي حنجرتك».

«معك حق»، قال هوشينو وقد حيّره الأمر «بلى صحيح، لماذا يجب أن تأكل الطبق أصلاً؟».

«أنا لست ذكياً جداً لأخبرك طبعاً، ولكن بعيداً عن السم، فالطبق قاس جدا طبعاً».

«ممم. معك حق في هذا. أنا نفسي محتار. ولا أنا كنت ممن يشغلون رأسهم أصلا. عموما ما أقصده أنه بما أني قطعت كل هذه المسافة معك، فسأبقى معك، وأهرّبك. لا أستطيع أن أصدق أنه يمكنك أن تُقْدِمَ على فِعْلَةٍ سيئة، ولن أتركك هنا وحدك، أنا رجل صاحب شرف».

«أنا ممتنّ جداً. ناكاتا لا يستطيع أن يشكرك كفاية. ومع هذا فسأثقل عليك مرة أخرى وأطلب منك خدمة».

«تفضل».

«سنحتاج إلى سيارة».

«سيارة مستأجرة؟»

«ناكاتا لا يعرف في الحقيقة ما هذا، ولكن أي شيء سيكون جيداً. كبيرة كانت أم صغيرة، ما دامت سيارة.»

«لا مشكلة. أنت تتحدث مع متخصص. سأذهب وأختار واحدة بعد قليل. وهل سنتجه إذن إلى مكان ما؟».

«أظن ذلك. ربما سنذهب إلى مكان ما».

«أتدري يا سيد ناكاتا؟».

«نعم».

«أنا لا أشعر بالملل أبداً وأنا معك. وأنا معك تحدث أمور غير مألوفة، وحتى الآن يمكنني أن أؤكد لك أنني غير ضَجِر بالمرة».

«شكراً لك. يسرّني ذلك. لكن يا سيد هوشينو؟».

«ماذا؟».

«أنا لست متأكداً من أنني أفهم حقاً معنى كلمة ملل».

«ألم تملّ أبداً من قبل؟».

«لا، ولا مرة واحدة».

«أتعرف، أشعر إلى حد ما بأن هذا أمر طبيعي بالنسبة إليك».

37

نتوقف في إحدى البلدات لكي نتناول الإفطار ونشتري بعض المؤن والمياه معدنية من سوبر ماركت، ثم نصعد الطريق غير الممهدة عبر التلال حتى نصل إلى الكوخ. حين نصل أجد الكوخ تماماً كما تركته الأسبوع الماضي. أفتح النافذة لتهوئة المكان، ثم أخزّن الطعام.

«سآخذ قيلولة قبل أن أعود»، يقول أوشيما وهو يغطي وجهه بيده بينما يتثاءب وسع فمه، «لم أنم جيداً ليلة أمس».

لا بدّ من أنه مرهق للغاية، لأنه ما إن أصبح تحت الملاءة واستدار ناحية الحائط، حتى غاب عن العالم. أعدّ بعض القهوة وأصبّها في ترموس ليأخذه معه في طريق عودته، ثم أمضي لكي أملأ دلو الألومنيوم من الساقية. لم يتغير شيء في الغابة- رائحة العشب، نداءات الطيور، خرير الماء في الساقية، عبور الرياح سريعاً بين الأشجار، خشخشة أوراق الشجر، كل شيء على حاله. السّحُب فوقي قريبة حتى أشعر أنني أستطيع إمساكها. أشعر بالحنين حين أرى هذا كله مجدداً. لقد صار جزءاً مني.

بينما أوشيما نائم أجلس على الشرفة أشرب الشاي وأتصفّح كتاباً عن غزو نابليون لروسيا عام 1812. قُتِلَ نحو 400,000 جندي فرنسي في تلك البلاد الواسعة في تلك الحملة الضخمة العبثية. كانت المعارك نفسها مريعة، بالطبع، ولكن لم يكن هناك أطباء أو إمدادات طبية

كافية، ولهذا تُرِكَ معظم الجنود مّن أصيبوا إصابات بالغة يتألمون حتى الموت. والأسوأ من ذلك أن كثراً منهم ماتوا من البرد أو الجوع، وهذا لا يقلّ شناعة عن الموت قتلاً. جالس هناك على الشرفة، أَرْشِفُ شاي الأعشاب الساخن، والطيور تصدح من حولي، وأحاول أن أتصور المعارك في روسيا وهؤلاء الرجال يكابدون في العواصف الجليدية.

أصل إلى ثلث الكتاب تقريباً وأذهب للاطمئنان على أوشيما. أعرف أنه مرهق، ولكنه ساكن للغاية كما لو أنه ليس هنا أصلاً، فأشعر ببعض القلق. لكنه بخير، تحت الملاءة، ويتنفّس بهدوء. أدنو من السرير وأرى كتفيه يعلوان ويهبطان برقة. واقفاً هناك، أتذكر فجأة أنه امرأة. أنسى هذا معظم الوقت، وأفكر فيه على أنه رجل. وهذا بالضبط ما يريده هو. ومع ذلك فهو يبدو، وهو نائم، كأنه عاد امرأة من جديد.

أعود إلى الشرفة وأستأنف القراءة من حيث توقفت، إلى طريق خارج سمولينسك[1] مليئة بالجثث المجمدة.

ينام أوشيما عدة ساعات. وحين يصحو يخرج إلى الشرفة وينظر إلى سيارته. لقد حوّلت الطريق المغبرة المياتا الخضراء إلى بيضاء. يتمطّى بالكامل ويجلس بجانبي. «إنه موسم المطر»، يقول وهو يفرك عينيه، «ولكن لا يوجد مطر كثير هذا العام، وإن لم تمطر قريباً فستعاني تاكاماتسو من الجفاف».

أتجاسر وأسأله: «هل تعرف الآنسة سايكي بمكاني؟».

يهزّ رأسه. «لا، لم أخبرها شيئاً. فهي لا تعرف حتى بأمر هذا الكوخ. من الأفضل ألاّ تعلم حتى لا تتورط في هذا كله. فكلما قلّ ما تعرفه، قلّت حاجتها إلى الاختباء».

أومئ. هذا ما كنت أريد سماعه.

---

(1) سمولينسك: مدينة في غرب روسيا.

«لقد تورَّطَتْ بمشكلات كافية في السابق»، يقول أوشيما، «ولا ينقصها ما يجري الآن».

«لقد أخبرتها أن والدي توفي مؤخراً»، أقول له. «وأن أحدهم قتله. لكنني لم أذكر شيئاً عن الشرطة وأنها تبحث عني».

«إنها ذكية جداً، حتى لو لم يذكر أحدنا هذا الأمر، أشعر أنها استنتجت معظم ما يدور. ولهذا حين أخبرها غداً أنك اضطررت إلى الغياب لبعض الوقت لتفعل شيئاً ما، وأنك ترسل لها السلام، أشكّ في أنها ستسألني عن التفاصيل. أعرف أنها ستدع الأمر يمرّ».

أومئ.

«لكنك تريد أن تراها، أليس كذلك؟».

لا أجيب. لا أعرف كيف أُعبِّر عن هذا، وليس من الصعب تخمين الإجابة.

«أنا فعلاً أشعر، على نحو ما، بالأسى من أجلك»، يقول أوشيما، «ولكن كما قلت لك، أظن أنكما لا يجب أن تتقابلا لفترة».

«ولكن قد لا أراها ثانية أبداً».

«ربما»، يقرّ أوشيما، بعد تفكير، «هذا واضح للغاية، ولكن حتى قبل أن تحدث الأمور، فهي لم تحدث بعد، وغالباً ما لا تكون الأمور مثلما تبدو».

«ولكن ما هو شعور الآنسة سايكي؟».

يضيّق أوشيما ناظريه، «تجاه ماذا؟».

«أقصد- لو أنها عرفت أنها ربما لن تراني ثانية أبداً، أتشعر نحوي مثلما أشعر نحوها؟».

يبتسم أوشيما، «ولِمَ تسألني أنا؟»

«لا أعلم، ولهذا أسألك أنت. أن أحبّ أحداً ما، وأريده أكثر من أي شيء في الدنيا- كل هذا جديد كلياً عليّ. وكذلك أن هناك شخصاً يريدني أنا».

«أظن أنك مرتبك ولا تدري ماذا ستفعل».

أومئ، «بالضبط».

«ولا تعرف إذا كان لديها المشاعر القوية الصافية نفسها التي تكنّها لها»، يقول أوشيما.

أهزّ رأسي. «التفكير في هذا يؤلمني».

يصمت أوشيما لفترة ويروح يتأمل الغابة بعينين مزمومتين. تتقافز الطيور من غصن لآخر. يداه مشبوكتان وراء رأسه. «أدرك شعورك»، يقول أخيراً، «ولكن هذا شيء عليك أن تتجاوزه بنفسك. لا أحد يستطيع مساعدتك. هكذا الحب يا كافكا. أنت الذي بداخلك هذه الأحاسيس الرائعة، وعليك أن تعيشها وحدك فيما تهيم في الظلام. على ذهنك وجسدك أن يتحملاها كلها. كلّها وأنت وحدك».

بعد الساعة الثانية يستعد للمغادرة.

«إذا قسّمت الطعام» يقول لي، «فسيكفيك لمدة أسبوع. وسأعود حينها. وإذا طرأ شيء ولم أستطع المجيء، فسأرسل المؤن مع أخي. فهو يعيش على بعد ساعة فقط من هنا. وقد أخبرته أنك هنا. فلا داعي للقلق إذن. اتفقنا؟».

«اتفقنا».

«وكما قلت لك، كن حريصاً إذا ذهبت إلى الغابة. فإذا تهت، لن تجد طريق العودة أبداً».

«سأكون حريصاً».

«قبل أن تبدأ الحرب العالمية الثانية بوقت قصير، قامت وحدة كبيرة من القوات الإمبراطورية ببعض التدريبات هنا، بعض المناورات استعداداً لمحاربة الجيش السوفييتي في غابات سيبيريا. هل أخبرتك بهذا من قبل؟».

«لا».

«يبدو أنني نسيت الأمر الأهم»، يقول أوشيما بنعاس وهو يربت على صدغيه.

«ولكن هذه الغابة لا تشبه غابات سيبيريا»، أقول.

«معك حق. فأوراق الأشجار هنا عريضة، على عكس أوراق الأشجار في سيبيريا، لكن أظن أن العسكريين لا يعبأون بمثل هذه التفاصيل، كان غرضهم القيام بمناوراتهم استعداداً للحرب».

يصب كوباً من القهوة التي أعددتها له من الترموس، ويضع القليل جداً من السكر بالملعقة، ويبدو مستمتعاً بالنتيجة، «طلب الجيش من جدي السماح لهم باستخدام الجبال لإجراء تدريباتهم، ووافق هو بكل سرور. فلم يكن أحد آخر يستخدمها في الأصل. سارت الوحدة صاعدة على الطريق الذي كنا نقود عليه الآن، ثم دخلوا الغابة. وعندما فرغوا من التدريبات واستداروا عائدين اكتشفوا أن هناك جنديين مفقودين. اختفيا أثناء التدريب، بمعداتهم القتالية، وكلاهما كانا مجندين جديدين. أجرى الجيش بحثاً مكثفاً عنهما، لكنهما لم يظهرا أبداً». يرشف أوشيما رشفة أخرى من القهوة. «وحتى يومنا هذا لا أحد يعرف ما إذا كانا قد اختفيا هكذا ببساطة أم هربا. الغابات من حولنا هنا عميقة بشكل لا يصدقه عقل، وبالكاد يوجد ما يمكنك الاعتماد عليه كغذاء».

أومئ.

«هناك عالم آخر مواز لعالمنا هذا، وإلى حد ما يمكنك أن تخطو إليه وتعود منه آمناً. طالما كنت حريصاً. ولكن تجاوز هذا الحد وستضلّ الطريق. إنها متاهة. أتعرف من أين نشأت فكرة المتاهة في الأصل؟».

أهز رأسي.

«سكان بلاد ما بين النهرين القدامي كانوا يخرجون أمعاء الحيوانات- وأحيانا أمعاء البشر، كما أظن- ويستخدمونها للتنبؤ

بالمستقبل. كانوا معجبين بالتكوين المعقد للأمعاء، ولهذا فإن أساس كلمة المتاهة، هو كلمة الأمعاء. مما يعني أن مبدأ المتاهة بداخلك، ويتداخل هذا مع المتاهة *الخارجية*».

«مجاز آخر»، أقول

«صحيح. مجاز تبادلي. الأشياء خارجك ليست سوى انعكاس ظاهري لما بداخلك، وما في داخلك انعكاس لما هو خارجك. ولهذا فحين تدخل متاهة في الخارج، تكون في الوقت نفسه قد دخلت إلى متاهة *الداخل*. وهو، بالتأكيد، أمر ينطوي على خطر».

«مثل هانسل وجريتل[2]».

«صحيح- تماما مثلهما. تنصب الغابة فخاً، ومهما فعلت، مهما بلغت درجة حرصك، ستأكل بعض الطيور ذات النظر الثاقب كل فتات الخبز الذي تضعه كعلامات لطريق العودة».

«أعدك أنني سأكون حريصاً»، أخبره.

يفتح أوشيما سقف المياتا، يرتدي نظارته الشمسية ويضع يده على عصا السرعة. تردد الغابة صدى صوت المحرّك المألوف. يرجع أوشيما شعره للوراء بأصابعه، ويلوّح لي سريعاً ويختفي. يدور التراب في دوامات حيث كان واقفاً، وسرعان ما تحمله الريح معها.

---

(2) حكاية للأخوين غريمز عن ابن حطاب وابنته، تقنعه زوجته أن يذهب بهما إلى الغابة ويتركهما هناك، ويعرفان هما بالخطة مسبقا فيجمعان الحصى الأبيض لوضع علامات للعودة، فتقنعه زوجته مرة أخرى بتركهما في الغابة، وهذه المرة يضعان علامات لطريق العودة بفتات الخبز الذي تأكله الحيوانات فيجدا نفسيهما في الغابة أمام منزل من الخبز له نوافذ من السكر، تسكنه ساحرة بَنَت المنزل هكذا لتجذب الأطفال وتسمّنهم وتأكلهم، وتقوم الساحرة بحبس هانسل واتخاذ جريتل خادماً لها، وبينما تعد لطهو هانسل، تطلب من جريتل أن يصعد إلى الفرن ليري إن كان جاهزاً للخبز، ولكن جريتل يخدع الساحرة ويقنعها بالصعود إلى الفرن وينقذ أخته ويغلق باب الفرن على الساحرة..

أعود إلى الكوخ وأتمدّد على السرير وأغمض عينيَ. أتذكر أنني أيضاً لم أنم جيداً ليلة أمس. ما زالت علامات جسد أوشيما هنا على الوسائد والأغطية. ليست علامات جسده هو، وإنما بتحديد أكثر علامات نومه. أغرق في تلك العلامات. أستيقظ بعد نصف ساعة على صوت خبطة عالية في الخارج، وكأنه جذع شجرة ارتطم بالأرض. أنهض وأخرج إلى الشرفة لأتبيّن الأمر. كل شيء على حاله. ربما كان صوتاً ما مبهماً يصدر عن الغابة من حين لآخر. أو ربما كان جزءاً من حلم. لا أستطيع أن أميّز هذا من ذاك.

أجلس على الشرفة وأقرأ حتى الغروب.

أُعِدُّ وجبة بسيطة وأتناولها بهدوء. وبعد أن أنظف الأطباق، أغرق في الكنبة وأفكر في الآنسة سايكي.

«كما قال أوشيما، الآنسة سايكي ذكية، ولها طريقتها الخاصة في فعل الأشياء»، يقول الفتى المدعو كرو. يجلس بجواري على الكنبة، تماما كما كنا في مكتب أبي. «إنها تختلف عنك كلياً»، يقول لي.

تختلف عنك كلياً. لقد تجاوَزَتْ كل أنواع العقبات، التي لا تستطيع أن تعتبرها عادية. لقد خَبِرَتْ أشياء لا فكرة لك عنها، وخبرت مشاعر لم تختبرها أنت قط. كلما عاش الناس مدة أطول، زادت مقدرتهم على التمييز بين ما هو مهم وما هو غير مهم. غالباً ما اضطرت إلى القيام بخيارات معقدة، وقد تحملت نتائجها كلها. ومجدداً، هي تختلف كلياً عنك. أنت لست سوى طفل عاش في عالم ضيق ولم يَخْبَر من الحياة سوى القليل. لقد عَمِلْتَ بكد لتصير أقوى، وفي بعض النواحي حققْتَ نجاحاً. هذه حقيقة. لكنك الآن تجد نفسك في عالم جديد، في موقف لم تختبره من قبل أبداً. كل هذا جديد عليك. فلا عجب إذن أن تكون مرتبكاً.

لا عجب أن تكون مرتبكاً. من الأشياء التي لا تعرفها ما إذا

كانت النساء يشعرن بالرغبة الجنسية. نظرياً، بالطبع يشعرن بها. هذا ما تعرفه فحسب. ولكن عندما يتعلق الأمر بكيف تعبّر هذه الرغبة عن نفسها، وكيف تكون - فليس لديك أي فكرة. رغبتك الجنسية مسألة بسيطة. ولكن رغبة النساء، خاصة الآنسة سايكي، شئ مبهم. عندما احتضنتك، أكانت تشعر بنفس الوله الجسدي؟ أم كان شيئاً مختلفاً تماماً؟

كلما أطلت التفكير في هذا كرهت سن الخامسة عشرة. تشعر باليأس. فقط لو كنت في العشرين - لا، حتى في الثامنة عشرة.. كان الأمر سيكون أفضل. أي شئ إلا الخامسة عشرة - لكنت فهمت مغزى كلماتها وحركاتها على نحو أفضل. ولكنت استجبت بطريقة صحيحة. تعيش الآن إحساساً رائعاً وطاغياً ربما لن تختبره مرة أخرى. لكنك لا تفهم حقاً مدى روعته. وهذا يجعل صبرك ينفد. وهذا، بدوره، يفضي بك إلى اليأس.

تحاول أن تتصور ما الذي تفعله هي الآن. اليوم الاثنين، والمكتبة مغلقة. ماذا تفعل في يوم عطلتها؟ تتخيلها وحدها في شقتها. تغسل، تطهو، تنظف، تخرج للتسوق - يومض كل مشهد في ذهنك. وكلما زادت تخيلاتك، صعب عليك أكثر الجلوس هنا بلا حراك. تود أن تتحول إلى غراب جسور وتطير خارج هذا الكوخ مبتعداً عن هذه التلال، وتستريح فقط خارج شقتها وتظل تحملق فيها للأزل.

ربما تقود سيارتها إلى المكتبة وتدخل غرفتك. تدق الباب، ولا أحد يجيبها. الباب مفتوح. تكتشف أنك لم تعد هنا. السرير مرتَّب، وأغراضك كلها غير موجودة. تتساءل أين ذَهَبْتَ، وقد تنتظر عودتك قليلاً، تجلس إلى المكتب، تسند رأسها بيديها وتحملق في «كافكا على الشاطئ»، تفكر في الماضي الذي تتضمنه اللوحة. ومهما طال انتظارها، فإنك لا تعود. وأخيراً تسلِّم أمرها وترحل. تسير إلى سيارتها الجولف في المرأب وتشغّل المحرك. آخر ما تريده أن تتركها ترحل

هكذا. تريد أن تحضنها، وتعرف مغزى كل حركة من حركات جسدها. لكنك لست هناك. أنت وحدك تماماً، في عزلة تامة.

تندسّ في الفراش وتطفئ النور، آملاً أن تأتي هي إليك في هذه الغرفة. ليس من الضروري أن تكون الآنسة سايكي الحقيقية - تلك الفتاة ذات الخمسة عشر عاماً لا بأس بها. لا يهم الشكل الذي تتخذه - روحاً حية، أو وهماً - إنما يجب أن تراها، يجب أن تكون بجانبك. ذهنك مشحون بها حتى الانفجار، وجسدك على وشك أن يتشظى أشلاء. ومع هذا، ورغم حجم رغبتك في أن تجدها هنا، ومهما طال انتظارك لها، لا تظهر أبداً. لا تسمع سوى صوت الرياح في الخارج، وهدير الطيور الناعم في الليل. تحبس أنفاسك محدقاً في العتمة. تصغي إلى الرياح، وتحاول أن تقرأ شيئاً ما فيها. تكابد لكي تفهم شيئاً مما تعنيه. غير أن كل ما يحيط بك ليس سوى ظلال مختلفة للظلام. أخيراً، تسلّم أمرك، وتغمض عينيك وتسقط في النوم.

38

بحث هوشينو عن وكالات تأجير السيارات في الدليل، واختار واحدة عشوائياً واتصل بها. «أحتاج إلى سيارة لعدة أيام،» قال، «صالون عادي جيد، لا شيء كبيراً جداً أو مميزاً».

«ربما ليس مناسباً أن أقول هذا» يقول موظّف الوكالة، «ولكن بما أننا لا نؤجر سوى المازدا فليس لدينا سيارات مميزة. اطمئن».

«عظيم».

«ما رأيك في فاميليا؟ سيارة يعتمد عليها، وأقسم أنها لا تتمتع بأي ميزات.. لا أحد سيميّزها على الإطلاق».

«جيد. اتفقنا إذن على الفاميليا». كانت الوكالة قريبة من المحطة فأخبره هوشينو أنه سيأتي بعد ساعة ليتسلَم السيارة.

ذهب بسيارة أجرة. قدّم لهم بطاقة حسابه المصرفي ورخصة القيادة، واستأجر السيارة لمدة يومين. كانت الفاميليا البيضاء المركونة في الساحة الأمامية، كالإعلان عنها، ليس فيها مميزات لافتة بالمرة. أشح نظرك عنها لحظة وتجدها قد تلاشت من ذاكرتك. إنجاز عظيم في المجهولِية.

في طريق عودته بالسيارة، توقف هوشينو أمام محل كتب واشترى خرائط لمدينة تاكاماتسنو وشبكة الطرق السريعة بشيكوكو. ثم عرّج على محل سيديهات قريب ليرى إن كان لديهم ثلاثية الأرشيدوق لبيتهوفن،

ولم يكن بالمحل الصغير سوى قسم صغير للكلاسيكيات ونسخة رخيصة من المقطوعة في سلة التخفيضات. ليست من عزف ثلاثي المليون دولار، للأسف، ولكن هوشينو سرّ بها ودفع 1000 ين.

في الشقة، كانت رائحة لطيفة تغمر المكان، حيث كان ناكاتا يعمل بهمة في المطبخ ليعد الدايكون على البخار وشرائح توفو مقلية. «لم أجد ما أشغل نفسي به فقمت ببعض الطهو»، قال له.

«عظيم»، قال هوشينو، «لقد أكلت أطعمة المطاعم كثيراً هذه الأيام، وسيكون لطيفاً جداً أن أتناول طعاماً منزلياً من باب التغيير. على فكرة لقد أحضرت السيارة. إنها بالخارج. هل تحتاج إليها الآن؟».

«لا، غداً سيكون مناسباً، ناكاتا يجب أن يتحدث أكثر مع الحجر اليوم».

«فكرة جيدة. الحديث مع الأشياء أمر مهم. سواء أكنت تتحدث مع الناس أم الأشياء، من الأفضل دوماً مناقشة الأشياء. أتعرف، عندما أقود الشاحنة، غالباً ما أتحدث مع المحرّك. يمكنك سماع كل شيء لو أَنْصَتَ جيداً».

«ناكاتا لا يمكنه الحديث مع المحرّكات، ولكن مناقشة الأشياء أمر مهم».

«وكيف الحال مع الحجر إذن؟ هل تتواصلان جيداً».

«ما زلنا في البداية».

«جميل. كنت أتساءل - هل الحجر منزعج لأننا جئنا به إلى هنا؟».

«لا، إطلاقاً، على حدّ علمي، الحجر لا يهتم كثيراً بالمكان الذي يكون فيه».

«الحمد لله- شيء مريح،» تنهَّد هوشينو، «بعد كل ما مررنا به إذا انقلب الحجر علينا فسنواجه المتاعب»

أمضى هوشينو فترة العصر يستمع إلى شريط لموسيقى الذي

اشتراه. لم يكن الأداء تلقائياً ويعلّم في الذاكرة كذاك الذي سمعه في المقهى. كان أكثر جموداً وثباتاً، ولكن في مجمله لم يكن سيئاً جيداً. وبينما كان متمدداً على ظهره على الكنبة، غمره اللحن المحبب، وحرّك أموراً كانت ترقد عميقاً في داخله.

لو كنت قد استمعت إلى هذه الموسيقى من أسبوع فقط، قال في سريرته، لما كنت فهمت شيئاً منها - ولا حتى رغبت في سماعها مرة أخرى. إلا أن الصدفة ساقته إلى ذاك المقهى الصغير، حيث غرق في كرسي مريح واستمتع بالقهوة وسمع الموسيقى. وانظر إلى نفسك الآن، حدّث نفسه، غارقاً في بيتهوفن- أتصدق هذا؟ تطور مذهل فعلاً.

أستمع إلى المقطوعة مرات عدة، مختبراً تقديره الجديد للموسيقى. كانت الأسطوانة المدمجة تتضمن ثلاثية أخرى لبيتهوفن، «الشبح». ليست سيئة - فكَّر مع نفسه - ومع هذا فإن «الأرشيدوق» تظلُ المفضَّلة لديه. إنها أكثر عمقاً. وطوال الوقت كان ناكاتا قابعاً في الزاوية يتمتم، قبالة الحجر الأبيض. كان يهزّ رأسه من حين لآخر أو يهرش رأسه. رجلان بعيدان عن العالم في عالمهما الصغير الخاص.

«أتزعجك الموسيقى؟»، سأله هوشينو.

«لا، أنا بخير. الموسيقى لا تزعجني. الموسيقى بالنسبة إلي كالرياح».

«الرياح؟».

عند السادسة أعدَ ناكاتا العشاء - سلمون مشوي وسلطة، إضافة إلى بعض الأصناف الجانبية التي ابتكرها من المواد المتوافرة. فتح هوشينو التلفزيون وشاهد الأخبار ليرى إن كان هناك تطورات جديدة في جريمة القتل. ولم يكن هناك أي خبر عنها. أخبار أخرى فقط - خطف طفلة رضيعة، المناوشات الفلسطينية الإسرائيلية المعتادة، حوادث مرور لا تُحصى على الطرق السريعة في غرب اليابان، عصابة سرقة سيارات يرأسها أجانب، تصريح غبي ينطوي على تمييز من أحد

وزارء الحكومة، إفلاس شركات في مجال الاتصالات. ولا خبرَ ساراً واحداً.

جلسا إلى المائدة وتناولا العشاء.

«أكل لذيذ فعلاً»، قال هوشينو، «أنت طاه ماهر جداً».

«شكراً لك، أنت أول شخص أطهو له».

«أتقول إنك لم تأكل مع أصدقاء أو أقارب أو أي أحد أبداً؟».

«ناكاتا يعرف قططاً كثيرة، ولكنها تاكل أشياء مختلفة تماماً».

«حسناً، حسناً»، قال هوشينو، «ولكن على أي حال الأكل لذيذ جداً، خاصة الخضار».

«أنا مسرور لأنه أعجبك. ناكاتا لا يقرأ، وأحيانا أرتكب أخطاء فظيعة في المطبخ. ولهذا غالباً ما استخدم المكوّنات نفسها وأطهو بالطريقة نفسها. لو كنت أجيد القراءة لكنت أعددت مختلف الأصناف».

«ما تطهوه كاف جداً».

«سيد هوشينو؟» قال ناكاتا بنبرة جادة، وهو يعدل جلسته.

«نعم؟»

«إن عدم القراءة يجعل الحياة صعبة».

«أظن ذلك»، قال هوشينو، «مذكور على غلاف هذه الأسطوانة أن بيتهوفن كان أصماً. لقد كان مؤلفاً موسيقياً مشهوراً، وفي شبابه كان أفضل عازف بيانو في أوروبا. ولكن في أحد الأيام، ربما بسبب المرض، بدأ يفقد السمع. وفي النهاية لم يعد قادرا على سماع شيء. صعب فعلاً أن تكون مؤلفاً موسيقياً لا يسمع. أتفهم قصدي؟»

«أظن ذلك».

«الموسيقي الأصمّ كالطاهي الذي فقد حاسة التذوّق. كالضفدع الذي فقد قائمتيه المفلطحتين. كسائق شاحنة بلا رخصة. شئ يفقد أي

شخص صوابه. ولكن بيتهوفن لم يدع هذا يؤثر فيه. لا بدّ من أنه اكتأب قليلاً في البداية، ولكنه لم يسمح للأسى أن يهزمه. وكأنه قال لنفسه. مشكلة؟ أي مشكلة؟ وألّف موسيقى أكثر من أي وقت مضى وأفضل من كل ما ألّفه سابقاً. أنا معجب بالرجل فعلاً. مثل «ثلاثية الأرشيدوق» هذه- كان شبه أصمّ عندما وضعها، أتصدّق هذا؟ ما أقوله إنه بالتأكيد صعب عليك ألا تكون قادراً على القراءة، لكنها ليست نهاية العالم. قد تكون لا تقرأ، ولكن هناك أشياء لا يقدر سواك على فعلها. وهذا ما يجب أن تركِّز عليه- نقاط قوتك. كأن تكون قادراً على الحديث مع حجر».

«نعم، الآن يمكنني أن أتحدث معها قليلاً. ناكاتا اعتاد محادثة القطط».

«ولا أحد غيرك يمكنه هذا، صح؟ آخرون يمكنهم أن يقرأوا جميع كتب العالم ومع ذلك لا يعرفون محادثة الحجارة أو القطط».

«لكن هذه الأيام ناكاتا يحلم كثيراً أثناء النوم. وفي أحلامي، لا أعرف لماذا، أستطيع أن أقرأ. هناك أنا لست غبياً كما أنا الآن. أراني سعيداً جداً، أذهب إلى المكتبة وأقرأ كتباً كثيرة. وأشعر كم رائع أن أقرأ. أقرأ كتابا بعد الآخر، ولكن بعد هذا ينطفئ النور في المكتبة ويحلّ الظلام. أحدهم يطفئ الأنوار، فلا أستطيع أن أرى، أو أقرأ المزيد من الكتب. ثم أستيقظ. حتى لو كان مجرد حلم، فمن الرائع أن أتمكن من القراءة».

«مثير...»، قال هوشينو، «وها أنذا، أستطيع أن أقرأ وبالكاد أمسك كتاباً. هذا العالم مكان فوضوي، بالتأكيد مكان فوضوي».

«سيد هوشينو؟»، قال ناكاتا.

«ماذا؟».

«في أي يوم نحن؟».

«السبت».

«أي أن غداً الأحد؟».

«بطبيعة الحال».

«هل تقلني بالسيارة غداً صباحاً؟».

«بالطبع ولكن إلى أين تريد أن تذهب؟».

«ناكاتا لا يعرف. سأفكر في هذا بعد أن أركب السيارة».

«صدق أو لا تصدق»، قال هوشينو، «كنت أشعر أن هذا ما ستقوله.»

استيقظ هوشينو في اليوم التالي بعيد السابعة صباحاً. وكان ناكاتا قد بدأ بإعداد الإفطار. ذهب هوشينو إلى الحمّام، وغسل وجهه بماء بارد وحلق ذقنه بماكينة حلاقة كهربائية. تناولا الأرز وحساء ميزو بالباذنجان وسمك أسقمري مجفّف ومخلل، وتناول هوشينو طبق أرز آخر.

وفيما كان ناكاتا يغسل الأطباق شاهد هوشينو الأخبار في التلفزيون. وهذه المرة كان هناك القليل عن جريمة القتل التي وقعت في ناكانو. «مرت عشرة أيام على وقوع الحادث، وما زالت الشرطة لم تمسك بأي خيط يقود إلى المجرم». قال مذيع المحطة اليابانية الرسمية. وظهرت على الشاشة بوابة منزل راق، محاطاً برجال الشرطة.

«ويستمر البحث عن ابن الراحل الذي يبلغ من العمر 15 عاماً إلا أن مكانه لا يزال مجهولاً. كذلك يستمر البحث عن رجل في عقده السادس كان يقيم بالجوار والذي كان قد مرَّ بمركز الشرطة بعد وقوع الجريمة مباشرة ليقدم معلومات بشأن الجريمة. ويظل غامضاً ما إذا كانت هناك علاقة بين هذين الشخصين المختفيين. ذلك لأن المنزل من الداخل لم تبد عليه علامات نزاع من أي نوع، مما يجعل الشرطة تعتقد أن الجريمة هي في نطاق الثأر الشخصي وليست عملية سطو فاشلة، كما تجري الشرطة تحقيقاتها مع أصدقاء السيد تامورا ومعارفه. وفي

متحف طوكيو الوطني للفن الحديث، حيث يتم تكريم الإنجازات الفنية للسيد تامورا. . . . .»

«يا جدي»، صاح هوشينو بناكاتا في المطبخ.

«نعم، ما الأمر؟».

«هل تعرف ابن هذا الرجل الذي قتل في ناكانو؟ فتى في الخامسة عشرة من عمره؟».

«لا، لا أعرفه. كما أخبرتك. كل ما يعرفه ناكاتا عن الأمر هو جوني واكر وكلبه».

«صحيح؟»، أجاب هوشينو، «الشرطة تبحث عنه هو أيضاً. يبدو أنه ابنه الوحيد، ولم يذكروا أمه. أظن أنه هرب من البيت قبل الجريمة مباشرة وما زال مفقوداً».

«هكذا إذن؟»

«هذه الجريمة معقدة»، قال هوشينو، «ولكن الشرطة زمرة كتومة- دائما تعلم أكثر مما تعلن عنه، حسب ما قال الكولونيل ساندرس، إنهم يبحثون عنك، ويعلمون أنك بصحبة شاب وسيم مثلي. لكنهم لم يسرّبوا هذا للإعلام بعد. أكيد يخشون أنهم لو أعلنوا هذا فسنهرب إلى مكان آخر. ولهذا يصرون أمام العامة أنهم لا يعلمون بمكاننا. زمرة ظريفة هذه الشرطة».

عند الثامنة والنصف خرجا وركبا السيارة المؤجّرة. جلس ناكاتا في المقعد الأمامي، وكان معه ترموس الشاى الساخن المعتاد وكذلك قبعته الوفية التي ليس لها شكل، والمظلة، والحقيبة القماشية. وفيما كانا يغادران الشقة كان هوشينو على وشك أن يضع قبعة الشينوشي دراجونز، عندما نظر في المرآة توقف فجأة. لا بدّ من أن الشرطة تعلم أن الشاب الذي يبحثون عنه يضع دوماً قبعة شينوشي دراجونز، ونظارة شمس ريبان وقميص آلوها. ولا يمكن أن يكون هناك الكثير ممن يرتدون قبعة الدراجونز في تاكاماتسو، ومع الريبان والقميص سينكشف أمره كالإبهام

المتورّم. ولهذا السبب ملأ الكولونيل ساندرس البيت بقمصان بولو زرقاء غير مثيرة للشكوك - لا بدّ أنه توقع هذا. لا يفوته شيء هذا الرجل، فكر هوشينو في سرّه، ثم ألقى بالنظارة والقبعة جانباً.

«إلى أين إذن؟»، سأل.

«إلى أي مكان»، أجاب ناكاتا، «فقط در حول المدينة».

«متأكد؟».

«يمكنك أن تذهب أينما تحب، وأنا سأستمتع بالمشاهدة فقط».

«هذه المرة الأولى»، قال هوشينو، «لقد قدت كثيراً - سواء في قوات الدفاع أم في شركة النقل - أنا سائق محترم، لو كان لي أن أقول هذا عن نفسي. ولكن كل مرة أجلس خلف عجلة القيادة، أكون عارفاً بوجهتي وأنطلق إليها مباشرة، هذه هي طريقتي، على ما أظن. لم يقل لي أحد من قبل يمكنك *الذهاب أينما* تحب - *أي مكان*. أنت تربكني الآن».

«ناكاتا آسف جداً».

«لا عليك - لا داعي للاعتذار. سأفعل ما في وسعي». قال هوشينو، ثم وضع أسطوانة «ثلاثية الأرشيدوق» في المشغل الموسيقي. «فقط سنتجول في أنحاء المدينة وانت استمتع بالمناظر. اتفقنا؟».

«نعم، سيكون هذا رائعاً».

«وسأوقف السيارة عندما تجد ما تبحث عنه. ثم ستأخذ القصة منعطفاً جديداً. أليس كذلك؟».

«أجل هذا ما قد يحدث»، قال ناكاتا.

«لنأمل ذلك»، قال هوشينو وفرد خريطة المدينة في حجره.

طافا في المدينة، وظل هوشينو يعلّم كل شارع بمبنى ليتأكد من أنهما يمران بكل الشوارع. وكانا يستريحان من وقت لآخر فيستمتع ناكاتا

بكوب شاي وهوشينو بسيجارة مارلبورو. وظلت ثلاثية بيتهوفن تعزف مرة بعد مرة. وعند الظهر مرّا بمقهى وتناولا الكاري.

«ولكن عن ماذا تبحث بحق الجحيم؟»، سأل هوشينو بعد أن تناولا الطعام.

«لا أعرف لكني أظن...».

«أنك ستعرفه عندما تراه. وقبل ذلك لن تعرف ما هو».

«نعم، هذا صحيح».

هزَّ هوشينو رأسه بخمول. «كنت أعرف ماذا ستقول لكنني أردت أن أتأكد».

«سيد هوشينو؟»

«ماذا؟».

«قد يستغرق الأمر بعض الوقت لأجد ما أبحث عنه».

«لا عليك، سنفعل ما في وسعنا. لقد غادرت السفينة رصيف الميناء ونحن على متنها بالفعل».

«هل سنركب سفينة؟»، سأل ناكاتا.

«لا، لا سفن في الوقت الحالي».

في الثالثة ذهبا إلى مقهى، حيث تناول هوشينو كوب قهوة، واحتار ناكاتا ماذا يطلب، وأخيراً قرَر أن يطلب الحليب المثلَّج. وكان هوشينو مرهقاً للغاية من القيادة فلم يشعر برغبة في التحدث. وكان قد اكتفى من سماع بيتهوفن. لم تكن تناسبه القيادة في دوائر دون وجهة محددة. كان عليه أن يخفض سرعته وأن ينتبه جيداً إلى حركته، فبدأ يملّ. ومن حين لآخر كانا يمران بسيارة دورية شرطة، فيتحاشى هوشينو النظر إليها. وجاهَدَ أيضاً لكي يتجنَب المرور بمراكز الشرطة. ربما كانت المازدا فاميليا أكثر سيارة لا تثير الشكوك، ولكن إذا لاحظت الشرطة سيارة تمرّ عدة مرات، فمن المحتمل جداً أن يوقفوها. قاد بحرص تام

حتى لا يرتطم بسيارة أخرى. قد تُعرِّض حادثة ما كل شيء إلى الخطر.

وفيما كان هوشينو يقود في المدينة، ناظراً إلى الخريطة، كان ناكاتا يجلس بلا حراك، يداه على النافذة، يمسح بعينيه كلَ ما يمرّ به، ويبحث بهمة عن شيء ما، تماماً كطفل أو كلب حسن السلوك. ركّز كل منهما على دوره حتى المساء، وبالكاد تبادلا كلمة واحدة.

«ما الذي تبحث عنه؟»، راح هوشينو من شدّة يأسه يدندن أغنية لإنوي يوسوي. لم يستطع أن يتذكر كلمات المطلع، فارتجل كلمات من عنده بينما يدندن.

ألم تجده بعد؟

سرعان ما ستغرب الشمس....

ومعدة هوشينو تبقبق.

يقود في دوائر دوائر، ورأسه يلف ويلف.

وعادا إلى الشقة في السادسة.

«لنواصل غداً»، قال ناكاتا.

«لقد غطينا مساحة كبيرة اليوم. وقد نفرغ من المدينة كلها غداً»، قال هوشينو. «لديَ سؤال لك».

«وما هو؟».

«إذا لم تجد ما تبحث عنه في تاكاماتسو، فماذا ستفعل؟»

هرش ناكاتا رأسه بقوة. «إن لم نجده في تاكاماتسو، فسيكون علينا إذن أن نتقدم في البحث».

«وإن لم نجده، فماذا سيكون علينا أن نفعل؟».

«لو حدث هذا، سنبحث أكثر فأكثر إذن».

«سنقود في دوائر أكبر وأكبر إذن، وفي النهاية سنجده. كما يقول المثل. لو ظل الكلب يمشي، بالتأكيد سيضرب العصا».

«نعم. أظن أن هذا ما سيحدث»، قال ناكاتا، «ولكن ناكاتا لا

يفهم. لماذا على الكلب أن يضرب العصا ما دام يسير؟ لو أن هناك عصا أمامه فيمكنه أن يدور حولها».

احتار هوشينو في هذا. «صحيح، أظن معك حق. لم أفكر في هذا من قبل أبداً...».

«شيء غريب جداً».

«لننس الكلب والعصا الآن للحظة، حسناً؟»، قال هوشينو، «هذا يزيد الأمر تعقيداً فقط. ما أريد أن أعرفه هو إلى أين سنصل في بحثنا؟ إن لم ننتبه لأنفسنا، سنجد أنفسنا دون أن ندري في إقليم آخر- إيهيمي أو كوتشي أو غيرهما. وسينتهي الصيف ويأتي الخريف».

«ربما. ولكن يجب أن أجده، حتى لو كنا في الخريف أو في الشتاء. أنا أعرف أنه لا يمكنني أن أطلب منك أن تساعدني للأبد. فقط سيسير ناكاتا بمفرده ويواصل البحث».

«دعنا لا نقلق بخصوص هذا الآن»، تمتم هوشينو، «ولكن ألا يمكن للحجر أن يكون شهماً معنا ويعطينا إشارة أو ما شابه؟ حتى لو كانت تقريبية. فهذا سيعيننا قليلاً».

«ناكاتا آسف جداً، ولكن الحجر لا يقول الكثير».

«لا يفاجئني ألا يكون الحجر ثرثاراً»، قال هوشينو، «لا أظن أنه يسبح جيداً أيضاً. عموماً... لا داعي للتفكير في هذا الآن، فلننم جيداً الآن ونر ما سيحمله الغد لنا».

كررا في اليوم التالي الروتين نفسه، إنما هذه المرة في النصف الغربي من المدينة. سرعان ما امتلأت خريطته بالخطوط الصفراء. ولم يختلف هذا اليوم عن السابق إلا في زيادة تثاؤب السائق. وظل ناكاتا فاتحاً عينيه على وسعهما، متفحّصاً المنظر أمامه باهتمام. بالكاد تبادلا الحديث. وأياً كان ما يبحث عنه ناكاتا، لم يعثر عليه.

«اليوم الاثنين؟»، سأل ناكاتا.

«أجل. كان الأمس الأحد، فاليوم إذن هو الاثنين»، أجابه هوشينو. ثم، وبيأس تقريباً، ارتجل لحناً ما على بعض الكلمات التي خطرت له:

«لو أن اليوم الاثنين،
فغداً الثلاثاء
والنمل يعمل بنشاط
ويبتلع كل شيء
والمحنة طويلة طويلة، والشمس حمراء حمراء

«سيد هوشينو؟»، قال ناكاتا بعد فترة.

«أجل؟»

«يمكنك أن تشاهد النمل وهو يعمل لفترة طويلة ولا تملّ من هذا أبداً».

«أظن أنك مصيب» أجاب هوشينو.

وفي منتصف اليوم توقفا خارج مطعم متخصص في سمك الحنكليس وطلبا الطبق الخصوصي، طبق الأرز مع الحنكليس. وفي الثالثة ذهبا إلى مقهى، حيث طلب هوشينو قهوة، وطلب ناكاتا شاي عشب البحر. وبحلول السادسة مساء كانت الخريطة قد امتلأت كلياً بالعلامات الصفراء، وكانت سيارة الفاميليا قد وطأت كل شبر من طرقات المدينة. ومع ذلك لم يحالفهما الحظ.

«ما الذي تبحث عنه؟»، غنى هوشينو مرة أخرى بصوت خامل. «ألم تجده بعد؟/ لم نترك مكاناً/ ومؤخرتي تؤلمني، لم لا نذهب إلى البيت؟».

بعد أن فرغ، قال، «لقد أطلنا في هذه الأغنية، بعد قليل سأصبح كاتب أغنيات»، قال هوشينو.

«ماذا تعني؟»، سأله ناكاتا.

«لا تهتمّ. مجرد نكتة لا عادية».

غادرا المدينة، وانطلقا في الطريق السريع عائدَيْن إلى الشقة. فات هوشينو لاستغراقه في أفكاره أن ينعطف يساراً. فحاول أن يعود إلى الطريق السريع، إلا أن الطريق كان متعرجاً بزاوية غريبة في اتجاه واحد وسرعان ما ضلَّ الطريق. وقبل أن يدرك، كانا في ضاحية لم يرياها من قبل، منطقة قديمة راقية تحيط بمنازلها أسوار عالية. وكان الطريق ساكناً بصورة غريبة، لا يكاد يسمع فيه صوت.

«لا أظن أننا ابتعدنا كثيراً عن الشقة، لكن ليس لدي فكرة أين نحن»، أقرّ هوشينو. وتوقف في مرأب فارغ، أوقف المحرّك، وشد فرامل اليد، وبسط خريطته أمامه. تأكد من اسم المنطقة ورقم الشارع على ضوء عامود إنارة قريب. ربما كانت عيناه مجهدتين، فلم يستطع، أن يجدها على الخريطة.

«سيد هوشينو؟»، سأل ناكاتا.

«أجل؟»

«آسف لأزعاجك، ولكن ماذا تقول هذه اللافتة هناك عند البوابة؟».

رفع هوشينو نظره عن الخريطة إلى حيث يشير ناكاتا إلى حائط عال ببوابة قديمة الطرز، وبجانبها لافتة خشبية كبيرة. كانت البوابة السوداء مغلقة بإحكام. «مكتبة كوميورا التذكارية»، قرأ هوشينو. «عجباً. . . مكتبة في منطقة مهجورة؟ حتى أنها لا تشبه المكتبة. بل قصراً تاريخياً».

«مكتبة كوم- *يورا التذكا*- رية؟».

«أصبت. لا بدّ من أنها شيّدت لذكرى شخص ما أسمه كوميورا. لكن لا فكرة لديّ من يكون كوميورا هذا».

«سيد هوشينو؟»:

«نعم؟»

«هذا هو»

«ماذا تعني بهذا؟».

«المكان الذي يبحث عنه ناكاتا».

رفع هوشينو نظره عن الخريطة مرة أخرى وحدّق في عيني ناكاتا. قطب حاجبيه، ونظر مرة أخرى إلى اللافتة وقرأها مجدداً ببطء. أخرج سيجارة من العلبة، ووضعها بين شفتيه، وأشعلها بولاعته البلاستيكية. نفث دخانها ببطء، ثم نفخ الدخان من النافذة المفتوحة.

«أأنت متأكد؟».

«نعم، هذا هو».

«الصدفة شئ مرعب، اليس كذلك؟»، قال هوشينو.

«بالتأكيد شيء مرعب»، وافقه ناكاتا.

39

يمرّ يومي الثاني في الجبال بسهولة وسلاسة. الفارق الوحيد بين يوم وآخر هنا هو الطقس الذي لو ظلّ على حاله لما استطعت أن أميّز يوماً عن سواه. الأمس، اليوم، الغد، تصبح يوماً واحداً الزمن كسفينة تطفو على غير هدى في البحر الواسع.

أُجْري بعض الحسابات وأستنتج أن اليوم الثلاثاء. اليوم تقوم الآنسة سايكي بجولتها المعتادة في المكتبة، إذا كان ثمة من الرواد من يرغب في ذلك. أتخيّلها كأول يوم رأيتها فيه... تطرطق بكعب حذائها العالي على السلالم، وهي تصعد إلى الطابق الأول، ويتردد الصوت في السكون. جوربها اللمّاع، كنزتها البيضاء، قرطاها اللؤلؤيان الصغيران، قلم المون بلان على سطح مكتبها. ابتسامتها الهادئة التي تضفي عليها ظلاً طويلاً من التسليم بالأمر الواقع. كل هذه التفاصيل تبدو بعيدة جداً الآن- وغير حقيقية.

جالساً على الكنبة في الكوخ، غارقاً بعبق القماش القديم، أتذكّر كيف مارسنا الحب. كيف تعرّت ببطء، وانضمّت إليّ في السرير. أنتعظ. يتصلّب عضوي كصخرة بينما تتسلل هذه الصور إلى ذهني. لكن حشفته لم تعد حمراء ولا ملتهبة، ولا حارقة.

تجهدني هذه الخيالات الجنسية، فأتجول في الخارج وأقوم بتمريناتي الروتيية المعتادة. أمارس بعض تمرينات الصدر مستنداً إلى

درابزين الشرفة، ثم بعض تمارين القرفصاء السريعة، تليها تمارين التمدّد. أغرق في عرقي، فأبلل منشفتي في الساقية وأمسح نفسي. تساعدني المياه الباردة على تهدئة أعصابي. أجلس على الشرفة وأسمع «راديوهيد» في الووكمان. منذ فراري من المنزل وأنا أسمع هذه الموسيقى مرة تلو المرّة، ألبوم "*Kid A*" لراديو هيد، أعظم أعمال «برنس»، وأحياناً «ماي فافوريت ثينجس» لجون كولترايِن.

عند الثانية ظهراً – مع بدء جولة الآنسة سايكي في المكتبة – أنطلق إلى الغابة. أتبع الدرب نفسه، وبعد فترة أصل إلى الفسحة. أقعد على العشب مسنداً ظهري إلى جذع شجرة وأنظر إلى السماء المتسلّلة من بين الأغصان المتشابكة مع لمحات من سحب الصيف البيضاء. حتى هذه المرحلة أنا في أمان، أستطيع أن أجد طريق العودة إلى الكوخ. متاهة للمبتدئين – لو كانت هذه لعبة فيديو لكنتُ أنهيت المستوى الأول بسهولة. لكن إذا تقدّمت أكثر، فسأدخل متاهة أكثر تعقيداً وتحدياً، حيث يصير الدرب أضيق وأكثر غرقاً في بحور السرخس.

أتجاهل هذا وأواصل التقدم.

أريد أن أرى مدى عمق هذه الغابة. أعلم أنه خطر، لكنني أريد أن أرى – وأشعر – الأخطار الكامنة هناك، مدى الخطر الحقيقي. عليّ أن أفعل هذا. ثمة ما يدفعني إلى هذا دفعاً.

متمهلاً أسير في ما يشبه الدرب. الأشجار تعلو أكثر فأكثر، والهواء يتكثف لحظة بعد أخرى. وفي الأعلى، تزداد الأغصان تشابكاً حتى تكاد تحجب السماء. لم يعد هنا ما يدلّ على الصيف، وأشعر كما لو أن المواسم كلها لم توجد قط. لا أعود متأكداً ما إذا كنت أتبع درباً أم لا. يبدو من مظهره درباً – ومع ذلك فهو لا يشبه الدرب. . وسط هذه الخضرة الكثيفة المفرطة في نموّها تضيع كل التعريفات، ويختلط ما هو منطقي مع ما ليس منطقياً. فوقي ينعق غراب بحدّة منذرة.

أتوقف وبتردّد أنظر حولي. من دون الأدوات اللازمة من الخطر الشديد التقدّم أكثر من هذا. عليّ أن أستدير وأعود.

ليس بالأمر السهل. كجيش نابليون المنسحب، أكتشف أن العودة أصعب بكثير من التقدم. النباتات الكثيفة تشكل حائطاً قاتماً أمامي. وقع تنفسي يعلو في أذني، كرياح تهب على طرف العالم. فراشة سوداء ضخمة، بحجم كفّ اليد، تظهر من بين الأشجار وترفرف أمام ناظري، يذكرني شكلها ببقعة الدم التي وجدتها على قميصي. تحلّق ببطء في الفضاء المفتوح، ثم تعاود الاختفاء بين الأشجار، فيبدو كل شيء فجأة أكثر كآبة، والهواء أشد صقيعاً. أشعر بالرعب - لا أعرف كيف أخرج من هنا - ينعق الغراب مجدداً - مرسلاً الرسالة نفسها. أقف وأنظر إلى أعلى. لا أراه. يهبّ نسيم من وقت لآخر، مطيّراً أوراق الشجر المسودّة تحت قدميّ على نحو ينذر بالشؤم. أشعر بظلال تجري مسرعة من ورائي، لكنها تختفي عندما ألتفت.

بطريقة ما أتمكّن من العودة إلى حيزي الآمن - الفسحة الصغيرة الدائرية. أرتمي على العشب وأتنفس بعمق. أنظر إلى السماء الحقيقية في الأعلى، لكي أقنع نفسي أنني عدت إلى العالم الحقيقي. علامات الصيف التي تحيط بي أصبحت أكثر قيمة الآن. يغمرني نور الشمس كستارة، يدفئني. لكن الرعب الذي عشته يظلّ عالقاً بي، كبقايا ثلج لم يذب في ركن حديقة. من وقت لآخر يدق قلبي دون انتظام، وما زالت رعشة الخوف سارية على جلدي.

تلك الليلة أرقد في الظلام، أتنفّس بهدوء، فاتحاً عينيّ على وسعيهما، آملاً أن تطلّ فجأة من هذه العتمة. أصلي لكي تظهر، غَيْرِ عَالِمٍ إذا كانت الصلوات تحقّق أي نتيجة، مركّزاً بكل قوتي. مؤمناً بأن الحاجة الماسة ستحقّق الأمنية.

لكن أمنيتي لا تتحقق. مثل الليلة الماضية، لا تجئ الآنسة

سايكي. لا الحقيقية ولا الوهمية ابنة الخامسة عشرة. تظل الظلمة على حالها- ظلمة. وقبل أن أنام مباشرة أشعر بانتعاظ رهيب، عضوي أصلب من أي مرة سابقة، لكنني لا أمارس العادة السرية. لقد قررت الإبقاء على ذكرى ممارستي الحب مع الآنسة سايكي كما هي، على الأقل الآن. أغفو أخيراً، على أمل أن أراها في الحلم.

وبدلاً منها أرى ساكورا.

أكان حلماً حقاً؟ كان بالغ الحيوية والوضوح، لكنني لا أعرف ماذا أسميه سوى هذا، حلم إذن هو الوصف الصحيح. أنا في شقتها وهي نائمة في السرير. وأنا في سريري المحمول، تماماً كتلك الليلة التي أمضيتها عندها. عاد الزمن بي إلى تلك النقطة.

أصحو ظمئاً عند منتصف الليل. أخرج من سريري المحمول وأشرب. كوباً وراء الآخر- خمسة أو ستة أكواب. جلدي متعرّق، وعضوي بارز من البوكسر، يتصرّف كحيوان له عقله الخاص، يعمل على موجة مختلفة عن بقية أعضائي. عندما أشرب المياه يمتصها هو بشكل تلقائي. يمكنني أن أسمع صوته الخفيض وهو يمتص الماء.

أضع الكوب على المغسلة وأستند إلى الحائط. أريد أن أرى كم الساعة الآن، لكنني لا أجد الساعة. في هذا الوقت، أعمق ساعات الليل، يبدو أنه حتى الساعة غرقت في الأعماق. أقف قرب سرير ساكورا. ضوء من عمود إنارة في الشارع يتسلل من الستائر. وجهها في الاتجاه الآخر. نائمة تماماً، قدمها الصغيرة تبرز من الأغطية الخفيفة. ومن ورائي أسمع صوتاً صغيراً وقاسياً كما لو أن أحدهم ضغط على زر. أغصان كثيفة تحجب عني الرؤية. لا مواسم هنا. آخذ قراري وأنسلّ قرب ساكورا. يصدر السرير الضيق صريراً بسبب الوزن الزائد. أتنفس عَبَقَ قفاها المتعرق. وبرقّة أَلُفُّ ذراعي حولها. تصدر همهمة بسيطة دون أن تستيقظ. ينعق الغراب عالياً، لكني لا أراه. ولا أرى السماء حتى.

أرفع قميص ساكورا وأداعب صدرها الناعم، أقرص حلمتيها وكأنني أضبط مؤشر راديو. عضوي الصخري يخبط في وركها، لكنها لا تصدر أي ضجة وتستمر في التنفّس بهدوء. لا بدّ من أنها في أعماق حلمها، أفكر. مرة أخرى، ينعق الغراب. الرسالة نفسها التي لا أستطيع فكّ رموزها.

جسدها دافئ ومتعرّق كجسدي، أقرّر أن أديرها لتواجهني، أديرها ببطء حتى يصير وجهها لأعلى. تتنفّس بعمق، وما زالت لا تبدي أي علامة على الصحو. أضع أذني على بطنها محاولا أن ألتقط أصداء أحلامها من متاهة أمعائها.

عضوي لا يرحمني، منتصب كأنه سيظلّ هكذا إلى الأبد. أنزع كيلوتها القطني الصغير، أخرجه ببطء من رجليها. أضع راحة يدي على عانتها، وبرقة أترك أصابعي تمضي عميقاً. فرجها الرطب يدعوني إلى داخله. ببطء أحرك أصابعي. لا تزال نائمة. غارقة في حلمها، فقط تتنفّس بعمق مرة أخرى.

في الأثناء ثمة، في تجويف بداخلي- ما يناضل للخروج من قوقعته. وقبل أن أدرك ما يحدث، أجد عينين تنفتحان في داخلي. أستطيع أن أرى المشهد كله، لا أعرف بعد ما إذا كان هذا الذي في داخلي طيباً أم شريراً. لا أستطيع الإمساك به أو إيقافه. لا يزال كياناً بلا وجه، لكنه سرعان ما سيكسر قوقعته ويتحرر، ويُظهر وجهه، ويتخلص من مشيمته الرخوة. وحينها سأعرف ما هو حقاً. أما الآن فهو مجرد إشارة بلا شكل. إنه يمد يده - التي ليست يد - ويكسر القوقعة من أضعف نقطة فيها، وأنا أرى أي شيء وكل حركة من حركاته.

أقرر.

لا، في الحقيقة لا أقرر شيئاً. أن تقرر يعني أن تملك الخيار، وأنا لا خيار لي. أنزع البوكسر، وأحرّر عضوي. أحتضن ساكورا، أفتح رجليها وأدسّ عضوي بداخلها. يحدث هذا بسهولة - ففرجها رطب

جداً وعضوي صلب جداً. لم يعد يؤلمني الآن. في الأيام القليلة الماضية صارت حشفته أقسى بكثير. ما زالت ساكورا تحلم فيما أقحم نفسي في حلمها.

تهب صاحية فجأة وتدرك ما يحدث.

«كافكا، ما الذي تفعله؟».

«يبدو أنني في داخلك»، أجيبها.

«ولكن لماذا؟» تسأل بصوت جاف وقاس، «ألم أخبرك أن هذا لا يصح؟».

«لا أستطيع منع نفسي».

«توقف حالاً. أخرجه فوراً».

«لا أستطيع» أقول، هازّاً رأسي.

«اسمعني. أولاً أنا مرتبطة. حسناً؟ ثانياً، لقد دخلت إلى حلمي من دون استئذان، وهذا ليس بجيد».

«أعرف».

«ما زال الأمر بيدك. أنت بداخلي، لكنك لم تتحرّك بعد، ولم تقذف، إنه جامد في داخلي، وكأنه يفكر في شيء ما، أليس كذلك؟».

أومئ.

«أخرجه إذن»، تحثّني، «وسنتظاهر بأن هذا لم يحدث. سأنسى كل هذا، وأنت أيضاً يجب أن تنسى. أنا أختك، وأنت أخي. حتى من دون صلة الدم، نحن بالتأكيد أخ وأخت. أتفهم ما أقوله؟ نحن من أسرة واحدة. ولا يصح أن نفعل هذا».

«فات الأوان»، أخبرها.

«لماذا؟».

«لأنني قررت ذلك».

«لأنك قررت ذلك»، يقول الفتى المدعو كرو.

لا تريد بعد الآن أن تخضع لرحمة الأشياء بخارجك، أو أن تحيّرك الأشياء التي لا تستطيع السيطرة عليها. لقد قتلت أباك حقاً، وانتهكت أمك - وها أنت الآن داخل أختك. إذا كان ثمة لعنة في هذا كله، فأنت تريد الإمساك بها من قرونها وتنفذ البرنامج الموضوع لك مسبقاً. أن ترمي العبء عن كاهلك وتحيا. *لا كسجين في خطة شخص آخر، وإنما كـ أنت. هذا ما تريده.*

تغطي وجهها بيدها وتبكي قليلاً، تشعر بالأسى من أجلها، لكنك من المستحيل أن تترك جسدها. يتأرجح عضوك بداخلها، يزداد صلابة، وكأن جذوره تتشبّث بداخلها.

«إنني أتفهّم حالك»، تقول، «لن أقول المزيد. لكنني أريدك أن تتذكر شيئاً واحداً: أنت تغتصبني. أنت تعجبني، لكنني لا أريد أن يحصل الأمر هكذا، قد لا نرى بعضنا مرة أخرى، مهما رغبنا في ذلك، هل يرضيك ذلك؟».

لا تجيب. عقلك مغلق. تجذبها نحوك وتبدأ في تحريك وركيك. على مهل، وبحرص، وفي النهاية بعنف. تحاول أن تتذكر أشكال الأشجار لكي تساعدك على العودة، لكنها جميعا متشابهة وفي النهاية يبتلعها بحر المجهول. تغمض ساكورا عينيها وتسلّم نفسها للحركة. لا تحتجّ ولا تقاوم. وجهها خال من التعبير، تشيح به عنك. لكنك تشعر بالمتعة تبزغ في داخلها كامتداد لنفسك. الآن فهمت. الأشجار المتشابكة جدار مظلم يحجب عنك الرؤية. ولم يعد الطائر يرسل لك المزيد من الرسائل. ثم تقذف.

أقذف.

وأصحو، في السرير، وحدي. في منتصف الليل. الظلام أدمس ما يكون. الساعات كلها ضاعت فيه. أنهض من السرير، أخلع ملابسي التحتية، وأذهب إلى المطبخ وأشطف السائل. دبق، أبيض، وثقيل،

كابن غير شرعي للظلام. ابتلع كوب ماء بعد الآخر ولا شيء يروي عطشي. أشعر بوحدة لا يمكنني تحملها. في الظلام، في منتصف الليل، محاطاً بغابات سحيقة، لا يمكن أن أكون أكثر وحدة من هذا. لا مواسم هنا، لا نور. أعود إلى السرير، أجلس وأطلق تنهيدة طويلة. تلف الظلمة نفسها حولي.

هذا الشئ الذي في داخلك قد كشف عن نفسه. زالت القوقعة، انكسرت، لن تراها مرة أخرى، وها هو هناك، ظل داكن، مستريح. بيداك شئ لزج- دم إنسان؟ هذا ما يبدو. ترفعهما أمامك، ولكن لا يوجد ضوء كاف. الظلام دامس. في الخارج وفي داخلك.

40

كان هناك، إلى جانب لافتة «مكتبة كوميورا التذكارية»، ورقة تشير إلى أن ساعات العمل هي من الحادية عشرة وحتى الخامسة كل يوم ما عدا العطلة، يوم الإثنين. وأن الدخول مجاني والجولة السياحية على أرجاء المكتبة كل يوم ثلاثاء عند الثانية ظهراً. أخبر هوشينو ناكاتا بهذه التفاصيل.

«اليوم الإثنين، أي أنها مقفلة»، قال هوشينو ونظر في ساعته، «لا يهم هذا، بما أننا تجاوزنا وقت الإقفال بكثير أصلاً».

«سيد هوشينو؟».

«نعم؟».

«هذه المكتبة لا تشبه البتة تلك التي ذهبنا إليها قبلاً».

«تلك كانت مكتبة عامة وهذه مكتبة خاصة، ولهذا فهما مختلفتان».

«وماذا تعني مكتبة خاصة؟».

«يعني أن ملّاكاً ما يحب الكتب تبرّع بهذا المبنى وجعل كل الكتب التي يملكها متاحة للعموم. لا بدّ من أن صاحب هذه المكتبة رجل مهم حقاً. هذا ظاهر من بوابة المبنى، مبهرة بحق».

«وماذا يعني المَالك؟».

«رجل غني».

«وما الفرق بين الاثنين؟».

أمال هوشينو رأسه متفكراً، «لا أعرف، في ظني أن صاحب الأملاك رجل مثقف أكثر من الرجل الغني فقط».

«مثقف؟»

«أي شخص يملك المال هو شخص غني، أنا أو أنت طالما نملك المال فنحن أغنياء، ولكن أن تصبح صاحب أملاك، فهذا ليس سهلاً، يتطلّب وقتاً».

«صعب أن تصبح صاحب أملاك؟».

«نعم. صعب. لكننا لا نحتاج إلى القلق بهذا الخصوص، لا أظن أنّ أياً منا سيصبح غنياً، ناهيك عن أن يصبح مثقفاً».

«سيد هوشينو؟».

«نعم؟».

«بما أن المكتبة تقفل يوم الإثنين، فإذا عدنا غداً في الحادية عشرة صباحاً فستكون المكتبة مفتوحة، صح؟»..

«أظن هذا، غداً الثلاثاء».

«هل سيسمحون لناكاتا بالدخول؟».

«اللافتة تقول إن الدخول عام. وبالطبع يحق لك أن تدخل».

«حتى إن كنت لا أقرأ».

«لا مشكلة»، قال هوشينو. «إنهم لا يحقّقون مع الناس على المدخل ما إذا كانوا يقرأون أم لا».

«أريد الدخول إذن».

«سنعود صباح الغد، وندخل معاً، ولكن أريد أن أسألك، يعني، هذا هو المكان الذي كنت تبحث عنه. صحيح؟ وما تبحث عنه موجود في الداخل؟».

حرك ناكاتا قبعته وهرش شعره القصير بقوة. «نعم، أعتقد أنه هنا».

« نستطيع إذن التوقّف عن البحث؟».

«هذا صحيح، انتهى البحث».

«الحمد لله»، قال هوشينو، «كنت قد بدأت أشك أننا فعلاً سنظل نقود السيارة حتى الخريف».

عادا إلى شقة الكولونيل ساندرس، وناما بهدوء، وانطلقا في الحادية عشرة من صباح اليوم التالي إلى المكتبة. كانت تبعد عشرين دقيقة سيراً على الأقدام، فقررا أن يتمشيا. وكان هوشينو قد أعاد السيارة المؤجرة.

وجدا بوابة المكتبة مشرّعة بالكامل. يبدو أن اليوم سيكون حاراً ورطباً، وقد رشَّ أحدهم ماء على الرصيف حتى يخمد غبار الطريق. بعد البوابة ثمة الحديقة الجميلة المشذّبة. .

«سيد ناكاتا؟»، قال هوشينو أمام البوابة.

«نعم، أيّ خدمة؟».

«ماذا سنفعل بعد أن ندخل إلى المكتبة؟ أنا دائماً قلق من أن تطلع بفكرة مجنونة فجأة، ولهذا أحب أن أعرفها قبل ذلك بوقت كاف لكي أستعد نفسياً».

تفكر ناكاتا في هذا لفترة، «ناكاتا لا يعلم ماذا سنفعل عندما ندخل. ومع هذا فهذه مكتبة، ولهذا فكرت أنه يمكننا أن نبدأ بقراءة بعض الكتب. سأبحث عن مجموعة صور أو كتاب لوحات، وأنت يمكنك أن تختار أي كتاب يعجبك».

«عظيم. سنبدأ بالقراءة، شيء منطقي».

«ثم نفكر لاحقاً بما سنفعله لاحقاً».

«حسناً. . سنفكر لاحقاً بما سنفعله لاحقاً. تبدو خطة».

اجتازا الحديقة الجميلة، إلى المدخل ذي الطراز القديم. شاب وسيم ونحيف يجلسْ في مكتب الاستقبال في مكتب الاستقبال. يرتدي قميصاً أبيض ونظارات طبية صغيرة. شعره طويل وجميل ينسدل على

جبنيه، من النوع الذي تمكن مشاهدته في فيلم بالأبيض والأسود لتروفو، فكّر هوشينو.

رفع الشاب نظره إليهما وابتسم بترحاب.

«صباح الخير»، بادره هوشينو بمرح.

«صباح النور»، رد الشاب، «مرحباً بكما».

«نود أن. . . . آه، أن نقرأ بعض الكتب».

«بالتأكيد»، أومأ أوشيما، «خذا راحتكما وأقرآ قدر ما تشاءان، نحن نرحب بالجميع. الرفوف كلها مفتوحة، اختارا الكتب التي تريدانها ، يمكنكما البحث في فهرس البطاقات أو على الكمبيوتر. وإذا كانت لديكما أي استفسارات، فستسرّني جداً المساعدة».

«هذا كرم شديد منك».

«هل تبحثان عن كتاب معين؟».

هزّ هوشينو رأسه، «ليس تماماً، في الحقيقة نحن مهتمان بالمكتبة نفسها أكثر من الكتب. لقد كنا مارين من هنا بالصدفة ورأينا المكان فأحببنا أن ندخل. إنه مبنى جميل».

ابتسم أوشيما ابتسامة محببة. وأمسك قلم الرصاص المبري جيداً، «كثر يأتون للسبب نفسه».

«يسرني سماع هذا»، قال هوشينو.

«إذا كان لديكما الوقت فيمكنكما الاشتراك في الجولة القصيرة في المكتبة التي تبدأ في الساعة الثانية. لدينا جولة كل ثلاثاء، طالما وجد من يرغب في القيام بها. وخلالها تشرح مديرة المكتبة تاريخ المؤسسة. واليوم هو الثلاثاء».

«يبدو هذا ممتعاً. ما رأيك يا سيد ناكاتا».

فيما كان هوشينو وأوشيما يتحدثان عند مكتب الاستقبال، كان ناكاتا يقف بعيداً، بيده القبعة، ويحدّق حوله، وحين سمع اسمه عاد من شروده. «نعم، أي خدمة؟».

«لديهم جولة في المكتبة عند الثانية. أتريد الاشتراك فيها؟».

«نعم يا سيد هوشينو، شكراً لك، ناكاتا يود الاشتراك في الجولة».

استمع أوشيما إلى هذا الحوار باهتمام شديد. السيد هوشينو والسيد ناكاتا، أي علاقة تربط بينهما؟ لا يبدوان قريبين. زوج غريب - بفارق واسع في العمر والمظهر. يا ترى ما المشترك بينهما؟ وهذا السيد ناكاتا، الأكبر سناً، يتكلم بطريقة غريبة جداً. هناك شيء ما بخصوصه لم يستطع أوشيما أن يضع يده عليه. ليس شيئاً سيئاً، مع هذا. «هل قطعتما مسافة طويلة إلى هنا؟»، سأل.

«جئنا من ناغويا»، أجاب هوشينو بسرعة قبل أن يتمكن ناكاتا من فتح فمه. فلو شرع بالكلام وقال إنه من ناكانو فمن الممكن أن يتأزّم الموقف قليلاً. لقد أذاعت نشرة الأخبار في التلفزيون أن رجلاً عجوزاً يشبه ناكاتا له صلة بجريمة القتل في ناكانو. لكن لحسن الحظ، على حدّ علم هوشينو، لم تنشر حتى الآن صورة لناكاتا.

«رحلة طويلة حقاً»، علّق أوشيما.

«نعم، لقد عبرنا جسراً كي نصل إلى هنا»، قال ناكاتا، «جسر طويل ورائع».

«طويل فعلا. أليس كذلك؟»، قال أوشيما. «رغم أنني لم أعبره من قبل».

«ناكاتا لم ير بحياته جسراً بهذا الطول».

«لقد استغرق بناؤه وقتاً طويلاً وكلّف مبالغ طائلة»، أردف أوشيما. «تقول الصحف إن الشركة العامة التي تديره وتدير الطرق السريعة عليه تعاني مديونية سنوية للبنك بمبلغ 100 مليار ين، والضرائب المفروضة علينا تعوّض النقص».

«ناكاتا لا يعلم كم المائة مليار ين».

«للأمانة ولا أنا أيضاً»، قال أوشيما، «بعد مبلغ معيّن، لا تعود هذه المبالغ حقيقية. على أي حال، إنه مبلغ هائل من المال».

«شكراً جزيلا لك»، قاطعهما هوشينو، لا أحد يدري ما سيقوله ناكاتا بعد هذا، وكان عليه أن يقضي على هذا الاحتمال من أساسه، «سنكون هنا في الثانية من أجل الجولة، أليس كذلك؟».

«رائع إذن عند الثانية»، قال أوشيما، «سيكون من دواعي سرور مديرة المكتبة اصطحابكما في جولة».

«سنقرأ حتى هذا الوقت إذن»، قال هوشينو.

استمر أوشيما، وهو يبرم القلم بيده، ينظر إلى الرجلين وهما يبتعدان إلى الداخل، ثم عاد إلى العمل.

اختارا بعض الكتب من الأرفف. اختار هوشينو كتاب بيتهوفن وجيله. أما ناكاتا فاختار بعض ألبومات الصور ووضعها أمامه على المنضدة. ثم، بسلوك يشبه سلوك الكلب كثيراً، دار في الحجرة، دارساً كل ما فيها، ومتلمساً الأشياء، ومتشمّماً رائحتها، ومتوقفاً في أمكنة محدّدة. ظلا حتى ما بعد الثانية عشرة بمفردهما في قاعة القراءة، فلم يلحظ أحد سلوك العجوز غريب الأطوار.

«اسمع يا جدي؟»، همس هوشينو.

«نعم، أي خدمة؟».

«ربما يبدو لك هذا مفاجئاً ولكنني سأكون شديد الامتنان لو لم تخبر أحداً بأنك من ناكانو».

«ولماذا؟».

«هذه قصة طويلة، اسمع كلامي فقط. لو عرف الناس أنك من ناكانو، قد يتسبب هذا ببعض المتاعب».

«فهمت»، قال ناكاتا، وهو يومئ بعمق. «ليس من الجيد أن نتعب الآخرين. لن يقول ناكاتا أنه من ناكانو»

«عظيم»، قال هوشينو، «بالمناسبة هل وجدت ما تبحث عنه؟».

«لا، لا شيء حتى الآن».

«ولكن هل هذا هو المكان بالتأكيد؟».

أومئ ناكاتا برأسه. «نعم هذا هو. ليلة أمس تحدثت مطوّلاً مع الحجر قبل أن أنام. أنا متأكد من أن هذا هو المكان».

«الحمد لله.»

هزّ هوشينو رأسه وعاد إلى كتابه. سيرة بيتهوفن. قرأ هوشينو أنه كان رجلاً شديد الكبرياء، آمن بقدراته، ولم يعبأ البتة بتملق الطبقة النبيلة. ومن إيمانه بأن الفن بحدّ ذاته والتعبير المناسب عن العواطف هما أرقى شيء في الوجود، رأى أن النفوذ السياسي والثروة لا ينفعان سوى لغرض واحد، ألا وهو جعل الفن ممكناً. أما هايدن فكان معظم حياته المهنية مقيماً لدى أسرة من النبلاء، وكان عليه أن يأكل مع الخدم. كان الموسيقيون من جيل هايدن يُعَدُّون خدماً. (وكان هايدن الطيّب يفضّل وجبات الخدم على الطقوس المعقدة الرسمية التي يمارسها النبلاء خلال تناولهم الطعام).

أما بيتهوفن، على العكس منه، فكان يثور غضباً من أيّ بادرة استهانة به، وفي إحدى المرّات حطّم الأشياء على الحائط من غضبه، في إصرار على ألا يحظى - فيما يخص أمر الوجبات - باحترام أقل مما يحظى به النبلاء الذين يدّعي هو خدمتهم. كان غالباً ما يجنّ جنونه لأصغر الأمور. وعندها لا يعود سهلاً تهدئته. وعلى رأس كل هذا كانت أفكاره السياسية الرجعية التي لم يكن يحاول إخفاءها. وقد أصبحت ميوله هذه أكثر بروزاً حين بدأ يَقِلّ جمهور مستمعيه، ومع تقدمه في العمر صارت موسيقاه أكثر انفتاحاً على الآخرين، وأكثر كثافة في ميلها الداخلي. فقط بيتهوفن كان يستطيع جمع هاتين النزعتين المتناقضين. إلا أن الجهد الفائق الذي تطلّبه إنجاز هذا كان له ضرره المتزايد على حياته، ذلك لأن كل البشر لهم حدودهم الجسدية والعاطفية، وفي هذا الوقت كان المؤلف قد تجاوز حده بكثير.

العباقرة أمثاله لا يأخذون الأمر بسهولة أبداً، فكّر هوشينو منبهراً، ووضع الكتاب من يده. تذكر الرأس البرونزي لبيتهوفن الذي كان في حجرة الموسيقى في مدرسته، لكنه حتى الآن لم تكن لديه أدنى فكرة عن الصعوبات التي عاناها هذا الرجل. لا عجب إذن أن الرجل كان يشعر بالمرارة. أما أنا فلن أكون عبقرياً أبداً، لا شك. فكر هوشينو.

نظر إلى ناكاتا، الذي كان مستغرقا في ألبوم صور للأثاث التقليدي، ويعمل في مخيلته بأدوات النجارة. لا بدّ من أن هذه الصور قد أعادته في لا وعيه إلى وظيفته القديمة. أما ناكاتا- فمن يدري- قد يصير شخصاً عظيماً يوماً ما، فكّر هوشينو. أغلب الناس لا يمكنهم أن يفعلوا الأشياء التي يفعلها، مؤكد أن هذا العجوز ينتمي إلى فئة خاصة من الناس.

بعد الثانية عشرة دلفت سيدتان متوسطتا العمر إلى قاعة القراءة، فانتهز هوشينو وناكاتا الفرصة ليشمّا بعض الهواء بالخارج. كان هوشينو قد أحضر معه بعض الخبز للغداء، بينما كان ناكاتا كالمعتاد معه ترموس الشاي الساخن. وقبل هذا سأل هوشينو أوشيما ما إذا كان مسموحاً الأكل في المكتبة.

«بالطبع»، أجاب أوشيما، «الجلوس على الشرفة ومشاهدة الحديقة ممتعان جداً، وبعد هذا يمكنكما أن تأتيا وتتناولا كوب قهوة. لقد أعددت بعض القهوة بالفعل، خذا راحتكما إذن».

«شكراً»، قال هوشينو، «لديكم مكان دافئ فعلاً هنا».

ابتسم أوشيما وأزاح شعره عن جبينه. «مختلف قليلا عن المكتبة العادية. دافئ كلمة مناسبة لوصفه. نحن نحاول أن نخلق مناخاً حميماً حيث يستطيع الناس الاسترخاء والاستمتاع بالقراءة».

هوشينو وجد أوشيما شاباً جذاباً. ذكي ومهندم، ومن الواضح أنه ابن ناس. ولطيف فعلاً. لا بدّ من أنه لوطي. صح؟ ليس الأمر أن هوشينو كان يهتم بهذا، لكل امرئ ما شاء، كانت تلك طريقته في

التفكير. البعض يتحدث مع الحجارة، وآخرون ينامون مع رجال مثلهم.

بعد الغداء. وقف هوشينو وتمدد بجسده كله، ثم اتجه إلى الاستقبال تلبية لعرض أوشيما على كوب قهوة. وبما أن ناكاتا لم يكن يشرب القهوة فقد بقي على الشرفة يرشف الشاي ويتأمل طيور الحديقة.

«هل وجدت كتاباً ممتعاً؟»، سأل أوشيما هوشينو.

«أجل، كنت أقرأ سيرة حياة بيتهوفن أعجبتني، حياته تثير في الذهن الكثير من الأفكار».

أومأ أوشيما. «لقد عانى الكثير بلا شك».

«عاش أوقات عصيبة فعلاً» قال هوشينو، «لكنني أظن أنها كانت غلطته هو بالأساس. أقصد أنه كان لا يفكر سوى في نفسه فقط ولم يكن متعاوناً. كان كل ما يفكر فيه نفسه وموسيقاه، ولم يكن لديه مانع من التضحية بأي شيء من أجل هذا. لا بدّ من أنه كان يجد صعوبة في تقبّل أن يقول له أحدهم «اسمع يا لودفيج مهلاً علينا!» هذا ما كنت لأقوله له لو قابلته. لا عجب في أن ابن أخته قد فقد صوابه. ولكن موسيقاه، لا بدّ لي أن أقرّ، إنها رائعة. تشدّك فعلاً. شيء غريب».

«مؤكد»، وافقه أوشيما.

«ولكن لم كان عليه أن يعيش حياه صعبة وجامحة كهذه؟ كان من الأفضل له أن يعيش حياة عادية».

أدار أوشيما القلم الرصاص بين أصابعه. «أفهم قصدك، ولكن في الوقت الذي عاش فيه بيتهوفن كان الناس يعتقدون أنه من المهم التعبير عن ذاتك. وقبل هذا، عندما كانت المُلَكية الكاملة، كان هذا غير مقبول، سلوك اجتماعي خارج عن المألوف ومرفوض تماماً. وما أن تسلمت البرجوازية الحكم في القرن التاسع عشر، حتى انتهى هذا القمع، وتحرّرت الذاتُ الفردية لتعبّر عن نفسها. وكانت الحرية وتحرير الفرد مترادفين. وكان الفن، وخاصة الموسيقى في طليعة هذا كله.

وأولئك الذين جاؤوا بعد بيتهوفن وعاشوا في ظله، لنقل مثلاً - بيرليوز، وفاجنر، وليست، وشومان - عاشوا جميعاً حيوات غريبة مليئة بالعواصف، وكان يُنظر إلى الغرابة وكأنها تقريبا أسلوب العيش المثالي. عصر الرومانسية، هكذا أسموه. ورغم هذا أنا متأكد أن العيش هكذا كان قاسياً حقاً عليهم. أنت تحب موسيقى بيتهوفن إذن؟».

«لا أعرف إذا كنت أحبها أم لا. فلم أسمع الكثير منها»، أقرّ هوشينو، «بالكاد سمعت القليل منها، في الحقيقة. أحببت فقط تلك المقطوعة التي تسمى «ثلاثية الأرشيدوق»».

«هذه مقطوعة جميلة، نعم».

«عزف ثلاثي المليون دولار. عظيم»، أضاف هوشينو.

«بالنسبة إليّ، أفضّل مجموعة التشيك، ثلاثية السوك»، قال أوشيما، «لديهم توازن جميل. تشعر وكأن باستطاعتك أن تشم النسيم وهو يطير فوق المرج الأخضر. ولكنني أعرف نسخة المليون دولار- روبنشتاين وهيفيتز وفيورومان، أداء أنيق».

«ممم.. سيد...... أوشيما؟»، سأل هوشينو وهو ينظر إلى لافتة الاسم الموضوعة على النضد. «من الواضح أنك خبير في الموسيقى».

ابتسم أوشيما. «ليس كثيراً، فقط أستمتع بها».

«أتظن أن الموسيقى تستطيع تغيير الناس؟ أي أن تستمع إليها وتجد نفسك تمر بتغيير داخلي جوهري؟».

أومأ أوشيما برأسه، «طبعاً، هذا يحدث. فنحن نعيش تجربة تشبه التجربة الكيميائية، تغيّر شيئاً ما في داخلنا. وعندما ننظر في أنفسنا فيما بعد، نجد أننا قد انطلقنا إلى موقع آخر في داخلنا وقد انفتح العالم أمامنا على طرق لم تكن متوقَّعة بالمرة. نعم. لقد مررت بهذه التجربة. ليس كثيراً، لكنها حدثت لي، شيء يشبه الغرام».

لم يعرف هوشينو الغرام قطّ، لكنه أومأ برأسه موافقاً، وواصل

الحديث «لا بدّ من أنه أمر بالغ الأهمية، صحيح؟ أعني لحياتنا؟».

«بالفعل»، أجاب أوشيما. «دون مثل هذه التجارب الرفيعة لأصبحت حياتنا مملة وسطحية. وقد فسر بيرليوز الأمر كالتالي: «حياة دون قراءة هاملت لمرّة، كحياة نقضيها في منجم فحم»».

«منجم فحم؟».

«مجرد تشبيه نموذجي من القرن التاسع عشر»

«طيب، شكراً على القهوة»، قال هوشينو، «سررت بالتحدّث إليك».

ابتسم له أوشيما ابتسامة واسعة في المقابل.

ظل هوشينو وناكاتا يتصفحان الكتب حتى الثانية، وكان ناكاتا يمثّل حركاته كنجار بينما يقلّب صور الأثاث. وإلى جانب السيدتين متوسطتي العمر، كان قد أصبح هناك ثلاثة قرّاء آخرين بعد الغداء. لكن لم يلتحق بالجولة في المكتبة سوى هوشينو وناكاتا فقط.

«ألا مانع من القيام بالجولة من أجلنا فقط؟»، قال هوشينو «يؤسفني أن تتعبوا أنفسكم من أجلنا فقط».

«لا تعب بالمرة»، أجاب أوشيما، «يسرّ مديرة المكتبة القيام بالجولة ولو لشخص واحد فقط».

عند الثانية تماماً هبطت سيدة أنيقة في منتصف العمر السلالم. ظهرها مستقيم. ومشيتها جليلة، ترتدي بدلة زرقاء داكنة ذات خطوط حادة، وحذاء أسود عالي الكعب، وسلسلة فضة رفيعة تتدلى من رقبتها المكشوفة. وتربط شعرها إلى الخلف. لا مبالغة في الزينة، مظهر أنيق ينمّ عن ذوق رفيع جداً.

«أهلاً. أنا سايكي مديرة المكتبة»، قالت المرأة وهي تبتسم بهدوء.

«أنا هوشينو».

«أنا ناكاتا من ناكانو»، قال العجوز وقبعته في يده.

«نحن سعداء أنكم قطعتم لزيارتنا هذه المسافة الطويلة»، قالت الآنسة سايبكي.

سرت قشعريرة في جسد هوشينو على وقع كلمات ناكاتا، إلا أن الآنسة سايبكي لم يبد عليها أي شكوك.

لم يكن ناكاتا يدري شيئا مما حوله كعادته دوماً، «أجل لقد عبرت جسراً كبيراً جداً»، قال.

«مبنى رائع»، تدخل هوشينو محاولاً قطع الحديث عن الجسور.

«نعم لقد شيّد في بدايات عصر ميجي وكذلك مكتبة ودار ضيافة عائلة كوميورا»، بدأت الآنسة سايبكي. «وقد زاره وأقام به الكثير من المثقفين، وقد صنّفته البلدية كمعلم تاريخي» .

«مثق- فين؟»، سأل ناكاتا.

ابتسمت الآنسة سايبكي. «فنانون، وشعراء، وروائيون وهكذا. في الماضي كان الإقطاعيون في العديد من المناطق يدعمون الفنانين. كان حينها الفن مختلفاً، لم يكن ينظر إليه كمهنة يكسب منها الواحد عيشه. وكانت أسرة كوميورا من العائلات الإقطاعية في هذه المنطقة، وكانوا رعاة للثقافة والفنون. وقد شيّدت هذه المكتبة وأديرت لنقل هذا التراث إلى أجيال المستقبل».

«إقـ - طاعي، ناكاتا يعرف ماذا يعني هذا»، قال ناكاتا، «الأمر يستغرق وقت طويل ليكون الواحد صاحب أملاك».

مبتسمة، أومأت آنسة سايبكي برأسها. «معك حق، الأمر يستغرق وقتا فعلاً، مهما كدست من أموال، لا يمكنك أن تشتري الزمن. حسناً، سنبدأ جولتنا من الطابق الأول».

زاروا الحجرات في الطابق الأعلي حجرة. وتحدّثت الآنسة سايبكي كالعادة عن مختلف المثقفين الذين أقاموا هناك، وعرضت عليهما

المخطوطات واللوحات التي تركها هؤلاء الفنانون وراءهم. كان ناكاتا يبدو أثناء الجولة أنه قد صار أذناً من طين وأخرى من عجين لما تقوله، وراح بدلاً من هذا يمعن النظر في كل شيء. وفي الحجرة التي تستخدمها الآنسة سايكي كمكتب لها، كان هناك قلم حبر على الأوراق. وكان هوشينو يتبعها ويقوم بكل الإيماءات المناسبة، وظل طيلة الوقت في حالة توتر، قلقاً من أن يأتي الرجل العجوز فجأة بحركة غريبة. إلا أن ناكاتا لم يفعل شيئاً سوى إمعان النظر في كل ما يمرّون به. لم يبدُ على الآنسة سايكي أي انزعاج مما يفعله ناكاتا، كانت تبتسم طوال الوقت، وتريهما كل شيء بحيوية. وكان هوشينو منبهراً بهدوئها هذا.

انتهت الجولة بعد عشرين دقيقة وشكر الرجلان مرشدتهما، ولم تتخلَّ الآنسة سايكي عن ابتسامتها طوال مدة الجولة. وكلما راقبها هوشينو، مع هذا، زاد ارتباكه. إنها تبتسم وتنظر إلينا، قال لنفسه، لكنها لا ترى شيئاً. إنها تنظر إلينا، لكنها ترى شيئاً آخر. وطوال الجولة، حتى وإن كان ذهنها في مكان آخر، كانت لطيفة ومهذبة بشكل كامل. وحين يطرح عليها سؤالاً، تجيب عنه بسلاسة ورقة. ليس الأمر أنها تقوم بهذا رغماً عنها أو ما شابه. جزء منها يستمتع بالقيام بمهمة دقيقة كهذه، وإنما قلبها ليس فيها.

عاد الرجلان إلى قاعة القراءة واستقرّا على الكنبة. وفيما كان هوشينو يقلّب صفحات كتابه، لم يتمكن من إخراج الآنسة سايكي من رأسه. هناك شيء ما غير عادي أبداً في تلك المرأة الجميلة، إلا أنه لم يتمكن من معرفته. استسلم وعاد إلى القراءة.

في الثالثة، وبدون سابق إنذار، نهض ناكاتا. كانت حركاته حاسمة بشكل غير معهود. وقد حمل قبعته في يده بصرامة.

«ماذا هالك؟ إلى أين أنت ذاهب؟»، همس هوشينو له.

ولم يتلقَ أي رد. زاماً شفتيه في مظهر من قرر أمراً لن يتراجع

عنه، أسرع ناكاتا باتجاه المدخل الرئيسي، تاركاً أغراضه وراءه على الأرض.

أغلق هوشينو كتابه ووقف. مؤكد هناك أمر ما. «اسمع انتظرني»، صاح به. وحين أدرك أن العجوز لن ينتظره، هرول وراءه. نظر إليه القراء الآخرون وهو يغادر.

وقبل أن يصل إلى المدخل، استدار ناكاتا يساراً ودون تردد بدأ بالصعود إلى الطابق الأول. لم تردعه لافتة «غير مسموح للزوار بالدخول» عند مطلع السلالم، بما أنه لا يقرأ. وكان حذاؤه الرياضي البالي يقرقع على ألواح الأرضية أثناء صعوده.

«معذرة»، قال أوشيما وهو يميل على المكتب منادياً على هذا الصاعد، «هذه المساحة مقفلة الآن، لا يمكنك الصعود».

نهض أوشيما من وراء مكتب الاستقبال وتبعهما على السلالم.

غير عابئ، عبر ناكاتا الرواق ودلف إلى حجرة المكتب. كان الباب مفتوحاً. والآنسة ساييكي تولي ظهرها إلى النافذة وتجلس إلى المكتب تقرأ كتاباً وقد سمعت خطوات العجوز فرفعت نظرها عن الكتاب. حين وصل إلى المكتب وقف ناكاتا هناك وراح يحدّق في وجهها. لم يتفوه أياً منهما بكلمة. بعد لحظة وصل هوشينو، وبعده بوقت قصير أوشيما.

«ها أنت»، قال هوشينو مربتاً على كتف العجوز. «لا يجب أن تكون هنا، هذا غير مسموح، علينا أن نخرج، حسناً؟».

«ناكاتا لديه ما يقوله»، قال ناكاتا مخاطباً الآنسة سابيكي.

«وما هو؟»، سألته بهدوء.

«أريد أن أتحدث عن الحجر. حجر المدخل».

لفترة ظلت الآنسة سابيكي تحدّق في العجوز، وعيناها تبرقان بلمعة لا مبالية. رمشت عدة مرات ثم أغلقت كتابها. وضعت يديها

على المكتب ونظرت إلى ناكاتا ثانية. بدت وكأنها لم تقرر بعد ماذا ستفعل، لكنها بعد هذا أومأت إيماءة صغيرة.

نظرت لهوشينو، ثم لأوشيما. «أرجو أن تتركانا وحدنا قليلاً»، وجّهت كلامها لأوشيما، «علينا أن نتحدث. أرجو أن تغلق الباب وراءك».

تردد أوشيما ثم أومأ برأسه. ثم أخذ ذراع هوشينو برقّة وقاده إلى السلم وأغلق الباب.

«هل أنت متأكد؟»، سأل هوشينو.

«الآنسة سايكي تعرف ما تفعله»، قال أوشيما وهو يرافقه هابطاً السلم. «بما أنها قالت إنه لا مانع فلا مانع إذن. لا داعي للقلق عليها. إذن، يا سيد هوشينو، لمَ لا نذهب ونحتسي فنجان قهوة في الأثناء؟».

«حسناً. عندما يتعلق الأمر بالسيد ناكاتا، فالقلق مجرد مضيعة للوقت»، قال هوشينو وهو يهز رأسه، «أؤكّد لك هذا».

41

هذه المرة عندما أدخل إلى الغابة، أكون مجهّزاً بكل ما يمكن أن أحتاج إليه: بوصلة، سكين، مطرة مياه، بعض الطعام للطوارئ، قفازات عمل، وعلبة صباغ رش أصفر والبلطة الصغيرة التي استخدمتها من قبل. أجمع كل هذا في حقيبة نايلون وجدتها أيضاً في مخزن الأدوات وأنطلق إلى الغابة. أرتدي قميصاً طويل الكمّين، وألفّ فوطة حول رقبتي، وأعتمر القبعة التي أعطاني إياها أوشيما. كما أنني رششت جسدي بمضادّ للحشرات. السماء ملبدة بالغيوم، والجو حار وثقيل ويبدو أنها ستمطر في أي لحظة، فأضع مع الأغراض معطف بونشو احتياطاً. يصيح سرب طيور ببعضه بينما يعبر السماء الواطئة الكئيبة.

أصل بسرعة إلى تلك الفسحة الدائرية في الغابة، وأتأكد من بوصلتي أنني متجه شمالاً، ثم أتعمق أكثر في الغابة، وهذه المرة أرش الصباغ الأصفر على جذوع الأشجار لأترك علامات تدلّني على خط الرجعة، الصباغ الأصفر ليس كفتات الخبز في حكاية هانزل وجريتل، فهو في أمان من الطيور الجائعة.

أنا مجهّز بشكل أفضل، لذا لست خائفاً. أشعر بالتوتر بالتأكيد، لكن قلبي لا يدقّ بعنف. الفضول هو ما يدفعني قدماً. أريد أن أعرف ما يخبّئه هذا الطريق. وحتى لو لم يكن هناك شيء، فأريد أن أعرف

هذا. يجب أن أعرف. حافظاً المناظر التي أمرّ بها، أتقدم بثبات، خطوة خطوة.

يصدر من حين لآخر صوت غريب. خبطة تشبه ارتطام شيء ما بالأرض، قرقعة تشبه أنين ألواح أرضية خشبية تحت ثقل ما، وأصوات أخرى لا أعرف أن أصفها حتى. لا أعرف شيئاً عن معنى هذه الأصوات، بما أنني لا أعلم ما هي أصلاً. أحياناً تبدو بعيدة وأحيانا قريبة جداً مني- الإحساس بمسافتها عني يتبدّل باستمرار. يتردد صدى رفرفة الطيور فوقي، يبدو أعلى، ومبالغاً فيه أكثر مما يجب. كلما سمعت هذا الصوت أقف وأستمع، حابسا أنفاسي، منتظراً حدوث شيء. لا شيء يحدث، فأواصل سيري.

أحمل البلطة، التي كنت قد شحذتها، أشعر بها خشنة بيديّ العاريتين من القفازين. حتى هذه اللحظة لم أستخدمها، وإنما يشعرني حملها بالراحة، وبأنني محميّ، ولكن من ماذا؟ لا دببة أو ذئاب في هذه الغابة. ربما بعض الأفاعي السامة. الكائن الأكثر خطراً هنا هو أنا. ولعلي مرعوب من ظلي فحسب.

ورغم كل هذا، ينتابني إحساس، بينما أمشي، بأن شيئاً ما، في مكان ما، يراقبني، يصغي إليّ، يحبس أنفاسه، ويرصد من مكمنه جميع حركاتي. في مكان ما ناء، ثمة ما أو مَنْ يُصغي إلى كل صوت أصدره، محاولاً أن يخمّن إلى أين أذهب ولماذا. أحاول ألا أفكر فيه. فكلما احتلت الأوهام مساحة أكبر من تفكيري، أخذت في التضخم والتجسّد، بحيث لا تعود مجرد أوهام بعد ذلك.

أصفّر لكي أملأ الصمت، سوبرانو «الساكس» من مقطوعة «ماي فافوريت ثينجس» لكولتراين. رغم أن صفيري المهتز لا يقترب حتى من اللحن الأصلي المعقد، فإنني أحاول في رأسي الوصول إلى ما يشبهه. أظن أن هذا يظلّ أفضل من عدمه. أنظر إلى ساعتي، إنها العاشرة والنصف. لا بد أن أوشيما الآن يقوم بإعداد المكتبة ليفتحها. لا بدّ من

أن اليوم هو الأربعاء. أتصوره يرشّ الماء في الحديقة، ويمسح المقاعد بقطعة قماش، ويغلي ماء ويعد القهوة. كل المهام التي كنت أقوم بها عادة. لكنني الآن هنا، في عمق الغابة، وذاهباً نحو الأعمق. ما من أحد يعرف بوجودي هنا. ما من أحد سوى أنا، مجرد وهم.

أواصل سيري على الدرب، مع أن تسمية درب ليست دقيقة تماماً، فهو يشبه أكثر قناة طبيعية نحتتها المياه بمرور الزمن. حين ينهمر المطر فوق الغابات فإنه يغسل الأوساخ، ويكنس العشب ويعرّي جذور الأشجار. أما حين ينزل على صخرة فإنه ينعطف عنها. وحين يتوقف المطر تجد ما يشبه ضفة نهر جاف يشبه الدرب. شبه الدرب هذا تعلوه السراخس والعشب الأخضر، وإن لم تنتبه جيداً يمكن أن تضيّعه تماماً. فهو يصبح شديد الانحدار أحياناً، فأعتمد جذوع الأشجار لكي أصعد ثانية.

في مرحلة ما على الدرب، يتبخّر من رأسي سوبرانو ساكس كولترابن. وما أسمعه الآن هو سولو بيانو ماكوي تاينر. تعمل يدي اليسرى على محاكاة إيقاع متكرر، واليمنى تضع طبقات من أنغام عريضة حادة. وكأنه منظر في أسطورة، ترسم الموسيقى ماضي شخص- بلا اسم ولا وجه - ماضيه المعتم، بكل تفاصيله، كأحشاء تم انتزاعها من الظلمة. هذا ما أراه أنا على الأقل. الموسيقى الدؤوبة، المتكررة، بالغة البطء، تكسر الإيقاع الحقيقي وتعيد ترتيبه. لذلك رائحة تخديرية ومتوعدة، كالغابة تماماً.

أواصل الصعود. أرش علامات على الشجر فيما أتقدم، وأحيانا أستدير لأتأكد من أنها مرئية. جميل - هذه العلامات التي ستعيدني إلى الكوخ أشبه بخط متعرّج من المراكب في البحر. وزيادة في الاطمئنان أقوم من حين لآخر بإحداث جرح في جذع شجرة، بلطتي الصغيرة ليست حادة جداً، ولذا أختار من الجذوع الأنحف والأملس. وتتلقى مني الأشجار هذه الجروح بصمت. البعوض الأسود الضخم يطنّ كدوريات مباحث عسكرية تستهدف الجلد المكشوف حول عيني، حين

أسمع طنينها أرشها بمضاد الحشرات أو أسحقها. وكلما سحقت واحدة تصبح هريساً متبّلاً بالدم الذي امتصته مني. وأشعر بالحكة بعدها مباشرة. ثم أزيل الدم عن يدي بالفوطة التي وضعتها حول رقبتي.

لا بدّ من أن الجيش الذي عبر هذه الغابات، إذا كان الوقت صيفاً حينها، قد واجه المشكلة نفسها مع البعوض. أتذكّر كلام أوشيما. كان يتقدّم بعدّته الحربية الكاملة. كم كان وزن هذه العدة؟ تلك البنادق القديمة الأشبه بكتل حديدية، حزام الذخيرة، الحربة، الخوذة المعدنية، القنابل اليدوية، المؤن، أدوات حفر الخنادق. وزن رهيب لا بدّ من أنه لم يكن يقلّ عن أربعين باونداً. وزن لا يقارن بكيس النايلون الذي أحمله. ينتابني شعور غريزي بأنني سألتقي ذينك الجنديين عند المنعطف القادم. لكنهما اختفيا منذ أكثر من ستين عاماً مضت.

أتذكر قوات نابليون وهي تعبر غابات روسيا في صيف 1812، لا بدّ من أنها نالت نصيبها من البعوض أيضاً على امتداد الطريق إلى موسكو. بالطبع لم يكن البعوض مشكلتهم الوحيدة. كان عليهم أن يكافحوا كل شيء من أجل البقاء، الجوع، والعطش، والطرق الموحلة، والأمراض المعدية، والقيظ، وغارات القوقازيين على خطوط إمدادهم الطويلة، ونقص الإمدادت الطبية، ناهيك عن المعارك الرهيبة مع الجيش الروسي النظامي. وحين انتشرت القوات الفرنسية أخيراً في موسكو المهجورة، كان عددهم قد انخفض من 500,000 إلى 10,000 فحسب.

أتوقف وأشرب من المطرة. ساعتي تشير إلى الحادية عشرة تماماً. المكتبة تفتح الآن. أوشيما يفتح الباب ويجلس كالعادة خلف مكتب. على المكتب أكداس من أقلام الرصاص الطويلة المبرية بدقة. يلتقط واحداً ويبرمه بين يديه وهو يضغط طرف الممحاة على صدغه. أرى المشهد بوضوح. لكنني أشعر أن المكتبة باتت بعيدة جداً.

لم تأتني الدورة الشهرية أبداً، يقول أوشيما، وأمارس الجنس من

فتحة الشرج، ولم أستخدم مهبلي أبداً. وبظري حساس جداً، أما صدري فلا.

أتذكر أوشيما وهو نائم على السرير في الكوخ وجهه للحائط. والأثر الذي تركه جسده/ جسدها وراءه/ وراءها. وكيف استلقيت فوق هذه الآثار ورحت في نوم عميق.

أترك هذه الأفكار، وأعود إلى الحرب. حرب نابليون تحديداً. وإلى الحرب التي اضطر الجنود اليابانيون إلى خوضها بعيداً. أشعر بثقل البلطة في يدي. شفرتها الحادة الرفيعة تومض فأشيح نظري عنها. لماذا يخوض الناس الحروب؟ لماذا يتجمع مئات الآلاف، أو حتى الملايين ويحاولون إبادة بعضهم البعض، هل بسبب الغضب؟ أم الخوف؟ أم أن الغضب والخوف مجرد مظهرين من الروح نفسها.

أجرح ثلماً في جذع شجرة أخرى. تصرخ الشجرة في صمت وتنزف دماً غير مرئي. أواصل سيري الوعر، ويبدأ كولتراين بسوبرانو الساكس ثانيةً، مرة أخرى التكرار يشظّي اللحن الأصلي ويعيد ترتيبه.

سرعان ما أجدني هائماً من جديد في ملكوت الأحلام. تعود إليّ بهدوء شديد. الآن أنا أحضن ساكورا، هي بين ذراعي، وأنا بداخلها، لا أريد أن أكون تحت رحمة الأشياء الخارجية بعد الآن، تضعني الأشياء التي لا يمكنني التحكم بها في حيرة من أمري. لقد قتلت أبي بالفعل، وانتهكت أمي- وها أنا الآن ألج أختي. إذا كانت هذه لعنة، فسأمسك بها من قرونها، سأنفّذ البرنامج الموضوع لي. أرمي العبء عن كتفيّ وأحيا. لا أعود محبوساً في خطة شخص آخر ، وإنما أصبح *أنا*. هذا ما أريده حقاً. وأقذف في داخلها.

«حتى ولو في حلم، فلم يكن جائزاً أن تفعل هذا»، يصيح الفتى المدعو كرو. إنه بجانبي مباشرة، يسير معي في الغابة، «لقد حاولت كل جهدي أن أوقفك، أردتك أن تفهم، لقد سمعتني، لكنك لم تسمع. فقط واصلت ما كنت تفعله».

لا أجيب ولا ألتفت، فقط أواصل سيري الوعر في صمت.

«ظننت أنك هكذا ستتغلب على اللعنة. أليس كذلك؟ وهل تغلّبت عليها؟»، يسأل كرو.

وهل تغلّبت عليها؟ قتلت الرجل الذي هو أبوك، انتهكت أمك والآن أختك، ظننت أن هذا سينهي اللعنة التي أنزلها بك أبوك. وفعلت إذن كل ما تنبأ لك به. ولكن لم ينته شيء حقاً. لم تتغلب على أي شيء. تلك اللعنة أصبحت منقوشة على روحك أكثر من السابق. يجب أن تدرك هذا الآن. تلك اللعنة جزء من حمضك النووي. تتنفسها، تحملها الرياح لأركان الأرض الأربعة. والحيرة المظلمة بداخلك تبقى. خوفك، وغضبك، وارتباكك- لم يختف شيء. ما زالت كلها في داخلك، ما زالت تعذّبك.

«اسمع- ليس من حرب يمكن أن تُنْهي جميع الحروب»، يقول لي كرو، «الحرب تنمو من الحرب. تتلذّذ بالدم المسفوح بالعنف، وتتغذى على اللحم المجروح. الحرب كيان كامل قائم في ذاته. يجب أن تعلم هذا».

«ساكورا- أختي»، أقول. لم يكن جائزاً أن أغتصبها. حتى ولو في *الحلم*. «وماذا أفعل؟»، أسأل، محدقاً في الأرض أمامي.

«عليك أن تتغلب على الخوف والغضب في داخلك»، يقول الفتى المدعو كرو، «دع النور يدخل إليك ويذيب برودة قلبك. هذا هو مغزى أن تكون قوياً. قم بهذا، وستصير حقاً أقوى فتى في الخامسة عشرة من عمره على الكوكب. أتفهمني؟ ما زال هناك وقت. ما زال في مقدورك استرجاع نفسك. استخدم رأسك. فكّر في ما يجدر بك فعله. أنت لست بمعتوه، يجب أن تكون قادراً على هذا».

«أقتلت أبي حقاً؟»، أسأل.

لا جواب. أتلفّت حولي، لكن الفتى المدعو كرو قد اختفى، والصمت يبتلع سؤالي.

وحدي في هذه الغابة الكثيفة، الشخص المدعو *أنا* يشعر بالخواء، خواء مريع. ذات مرة استخدم أوشيما تعبير «الرجال الفارغون». هذا ما أصبحت عليه إذن. هناك فراغ بداخلي، خواء يتمدد ببطء ويلتهم ما تبقى مني.. أستطيع سماع هذا أثناء حدوثه. أنا تائه تماما. هويتي تموت. لا اتجاه. لا سماء ولا أرض. أفكر في الآنسة سايكي، في ساكورا، في أوشيما، لكننى بعيد عنهم مئات السنين الضوئية، وكأنني أنظر من الناحية الأخرى من التلسكوب، ومهما مددت يدي، أبداً لا أستطيع لمسهم. وحيد تماماً في متاهة معتمة. أصغِ إلى الرياح. قال لي أوشيما. أصغي، ولكن لا رياح. وحتى الفتى المدعو كرو قد تلاشى.

استخدم رأسك. فكر بما يجدر بك فعله.

لكنني ما عدت قادراً على التفكير. ومهما أعملت فكري، ينتهي بي الأمر إلى جدار في المتاهة. ما الذي في داخلي ويجعلني *أنا*؟ أهو ما يفترض أن أتصدّى به للخواء؟ فقط لو أمكنني أن أزيل *أنا* هذا الذي هنا، هنا والآن. أفكر في هذا جدياً. في هذا الجدار الكثيف من الأشجار، في هذا الدرب الذي ليس درباً. لو توقفت عن التنفس، سيندفن وعيي في الظلمة بصمت، وسينزف دمي الداكن حتى آخر قطرة منه، ويتعفّن حِمْضِيَ النووي في العشب، وحينها ستكون معركتي قد انتهت. وإلا، سأظل إلى ما لا نهاية أقتل أبي وأنتهك أمي، وأغتصب أختي. سأظلّ أجلد العالم للأبد. أغمض عيني وأحاول أن أجد نقطة ارتكازي. الظلمة التي تحجبها خشنة ومسننة. هناك انكسار في السحب الداكنة، كما حين تنظر من النافذة لترى أوراق القرانيا تلمع تحت ضوء القمر كآلاف الشفرات الحادة.

أشعر بشيء يعيد ترتيب نفسه تحت جلدي. هناك طنين في رأسي. أفتح عينيّ وآخذ نفساً عميقاً. ألقي بعلبة الصباغ، والبلطة، والبوصلة. أسمع صوت ارتطامها بالأرض. أشعر بخفة أكثر، أنزل

الكيس النايلون عن كتفي وأطرحه جانباً، وفجأة تصير حاسة اللمس لديّ مرهفة. يزداد الهواء حولي شفافية ويزيد حسي بالغابة من حولي رهافة. ويتكرر سوبرانو ساكس كولتراين كالمتاهة في أذني، دون نهاية.

بعد التفكير أحمل مجدداً كيس النايلون لآخذ منه سكين الصيد وأشياء يمكن وضعها في جيب بنطالي. السكين ذو الشفرة الحادة الذي سرقته من مكتب أبي. إذا اقتضت الحاجة، يمكنني استخدامه لأقطع شريان معصمي وأدع كل قطرة من دمي في داخلي تندفع خارجة إلى الأرض. لعل هذا يدمّر الخطة.

أنطلق إلى قلب الغابة، رجل فارغ. خلاء يلتهم كل ما هو جوهري. فلا يعود ثمة ما يخيف. لا شيء على الإطلاق.

وأتجه إلى قلب الغابة.

42

حين أصبحا وحدهما، أشارت الآنسة سايكي لناكاتا بالجلوس. تريّث قليلاً قبل أن يجلس. ظلا صامتين لفترة، يتبادلان النظرات. وضع ناكاتا قبعته في حِجْره وفرك شعره القصير جيداً. أما الآنسة سايكي فأرخت يديها على المكتب وانتظرته حتى ينتهي.

«ما لم أكن مخطئة، أظن أنني كنت في انتظارك»، قالت.

«هذا صحيح» أجاب ناكاتا، «ولكن ناكاتا تأخّر حتى يصل إلى هنا، أرجو ألا أكون قد جعلتك تنتظرين طويلاً. لقد بذلت كل ما في وسعي لأصل إلى هنا بأسرع وقت ممكن».

هزت الآنسة سايكي رأسها. «لا، كل شيء على ما يرام. لو كنت عجّلت أو تأخرت عن الآن لكنت وجدتني في حيرة أشد، على ما أظن. بالنسبة إليّ هذا هو التوقيت المثالي».

«كان السيد هوشينو بالغ الطيبة معي وأعانني كثيراً، ولولا وجوده معي لكنت تأخرت أكثر. فناكاتا لا يعرف القراءة».

«السيد هوشينو صديقك، أليس كذلك؟».

«نعم»، أجاب. «أعتقد هذا. ولكن أقول لك الحق، لست متأكداً من هذا. ما عدا القطط، لم يكن لي من قبل من يمكن أن أسميه صديقاً».

«وأنا أيضاً لم يكن لي أصدقاء منذ زمن طويل» قالت الآنسة سايكي، «إلا في الذكريات».

«آنسة سايكي؟».

«نعم».

«في الحقيقة ليس لديّ ذكريات أيضاً. أترين، أنا غبي، فهلا أخبرتني كيف تكون الذكريات؟».

نظرت الآنسة سايكي إلى يديها على المكتب ثم نظرت إلى ناكاتا ثانية، «الذكريات تدفئك من الداخل، لكنها تمزقك أشلاء أيضاً».

هزّ ناكاتا رأسه. «هذا صعب. ناكاتا ما زال لا يفهم. الشيء الوحيد الذي أفهمه هو الحاضر».

«أنا بعكسك تماماً»، قالت الآنسة سايكي.

صمت عميق يملأ الغرفة.

يكسره ناكاتا قائلاً، «آنسة سايكي؟».

«نعم».

«أنت تعرفين حجر المدخل، أليس كذلك؟».

«أجل، أعرفه» قالت ثم راحت تلعب بأصابعها بقلم المون بلان الموضوع على المكتب. «لقد صادفته منذ زمن بعيد. ربما كان من الأفضل لو لم أعرفه قطّ. لكن لم يكن لي خيار في هذا».

«ناكاتا فتحه مرة أخرى منذ عدة أيام. ذلك العصر حين كان هناك عاصفة. برق كثير سقط على المدينة كلها. لقد ساعدني السيد هوشينو، لم أكن لأتمكن من فعل هذا وحدي. هل عرفت اليوم الذي أتحدث عنه؟».

أومأت الآنسة سايكي برأسها، «أتذكره».

«فتحته لأنني اضطررت لذلك».

«أعرف. فعلت هذا لكي تعود الأمور إلى ما يجب أن تكون عليه».

«بالضبط».

«ولك الحق في ذلك».

«ناكاتا لا يعلم شيئاً بهذا الخصوص. على كل حال، لم يكن أمامي خيار. يجب أن أخبرك بهذا- لقد قتلت شخصاً في ناكانو. لم أرد أن أقتل أحداً، ولكن جوني واكر كان هو المسؤول وقد حللت محل الفتى ابن الخمسة عشر عاماً الذي كان ينبغي أن يكون مكاني. وقتلت أحدهم. ناكاتا اضطر إلى فعل هذا».

أغمضت آنسة سايكي عينيها، ثم فتحتهما ونظرت إلى وجهه مباشرة. «أكل هذا حدث لأنني فتحت حجر المدخل منذ زمن بعيد؟ أما زال لهذا أثر حتى الآن؟ أما زال يشوّه الأشياء؟».

هزّ ناكاتا رأسه، «آنسة سايكي؟».

«نعم».

«ناكاتا لا يعلم شيئاً بهذا الشأن، دوري أن أعيد ما هو هنا الآن إلى ما ينبغي أن يكون عليه. ولهذا تركت ناكانو وعبرت جسراً ضخماً وجئت إلى شيكوكو، وبالطبع تدركين أنه لا يمكنك أن تبقي هنا بعد الآن».

ابتسمت الآنسة سايكي، «أعرف... هذا ما كنت أتوق إليه يا سيد ناكاتا من وقت طويل. هذا ما كنت أتوق إليه بشدة في الماضي، وما أتوق إليه الآن، ولم أكن قادرة، مهما حاولت، على الإمساك به. كان عليّ ببساطة أن أجلس وأنتظر هذا التوقيت -الآن- على الأصح، ليأتي. لم يكن هذا سهلا دوماً، ولكن المعاناة شيء لا بدّ لي من أن أقبله».

«آنسة سايكي، أنا ليس لديّ سوى نصف ظل. مثلك».

«أعرف».

«ناكاتا فقده أثناء الحرب، لا أعرف لماذا حدث هذا، ولماذا حدث لي تحديداً... على كل حال، لقد مضى وقت طويل على هذا الآن وتقريباً حان الوقت لنغادر من هنا نحن الاثنان».

«أفهم هذا».

« ناكاتا عاش طويلاً، وكما قلت لك، ليس لدي أي ذكريات،

ولهذا فإنني لا أفهم حقاً المعاناة التي تحدثت عنها، ولكن في رأيي أنه مهما كانت المعاناة التي عشتها، فأنت لم ترغبي أبداً في التخلّي عن تلك الذكريات».

«هذا صحيح»، قالت الآنسة سايكي، «كان الجرح أكبر بتمسكي بها، لكنني لم أود أبداً أن أنساها ما دمت حية. كانت هي السبب الوحيد لاستمراري في العيش، الشيء الوحيد الذي يثبت أنني حية».

أومأ ناكاتا بصمت.

«بقائي أطول مما كان ينبغي لم يؤدّ سوى إلى تدمير الكثير من الناس والأشياء»، واصلت تقول، «مؤخراً فقط أقمت علاقة جنسية مع الفتى ابن الخامسة عشرة الذي ذكرته. في تلك الحجرة صرت ابنة الخامسة عشرة مرة أخرى، ومارست الحب معه. لا أعرف ما إذا كان هذا صواباً أم لا، ولكن لم يكن بيدي حيلة. لا بدّ من أن تصرّفاتي هذه لعبت دوراً في تدمير شيء ما، وهذا ندمي الوحيد».

«ناكاتا لا يعرف شيئاً عن الرغبة الجنسية، مثلما ليس لديّ ذكريات، ليس لدي رغبات، ولهذا لا أفهم الفرق بين الرغبة الجنسية الصحيحة أو الخاطئة. ولكن إذا كان قد حدث شيء ، فقد حدث، سواء أكان صحيحاً أم خاطئاً، وأنا أقبل بكل ما يحدث، ولهذا صرت الشخص الذي أنا عليه الآن».

«سيد ناكاتا؟».

«نعم؟».

«أريد أن أطلب منك خدمة». حملت الآنسة سايكي الحقيبة التي كانت عند قدميها، وأخرجت منها مفتاحاً صغيراً وفتحت قفل درج في المكتب، وأخرجت عدة ملفات مليئة بالأوراق ووضعتها على المكتب.

«منذ أن عدت إلى هذه البلدة وأنا أكتب هذا. سيرة حياتي. وُلدت بالقرب من هنا وأحببت فتى كان يعيش في هذا المنزل حباً عميقاً. وحتى النهاية كان هو أيضاً يحبّني بعمق. عشنا معاً في دائرة

كاملة لا ينقصها شيء. وبالطبع لم يكن هذا ليستمر إلى الأبد. كبرنا، وتغير الزمن، وانهارت أجزاء من الدائرة، واقتحم العالم الخارجي فردوسنا الخاص، وحاول ما في داخل الدائرة أن يخرج. أعتقد أن كل هذا طبيعي جداً، لكنني آنذاك لم أستطع تقبله، ولهذا فتحت حجر المدخل - حتى لا ينهار عالمنا الخاص الكامل. لا يمكنني الآن أن أتذكر كيف استطعت فتحه، لكنني قررت وقتها أنه عليّ أن أفتح الحجر بأي ثمن- وبهذا لن أفقده، ولن تدمِّر الأشياء من الخارج عالمنا. لم أدرك حينها معنى هذا، وبالطبع نلت عقوبتي».

توقفت هنا عن الكلام، وأمسكت قلم الحبر وأغمضت عينيها. «حياتي انتهت في العشرين ومنذ ذاك الحين أصبحت مجرّد سلسلة لا تنتهي من الذكريات. دهليز قاتم متعرّج لا يفضي إلى شيء. ورغم ذلك، كان عليَّ أن أحياها، وأن استمر في عيش كلّ يوم خاو، أن أرى كل يوم يمرّ وهو خاو لا يزال. أثناء هذا ارتكبت أخطاء كثيرة. لا. هذا ليس صحيحاً- أشعر أحياناً أن كل ما فعلته لم يكن سوى ارتكاب الأخطاء. أحسست كأنني أعيش في قاع بئر سحيق، منغلقة كلياً على نفسي، ألعن قدري وأكره كل شيء خارج نفسي. كنت أحياناً أغامر بالخروج منها، وأقوم بعرض جيد لكوني حية. متقبلة كل ما يأتي به الزمن، منسابة بخدر عبر الحياة. نمت مع كثيرين، حتى أنني في مرحلة ما عشت ما يشبه الزواج، وإنما كان كل هذا هباء. كل شيء مرّ في غمضة عين، دون أن يترك شيئاً سوى ندوب الأشياء التي جرحتها واحتقرتها».

وضعت يداها على الملفات الثلاثة على مكتبها. «كل التفاصيل هنا. كتبت هذا لأضع كل شيء بنظام، لأتأكد مجدداً من الحياة التي عشتها. ليس لديّ سوى نفسي لألومها، لكنها عملية تثير الغثيان. وقد انتهيت منها أخيراً. لقد كتبت كل ما أردت كتابته ولم أعد في حاجة إلى هذا بعد الآن، ولا أريد أن يقرأه أحد غيري، ولو حدث ورآه أحد

غيري، لربما تسبب في إحداث كل هذا الضرر مرة أخرى. ولهذا أريده أن يُحرق حتى آخر صفحة حتى لا يبقى منه شيئاً. وإذا لم يكن لديك مانع أودّ أن أطلب منك القيام بهذا، فأنت الوحيد الذي يمكنني الاعتماد عليه يا سيد ناكاتا، وآسفة على تحميلك هذا العبء ولكن هل لك أن تقوم بهذا من أجلي؟».

«ناكاتا يتفهم»، قال وهو يومئ بجدية، «إذا كانت هذه رغبتك يا آنسة ساييكي فيسرني أن أحرقه كلّه من أجلك، كوني مطمئنة».

«شكرا لك».

«كانت الكتابة مهمة، أليس كذلك؟».

«أجل بالفعل. عملية الكتابة كانت مهمة. حتى ولو كان الناتج الأخير بلا معنى».

«أنا لا أقرأ ولا أكتب، ولهذا لا أستطيع أن أسجّل الأشياء. ناكاتا مثل قطة تماماً».

«سيد ناكاتا؟».

«تحت أمرك».

«أشعر أنني أعرفك منذ زمن طويل» قالت آنسة ساييكي. «أليس هذا أنت في تلك اللوحة؟ الذي تظهر في خلفية المشهد، في البحر، مشمّراً ساق بنطالك الأبيض وغائصاً في المياه؟».

نهض ناكاتا وتقدّم من الآنسة ساييكي ووقف قبالتها. وضع يديه الصلبتين اللتين سفعتهما الشمس على يديها على الملفات. وكما لو كان يصغي إلى شيء ما، شعر بالدفء يتسلّل من يديها إلى يديه. «آنسة سايبكي؟».

«نعم؟».

«أظن أنني أفهم قليلاً الآن».

«ماذا تفهم؟».

«ما هي الذكريات. أستطيع أن أحسّ! بها، من خلال يديك».

ابتسمت. «يسرّني هذا».

أبقى ناكاتا يديه على يديها طويلاً، وفي النهاية أغمضت الآنسة سايكي عينيها وأسلمت نفسها للذكريات، لم يعد هناك مزيد من الألم، فقد اختلسها أحدهم دون رجعة. ومرة أخرى اكتملت الدائرة. تفتح باب حجرة نائية، تجد نغمتين جميلتين على هيئة سحليتين على الحائط. تلمسهما برقة وتشعر بنومهما الوديع. وتهب رياح ناعمة من وقت لآخر لتلاعب الستائر القديمة. ملاعبة لها مغزى كما الحدوتة القصيرة ذات المغزى الأخلاقي. ترتدي فستاناً أزرق طويلاً، فستان ارتدته منذ وقت طويل، تحفّ أطرافه حين تمشي. يلوح الشاطئ من خارج النافذة، ويمكنك سماع صوت الأمواج، وصوت أحد ما. يحمل النسيم نسمة بحر. سحب بيضاء منقوشة في السماء اللازوردية. والجو صيف، دوماً صيف.

حمل ناكاتا الملفات الثلاثة السميكة ونزل بها. كان أوشيما خلف المكتب يتحدث مع أحد الرواد، حين رأى ناكاتا، ابتسم. وردّ عليه ناكاتا بانحناءة مهذبة وعاد أوشيما ثانية إلى حديثه. وكان هوشينو طوال هذا الوقت في قاعة القراءة، غارقاً في كتاب.

«سيد هوشينو؟»، قال ناكاتا.

وضع هوشينو الكتاب جانباً ونظر إلى ناكاتا. «ها أنت لقد انتظرتك طويلاً، هل انتهيت؟».

«نعم. ناكاتا أنهى كلّ شيء هنا، إذا لم يكن لديك مانع أفكر في أن نغادر سريعاً».

«لا مشكلة، لقد انتهيت تقريباً من هذا الكتاب. ها قد مات بيتهوفن، ووصلت إلى جنازته. وكم كانت جنازة فخمة! 25 ألف حضروا جنازته في فيينا، وأقفلوا المدارس في ذلك اليوم».

«سيد هوشينو؟».

«نعم؟».

«أريد أن أطلب منك خدمة أخيرة».

«اطلب».

«أريد أن أحرق هذا في مكان ما».

نظر هوشينو إلى الملفّات التي في يد العجوز. «ممم، هذه أشياء كثيرة، لن نتمكّن من إحراقها أينما كان، سنحتاج إلى نهر جاف أو ما شابه».

«سيد هوشينو؟».

«نعم؟»

«فلنذهب ونجده إذن».

«ربما كان سؤالي غبياً، لكن هل هو مهم إلى هذه الدرجة؟ ألا يمكن أن نرميه في أي مكان والسلام؟».

«بلى، إنه مهم جداً، ويجب أن نحرقه كله، لا بدّ من أن يتحول إلى دخان ويصعد إلى السماء، وعلينا أن نتأكد من احتراقه التام».

وقف هوشينو ومطّ جسمه. «حسناً، لنبحث عن نهر جاف، لا فكرة لديّ أين يمكننا العثور على واحد، لكن من المؤكد أن هناك واحداً على الأقل في شيكوكو، هذا إذا بحثنا جيداً».

كانت فترة العصر مشحونة بالعمل أكثر من أي وقت مضى. كثر جاؤوا إلى المكتبة، العديد منهم لديهم أسئلة تفصيلية متخصصة. وبذل أوشيما كل جهده لمساعدتهم، جارياً هنا وهناك، جامعاً المواد التي طلبوها. اضطر إلى البحث عن عدة مواد عبر الكمبيوتر. كان في العادة يطلب من الآنسة سايكي مساعدته، لكن اليوم يبدو أنه لا يستطيع ذلك. أبعدته مهامه المتنوعة عن مكتبه ولم يستطع حتى أن يلاحظ مغادرة ناكاتا. وحين هدأت الأمور للحظة نظر حوله، وكان الرجلان الغريبان

قد اختفيا. صعد أوشيما إلى مكتب الآنسة سايكي. ولدهشته، كان الباب مغلقاً، دق مرتين وانتظر، ولم يتلق رداً. دق ثانية. «آنسة سايكي؟، هل أنت بخير؟».

أدار الرتاج برقّة. لم يكن الباب مغلقا بالمفتاح. فتحه أوشيما قليلاً واختلس النظر من الشق الصغير، فوجد الآنسة سايكي ملقاة بوجهها إلى سطح المكتب. وقد انسدل شعرها حاجباً وجهها. لم يدر ماذا يفعل. قد تكون مرهقة فحسب وسقطت في النوم. لكنه لم يسبق له أبداً أن رآها تأخذ قيلولة. لم تكن من النوع الذي يغلبه النعاس أثناء العمل. سار عبر الحجرة حتى وصل إلى المكتب. مال عليها وهمس باسمها في أذنها، ولم يسمع رداً أيضاً. مسَّ كتفها ثم رفع معصمها وضغط عليه بإصبعه. لم يجد نبضاً. أعاد إليه جلدها دفئ خافت، كان جلدها لا يزال محتفظاً ببعض الدفء الذي بدأ يخبو تدريجياً.

رفع شعرها لكي يرى وجهها. كانت كلتا عيناها مفتوحتين قليلاً، بدت وكأنها في حلم جميل، لكنها لم تكن كذلك. كانت ميتة. وما زال أثر ابتسامة على شفتيها. حتى في موتها كانت رقيقة وأنيقة. فكّر أوشيما، ترك شعرها ينسدل مرة أخرى وأمسك سماعة الهاتف.

كان قد جهّز نفسه لهذه اللحظة، معتبراً أن وصولها ليس سوى مسألة وقت. والآن جاءت هذه اللحظة. وها هو الآن وحده في تلك الحجرة الهادئة مع الآنسة سايكي ميتة. كان تائهاً. شعر كأن قلبه قد تيبس. كنت بحاجة إليها، فكّر، كنت بحاجة إلى شخص مثلها يملأ الفراغ في داخلي ، لكنني لم أستطع ملء الفراغ في داخلها. رافقها فراغها الداخلي حتى النهاية المُرَّة. بقي لها وحدها.

سمع أحدهم ينادي عليه من الأسفل. شعر أنه يسمعه، كان قد ترك الباب مفتوحا على مصراعيه ويمكنه سماع ضجيج الناس بأسفل. رن الهاتف في الطابق السفلي، لكنه تجاهل كل هذا. فقط جلس يحملق في الآنسة سايكي. فلتنادوا، قال في سريرته، قدر ما تشاؤون،

ولتتصلوا كما تريدون. سمع صفارة سيارة الإسعاف. يبدو أنها تقترب. خلال دقائق قليلة سيهرع أناس إلى هنا ويأخذونها- للأبد. رفع ذراعه اليسرى ونظر إلى ساعته. كانت 4,35، ظهر يوم الثلاثاء. عليّ أن أتذكر هذا التوقيت، قال لنفسه، علي أن أتذكر هذا اليوم، هذه العصرية، إلى الأبد.

«كافكا تامورا»، همس وهو يحدّق في الحائط، «لا بدّ من أن أخبرك بما حدث، إن لم تكن قد عرفت أصلاً».

43

بات بمستطاعي، وقد تخلصت من متاعي، السير خفيفاً الآن، مواصلاً الغوص في أعماق الغابة. أركّز فقط على التقدم إلى الأمام. لا داعي لجرح المزيد من الأشجار، لا داعي لتذكر طريق العودة. حتى أنني لا أنظر حولي. المنظر لا يتغيّر، فما الفائدة إذن؟ سماء من الأشجار الشاهقة تعلو السراخس الكثيفة، نباتات تتدلى إلى الأسفل، جذور ملتوية، أكوام من الأوراق المتعفنة، الجلود الجافة المنسلخة لمختلف الحشرات. شباك عنكبوت صلبة ولزجة. وأغصان بلا نهاية - ملكوت من الأغصان. بعضها ينذر بالخطر، بعضها يكافح للحصول على مكان، بعضها يتوارى بمهارة، بعضها مائل وملتو، بعضها متأمل، وبعضها يابس يحتضر. المشهد نفسه لا يني يتكرر. بيد أنه مع كل تكرار يزداد عمق الغابة قليلاً.

بشفتين مسدودتين تماماً، أواصل السير فيما يمكن اعتباره درباً. يجري صعوداً إلى تل، ليس شديد الانحدار، على الأقل حتى الآن. ليس ذلك النوع من الانحدار الذي يقطع النفس. أحيانا يبدو الدرب مهدداً بالاختفاء في بحور من السرخس أو الأجمات الشائكة، ولكن طالما بقيت مندفعاً إلى الأمام، يظهر لي شبه الدرب مرة أخرى. لم تعد الغابة تخيفني. لها قواعدها ومعاييرها الخاصة بها، لكن حين تكف عن

الخوف منها، تدرك هذه القواعد والمعايير. ما إن أمسك بتلك التكرارات، حتى أجعلها جزءاً مني.

الآن أنا خالي الوفاض. علبة الصباغ الأصفر، والبلطة الصغيرة- أصبحتا من التاريخ. والشنطة البلاستيك ذهبت هي الأخرى. لا مطرة ولا طعام. ولا حتى بوصلة. رميتها ورائي غرضاً بعد الآخر. هذا يعطي الغابة رسالة واضحة: «لستُ خائفاً بعد الآن، ولهذا السبب اخترت أن أكون أعزلاً تماماً». من دون قوقعتي الصلبة، مجرد لحم وعظام، أنطلق إلى قلب التيه، مسلماً نفسي للعدم.

تلاشت الموسيقى التي كانت تلعب في رأسي، مخلّفة ورائها بعض الضوضاء البيضاء الواهنة، كملاءة على سرير كبير. ألمس تلك الملاءة، متتبعاً خطوطها بأناملي. يستمر البياض إلى ما لا نهاية. ترشح نقاط العرق تحت ذراعي. أرى أحيانا السماء لمحاً من بين أعالي الأشجار، وقد تغطّت بطبقة متصلة من الغيوم الرمادية. لكن لا يبدو أنها ستمطر. السحب ساكنة. المشهد برمته لا يتغير. تصدح الطيور على الأغصان العالية محيية بعضها باقتضاب. وتطنّ الحشرات نبوءاتها من بين الأعشاب.

أفكّر في بيتي المهجور في نوجاتا. قد يكون مغلقاً الآن. لا بأس بالنسبة إلي. فلتبق بقع الدم على حالها. وما يهمني أنا؟ لن أعود أبداً. وحتى قبل أن يقع ذلك الحادث الدموي، شهد هذا المنزل موت أشياء كثيرة- تصحيح: قتل أشياء كثيرة.

أحيانا من أعلى، وأحيانا من أسفل، تحاول الغابة أن تهددني، نافثة نفساً بارداً في عنقي، لاسعة كالإبر بآلاف العيون، محاولة بأي طريقة أن تطرد هذا الدخيل. ولكنني تدريجياً أتقن تجاوز هذه التهديدات. هذه الغابة أساساً جزء مني. أليس كذلك؟ تقف هذه الفكرة عند نقطة معينة. رحلتيْ الآن في *داخلي أنا*. تماماً مثلما يسيل الدم في العروق، ما أراه هو نفسي الداخلية، وما يبدو تهديداً ليس سوى صدى

الخوف في قلبي. شباك العنكبوت الممتدة هناك هي الشباك التي في داخلي. الطيور التي تصيح في الأعلى هي طيور ربيتها أنا في ذهني. هذه الصور تبزغ من عقلي وتضرب جذورها هناك.

كما لو تدفعني من الخلف نبضة قلب هائلة، أواصل التقدّم عبر الغابة. يفضي الدرب إلى مكان خاص، مصدر للضوء المنسلّ من الظلمة، المكان الذي تنبعث منه الأصداء الصموتة. أريد أن أرى ما هناك بعيني. أحمل رسالة شخصية مختومة ومهمة، رسالة سرية لنفسي.

سؤال. لماذا لم تحبّني؟ ألا أستحق أن تحبني أمي؟

لسنوات بقي هذا السؤال لهباً من نار بيضاء تضطرم في قلبي، وتأكل روحي. لا بدّ أن بي خطأً أصيلاً يجعل أمي لا تحبني. أيكون بي تلوث وراثي؟ أولدت فقط ليشيح عني الجميع بوجوههم؟

حتى أنها لم تعانقني حين غادرت. أشاحت بوجهها وغادرت المنزل مع أختي من دون أن تقول كلمة. اختفت كدخان هادئ. ثم اختفى وجهها إلى الأبد.

تزعق الطيور فوقي ثانيةً، فأنظر إلى أعلى، إلى السماء، لا أرى سوى تلك الطبقة المسطحة الجامدة من الغيوم الرمادية. لا رياح بالمرّة. أكِّد في السير قدماً. أمشي على شواطئ الوعي. أمواج الوعي تتهادى، تنحسر، تترك كتابة ما، وما تلبث أن تأتي موجة جديدة وتمحوها. أحاول أن أقرأ ما كتب هناك بسرعة، ما بين موجة وأخرى، لكن هذا صعب. قبل أن أقرأه تأتي الموجة التالية وتغسله. ولا يبقى سوى أشلاء محيّرة.

يعود ذهني إلى منزلي، يوم غادرت أمي، آخذة معها أختي. أجلس وحدي في الشرفة، محملقاً في الحديقة. بعد المغيب، بدايات الصيف، والأشجار تلقي ظلالاً طويلة. وحدي في المنزل، ولا أعرف لماذا، لكنني كنت أعرف بالفعل أنهما تخلتا عني. وحتى حينها فهمت كيف سيغير هذا حياتي إلى الأبد. لم يخبرني أحد بهذا- كنت فقط

أعرفه. المنزل خال، مهجور، نقطة مراقبة منسية على حدود نائية. أراقب الشمس تغرق في الأفق، وتستولي العتمة على العالم ببطء. في عالم به زمن، لا شيء يعود إلى ما كان عليه. تتقدم مجسات الظلال بثبات، تأكل نقطة بعد أخرى من الأرض، حتى تبتلع وجه أمي، ذاك الذي كان هناك منذ لحظة فقط، وأصبح في قلب الملكوت المظلم البارد. وجهها القاسي دار عني، وآلياً أُنتزع وأُمسح من ذاكرتي.

سائراً بصعوبة في قلب الغابة، أفكر في الآنسة سايكي. وجهها، تلك الابتسامة الوادعة المظللة. دفء يديها. أحاول أن أتخيلها أمي وهي تتركني حين كنت في الرابعة. ودون أن أعي، أجدني أهزّ رأسي. الصورة كلها خطأ. ولماذا تفعل الآنسة سايكي هذا؟ لماذا تؤذيني، وتفسد حياتي كلياً؟ لا بدّ من أن هناك سبباً خافياً ومهماً، شيئاً ما أعمق لا أستطيع إدراكه فحسب.

أحاول أن أتقمّص مشاعرها حينها، لكي أفهم أكثر وجهة نظرها. الأمر ليس سهلاً. *أنا* الذي تعرّض للهجران في نهاية الأمر، وهي التي تخلّت عني. ولكن بمرور الوقت أغادرني. تنسلخ روحي من الأردية القوية المحيطة بالنفس وتتحول إلى غراب أسود يحط على غصن أعلى شجرة صنوبر في الحديقة، يحدق بي الصبي ابن الرابعة الجالس في الأسفل على الشرفة.

أتحول إلى غراب أسود تنظيري.

«ليس الأمر أن أمك لم تحبّك»، يقول الفتى المدعو كرو. «كانت تحبك جداً، وأول ما عليك فعله أن تصدق هذا. هذه نقطة انطلاقك».

«لكنها تخلت عني. ذهبت، وتركتني وحدي حيث لا ينبغي أن أكون. الآن فقط بدأتِ أدرك كم هذا يؤلم. كيف فعلت هذا إذن، إن كانت تحبني؟».

«هذه حقيقة الأمر. لقد حدث». يقول الفتى المدعو كرو. «لقد

تأذيت كثيراً، وستحمل تلك الندوب معك إلى الأبد. أشعر بالأسى من أجلك حقاً، ولكن فكر في الأمر هكذا: لم يفت الأوان لكي تُشفى. أنت صغير، أنت قوي. يمكنك التكيّف. يمكنك أن تضمّد جراحك، وترفع رأسك وتواصل. ولكن بالنسبة إليها، هذا الخيار ليس متاحاً. الحالة الوحيدة التي تستطيع أن تعيشها هي أن تكون تائهة. لا يهم حكم أحد على هذا بجيد أو سيء - هذا ليس الموضوع. أنت من يملك الأفضلية. عليك أن تضع هذا في اعتبارك».

لا أجيب.

«لقد حدث كل هذا بالفعل، ولا يمكنك إلغاؤه»، يقول لي كرو، «لم يكن يصحّ أن تتخلى عنك حينها، ولم يكن يصح أن تتعرّض للهجران. ولكن الماضي كطبق تكسر إلى أشلاء، ولا يمكن أبداً إصلاح ما انكسر، أليس كذلك؟».

أومئ. «لا يمكنك أبداً إصلاح ما انكسر». هذه هي الخلاصة.

يواصل الفتى المدعو كرو، «شعرت أمك بغضب عارم وخوف هائل في داخلها، اتفقنا؟ مثلك تماماً الآن. ولهذا كان عليها أن تتخلى عنك».

«رغم أنها تحبني؟».

«رغم أنها تحبك. كان عليها أن تتخلى عنك. عليك أن تتفهم ما شعرت به وقتها، وأن تتعلّم أن تقبله. تفهّم الخوف والغضب الطاغيين اللذين شعرت بهما، حاول أن تجعلهما غضبك وخوفك أنت - وهكذا لن ترثهما وتكررهما. والأمر الأساسي هو: عليك أن *تسامحها*. هذا لن يكون سهلاً، أعرف، ولكن عليك أن تقوم به. هذا هو سبيلك الوحيد إلى الخلاص. ما من سبيل آخر!».

أفكر فيما قاله. وكلما فكرت فيه، ازددت حيرة. رأسي يدور، وأشعر كأن جلدي يُنزع عني. «هل الآنسة سايكي هي أمي فعلاً؟»، أسأله.

«ألم تخبرك أن النظرية ما زالت فعّالة؟» يقول الفتى المدعو كرو، «فها هي الإجابة إذن: ما زالت فرضية قائمة. هذا كل ما يمكنني قوله».

«فرضية قائمة حتى يظهر برهان مضاد».

«ها قد فهمت»، يقول كرو.

«وعليّ أن أسعى وراء تلك الفرضية حيثما تأخذني».

«فعلاً»، يرد كرو بوضوح وبصراحة، «النظرية التي لم يظهر برهان يدحضها بعد، هي نظرية تستحق السعي ورائها. والآن، السعي هو خيارك الوحيد. حتى وإن كان هذا يعني أن تضحّي بنفسك، عليك أن تسعى وراءها حتى النهاية المريرة».

«أن أضحّي بنفسي؟» لهذا إيقاع غريب بالتأكيد. لا أفهمه تماماً.

لا ردّ. قلقاً، أتلفت حولي. مازال الفتى المدعو كرو هناك. بجانبي تماماً.

«أي خوف وغضب شعرت بهما الآنسة سايكي حينئذ؟» أسأله فيما ألتفت خلفي ثم أواصل سيري، «ومن أين جاءا».

«أي خوف وغضب تعتقد أنت أنها شعرت بهما؟»، يجيبني الفتى المدعو كرو، «فكر في هذا، عليك أن تحلّ هذا الأمر بنفسك. لهذا السبب وجد رأسك».

أفعل ما قاله تماماً. عليّ أن أفهم الأمر، أن أقبله، قبل فوات الأوان. لكنني ما زلت لا أرى الكتابة الدقيقة على شاطئ وعيي. لا يوجد ما يكفي من الوقت بين الموجة والأخرى.

«أنا أحب الآنسة سايكي»، أقول. تخرج الكلمات مني بتلقائية.

«أعرف»، يقول الفتى المدعو كرو بإيجاز.

«لم أشعر بهذا من قبل أبداً»، أواصل، «وهذا أهم عندي من كلّ مشاعري السابقة».

«بالطبع»، يقول كرو، «لا داعي لأن تخبرني، ولهذا قطعت كل هذه المسافة».

«لكنني ما زلت لا أفهم هذا. أنا عالق هنا. إنك تقول لي إن أمي أحبتني كثيراً. وأريد أن أصدقك، ولكن إذا كان هذا حقيقياً، فببساطة لا أفهم، لماذا يعني أن تحب شخصاً ما أن تؤذيه هكذا؟ أعني إذا كان الأمر كذلك، فما فائدة أن تحب أحداً؟ ولماذا بحق الجحيم الأمر هكذا؟».

أنتظر إجابة. أبقي فمي مغلقاً لوقت طويل، ولكن لا ردّ، فألتفت حولي. لقد ذهب الفتى المدعو كرو. ومن الأعلى أسمع رفرفة أجنحة.

إنك مربَكٌ جداً.

بعد هذا بوقت قصير، يظهر الجنديان.

يرتديان ملابس بالية للجيش الإمبراطوري القديم. زي صيفي قصير الكمّين، جزمة عالية وحقيبة ظهر. لا يضعان خوذتين، مجرد قبّعات وما يشبه طلاء أسود على وجهيهما. كلاهما شاب. أحدهما طويل ونحيف يضع نظارات مستديرة ذات إطار معدني. والآخر قصير عريض الكتفين بارز العضلات. يجلسان على صخرة مسطّحة، ولا يبدو على أي منهما أنه متأهب لخوض معركة قريبة. بندقيتاهما «الأريساكا» مرميتان عند أقدامهما. يبدو الجندي الطويل ضجراً وهو يمضغ غصنعشب. كلاهما يبدو طبيعياً تماماً، وكأنهما بالضبط في المكان الذي ينتميان إليه. بكل هدوء يتابعانني وأنا أدنو منهما.

هناك فسحة صغيرة قربهما تشبه بسطة السلّم.

«أنت»، يصيح الجندي الطويل بمرح.

«كيف الأحوال؟» يقول ذو العضلات بكل استرخاء.

«كيف أحوالكما؟» أردّ تحيتهما. أعرف أنه يجب أن أندهش لرؤيتهما، وإنما، بطريقة ما، لا أشعر أن رؤيتهما شيئاً غير مألوف بالمرة. بل في نطاق الممكن جداً.

«كنا في انتظارك»، يقول الطويل.

«في انتظاري أنا؟».

«طبعاً لن يأتي أحد غيرك إلى هنا، هذا أكيد»

«لقد انتظرنا وقتاً طويلاً»، يقول ذو العضلات.

«ليس لأن الوقت عامل يهمّ كثيراً هنا»، يضيف الطويل، «ولكنك استغرقت مع هذا وقتاً أطول مما توقعنا».

«أنتما الرجلان اللذان اختفيا في هذه الغابة منذ أمد بعيد. أليس كذلك؟ أثناء المناورات؟»

يومئ الجندي ذو العضلات، «نحن هما».

«لقد بحثوا عنكما في كل مكان»، أقول.

«أجل، نعرف» يقول، «نعرف أنهم بحثوا عنا. نحن نعرف كل ما يجري في هذه الغابة. لكنهم لن يجدوننا، مهما عانوا في البحث عنا».

«في الواقع، نحن لم نضلّ الطريق»، يقول الطويل، «إنما هربنا».

«لم يكن هروباً بقدر ما كان مصادفتنا لهذه البقعة وقراراً بألا نغادرها»، يضيف ذو العضلات، «هذا أمر مختلف عن الضياع».

«لا يستطيع أحد العثور على هذا المكان» يقول الجندي الطويل، «لكننا وجدناه، والآن أنت أيضاً وجدته. كانت ضربة حظ - لنا، على الأقل».

«لو لم نعثر على هذه الرقعة، لكانوا شحنونا إلى ما وراء البحار»، يفسّر ذو العضلات، «وهناك كنا إما سنَقتل وإما سنُقتل. لم يكن هذا لنا. أنا مزارع، في الأصل، وصاحبي هذا قد تخرج لتوّه من الجامعة، ولا أحد منا يرغب في قتل أحد. والأسوأ طبعاً أن نُقتل. الفرق واضح على ما أظن».

«وماذا بشأنك؟»، يسألني الطويل «أترغب في أن تقتل أحداً أو أن يقتلك أحد؟».

أهزّ رأسي نفياً. لا، لا هذا ولا ذاك. بالطبع لا.

«الجميع هكذا»، يقول الطويل، «أو الغالبية العظمى على الأقل. ولكن إذا قلت يا جماعة أنا لا أريد الذهاب إلى الحرب، فلن تتبسم لك بلادك وتمنحك الإذن بالفرار. لا مفرّ. اليابان بلد صغير، فإلى أين ستهرب إذن؟ سيطاردونك بسرعة قاتلة. ولهذا بقينا هنا. المكان الوحيد الذي يمكننا أن نختبئ فيه»، يهزّ رأسه ويواصل كلامه، «ومنذ ذلك الحين ونحن هنا. كما قلت أنت منذ أمد *طويل جداً* ليس لأن الوقت عامل مهمّ هنا. فتقريباً لا فرق بين الآن ومنذ أمد *طويل جداً*».

«لا فرق بالمرة»، يقول ذو العضلات، وهو يلوح بيديه لإبعاد حشرة ما.

«وكنتما تعرفان أنني آت؟».

«مؤكد»، يجيب ذو العضلات.

«إننا نحرس هذا المكان من وقت طويل، ولهذا نعرف إن كان شخصا ما سيأتي»، يضيف الآخر، «إننا جزء من الغابة».

«هذا هو المدخل»، يقول ذو العضلات، «ونحن نقوم على حراسته».

«والمدخل الآن مفتوح بالصدفة»، يشرح الطويل، «ومع هذا فسينغلق عما قريب، فإذا أردت أن تدخل، عليك أن تفعل ذلك الآن، فهو لا ينفتح كثيراً».

«وسندلك على الطريق»، يقول ذو العضلات، «الطريق صعب، وستحتاج إلى من يرشدك».

«إن لم تكن تريد الدخول فعد من حيث أتيت»، يقول الطويل، «العودة ليست شاقة، لا تقلق، ستكون بخير، وستعود إلى العالم الذي جئت منه، وإلى الحياة التي كنت تحياها. أنت حرّ تماما في خيارك. ولن يجبرك أحد على شيء. لكن حين تدخل، فلن تكون العودة سهلة».

«خذاني إلى الداخل»، أجيب دون لحظة تردد واحدة.

«أنت متأكد؟»، يسأل ذو العضلات.

«يجب أن أرى شخصاً ما في الداخل،» أقول، «أو على الأقل، هذا ما أظنه...».

ببطء، يقف الاثنان على الصخرة ويضعان بندقيتيهما على كتفيهما ويتبادلان نظرة ويبدآن السير أمامي.

«لا بدّ أنك مستغرب من أننا مازلنا نجرجر هذه الكتل المعدنية الثقيلة»، يقول الطويل وهو يلتفت نحوي، «إنها بلا قيمة، وليس بها رصاص على أي حال».

«لكنها أشبه بالعلامة»، يقول ذو العضلات دون أن يلتفت لي، «علامة على ما تركناه خلفنا».

«العلامات مهمة»، يضيف الطويل، «صودف أننا نملك هاتين البندقيتين وزيّي الجنود، ولهذا لعبنا دور الخفر. هذا دورنا. العلامات تهدينا إلى الأدوار التي يجب أن نلعبها».

«هل تملك شيئاً كهذا؟» يسأل ذو العضلات، «شيء يمكن أن يكون علامة؟».

أهز رأسي نفياً. «لا، لا أملك شيئاً، فقط ذكريات».

«ممم.....» يقول ذو العضلات، «الذكريات إذن؟».

«هذا حسن. لا يهم»، يقول الطويل، «يمكن أن تكون الذكريات علامة مهمة أيضاً. طبعا لا أعرف مدى تحمّل الذكريات، أي إلى متى ستستمر بالوجود».

«شيء ما له شكل أو تكوين يكون أفضل، لو تستطيع» يقول ذو العضلات، «وهكذا يصبح من الأسهل عليك أن تفهم».

«كبندقية»، يقول الطويل، «بالمناسبة، ما اسمك؟».

«كافكا تامورا».

«كافكا تامورا»، يكرران معاً.

«اسم غير مألوف»، يقول الطويل.

«هذا مؤكّد» يضيف ذو العضلات.

ثم نسير بصمت طوال الطريق.

44

حملا الملفات الثلاثة إلى نهر جاف بجانب الطريق السريعة وأحرقوها. كان هوشينو قد اشترى سائل إشعال سكب منه على الملفات ثم أشعل فيها النيران. ثم وقف وناكاتا صامتَيْن يراقبان الصفحات تأكلها ألسنة اللهب. كان هناك بالكاد نسمة، وتصاعد الدخان إلى أعلى في خط مستقيم، ليتبدّد وسط الغيوم الرمادية الواطئة.

«لا نستطيع إذن أن نقرأ شيئاً من هذا»، سأل هوشينو.

«لا، لا يجوز أن نفعل ذلك، لقد وعدت الآنسة سايكي، ومهمّتي أن أصون العهد».

«صحيح، صون العهد مهمّ»، قال هوشينو وهو يمسح العرق عن جبينه، «ومع هذا كان من الأفضل أن نأتي بماكينة تقطيع أوراق. لكان سهُلَ علينا الأمر كثيرا. محلات نسخ الأوراق لديها ماكينات كبيرة وكان يمكننا أن نستأجر واحدة مقابل سعر رخيص جداً. لا تسئ فهمي، أنا لا أتذمّر، كل ما في الأمر أن الجو حار لإشعال نار في العراء في مثل هذا الوقت من العام. لو كنا في الشتاء، لكانت القصة اختلفت».

«أنا آسف، لكنني وعدت الآنسة سايكي أنني سأحرقها كلها. وهذا ما يتوجب على ناكاتا فعله».

«حسناً، أنا لست مستعجلاً، وبعض الحَرّ لن يقتلني، كان مجرد، ماذا تسميه - اقتراح».

توقفت قطة كانت تتهادى في طريقها لكي تتفرّج على النار. قطة نحيلة بنية مخططة لها ذيل محني الرأس قليلاً. من مظهرها تبدو قطة ذات شخصية. شعر ناكاتا برغبة جامحة في التحدّث إليها، لكنه قرر أنه من الأفضل ألا يفعل هذا، بوجود هوشينو معه. ولن تهدأ القطة إلا إذا كانا وحدهما. كما أنه لم يكن واثقاً تماماً من أنه يستطيع محادثة القطط كعادته سابقاً، وآخر ما كان يريده أن يثرثر كلمات غريبة ترعب القطة المسكينة. بعد فترة قصيرة، ملّت القطة من النار فسارت مبتعدة.

بعدها بوقت طويل، وبعد أن أحرقت جميع الملفات، سوّى هوشينو الرماد بالتراب. لكي تأتي الرياح القوية التالية وتذرو ما تبقى. كانت الشمس أوشكت على المغيب. وبدأت الغربان تؤوب إلى أعشاشها.

«لن يقرأها أحد الآن»، قال هوشينو، «لا أدري ماذا كان بها، لكنه ذهب كله الآن. أشياء قليلة لها شكل وبنية ما قد اختفت من العالم، لتضيف وزناً إلى اللا شيء».

«سيد هوشينو؟».

«ماذا الآن؟».

«لدي سؤال».

«تفضّل».

«أيمكن للاشئ أن يزيد وزناً؟».

حار هوشينو في هذا الأمر لفترة، ثم اعترف «سؤال صعب. إذا تحول شيء ما إلى لا شيء يصبح إذن صفراً، ولكن حتى إن أضفت الصفر إلى صفر، يبقى المجموع صفراً».

«لم أفهم».

«ولا أنا حقاً. التفكير في هذه الأشياء يصيبني دوماً بالصداع».

«علينا أن نكفّ إذن عن التفكير فيها».

«أنا موافق»، قال هوشينو، «عموماً، لقد احترقت المخطوطة

كلها الآن. واختفت كل كلماتها. عادت إلى اللاشيء - هذا ما أردت أن أقوله».

«هذا كثير على عقل ناكاتا».

«هكذا إذن تمّت مهمتنا بشكل ما أو بآخر. أليس كذلك؟».

«أجل، لقد أنجزنا مهمتنا تقريباً»، قال ناكاتا، «ولم يتبقَّ لنا سوى أن نغلق حجر المدخل مرة أخرى».

«وهذا مهم جداً؟».

«جداً. ما فُتِحَ يجب أن يُغْلَق».

«حسناً، لنذهب إليه إذن، اضرب الحديد وهو حام».

«سيد هوشينو؟».

«ماذا؟»

«لا نستطيع القيام بهذا الآن».

«ولم لا؟».

«لم يحن الوقت بعد»، قال ناكاتا. «علينا أن ننتظر الوقت المناسب لنغلق المدخل. وقبل هذا، لا بدّ من أن أنام، ناكاتا نعسان جداً».

نظر هوشينو إلى العجوز، «على مهلك- أنت لن تغيب لأيام وأيام مرة أخرى، أليس كذلك؟».

«لا أستطيع أن أحدّد، لكن هذا يمكن أن يحدث».

«ألا يمكننا أن ننتهي من الأمر قبل أن تدخل في الغيبوبة؟ أترى - ما إن تضغط زر النوم، حتى يتوقّف كل شيء»

«سيد هوشينو؟».

«ماذا؟».

«كنت أتمنى أن نغلق المدخل أولاً. كان هذا سيكون رائعاً. ولكن عليّ أن أنام قليلا أولاً. لا أستطيع أن أبقي عينيّ مفتوحتين أكثر من ذلك».

«لقد فرغت بطارياتك، أليس كذلك؟»

«أظن ذلك. لقد استغرقنا وقتاً أطول مما اعتقدت في إنجاز ما كان علينا إنجازه. وطاقتي نفدت. أرجوك أعدني إلى حيث يمكن لناكاتا أن ينام».

«لا مشكلة. سنأخذ سيارة أجرة ونعود للشقة، ثم يمكنك أن تنام كالخشبة كما يحلو لك».

ما إن استقرا في سيارة الأجرة حتى بدأ ناكاتا يترنّح من النعاس. «يمكنك أن تنام كما يحلو لك حين نصل إلى الشقة»، قال هوشينو، «ولكن أمسك نفسك حتى نصل اتفقنا؟».

«سيد هوشينو؟».

«نعم؟».

«أنا آسف على كل المتاعب التي سببتها لك»، همهم ناكاتا بوهن.

«أجل، أظن ذلك فعلاً...»، أقر هوشينو، «ولكن لم يجبرني أحد على هذا... لقد حشرت نفسي في المسألة بإرادتي الحرة. كالتطوع لإزالة الجليد عن الطرقات، فلا تشغل بالك بهذا الأمر».

«لولا مساعدتك، لما كان ناكاتا عرف كيف يتصرف، وما كنت تمكّنت حتى من فعل نصف ما كان عليّ فعله».

«حسناً، إذا أردت أن تضع الأمر هكذا، أظنّ أن الأمر كان يستحق الجهد».

«أنا ممتن جدا لك».

«ولكن، أتعرف؟» قال هوشينو.

«ماذا؟».

« يجب أن أشكرك *أنا* على أمور كثيرة، يا سيد ناكاتا».

«حقاً؟»

«مرّت تقريباً عشرة أيام على بداية هذا»، قال هوشينو. «وقد

تغيبت عن العمل طوال هذا الوقت. اتصلت بهم في الأيام الأولى لأطلب منهم إذن غياب، ولكنني الآن تقريباً متغيب من دون إذن رسمي. وربما لن استعيد وظيفتي مرة أخرى. ربما سيغفرون لي إذا جثوت على ركبتَي وتوسلت لهم. لكنه ليس بالأمر الشاق، لست أتفاخر أو ما شابه، لكنني سأجد وظيفة أخرى بسهولة، أنا سائق مذهل، وعامل نشيط، ولذا فإن هذا الأمر لا يشغل بالي، وأنت أيضا لا تشغل بالك، ما أريد قوله هو أنني لست نادماً بتاتاً على كوني معك. لقد رأيت الكثير من الأشياء الغريبة خلال هذه الأيام العشرة. علق يسقط من السماء، والكولونيل ساندرس يظهر لي فجأة من العدم، وجنس مذهل مع تلميذة الفلسفة الرائعة التي تسلب اللب تلك، وسرقة حجر المدخل من المعبد. . . أمور غريبة تساوي عمراً بكامله حدثت لي في عشرة أيام فقط. وكأننا في عَجَلَة الملاهي الكبيرة أو شيئاً كهذا»، صمت هوشينو هنا ليفكر كيف يكمل، «ولكن أتعرف شيئاً يا جدي؟».

«نعم؟».

«أغرب ما في هذا كله هو *أنت* يا سيد ناكاتا. *أنت* غيرت حياتي. الأيام العشرة التي أمضيتها معك، لا أعرف- جعلتني أرى الأمور بطريقة مختلفة. أمور ما كنت لأعرها أي اهتمام في السابق تبدو الآن مختلفة. الموسيقى، مثلاً- موسيقى كنت من قبل اعتبرها مملّة، صارت تعجبني كثيراً الآن. أشعر وكأن عليّ أن أخبر أحدهم بهذا وإلا انفجرت، شخص ما يفهم ما مررت به. لم يحدث لي شيء كهذا من قبل أبداً. وكل هذا بسببك *أنت*. لقد بدأت أنظر إلى العالم بعينيك *أنت*. ليس كل شيء في العالم. لكنني أحب نظرتك للحياة، ولهذا حدث كل هذا، لهذا بقيت معك في الحلوة والمُرة، ولم استطع أن أتركك. لقد كانت فترة من حياتي ذات معنى أكثر من أي وقت مضى. فلا داعي لأن تشكرني إذن- ليس لأني أمانع، لكن لأنه عليّ أنا أن أشكرك. يعني كل ما أريد أن أقوله أنك منحتني قوة الخير يا سيد ناكاتا. أتعرف ماذا أقصد؟»

ولكن ناكاتا لم يعد يسمعه. كانت عيناه مغمضتين، وتنفسه منتظم، وقد نام.

«رجل هادئ البال»، قال هوشينو وتنهد.

حمل هوشينو العجوز على ذراعيه وصعد به إلى الشقة ووضعه على السرير. خلع له حذاءه، لكنه تركه بثيابه وغطاه بلحاف خفيف. تلوّى ناكاتا قليلاً ثم استقر كالمعتاد على ظهره، ووجهه للسقف. وراح يتنفّس بهدوء.

أراهن أننا دخلنا في ماراثون نوم لثلاثة أيام أخرى، فكر هوشينو.

وإنما لم يحدث ما توقعه. فقبل ظهر اليوم التالي، الأربعاء، كان سيد ناكاتا ميتاً. مات بسلام أثناء نومه. كان وجهه وديعاً كعادته دائماً وبدا نائماً - وإنما لا يتنفس فقط. هز هوشينو العجوز من كتفيه ونادي عليه بصوت عال، ولكن لم يكن هناك أدنى شك في الأمر- كان ميتاً. فحص هوشينو نبضه - لا شيء - حتى أنه وضع مرآة صغيرة أمام فمه، ولكن لم تغطها أنفاسه. لقد توقف عن التنفس. في هذا العالم، على الأقل، لن يصحو مجدداً أبداً.

وحده في الحجرة مع الجثة، لاحظ هوشينو كيف، ببطء شديد، خَبَتْ كل الأصوات. كيف أن الأصوات الحقيقية حوله قد فقدت حقيقتها في سكون. انتهت كل الأصوات التي لها معنى إلى الصمت. ونما الصمت ، أعمق وأعمق، كالطمي في أعماق البحار. تراكم حول قدميه، ثم ارتفع إلى خاصرته ثم إلى صدره. ظل يراقب فيما يرتفع مستوى الصمت لأعلى وأعلى. جلس على الكنبة يحدق في وجه ناكاتا محاولاً أن يتقبل واقع أنه ذهب فعلاً بلا رجعة. استغرقه الأمر وقتاً طويلاً ليتقبل هذه الحقيقة. وبينما هو جالس هناك، أخذ الهواء يثقل عليه بشدة، ولم يعد في مقدوره أن يميّز ما إذا كانت أفكاره ومشاعره هي أفكاره ومشاعره هو. لكنه كان قد بدأ يفهم أشياء قليلة.

قد يعيد الموت ناكاتا لما كان عليه من قبل. عندما كان حياً، كان دوماً ناكاتا العجوز الطيب، ناكاتا ليس ذكيا جداً، عجوز يتحدث مع القطط. قد يكون الموت سبيله الوحيد لكي يعود مرة أخرى ويكون «ناكاتا الطبيعي» الذي تحدث عنه.

«أيه يا جدي»، قال هوشينو، «ربما لا يصح أن أقول هذا، ولكن إذا كان عليك أن تموت، فهذه ليست طريقة سيئة في الرحيل».

توفي ناكاتا بهدوء أثناء نومه، على الأرجح وهو لا يفكر في شيء. كان وجهه مسالماً دون أي إشارة لمعاناة أو ندم أو ارتباك. تماماً كما هو ناكاتا، استخلص هوشينو. ولكن ماذا عنت حياته حقاً، لم يكن لدى هوشينو أدنى فكرة. وهذا لا يعني أن حياة أي شخص آخر لها معنى واضح ومحدد. المهم فعلاً للناس، كرامتهم الحقيقية، هي في طريقة موتهم. وبالمقارنة، فكر هوشينو، لا يهمّ كثيراً كيف عشت. ومع هذا فإن طريقة عيشك تحدّد طريقة موتك. أفكار دارت في رأس هوشينو وهو يحدّق في وجه العجوز الميت.

ولكن يبقى شيء واحد غاية في الأهمية. على أحدهم أن يغلق حجر المدخل. لقد أنجز ناكاتا كل ما انطلق من أجله ما عدا هذا. كان الحجر هناك تحت قدمي هوشينو مباشرة، وكان يعرف أنه عليه في الوقت المناسب أن يقلبه ويغلق المدخل. ولكن ناكاتا كان قد حذّره من أنه لو تعامل معه بطريقة غير صحيحة فيمكن أن يصير الحجر شيئاً بالغ الخطورة. لا بدّ من أن تكون هناك طريقة صحيحة لقلب الحجر - ولكن أيضاً هناك طريقة خاطئة. لو قمت بقلبه فحسب، فقد تدمّر العالم برمته.

«ليس بيدي حيلة في موتك يا جدي، لكنك تركت لي مأزقاً فعلياً هنا»، قال هوشينو محدثاً الجثة، التي بالطبع لم تجبه.

كانت هناك أيضا مسألة التعامل مع الجثة. في الأحوال العادية كان هوشينو ليتصل بالشرطة أو بمشفى ليأتوا ويأخذوها. معظم الناس

لكانوا فعلوا هذا بالضبط، وهوشينو أراد أن يفعل هذا. ولكن الشرطة كانت تبحث عن ناكاتا بشأن جريمة القتل إياها، والاتصال بالشرطة في هذا الوقت بالتأكيد سيعرِّض هوشينو، الذي كان قد سافر بصحبته خلال الأيام الماضية، لأشياء لا يمكن التكهن بها. قد تجره الشرطة وتحقق معه لساعات. وكان شرح كل ما حدث هو آخر شيء يريده هوشينو، زد على هذا حقيقة أنه لم يكن من أنصار تطبيق القانون. وكان يفضّل له دوماً تجنّب كل ما له صلة بالشرطة.

وكيف بحق الجحيم سأفسّر لهم أمر هذه الشقة؟ تساءل هوشينو.

رجل عجوز يرتدي مثل الكولونيل ساندرس أعارنا هذه الشقة.
وقال إنه أعدها خصيصاً لنا وإننا نستطيع المكوث فيها كما يحلو لنا.
هل ستصدّق الشرطة ذلك؟ «الكولونيل ساندرس؟ أيكون مع الجيش الأمريكي؟ لا، أتعرفه، رجل دجاج كنتاكي. لا بدّ أنك رأيت إعلانهم، أليس كذلك ؟ أجل، هذا هو- نظارات ولحية قصيرة بيضاء. . . كان قواداً في أزقة تاكاماتسو الوضيعة. وقد أحضر لي فتاة»، إذا قال أشياء كهذه للشرطة فستعتبره غبياً ولن ينال سوى الضرب على الرأس. الشرطة، استخلص هوشينو، ليس للمرة الأولى في حياته، مجرد عصابة تأخذ أجراً من الحكومة.

أطلق تنهدة من صميم قلبه.

ما يجب أن أفعله، فكّر، هو أن أخرج من هنا فوراً، وأبتعد قدر المستطاع. ويمكنني أن أتصل بالشرطة كفاعل خير من هاتف عمومي بالمحطة، وأعطيهم العنوان وأخبرهم أنهم سيجدون شخصاً ميتا هنا. ثم أستقلّ القطار إلى ناجويا. ولن يكتشفوا أي صلة لي بالأمر. لقد مات العجوز ميتة طبيعية فلن تُجْري الشرطة أي تحقيق في الأمر. يمكنهم أن يسلّموا الجثة إلى أقاربه، وجنازة بسيطة، وهكذا ينتهي الأمر. وأعود أنا إلى شركتي وأجثو على ركبتي أمام المدير: «لن يتكرر هذا مرة أخرى أبداً، أقسم لك، ومن الآن فصاعداً سأعمل بكل جدّ

واجتهاد»، حتى يعيدني إلى وظيفتي القديمة.

راح يحزم أشياءه، كدس ثيابه الداخلية في الحقيبة. ولبس قبعة الشينوشي دراجونز وأخرج ذيل شعره المعقود من فتحتها الخلفية، ووضع نظارته الخضراء الداكنة. ظمآن، أخذ علبة بيبسي دايت من الثلاجة. وبينما كان مستنداً إلى الثلاجة يشرب، لمح الحجر الدائري قرب الكنبة. دخل إلى حجرة النوم ونظر إلى جثة ناكاتا مرة أخرى. ما زال لا يبدو عليه أنه ميت. يبدو كأنه يتنفس بهدوء، وتوقع هوشينو بنسبة خمسين بالمئة أنه سينهض فجأة ويقول له: «سيد هوشينو، كان هذا مجرد خطأ، ناكاتا لم يمت حقاً!»، لكنه لم يفعل. كان ناكاتا قد رحل على نحو لا ريب فيه. لن تحدث معجزات. لقد عبر العجوز الفاصل الأعظم بالفعل.

وقف هوشينو هناك والبيبسي في يده، يهزّ رأسه. لا يمكنني أن أذهب وأترك الحجر ورائي، فكّر. فلو فعلت هذا لن يرتاح سيد ناكاتا في رقدته. لقد كان صاحب ضمير، وكان يحب أن يتقن ما يفعله، ولو لم تنفد بطارياته لكان أنهى هذه المهمة على أكمل وجه. سحق هوشينو العلبة الفارغة ورمى بها في السلة. ما زال يشعر بالعطش، رجع إلى المطبخ وفتح علبة بيبسي أخرى.

لقد أخبرني السيد ناكاتا كم كان يرغب، ولو لمرة واحدة، أن يقرأ، تذكر هوشينو. قال إنه يريد الذهاب إلى المكتبة ويكون قادراً على اختيار الكتاب الذي يريده ويقرأه. ولكنه مات قبل أن يحقق هذا الحلم. ربما هو الآن في عالم آخر يكون فيه «ناكاتا الطبيعي» قادراً على القراءة. لكن طوال حياته في هذا العالم لم يستطع القراءة. وللحق فإن آخر ما فعله على الأرض كان عكس هذا تماماً- أحرق كتابة. وأرسل تلك الصفحات إلى العدم. يا لها من مفارقة، عندما تفكر فيها. وفي هذه الحال، مع هذا، فكر هوشينو، عليّ أن أتمم أمنيته الأخيرة. *أن أغلق المدخل*. لم استطع أن آخذه إلى السينما أو إلى الحوض المائي -

هذا إذن أقل ما يمكنني فعله من أجله بعد رحيله.

تجرّع سريعاً علبة البيبسي الثانية، وذهب وجلس على الكنبة مطأطأ الرأس وحاول أن يرفع الحجر. لم يكن ثقيلاً جداً. ولا خفيفاً كذلك، لكنه لم يحتج جهداً كبيراً لكي يرفعه. كان بنفس الثقل تقريباً الذي كان عليه عندما سرقه هو والكولونيل ساندرس من المعبد. يوازي وزنه تقريباً الحجر الذي يوضع فوق براميل المخلل أثناء التخمير. مما يعني أنه الآن مجرد حجر. فكر هوشينو. حين يتصرف الحجر كمدخل، يصير ثقيلاً جداً بحيث يستحيل رفعه، ولكن حين يكون خفيفاً هكذا، فهو مجرد حجر عادي. يجب أن يحدث أمر غير مألوف أولاً، لكي يصير الحجر ثقيلاً كما كان من قبل ويتحول إلى حجر المدخل. كعاصفة رعدية مثلاً. . .

اتجه هوشينو إلى النافذة وأزاح الستائر وتأمل السماء من الشرفة. كانت كما البارحة، محتشدة بالغيوم الرمادية، ومع هذا لم يكن يبدو أنها ستمطر، والاحتمال الأقل أن ترعد. أصاخ السمع وتشمّم الهواء، ولكن كل شيء بدا كاليوم السابق تماماً. بدا أن الموضوع الرئيسي اليوم هو «الدنيا على حالها».

«إيه يا جدي»، قال هوشينو بصوت عال مخاطباً الرجل الميت. «أظن أنه عليّ فقط أن أنتظر هنا معك حتى يحدث شيء ما غير عادي. وما يمكن أن يكون هذا الشيء بحق الجحيم، ليس لدي أي فكرة. ولا فكرة حتى عن متى سيحدث. ونحن أيضاً في يونيو، وسوف يتعفّن جسدك قريباً وتنبعث منه رائحة سيئة. أعلم أنك لا تريد سماع هذا، لكنه طبيعي في حالتك. وكلما مرّ الوقت، وتأخرت عن الاتصال بالشرطة، زاد وضعي سوءاً. أعني أنني سأقوم بما في وسعي، ولكنني أردت فقط أن أحيطك علماً بما يجري، ما قولك؟».

وبالطبع لم يتلقَ رداً.

راح يمشي في الغرفة. وجدتها! قد يتصل الكولونيل ساندرس!

وقد يكون على علم بما يتوجّب عليّ فعله بالحجر. هو من يمكن دائماً الاعتماد عليه في نصيحة عملية خالصة لوجه الله. ولكن مهما طال تحديقه في الموبايل، فقد ظلّ على حاله، صامتاً، غرض غير ضروري يتأمل ذاته. لم يدق أحد الباب، ولا وصلت أي رسالة. ولم يحدث أي شيء غير عادي. بقي الجو كما هو، ولم تأته أفكار ألمعية. تمر دقيقة صامتة بعد أخرى. جاء الظهر وذهب، واتجهت العصرية بهدوء إلى الغسق. وكشطت عقارب ساعة الحائط الكهربائية سطح الزمن في نعومة كالخنفساء، وعلى السرير كان سيد ناكاتا مازال ميتاً. لم يشعر هوشينو بالجوع إطلاقاً. تناول علبة بيبسي ثالثة ومن باب الواجب مضغ بعض المقرمشات.

في السادسة مساء جلس على الكنبة وأمسك الريموت كونترول وشغّل التلفزيون. شاهد نشرة الأخبار في القناة المحلية، دون أن يلفت شيء انتباهه. كان يوماً اعتيادياً، أخباره اعتيادية. جعل بصوت المذيع يدمّر أعصابه، وعندما انتهت النشرة أطفأ التلفزيون. كان الظلام يحل بالخارج، وأخيرا ساد الليل. وغمر الحجرة سكون وهدوء أعظم من قبل.

«إيه يا جدي»، قال هوشينو لناكاتا. «أيمكنك أن تنهض ولو لدقائق قليلة فقط؟ أنا لا أعرف ماذا أفعل بحق الجحيم. وقد اشتقت إلى صوتك».

بطبيعة الحال، لم يرد ناكاتا. كان ما زال في الجهة الأخرى. ودون أن ينطق كلمة، ظل على حاله، ميتاً. ازداد الصمت عمقاً، حتى أنك لو أنصتّ جيداً جيدا لسمعت صوت الأرض وهي تدور على محاورها.

خرج هوشينو إلى غرفة المعيشة وشغل «ثلاثية الأرشيدوق». وفيما يستمع إلى المقطوعة الأولى، طفرت عيناه بالدمع. ثم لم يعد قادراً على منع نفسه من البكاء. يا الله، فكر هوشينو ، متى كانت آخر مرة بكيت فيها؟ ولم يستطع أن يتذكر.

45

مثلما أخبراني سابقاً، كانت الطريق بعد «المدخل» شائكة. وفي الحقيقة فقد تخلّت عن أن تكون طريقاً. وكلما تعمقنا بها، صارت الغابة أعمق وأضخم، وازداد المنحدر مَيْلاً، وغصّت الأرض أكثر بالأجمات والنبات الشائك. السماء قد اختفت لتوها، والعتمة شديدة توحي بالغسق. شباك العنكبوت تنتشر وتملأ المكان، والهواء يثقله عبق النبات. يزداد الصمت عمقاً كلما تقدّمنا في الغابة، وكأن الأخيرة تحتجّ على غزو البشر لها. يبدو الجنديان ببندقيتيهما المتدليتين من كتفيهما غير واعيين بما حولهما فيما يشقّان طريقهما من خلال الثغرات المفتوحة بين النباتات الكثيفة. فيمرّان بخفة مذهلة من تحت الأغصان الواطئة، ويتشبّثان بالصخور، ويقفزان فوق الوهاد، ويتجنبان الأشواك بمهارة.

أهرول لكي ألحق بهما ولا أضيّع أثرهما. لا يستديران ليتأكدا من أنني ما زلت خلفهما، وكأنهما يختبران مدى قدرتي على تحمل الأمر. لا أعرف لماذا، ولكن لديّ شعور قوي أنهما غاضبان مني. لا يقولان كلمة، لا لي، ولا واحدهما للآخر. يركزان فقط على السير، متبادلين قيادة الطريق من وقت لآخر. ماسورتا بندقيتيهما تتأرجحان أمامي كضابطَيْ إيقاع. وبعد فترة يصبح لحركتهما تأثير التنويم المغناطيسي عليّ. فيهيم عقلي، وكأنه ينزلق على الجليد، إلى مكان آخر. ولكن عليّ التركيز على متابعة إيقاعهم السريع، فأتقدّم، ويتدفق العرق غزيراً مني.

«أنسير بسرعة كبيرة عليك؟»، يستدير أخيراً الجندي ذو العضلات ويسألني. أنفاسه ليست لاهثة على الإطلاق.

«لا، أنا بخير» أخبره، «ما زلت صامداً».

«أنت شاب وتبدو بصحة جيدة»، يعلّق الطويل دون أن ينظر خلفه.

«نحن نعرف هذه الطريق جيداً، ولهذا أحيانا نسير فيها بسرعة شديدة»، يفسر ذو العضلات. «فلا تتحرّج، فقط أخبرنا وسوف نبطئ. ولكن عليك أن تفهم أننا لن ننزل عن مستوى معيّن من السرعة. أتفهم ما أقوله؟».

«سأخبركما إذا عجزت عن اللحاق بكما»، أخبره وأنا أجبر نفسي على ألا ألهث، حتى لا يلاحظا مدى تعبي. «ألا يزال الطريق طويلاً؟».

«لا، ليس كثيراً»، يجيب الطويل.

«لقد وصلنا تقريباً»، يضيف الآخر.

لست واثقاً من كلامه. فكما قالا، الوقت ليس عاملاً مهماً هنا.

ونسير لوقت دون أن نتبادل كلمة، بإيقاع أقلّ سرعة مما سبق. يبدو أنهما انتهيا من اختباري.

«أيوجد ثعابين سامة في هذه الغابة؟»، أسألهما، بما أن الأمر يقلقني.

«ثعابين سامة؟»، يقول الطويل ذو النظارات المدوّرة دون أن يلتفت. لا يلتفت أبداً عندما يتكلم، دائماً وجهه إلى الأمام وكأن خطراً ما سيعترضنا فجأة.

«لم أفكر في هذا الأمر أبداً».

«هذا وارد»، يقول ذو العضلات وهو يستدير وينظر إلي. «لم أرَ أيّاً منها، ولكن قد يوجد البعض منها. وحتى إن كان يوجد فهذا لا يهم».

«ما نريد أن نقوله»، يضيف الطويل بأريحية، «هو أنه ليس لدى الغابة رغبة في إيذائك».

«فلا داعي للقلق بشأن الثعابين أو أي شيء آخر»، يقول ذو العضلات، «هل ارتحت الآن؟».

«أجل».

«لا آخَر هنا- أكان ثعابين سامة أو فطراً ساماً، عناكب أو حشرات سُميَة - ينوي إيذاءك»، يقول الجندي الطويل دون أن يلتفت خلفه، كعادته دائماً.

«آخَر؟»، أسأل، لا أستطيع تكوين صورة ذهنية عما يعنيه. لا بدّ من أنني مرهق.

«آخَر. لا شيء آخر»، يقول، «لا شيء هنا سيؤذيك. نحن في أعمق نقطة في الغابة في نهاية المطاف. ولا أحد - ولا حتى نفسك - سيؤذيك».

أحاول أن أفهم ما يعنيه، ولكن ماذا يمكنني أن أفهم بعد كل هذا التعب والعرق والتأثير المخدّر لهذه الطريق التي تكرّر نفسها بلا نهاية، عقلي عاجز عن تكوين فكرة متماسكة.

«عندما كنا جنوداً اعتادوا أن يدربونا على بقر بطن العدو بحربة البندقية»، قال ذو العضلات، «أتعرف أفضل طريقة لطعن شخص بالحربة؟».

«لا»، أجيبه.

«حسناً، أولاً تغرز الحربة في بطنه بقوة، ثم تحركها على الجانبين. هذا يقطّع الأمعاء تقطيعاً. ثم يموت الرجل ميتة مؤلمة وبطيئة وبشعة. ولكن إذا طعنته فقط من دون أن تدير الحربة، فقد يقفز عدوك حينها ويمزّق أمعاءك أنت. هذا هو العالم الذي كنا نعيش فيه».

الأمعاء. قال لي أوشيما مرة إنها مجاز عن المتاهة. رأسي مزدحم بالأفكار المتداخلة والمتشابكة. لا أستطيع التمييز بين شيء وآخر.

«أتعرف لماذا يضطر الناس إلى فعل هذه الأشياء البشعة بالآخرين؟».

«لا فكرة لدي».

«ولا أنا. لم تكن تهمني هوية العدو، أكانوا صينيين أم روساً أم أمريكيين، فقط لم أكن راغباً في أن أبقر بطونهم. ولكن هذا هو العالم الذي كنا فيه، ولهذا السبب لذنا بالفرار. لا تفهمني خطأ، نحن لم نكن جبناء، لم يكن أيٌّ منا جباناً. في الحقيقة كنا جنديين ماهرين فعلاً. لكن كل ما في الأمر أننا لم نستطع التأقلم مع كل ذاك العنف. لا أظن أنك جبان أيضاً».

«أنا لا أعرف حقاً»، أجيب بأمانة، «ولكنني حاولت دوماً أن أصير أقوى».

«هذا مهم جداً»، يقول ذو العضلات وهو يلتفت إليّ مجدداً. «مهم جداً أن تقوم بكل ما في وسعك لتصير أقوى».

«أرى أنك قوي حقاً»، يقول الطويل. «أغلب الفتية في مثل سنك لا يمكنهم قطع هذه المسافة التي قطعتها».

«صحيح، شيء مبهر حقاً»، يؤكد ذو العضلات بنبرة عالية.

يتوقفان عند هذه النقطة. ينزع الطويل نظارته، ويفرك جانبي أنفه عدة مرات، ثم يعاود وضعها. لا يلهث أي منهما ولا يتعرّق.

«أتشعر بالعطش؟»، يسألني الطويل.

«قليلاً»، أجيب. في الحقيقة، أنا ميت من العطش، ذهبت مطرتي مع حقيبتي البلاستيكية.

يفك مطرته من حزامه ويناولها لي. آخذ جرعات قليلة من الماء الفاتر. يروي السائل كل مسام بدني. أمسح فوهة المطرة وأعيدها له. «شكراً»، أقول. يومئ الجندي الطويل برأسه في صمت.

«لقد وصلنا إلى الحافة»، يقول الجندي ذو العضلات.

«سنسير دون توقف إلى الأسفل. فانتبه لخطواتك جيداً»، يقول الطويل.

أتبعهم هابطاً المنحدر الزلق الوعر. نهبط حتى نصفه تقريباً، ثم ننعطف ونعبر من بين بعض الأشجار وفجأة نجد أنفسنا في الأسفل. يتوقف الجنديان ويلتفتان نحوي. لا يتفوهان بكلمة لكن عيونهما تقول «وصلنا». «هذا هو المكان الذي ستدخله». أقف هناك متأملاً في هذا العالم.

إنه شبه حوض منحوت في الأرض بشكل طبيعي. لا أعلم كم من البشر يعيشون هنا، لا يمكن أن يكونوا كثراً- فالمكان ليس كبيراً- هناك طريقان صغيران، تنتشر مبانٍ صغيرة على جانبيهما. وقد خلت الطرق من البشر والمباني من السمات، وكأنها شيدت لمقاومة العوامل الطبيعية أكثر مما لدواعي الجماليات. المكان كله أصغر بكثير من أن يكون بلدة. وعلى مدى النظر لا محلات ولا إشارات سير ولا لوحات إعلانية. يبدو الأمر كأنها بضع مبان جمعتها الصدفة معاً فشكّلت حياً. ما من مبنى له حديقة، والطرق خالية من الأشجار. بوجود هذه الغابة الشاسعة حولهم ليسوا بحاجة إلى المزيد من النباتات أو الأشجار.

تهب نسمة خفيفة على الغابة وترتعش أوراق الشجر من حولي. حفيفها الغامض يتردّد كموجات صغيرة في ذهني. أستند إلى جذع شجرة وأغمض عيني. تلك الموجات الصغيرة تبدو إشارة ما، لكنها تصلني بلغة أجنبية لا أستطيع فهمها. فأكفّ عن المحاولة، وأفتح عينيّ وأتأمل ثانية هذا العالم الجديد أمامي. واقفاً هناك عند منتصف المنحدر متفرساً في هذا المكان ومعي جنديان، أشعر وكأن الإشارات تنتقل إلى داخلي. تعيد تشكيل نفسها، وتتحول المجازات، وأنا منساق، بعيداً عن نفسي. أصبح فراشة تحلق على حافة خلق ما. وراء العالم ثمة مجال يتداخل فيه بانتظام الخواء والمعنى، ويصبح الماضي والمستقبل حلقة متواصلة بلا نهاية. ما زلت أحوم، تصلني إشارات لم يقرأها أحد

قبلي. نغمات لم يسمعها أحد قطّ.

أجاهد لكي أكف عن اللهاث، لا يزال قلبي مشتتاً، لكنني على الأقل لا أشعر بأي خوف.

يبدأ الجنديان في السير مرة أخرى دون كلمة، فأتبعهما بصمت. نهبط المنحدر أكثر باتجاه البلدة.. أرى جدولا صغيراً يجري على امتداد حاجز حجري. لخرير مياهه وقع سار. كل ما هنا بسيط وحميمي. أرى عواميد رفيعة تمتد بينها أسلاك، وهذا يعني أنه لديهم كهرباء. كهرباء؟ هنا؟

تحيط بالمكان جبال عالية خضراء، ولا زالت السماء مليئة بالسحب الرمادية الواطئة. نهبط أنا والجنديان إلى الطريق ولا نرى أحداً. كل ما حولنا غارق في الصمت والسكون. قد يكونون الآن في منازلهم يراقبوننا مذهولين وينتظرون أن نبتعد من هنا.

يأخذني مرشداي إلى أحد الأكواخ. غريب، له حجم كوخ أوشيما وشكله وكأن أحدهما نسخة عن الآخر. شرفة أمامية وبها كرسي. وسطح خال تبرز منه مدخنة. غرفة نوم بسرير صغير وعادي أعدّ بترتيب ونظافة، الفرق الوحيد بينه وبين كوخ أوشيما أن غرفة النوم منفصلة عن غرفة المعيشة وبداخلها حمّام ومزود بالكهرباء. حتى أن هناك ثلاجة صغيرة وقديمة في المطبخ، تتدلى لمبة من السقف وهناك تلفزيون؟

«ستبقى هنا حالياً حتى تستقر»، يقول الجندي ذو العضلات. «لن تبقى طويلاً. في *الوقت الراهن*».

«مثلما قلنا لك من قبل. الوقت هنا لا يهم كثيراً»، يقول الطويل.

يومئ الآخر برأسه مؤكداً «لا يهمّ على الإطلاق».

«ما مصدر هذه الكهرباء؟».

يتبادلان النظر.

«هناك محطة صغيرة تعمل على الرياح بعيداً في قلب الغابة»،

يشرح لي الطويل، «الرياح هناك تهبّ بلا انقطاع. يجب أن يكون لديك كهرباء، صح؟».

«من دون كهرباء لن تستطيع استخدام الثلاجة»، يقول ذو العضلات، «ومن دون ثلاجة لن تحتفظ بالطعام لفترة طويلة».

«تستطيع تدبّر أمرك من دونها»، يقول الطويل، «ومع هذا فمن المؤكّد أنه أمر لطيف وجود ثلاجة».

«إذا جعت، فَكُلْ ما شئت من الثلاجة. أخشى أنه لا يوجد بها الكثير».

«لا لحمة هنا ولا سمكاً ولا قهوة ولا مشروبات روحية»، يقول الطويل، «الأمر صعب في البداية، لكنك ستعتاد عليه».

«ولكن لديك بيض وجبن ولبن»، يقول ذو العضلات، «يجب أن تحظى بالبروتينات، صح؟».

«لا يصنعون هنا الأشياء الأخرى»، يشرح لي الطويل، «لهذا فعليك الذهاب إلى مكان آخر لكي تحضرها، بالمقايضة».

«من مكان آخر؟».

يومئ الطويل. «أجل. نحن هنا لسنا منعزلين عن العالم. هناك مكان آخر. قد يكون بعيداً بعض الشيء، لكنك ستفهم».

«سيأتي شخص في المساء لكي يعدّ لك العشاء»، يقول ذو العضلات، «وإذا شعرتَ بالملل تستطيع مشاهدة التلفزيون».

«ثمة برامج في التلفزيون؟».

«لا أعرف ماذا به»، يجيب الطويل مرتبكاً بعض الشيء. وينظر إلى رفيقه.

يهزّ صديقه ذو العضلات رأسه هو الآخر ويبدو بدوره مرتبكاً، «للصراحة، أنا لا أعرف الكثير عن التلفزيون، لم أشاهده من قبل قط».

«يضعون التلفزيون هنا للوافدين الجدد»، يقول الطويل.

«ولكن أكيد ستجد به شيئاً *ما*»، يقول ذو العضلات.

«فقط استرح قليلاً»، يقول الطويل، «ونحن علينا العودة إلى موقعنا».

«شكراً لكما لإحضاري إلى هنا».

«لا داعي للشكر، أنت أقوى من آخرين كثيرين أحضرناهم إلى هنا. كثر منهم لم يستطيعوا اللحاق بنا، حتى أننا اضطررنا إلى حمل بعضهم على ظهورنا. أما أنت فكان الأمر معك سهلاً كثيراً».

«على ما أتذكر، قلت لي إنني سأقابل أحدهم هنا».

«نعم، صحيح».

«أنا واثق من أنك ستقابل هذا الشخص قريباً»، يقول وهو يومئ عدة مرات للتأكيد. «إنه عالم صغير هنا».

«أرجو أن تعتاد عليه سريعاً»، يقول ذو العضلات.

«وحين تعتاد عليه يصبح الباقي سهلاً»، يضيف الطويل.

«أنا ممتن لكما حقاً».

يتأهّب الاثنان ويؤدّيان التحية ثم يعلقان بندقيتيهما وينطلقان في خطى سريعة إلى موقعهما. تتوجّب عليهما حراسة المدخل هناك ليل نهار.

أدخل إلى المطبخ لأرى ماذا يوجد في الثلاجة. طماطم وجبن وبيض وجزر، وحتى لفت، وإبريق فخاري كبير فيه حليب. هناك زبدة أيضاً. وثمة خبز على الرف، أتذوقه. يابس قليلاً لكنه ليس سيئاً.

في المطبخ مغسلة وصنبور مياه واحد. أفتحه فتتدفق منه المياه. ما زالت السماء ملبدة بالغيوم الرمادية، لكن لا يبدو أنها ستمطر. أنظر من النافذة طويلاً، وما زلت لا أرى أي علامة على وجود آخرين. إما أنها بلدة مهجورة، وإما أن الناس هنا يتحاشونني لسبب ما.

أبتعد عن النافذة وأجلس على كرسي خشبي له مسند مستقيم وصلب. هناك ثلاثة مقاعد، ومائدة مربعة ملمّعة جيداً. لا شيء معلقاً على الحائط الجصّي. لا لوحات ولا صور ولا حتى روزنامة. الحوائط

بيضاء نقية. تتدلى لمبة وحيدة من السقف، بزجاج محت الحرارة ألوانه.

الحجرة منظفة بعناية. لا غبار على سطح المائدة أو حافة النافذة. النوافذ أيضاً تلمع نظافة. الأوعية والأطباق وأدوات المطبخ ليست جديدة، لكنها نظيفة. هناك قرب المغسلة سخانان كهربائيان قديمان. أشغل أحدهما وعلى الفور يحمرّ سلكه المعدني.

أظن أن التلفزيون الملون القديم في المكتبة الخشبية العتيقة عمره 15 أو 20 سنة. لا يعمل على الريموت كونترول. ويبدو قطعة أثرية عادت إلى الحياة مرة أخرى. وهذا ينطبق أيضا على الأجهزة الكهربائية الأخرى. تبدو جميعها قطعاً أثرية تم إنقاذها - ليست قذرة أو معطّلة، بل قديمة الطرز وباهتة فقط.

أضغط زر تشغيل التلفزيون، يعرض فيلم صوت *الموسيقى*. حين كنت في المدرسة أخذتنا المعلّمة لنشاهده في السينما. لم يكن هناك من يصطحبني إلى السينما، فكان هذا الفيلم من الأفلام القليلة التي شاهدتها في صغري. يعرض الفيلم الجزء الذي سافر فيه الأب المتسلّط الكابتن فون تراب إلى فيينا للعمل، وتصحب ماريا الأطفال في نزهة إلى الجبال حيث يفترشون العشب وتعزف هي على الغيتار ويغنون معاً أغنيتين جميلتين. مشهد معروف. أتسمّر أمام الفيلم، تماماً مثلما فعلت عندما شاهدته للمرة الأولى. أفكّر كيف كانت ستكون حياتي لو كان ثمة في حياتي شخص مثل ماريا.

أعود إلى الواقع. ولماذا أساساً أشاهد الآن صوت *الموسيقى*؟ لماذا هذا الفيلم *بالتحديد*؟ ربما لديهم هنا طبق اصطناعي يلتقطون من خلاله إشارة محطة فضائية ما. أم لعله شريط فيديو يتمّ تشغيله في مكان ما ويعرض على هذا الجهاز؟ لا بدّ من أنه شريط فيديو لأنني عندما أغيّر القناة لا أجد سوى العواصف الرملية. عواصف رملية لئيمة تذكرني بالسكون اللاعضوي الأصمّ.

أطفئ التلفزيون على أغنية «إيدلويس». يعمّ الهدوء الغرفة من جديد. أشعر بالظمأ، فأذهب إلى المطبخ واشرب بعض الحليب من الإبريق. طازج ودسم وألذّ بما لا يقاس من ذاك المعلّب الذي نشتريه من السوبر ماركت. أشرب كوباً بعد كوب، فأتذكر فجأة مشهداً من فيلم فرانسوا تروفو *الأربعمائة ضربة* حين يهرب أنطوني من البيت ذات صباح مبكر، وحين يشعر بالجوع، يخطف زجاجة حليب من أمام أحد المنازل ويشربها. كانت زجاجة كبيرة فاحتاج إلى وقت طويل قبل أن ينهيها. مشهد حزين بائس - من النادر أن يتسم مشهد شرب حليب بهذا الحزن. هذا أيضاً واحد من الأفلام القليلة التي شاهدتها في طفولتي. كنت في الصف الخامس حينها ولفت نظري عنوان الفيلم فأخذت القطار بمفردي حتى «إيكيبوكورو»، وشاهدت الفيلم وعدت. وحين خرجت من السينما بعد الفيلم، لم أستطع منع نفسي، فاشتريت الحليب وشربته.

والآن بعد أن شربت الحليب كله، أشعر بالنعاس. تجتاحني رغبة طاغية، وحتى مقززة، في النوم. تتباطأ أفكاري وأخيراً تتوقف، كقطار يتوقف في المحطة. لا أعود قادراً على التفكير بوضوح. كأن صلب جسدي يتجمّد. أسير إلى غرفة النوم، وأقف في زاوية منها وأخلع حذائي وبنطالي وأرتمي على السرير، أدفن وجهي في الوسادة وأغمض عينيّ. للوسادة رائحة نور الشمس، رائحة غالية أستنشقها بهدوء، ثم أتنفسها، وقبل أن أدري بنفسي، أغفو.

أصحو على ظلمة تامة. أفتح عينيّ وأحاول أن أتذكر أين أنا. أخذني جنديان وسارا بي في قلب الغابة حتى وصلنا إلى بلدة صغيرة بجوار جدول، أليس كذلك؟ رويداً تعود إليّ ذاكرتي. يعود المشهد واضحاً. وتصل إلى مسمعي موسيقى مألوفة. أغنية «إيدلويس». قرقعة أوان وأطباق، خافتة وحميمية، تنبعث من المطبخ. ضوء يتسلل إلى الغرفة من الباب المموارب، ملقياً على الأرض شعاعاً أصفر. شعاع أصفر قديم أغبر.

أهمّ بالنهوض، جسدي كله خدر. آخذ نفساً عميقاً وأنظر إلى السقف. أسمع قرقعة الأطباق، ومعها خطوات سريعة لأحد ما يعد لي وجبة، على ما أظن. أتمكّن من الوقوف أخيراً. ألبس البنطال بصعوبة. وبهدوء أمسك مقبض الباب وأفتحه.

هناك صبيّة في المطبخ. تدير ظهرها لي، وتميل فوق وعاء تتذوق ما به بملعقة، تستدير حين تسمع صوت الباب ينفتح. إنها هي. الفتاة عينها التي كانت تأتي إلى غرفتي في المكتبة وتحدِّق في اللوحة المعلقة على الحائط. الآنسة سايكي في الخامسة عشرة. لا تزال مرتدية الفستان السماوي طويل الكمّين. الفرق الوحيد أنها تعقص شعرها إلى الخلف الآن. تبتسم لي ابتسامة خفيفة ودافئة، فتعصف بي عواطف جياشة، وكأن العالم انقلب رأساً على عقب، وكأن كل الأشياء الملموسة به قد تفرقت واجتمعت من جديد. ولكن هذه البنت ليست خيالاً، وليست شبحاً بالتأكيد. إنها حية ترزق، من لحم ودم، تقف في مطبخ حقيقي عند المغيب وتعدّ لي وجبة حقيقية. ها هو صدرها الصغير تحت فستانها، عنقها كخزف أبيض طازج خارج لتوه من الفرن. كله حقيقي.

«ها قد صحوت»، تقول.

لا أردّ. ما زلت أحاول أن أستجمع رباطة جأشي.

«يبدو أنك نمت جيداً»، تقول وتعود إلى تذوّق الأكل، « لو لم تستيقظ، لكنت وضعت الطعام على المائدة وغادرت».

«لم أرد أن أنام كل هذا الوقت»، أتمكّن أخيراً من القول.

«لقد سرت كل هذه المسافة في الغابة، لا بدّ من أنك جائع».

«لا أعرف، أظن ذلك». أرغب في أن أمدّ يدي نحوها لكي أتأكد من أنني أستطيع حقاً أن ألمسها. لكنني لا أفعل. فقط أقف هناك أتأملها وأستمع إلى صوت حركتها في المطبخ.

تسكب بعض «السوتيه» في طبق أبيض وتضعه على المائدة. أعدّت سلطة الطماطم والخسّ أيضاً. ووضعت رغيف خبز كبير. هناك

بطاطا وجزر في «السوتيه»، تبعث الرائحة الطيبة فيّ ذكريات حنونة. أشتمّها بعمق فأدرك أنني جائع فعلاً وعليّ أن آكل الآن. أمسك شوكة متآكلة القشرة وملعقة وأبدأ الأكل، وتجلس هي على كرسي قربي وتراقبني بجدية، وكأن هذا جزء مهم من وظيفتها. من حين لآخر تزيح شعرها عن جبهتها.

«قالوا لي إنك في الخامسة عشرة».

«صحيح»، أجيبها وأنا أمسح الزبدة على الخبز. «أتممت الخامسة عشرة أخيراً».

«وأنا أيضاً».

أومئ برأسي. كنت أعرف هذا تقريباً، لكنني لن أقوله الآن. لا يزال الوقت مبكراً على هذا. أقضم قضمة أخرى.

«سأقوم بالطهو لك هنا مؤقتاً»، تقول، «وأعمال النظافة والغسيل أيضاً، هناك بعض الملابس في الخزانة بغرفة النوم، البس منها ما تشاء. وضع غسيلك في السلة وأنا سأهتم بالباقي».

«أطلب أحدهم منك ذلك؟».

تحدق فيّ بثبات ولا تجيبني، وكأن سؤالي اتخذ طريقاً خاطئاً وامتصه الفراغ.

«ما اسمك؟»، أسألها مغيّراً اتجاه الحديث.

تهزّ رأسها. «أنا بلا اسم. نحن هنا لا نحمل أسماء».

«وكيف إذن أستطيع مناداتك إذا كنت بلا اسم؟».

«لا داعي لأن تناديني»، تقول، «إذا احتجت إليّ فستجدني هنا».

«أحسب أنني لا أحتاج أيضاً إلى اسمي هنا».

تومئ براسها. «أنت هو أنت. ولست شخصاً آخر. أنت هو أنت. أليس كذلك؟».

«أظن ذلك»، أجيبها رغم أنني لست واثقاً من الأمر. هل أنا أنا حقاً؟

تتأملني طوال الوقت دون أن تشيح نظرها عني ولو للحظة واحدة.

«أتتذكرين المكتبة؟»، أسألها مباشرة.

«المكتبة؟»، تهزّ رأسها. «لا... ثمة مكتبة بعيدة لكن هنا لا وجود للمكتبات».

«أهناك مكتبة فعلاً؟».

«أجل، لكنها بلا كتب».

«وماذا يوجد فيها إذن إذا لم تكن الكتب؟».

تميل برأسها دون أن تجيب، ومن جديد يأخذ سؤالي المنعطف الخطأ ويتلاشي.

«وهل ذهبت إلى هناك من قبل؟».

«من فترة طويلة».

«ولكن ليس من أجل الكتب؟».

تومئ برأسها، «لا كتب هناك».

آكل في صمت لفترة. وهي أيضاً لا تقول شيئاً، فقط تتأملني بجدية.

«هل أعجبك الطعام ؟»، تسألني حين أنتهي.

«لذيذ فعلاً».

«حتى من دون لحم أو سمك».

أشير إلى الطبق الفارغ. «لقد أتيت عليه كله، أترين؟».

«أنا التي طهوته».

«كان شهياً حقاً»، أكرر. هذه هي الحقيقة.

أثناء وجودي معها أشعر بالألم. ألم رهيب أشبه بخنجر ينغرز في صدري.. لكن المفارقة أنني ممتنّ لإحساسي به، وكأنه وكياني جسم واحد. الألم مرساة تشدني إلى هنا. تنهض البنت لتعدّ الشاي، وفيما

أحتسيه وأنا لا أزال على المائدة تأخذ الأطباق وتغسلها. أشاهدها وهي تقوم بكل هذا، أرغب في أن أقول شيئاً، لكن الكلمات لا تؤدي وظيفتها المعتادة وأنا معها. أو ربما يتلاشى المعنى الذي يربطها معاً؟ أتأمل يديّ وأتذكّر شجرة القرانيا التي كانت خارج نافذتي، وكانت أوراقها تتلألأ تحت شعاع القمر، وأدرك من أين يأتي النصل الذي ينغرز في قلبي الآن. من هناك.

«ستعاودين المجيء؟»، أسألها.

«طبعاً»، تجيبني، «مثلما قلت لك إذا احتجتني فستجدني هنا».

«لن تختفي فجأة أليس كذلك؟».

لا تجيب. فقط تحدق فيّ باستغراب وكأنها تقول لي «وأين تحسبني سأذهب؟».

«لقد قابلتك سابقاً»، أجازف بالقول، «في أرض أخرى، في مكتبة أخرى».

«كما تشاء»، تجيبني وهي تضع يدها على شعرها لتتأكد من أنه لا يزال معقوصاً. صوتها حيادي كلياً كأنها تقول لي إنها لا تعبأ كثيراً بما أقوله.

«أظن أنني جئت إلى هنا لكي أراك من جديد. أنت وامرأة أخرى».

ترفع وجهها الجاد إلى أعلى. «لقد عبرتَ قلب الغابة لكي تأتي إلى هنا».

«هذا صحيح. كان عليّ أن أراك والمرأة الأخرى من جديد».

«وها قد رأيتني».

أومئ.

« مثلما قلت لك، إذا احتجتني فستجدني هنا».

بعد أن تنتهي من غسيل الأواني تضعها على الرف وتعلق حقيبتها

القماش على كتفها. «سأعود غداً صباحاً، أرجو أن تعتاد سريعاً على الإقامة هنا».

أقف عند الباب وأشاهدها وهي تختفي في العتمة. مرة أخرى وحدي في الكوخ، داخل حلقة مغلقة. الوقت هنا لا يهمّ كثيراً. ولا أحد هنا يحمل اسماً. وإذا احتجت إليها فسأجدها هنا. عمرها 15 سنة. وستظل هكذا للأزل، حسبما أظن. ولكن ماذا سيحدث لي *أنا*؟ هل سأظل أنا الآخر في الخامسة عشرة؟ أيكون السن أيضا لا يهمّ هنا كثيراً؟

أظل واقفاً عند الباب طويلاً بعد اختفائها. أتأمل المنظر في الخارج من دون أن أركز على شيء محدد. السماء بلا قمر أو نجوم. ما زالت الأنوار مضاءة في مبانٍ قليلة، تنير النوافذ. الضوء الأصفر الباهت العتيق نفسه الذي ينير تلك الغرفة. وما زلت لم أرَ أحداً آخر. الأضواء فقط. والظلال الداكنة التي تبسط كفّها على العالم. وبعيداً هناك ترتفع جبال سوادها أثقل من سواد العتمة، و كالسور، تحيط الغابة بالبلدة.

46

بعد وفاة ناكاتا، لم يستطع هوشينو الخروج من الشقة. قد يحدث أيّ أمر مفاجئ بوجود حجر المدخل هنا، وهو يريد أن يكون موجوداً عندما يحدث ذلك، لكي يفعل ما يتوجّب عليه فعله في الوقت المناسب. كانت مراقبة الحجر مهمة ناكاتا، والآن صارت مهمته هو. شغّل مكيّف الهواء في غرفة ناكاتا وضبطه على أقل درجة حرارة ممكنة، وأحكم إغلاق جميع النوافذ. فصار هواء الغرفة سميكاً يليق بجثة. «أرجو ألا يكون الجو شديد البرودة عليك»، قال لناكاتا الذي بطبيعة الحال لم يبدِ رأيه بأيّ طريقة كانت.

ارتمى هوشينو على الكنبة في غرفة الجلوس محاولاً تمرير الوقت. لم يرغب في سماع الموسيقى أو القراءة. غربت الشمس وبالتدريج غمرت العتمة الغرفة، لكنه لم يحرك ساكناً ولم يضئ الأنوار. كان يشعر بتعب شديد وما إن استقرّ على الكنبة حتى بات شبه عاجز عن النهوض مجدداً. وراح الوقت يمرّ ببطء شديد حتى أن هوشينو كان ليقسم أنه قد ضاعف من بطئه.

تذكر حين مات جده. كان الأمر صعباً لكن ليس إلى هذا الحدّ. كان جده يعاني منذ زمن طويل من مرض عضال، وكانوا جميعاً يعرفون أن وفاته ليست سوى مسألة وقت، ولهذا كانوا مستعدين لموته. الأمر يختلف كثيراً إذا كانت لديك فرصة لكي تستعد لما هو محتوم. لكن

هذا ليس الفارق الوحيد، خَلُصَ هوشينو، هناك شيء ما في موت ناكاتا يجعله يفكّر بعمق وبقسوة.

شعر فجأة بالجوع، فذهب إلى المطبخ و سخّن بعض الأرز المقلي المجمد في الميكروويف وتناول نصفه مع زجاجة جعة. ثم ذهب ليتفقد ناكاتا، قد يكون عاد إلى الحياة، فكّر في سريرته. ولكن ناكاتا لم يعد، كان لا يزال ميتاً. وكانت غرفته كالثلاجة، يمكن حفظ الآيس كريم فيها.

هذه الليلة الأولى التي يمضيها مع جثة. فظلّ مضطرباً طوال الوقت، ليس بسبب الخوف أو ما شابه، قال لنفسه، فهذا لا يؤثر فيه البتة، لكنه ببساطة، لا يدري كيف يتصرف بجوار رجل ميت. الزمن يمرّ على الموتى بطريقة تختلف كثيراً عن مروره على الأحياء. والأمر سيان بالنسبة إلى الأصوات، لهذا لا أستطيع أن أهدأ، قرر هوشينو. ولكن ما الذي يمكنك فعله؟ لقد رحل السيد ناكاتا بالفعل إلى عالم الأموات وما زلت أنا هنا في أرض الأحياء. وبالطبع هناك هوّة بين الاثنين. نهض عن الكنبة وذهب لكي يجلس قرب الحجر. وراح يمسّده براحة كفه كأنه يمسّد قطة.

«ماذا عليّ أن أفعل بحق الجحيم؟»، وجّهَ سؤاله إلى الحجر، «أريد أن أسلّم السيد ناكاتا إلى من يعتني به، ولكن لن يحدث هذا قبل أن أعتني بك. هلا أخبرتني ماذا أفعل؟».

لكنه لم يتلقَ رداً. كان الحجر الآن مجرّد حجر وكان هوشينو يدرك ذلك. كان يمكن أن يخاطبه حتى يجف الدم من عروقه ويزرقّ وجهه من دون أن يتوقع منه رداً. ومع هذا، ظلّ يمسّده، ويطرح عليه الأسئلة التي تحيره ملتمساً المنطق وباذلاً كل ما في وسعه ليكسب عطفه. ورغم معرفته جيداً بلا جدوى هذا كله، لم يستطع أن يفكر في شيء آخر يفعله. كان السيد ناكاتا يجلس هكذا طوال الوقت محدّثاً الحجر، فلمَ لا يحذو حذوه؟

استمرّ في التحدث مع الحجر فربما يشعر بآلامك- حالك يرثى لها فعلاً، فكر هوشينو. يعني، ألا يقولون في الأمثال، قلبه قاس كالحجر؟

نهض وفكر أن يستمع إلى نشرة الأخبار في التلفزيون، لكنه غيّر رأيه ورأى أنه من الأفضل أن يبقى إلى جانب الحجر، الصمت أفضل الآن، قرر بينه وبين نفسه. لا بدّ من أن أصغي جيداً، أن أصبر حتى يحدث ما ينبغي أن يحدث، أياً يكن. «إنما الصبر ليس من شِيَمي على الإطلاق»، قال هوشينو للحجر. لطالما كنت من زمرة الذين لا يطيقون صبراً على شيء، يا الله، لقد دفعت ثمناً باهظاً بسبب ذلك! كنت دائماً مستعجلاً، ودائما أفسد الأشياء. وكان جدي دائماً يقول لي «أنت تقفز كقطة على صفيح ساخن»، والآن أجدني مضطراً إلى الصبر والثبات. شيء يغيظ حقاً!

كانت الغرفة ساكنة تماماً باستثناء هدير المكيف الشغّال بأقصى طاقته في الغرفة المجاورة. أشارت عقارب الساعة إلى التاسعة، ثم العاشرة، ولم يحدث شيء. مرّ المزيد من الوقت ولم يحدث شيء سوى ازدياد الليل حلكة. أخذ هوشينو أغطيته إلى غرفة الجلوس ورقد على الكنبة وغطى نفسه. ارتأى أنه من الأفضل أن يبقى بجانب الحجر حتى وهو نائم في حال حدوث أمر طارئ. أطفأ الأنوار وأغمض عينيه.

«اسمع أيها الحجر، سأنام الآن، نتحدث غداً إذن، كان يومي طويلاً بما فيه الكفاية وأحتاج الآن إلى بعض النوم». فوجئ هوشينو بأن كلمة «طويل» غير دقيقة إطلاقاً لوصف هذا اليوم. «أنت يا جدي!»، صاح هوشينو بصوت عال، «أيها السيد ناكاتا؟ هل تسمعني؟». لا جواب.

تنهد هوشينو وأغمض عينيه وعدّل وسادته وسقط في النوم. نام طوال الليل، من دون أن يصحو مرة، أو تراوده أيةِ أحلام. وفي الغرفة المجاورة استمرّ ناكاتا في نومه الخاص، الخالي من الأحلام، نوم حجر الصوّان.

ما إن صحا بعيد السابعة صباحاً حتى توجه ليتفقد أحوال ناكاتا. كان المكيف يهدر عالياً. وفي وسط الغرفة المصقعة كان يرقد العجوز على حاله. وبدا أن الموت زاد إحكام قبضته عليه. أضحت بشرته أكثر شحوباً وعيناه أكثر إغماضاً وكآبة. لن يعود فجأة للحياة وينهض ليقول «تقبل اعتذاري يا سيد هوشينو، ناكاتا فقط سقط في النوم دون أن يدري. أنا آسف، وسأتولى الأمر، لا تقلق»، ثم يتولّى هو أمر الحجر. هذا لن يحدث ابداً. لقد ذهب ناكاتا دون رجعة، فكر هوشينو. هذا هو الواقع.

خرج من الغرفة وأغلق الباب بعد أن بدأ جسده يرتعش من البرد، وتوجه إلى المطبخ وأعد بعض القهوة في ماكينة القهوة وتناول كوبين، وسخّن توست وتناوله مع المربي والزبدة. بعد أن أنهى فطوره بقي في المطبخ، ودخن عدة سجائر وهو ينظر من النافذة. انقشعت السحب خلال الليل تاركة وراءها سماء صيفية مشمسة وصافية. كان الحجر لا يزال في مكانه المعتاد قرب الكنبة. لم يغف ولم يستيقظ. ظلّ قابعاً هناك بلا حراك طوال الليل. حاول أن يرفعه واستطاع ذلك بسهولة.

«هاي أنت»، قال هوشينو بمرح، «هذا أنا، صاحبك القديم هوشينو، أتذكرني؟ يبدو أننا اليوم أنا وأنت وحدنا».

ظلّ الحجر- دون دهشة- صامتاً.

«آه، على راحتك. لا يهم إن كنت تتذكّرني أم لا. أمامنا وقت طويل لكي نوثّق تعارفنا - لا داعي للعجلة».

جلس بجانبه وراح يمسّده متسائلاً حول المواضيع التي يمكنه أن يتحدث فيها مع حجر. كانت تلك أول مرة له يحادث فيها حجراً ولم تكن لديه فكرة كيف يبادر إلى الحديث ، فقرّر أنه من الأفضل له أن يتجنّب الأشياء الصعبة في هذا الوقت المبكر من الصباح، اليوم طويل أمامه وكل ما يخطر له مناسب.

فكّر قليلاً وقرّر أن يتحدث في أحب المواضيع إليه: النساء.

استذكر جميع اللواتي نام معهن. لم يستطع أن يتذكر أسماءهن جميعاً. وإذا التزم باللواتي يتذكر أسماءهن فحسب، فإن العدد ليس بكبير. عدّهم على أصابع يديه. ست. فقط لا غير. وإذا أضفنا اللواتي لا أعرف أسماءهن، فسيكون هناك المزيد والمزيد، لكن دعنا منهن الآن.

«أظن أنه من العبث أن أتحدث مع حجر عن البنات اللائي نمت معهن»، قال للحجر، «ولا أظن أن الحديث عن هذا ممتع كحوار صباحي. ولكنني لا أستطيع التفكير في شيء آخر، اتفقنا إذن؟ ومن يعرف، قد يكون مفيداً لك التحدّث في موضوع مرح من باب التغيير. من باب العلم بالشيء وخلافه».

قصّ هوشينو بعض فصول غرامياته بكل التفاصيل التي استطاع أن يتذكرها. كانت أول مرة له حين كان في المدرسة الثانوية، حين كان مشغولاً بالدراجات النارية والمشاكل. وكانت تكبره بثلاث سنوات، عاملة في حانة صغيرة في مدينة جيفو. يمكنك القول إننا تقريباً عشنا معاً لفترة من الوقت. وكانت هي تأخذ العلاقة بجدية، وتقول إنها لا تستطيع الاستغناء عني، حتى أنها اتصلت بوالدي ولكنهما لم يُسَرّا بالأمر كثيراً، وتعقّدت الأمور أكثر، حتى تخرّجْتُ من الثانوية والتحقت بقوات الدفاع. ومن هناك أرسلوني إلى قاعدة في إقليم ياماناشي، وانتهت علاقتي بها. ولم أرها أبداً بعد ذلك.

«أظن أن اسمي الثاني هو (كسلان)،» قال هوشينو شارحاً نفسه للحجر، «حين تصير الأمور غريبة، أرتعب، لست أتباهى لا سمح الله، ولكنني سريع الهرب فعلاً. لم أسر في أي شيء حتى النهاية، وهذه، تقريباً، مشكلة».

التقى الفتاة الثانية بالقرب من القاعدة في ياماناشي. كان في إجازة ليوم واحد وساعدها في تغيير إطار سيارتها السوزوكي آلتو. كانت طالبة في كلية التمريض تكبره بعام.

«كانت فتاة لطيفة»، قال هوشينو للحجر. «صدرها كبير، وهي

أصلاً شخص دافئ. يا إلهي كم كانت تحبّ الجنس! كنت حينها في التاسعة عشرة فقط، وكنا نقضي أيامنا في السرير ننكش الملاءات. المشكلة أنها كانت تغار بجنون. كانت إن لم أقابلها في إجازاتي تخضعني لجلسات تعذيب لتنتزع مني الاعترافات عن أين ذهبت وماذا فعلت ومع من كنت. كنت أخبرها بالحقيقة، ولكن هذا لم يكن يرضيها. ولهذا انفصلنا. بقينا معاً حوالى سنة. لا أعرف بشأنك أنت، ولكنني شخصياً لا أتحمّل أن يتدخل أحد في شؤوني، هذا يخنقني، ويجعلني بائساً ومكتئباً. لهذا نَفَذْتُ بجلدي. الجميل في قوات الدفاع أنه يمكنك دائما أن تختبئ في القاعدة حتى تنتهي الأمور بطريقة تلقائية، ولن يستطيع أحد أن يصل إليك مهما فعل. إذا أردت الانفصال التام عن إحداهن، فعليك الالتحاق بقوات الدفاع. كانت أياماً جميلة، مع أن الحياة لم تكن وردية، مع حفر الخنادق وحمل أكياس الرمل وكل هذا الهراء».

استمرّ هوشينو بمحادثة الحجر. وكان كلما تحدث أكثر، اتضح له أكثر كم كانت حياته عبثية وبلا معنى. أربع بنات من الست اللائي واعدهن، كن لطيفات حقاً (واتضح له أن الاثنتين الأخريين، بموضوعية، معقّدتان نفسياً) وعموما عامَلْنَهُ جميعاً بلطف شديد. لم يكن من بينهن من هن باهرات الجمال، إلا أن كل واحدة منهن كانت ظريفة بطريقتها الخاصة، وكن ينمن معه وقتما يشاء، ولم يكنَّ يتذمَّرْنَ في حال اختصر المداعبة ودخل في الموضوع مباشرة. وكن يعددن له الطعام في أيام إجازاته، ويجلبن له الهدايا في عيد ميلاده، ويقرضنه المال إن لم يكن متوافراً معه وقت الحاجة - ولا يتذكر أنه رد تلك القروض أبداً - ومن جانبهن، هنّ لم يطالبنه بها أبداً أيضاً. كل هذا وكنت أنا عاهراً نمروداً، أتعامل مع كل شيء كتحصيل حاصل.

مما يسجّل له أنه لم يكن يخون أيّاً منهن، ولكنه كان يسمح لهن بالتذمّر قليلاً، والفوز في المجادلة، وإبداء بعض الغيرة عليه، ومطالبته

بأن يمسك يده في النفقات، أو حتى التلميح له بقلقهن على المستقبل، وكان هو يهرب فحسب. كان يعتقد دوماً أن أفضل ما يمكنه فعله مع الفتيات ألا يضع نفسه في أي موقف غريب، فكان كل ما يتطلّبه الأمر مجرد فتاة صغيرة تهزّ المركب حتى يفرّ بجلده، ويجد غيرها ويبدأ من جديد. وكان متأكداً أن أغلب الناس يقومون بالمثل.

«لو كنت فتاة»، قال للحجر، «وكنت على علاقة مع عاهر أناني مثلي، لكان جنّ جنوني. طبعاً، عندما أتذكر هذا كله لا أعرف حقاً كيف احتملتني أي منهن طوال هذا الوقت. أمر مذهل حقاً». يشْعَلَ لفافة مارلبورو وينفث الدخان ببطء، وبيده الأخرى يمسّد على الحجر. «ألا توافقني الرأي؟ فأنا لستُ وسيماً جداً، ولست هائلاً في السرير. ولست غنياً، ولست شخصية جذابة أساساً، ولست ذكياً جداً. سلبياتي كثيرة فعلاً. ابن فلاح فقير من الأقاليم، جندي سابق غير كفء تحول إلى سائق نقل. ومع هذا، حين أتذكّر هذا، أرى أنني كنت محظوظاً فعلاً في موضوع الفتيات. لم أكن شخصاً معروفاً في المنطقة، ولكن كان معي دوماً صاحبة تنام معي، وتطعمني، وتقرضني المال. لكن أتعرف؟ إن دوام الحال من المحال، كل يوم أتأكد من هذا أكثر. وكأن أحدهم قال لي: «اسمع يا هوشينو، يوماً ما ستدفع ثمن هذا كله»».

استمرّ بالتمسيد على الحجر وهو يقص عليه مغامراته الجنسية. صار معتاداً على هذا حتى لم يعد راغباً في التوقّف. عند العصر، قرع جرس مدرسة قريبة، فتوجه إلى المطبخ ليعدّ طبق اودون، مضيفاً إليه بعض البصل الأخضر والبيض النيء. وبعد الغداء، استمع مجدّداً إلى «ثلاثية الأرشيدوق».

«إيه أيها الحجر»، هتف بعد أن انتهت الوصلة الأولى منها. «موسيقى رائعة حقاً. . تفتح قلبك للدنيا، ما قولك؟».

الحجر صامت. .

لم يكن يدري ما إذا كان الحجر يستمع إليه، أم إلى الموسيقى،

ولكنه واصل كلامه على أي حال. «لقد فعلت أشياء فظيعة في حياتي. كنت أنانياً جداً، وقد فات الأوان على إصلاح ما فعلته، أتعرف؟ عندما أسمع هذه الموسيقى أحسّ كأن بيتهوفن هنا يتحدث معي ويقول لي شيئاً من قبيل، «لا تقلق يا هوشينو، هذه هي الحياة، أنا أيضاً فعلت أشياء فظيعة في حياتي، ليس بيدنا حيلة في كل هذا. الأشياء تحدث رغماً عنا، عليك فقط أن تستمرّ في العيش». ليس بيتهوفن من النوع الذي يقول هذا بالضبط، لكنني أشعر بهذا الجو في موسيقاه، وكأنها هي تقول لي ذلك، هل تشعرين بها؟».

الحجر أخرس.

«عموماً ،هذا رأيي، وسأصمت الآن حتى نسمع الموسيقى».

عند الثانية، عندما نظر إلى الخارج، كانت هناك قطة سوداء سمينة قاعدة على درابزين الشرفة وتنظر إلى الأرض. من ملله، فتح هوشينو الزجاج وصاح «هاي أيها القط، أليس هذا يوماً جميلاً؟».

«فعلاً، يوم رائع يا سيد هوشينو»، أجابه القط.

«على مهلك قليلاً»، قال هوشينو وهو يهزّ رأسه.



الفتى المدعو كرو

حلّق الفتى المدعو كرو في دوائر فوق الغابة. كان ينهي دائرة، ثم ينتقل إلى موقع آخر ويبدأ في رسم أخرى. حلقات متطابقة، واحدة لا مرئية تلو الأخرى تتلاشى في الهواء بعد أن ينتهي من رسمها. كطائرة استطلاع، يمسح الغابة أسفله، باحثاً عن شخص ما يبدو أنه لا يستطيع تحديد موقعه، ومن جهتها، تتموّج الغابة أسفله كالمحيط، وتبسط في الأفق ثوبها المغزول من الأغصان الكثيفة المتشابكة القاتمة. كانت السماء ملبدة بالغيوم الرمادية ولم يكن هناك رياح ولا نور شمس. لا بدّ من أنه كان، في هذه الأثناء، أكثر الطيور وحدة في العالم، لكنه كان مشغولاً بشيء آخر.

أخيراً وقع نظره على ثغرة في بحر الأشجار من تحته وعلى الفور انطلق هابطاً وعبرها واصلاً إلى فسحة في الأرض. أضاء النور فسحة من الأرض مكسوّة بالعشب، وفي أحد أركان الفسحة كان هناك صخرة مستديرة ضخمة يجلس عليها رجل يرتدي ملابس رياضية حمراء لامعة وقبعة حريرية سوداء، وحذاء سميك النعل، وبجانبه على الأرض ترقد حقيبة كاكية. تركيبة غريبة، فكر الفتى المدعو كرو، رغم أنه ليس لديه شيء ضدها. كان يهمّه الشخص، لا ملابسه.

نظر الرجل إلى أعلى حين سمع رفرفة الأجنحة المفاجئة ورأى كرو يحطّ على غصن ضخم. «مرحباً»، حيّاه بمرح.

لم يردّ عليه الفتى المدعو كرو. فقط وقف هناك على الغصن ينظر إلى الرجل دون أن يرفّ له جفن ودون تعابير محددة، هازاً رأسه من حين لآخر.

«أنا أعرفك»، قال الرجل وهو يرفع قبعته ويضعها مرة أخرى، «كنت أعرف أنك ستأتي قريباً»، قال الرجل، وتنحنح وقطّب حاجبيه ثم بصق على الأرض وداس على البصقة بحذائه.

«كنت أستريح وشعرت بالملل لعدم وجود من أتحدث معه، ما رأيك أن تنزل إلى هنا؟ فلنتحدث قليلاً. أنا لم أرك من قبل أبداً، ولكن هذا لا يعني أننا غريبان عن بعضنا».

أبقى الفتى المدعو كرو فمه مغلقاً وجناحيه مضمومين.

هزّ الرجل ذو القبعة الحريرية رأسه برفق. «آه، فهمت. أنت لا تتكلم، أليس كذلك؟ لا يهم، سأتكلم أنا، ما زلت أعرف ماذا سوف تفعل، حتى وإن لم تتفوه بكلمة، أنت لا تريدني أن أتكلم في هذا، أليس كذلك؟ يمكنني أن أتنبأ بما سيحدث فهو واضح جداً. لا تريدني أن أستمر في هذا، ولكن هذا بالضبط ما أريده أنا، هذه فرصة ذهبية لا يمكنني أن أدعها تفلت من يدي- فرصة لا تأتي إلا مرة في العمر».

ضرب كعب حذائه بالأرض. «لكي أهوّن عليك الاستنتاجات، لن يكون في مقدورك أن توقفني. أنت لست أهلاً لهذا. لنقل إنني أعزف على الناي، ماذا سيحدث؟ لن يكون في مقدورك أن تقترب مني لأكثر من هذا. هذه قوة ناياتي، قد لا تعرف هذا، لكنها فريدة. وفي الواقع لدي بعض منها هنا في الحقيبة».

مدّ الرجل يده وربت على الحقيبة، ثم نظر ثانية إلى الفتى المدعو كرو الواقف على الغصن. «صنعت هذا الناي من أرواح القطط التي جمعتها. انتزعت أرواحها حية وصنعت منها الناي. بالطبع كنت حزيناً على القطط التي ذبحتها، ولكن لم يكن بيدي حيلة. هذا الناي فوق مستوى أي معايير للخير أو الشر، الحب أو الكراهية. وكان صنعه

يلحّ عليّ طوال حياتي، ولطالما كنت رجلاً يحب أن يتقن عمله وينجز دوره بالتمام والكمال. لا يعيبني شيء. تزوجت وأنجبت الأطفال وصنعت ما يكفي من النايات وأكثر. بيني وبينك، أنا أفكر في أن آخذ كل النايات التي صنعتها وأن أصنع منها ناياً واحداً كبيراً، يفوقها جميعاً قوة. ناي خارق يتحوّل إلى منظومة مستقلة. والآن أنا في طريقي إلى حيث يمكنني صنع هذا الناي. لست أنا من يقرر ما إذا كان هذا الناي سيستخدم للخير أم للشر، ولا أنت أيضاً. كله يتوقف على زمان وجودي ومكانه. وهكذا، فأنا لا أحمل أي ضغائن لأحد، أنا كالتاريخ أو كالطقس- غير منحاز. وبما أنني هكذا، أستطيع أن أتحول إلى منظومة».

خلع الرجل قبعته وحكّ الشعيرات القليلة في رأسه، وأعاد القبعة مرة أخرى وبسرعة عدَّلَ حافتها. «ما إن اعزف على هذا الناي، حتى يصبح التخلّص منك سهلاً كالماء. الأمر فقط أنني لا أريد أن أعزف الآن، فهذا يستغرق مني جهداً كبيراً ولا أَوَدُّ أن أهدر طاقتي الآن. لأنني سأحتاج إليها فيما بعد. ولكن سواء عزفت أم لم أعزف، فلن تستطيع منعي. هذا واضح ومؤكّد».

تنحنح الرجل مرة أخرى، وتحسّس كرشه الضئيل. «أتعرف ما هو الليمبو؟ إنه المكان ما بين الحياة والموت. مكان كئيب وحزين. أي بكلمات أخرى حيث أنا الآن، - في هذه الغابة. ها قد مت. برغبتي الخاصة، لكنني لم أنتقل إلى العالم الآخر. أنا روح في العالم الانتقالي، والروح في العالم الانتقالي لا شكل لها. لقد تجسّدت في هذا الشكل مؤقتاً، ولهذا لا يمكنك أن تؤذيني. أتفهمني؟ حتى لو نزفت وأغرقت المكان بدمي، فلن يكون دماً بحق. حتى وإن عانيت بشدّة، فلن تكون معاناة بحق، الوحيد الذي يستطيع محوي الآن وفوراً يجب أن يكون أهلاً لذلك. والأمر المؤسف أنك لست أهلاً لذلك. لست سوى وهم غير مكتمل. ومهما بلغ إصرارك، فإن محوي محال

بالنسبة إلى أمثالك». نظر الرجل إلى الفتى المدعو كرو وابتسم. «ما رأيك في هذا؟ أتودّ أن تحاول؟».

وكأنها الإشارة التي كان ينتظرها، فرد الفتى المدعو كرو جناحيه على وسعهما، وقفز عن غصنه منطلقاً نحو الرجل. وبمخلبيه شدّه من صدره، ثنى رأسه للخلف ونقره في عينه اليمنى، وظل ينقره بشدّة كأنه يضرب أرضاً بفأس، وجناحاه السوداوان يرفرفان بصخب طوال الوقت. لم يأتِ الرجل أي مقاومة تذكر، لم يرفع إصبعاً للدفاع عن نفسه، ولم يصح مستنجداً، بل ظلّ يضحك بصوت عال. سقطت قبعته عن رأسه وتلاها بؤبؤ عينه الذي تمزق وسقط من محجره، وسرعان ما أتى الفتى المدعو كرو بكل عزمه على العين الأخرى. وما إن فرغ محجراه، حتى هجم الفتى المدعو كرو على وجهه، ومنقاره أشبه بفأس تعزق الأرض، وسرعان ما صار وجه الرجل مجرد أشلاء، قطع جلد متناثرة، وتدفق الدم في كل الاتجاهات، ليس أكثر من قطع جلد متناثرة، بعدها هاجم كرو قمة الرأس حيث تنمو الشعيرات الخفيفة، وما زال الرجل يضحك. وكلما زاد الهجوم وحشية علا صوت ضحكاته أكثر، وكأن الموقف كله مضحك إلى درجة لا يستطيع معها أن يتحكم في نفسه.

لم يعبأ الرجل باسترداد عينيه - المحجرين الفارغين الآن - من كرو، لكنه استطاع أن يردد كلمات قليلة بين الضحكات: «أرأيت؟ ألم أقل لك؟ هل تمازحني؟ حاول كما شئت، فهذا لن يؤذيني البتة. لستَ أهلاً لهذا. لست سوى وهم لا يمكن تصديقه، صدى رخيص. لا جدوى منك، مهما حاولت، ألم تدرك بعد؟».

اتجه الفتى المدعو كرو بمنقاره إلى الفم الذي تخرج منه هذه الكلمات، بينما يصفق جناحاه في الهواء ويتطاير منهما الريش ويحوم في المكان كشظايا روح. مد كرو منقاره إلى لسان الرجل وأمسك به وسحبه بكل عزمه. كان طويلاً وسميكاً، وما إن أخرجه من بلعوم الرجل السحيق حتى امتدّ كدودة عملاقة، مكوناً كلمات سوداء. بغياب

لسانه حتى هذا الرجل لن يتمكن من الضحك بعد الآن. بدا وكأنه لا يستطيع أن يأخذ أنفاسه، ومع هذا أيضاً تمكن من التحكم في جانبي جسمه وظل يهتز بضحكات مكتومة. استمع الفتى المدعو كرو، ولم يتوقف هذا الضحك المكتوم الخاوي المشؤوم - تماما كالرياح التي تهب في صحراء بعيدة. بدا الصوت حقاً أشبه بصوت ناي من عالم آخر.

47

أصحو بعد الفجر بقليل، أغلي بعض الماء في السخان الكهربائي وأعدّ الشاي. أجلس بجانب النافذة فقط في حال حدوث شيء في الخارج أو مرور أحد. كل شيء ساكن كالموت. لا إشارة لوجود أحد في الخارج. حتى الطيور تبدو محجمة عن أناشيدها الصباحية المعتادة. التلال الشرقية يغلّفها ضوء واهن. المكان محاط بهذه التلال، مما يبرر تأخّر الشروق وسرعة الغروب. أتوجه ناحية المنضدة الصغيرة إلى جانب السرير حيث تركت ساعتي وأتفقد الوقت. أجد الشاشة فارغة تماماً. أضغط على جميع الأزرار بشكل عشوائي ولا شيء يتغيّر. أعلم أن البطاريات جيدة، ولكن لسبب غير مفهوم كانت الساعة قد توقفت أثناء نومي. أعيد الساعة إلى الوسادة وبيدي اليمنى أفرك معصمي الأيسر، حيث أرتديها عادة. *الوقت لا يهم هنا كثيراً.*

بينما أتأمل المشهد الفارغ في الخارج تنتابني فجأة رغبة عارمة في القراءة، قراءة أي كتاب لا يهمّ، ما دام له غلاف وشكل الكتاب. أريد فقط أن أمسك كتاباً في يدي، أقلب صفحاته، أجري عينيّ على كلماته. لكن هناك مشكلة واحدة فقط، ليس من كتاب واحد هنا. يبدو أن الطباعة لم تبلغ هذا المكان. أجول بنظري في الغرفة سريعاً، وأتأكد من عدم وجود أي كتاب.

أفتح خزانة غرفة النوم لأرى نوع الملابس فيها. كلها مطوي بترتيب. ليس بينها أي قطعة جديدة. ألوانها باهتة، وقماشها حتّ من كثرة ما غسل. ومع هذا تبدو نظيفة. هناك كنزات خفيفة بياقات مستديرة، وملابس داخلية، وجوارب، وقمصان قطنية بياقات طويلة، وبناطيل قطنية. ليست أزياء رائعة، لكنها على مقاسي إلى حد كبير. كلها بسيطة، وكأن تصاميم الملابس لم توجد بالأساس. لا ماركة لأي منها. فهذا المكان لا يتعامل مع الكتابة أصلاً. أستبدل قميصي العابق بالعرق بآخر رمادي تفوح منه رائحة الشمس والصابون.

بعد هذا بمدّة لا أستطيع الجزم بها تصل الفتاة. تقرع برقّة على الباب ودون أن تنتظر الرد تفتحه. ليس للباب مفتاح. حقيبتها القماش تتدلى من كتفها والسماء وراءها يغمرها الضوء.

تتجه إلى المطبخ مباشرة وتقلي البيض في مقلاة سوداء. يطش البيض في الزيت الحار، وتملأ الغرفة رائحة شهية، وأثناء ذلك تسخّن بعض الخبز في توستر صغير يبدو أنه استخدم من قبل في فيلم قديم. لا تزال كما كانت الليلة الفائتة - فستان أزرق فاتح وشعر مقوّص إلى الوراء بمشبك. بشرتها ناعمة وجميلة، وذراعاها النحيلان الفخّاريان يلمعان تحت الشمس. تدخل نحلة من النافذة المفتوحة وتطنّ كما لو أنها تزيد قليلا من كمال العالم. تحمل البنت الطعام إلى الطاولة وتجلس على كرسي تراقبني وأنا أتناول الأومليت بالخضروات وأضع الزبدة على التوست، وأشرب شاياً بنكهة العشب الطبيعي. هي لا تأكل ولا تشرب. تماماً كالليلة الماضية.

«ألا يعدّ الناس هنا أكلهم بأنفسهم؟»، أسألها. «كنت فقط أتساءل لأنك أنت تعدين لي الطعام».

«بعضهم يعدّ طعامه بنفسه وآخرون لهم من يعد لهم طعامهم»، تجيبني، «ومع هذا فأغلب الناس هنا لا يأكلون كثيراً.»

«حقاً؟».

تومئ برأسها. «يأكلون *أحياناً*. حين يرغبون في ذلك».

«أتقصدين أنه لا أحد يأكل بقدر ما آكل أنا؟».

«أيمكنك أن تمتنع عن الأكل يوماً كاملاً؟».

أهز رأسي نفياً.

«الناس هنا يستطيعون قضاء يوم كامل دون طعام. في الواقع ينسون أمر الأكل، وأحيانا ينسونه أياماً متواصلة».

«لم أعتد على كل شيء هنا بعد، ولهذا لا بدّ أن آكل».

«أظن ذلك»، تقول، «ولهذا السبب أعدّ لك الطعام».

أتأمل وجهها. «كم من الوقت سأحتاج حتى أعتاد على هذا المكان؟».

«كم من الوقت؟»، تردد كلماتي كالببغاء، «لا علم لي بهذا الخصوص. المسألة ليست مسألة وقت، حين يحين الأوان ستكون قد اعتدت بالفعل».

نجلس متقابلين. يداها مسترخيتان على الطاولة. أصابعها العشرة الرفيعة أمامي هناك، أشياء حقيقية ثابتة. وأنا في مواجهتها هكذا ألتقط كل رمشة في عينيها، أحصي كل غمضة، ألاحظ كل خصلة شعر تنزلق برفق على جبينها. لا أستطيع أن أبعد نظري عنها.

«حتى *يحين الأوان*؟»، أقول.

«لن يكون الأمر وكأنك ستنتزع من نفسك جزءاً ما وتلقيه بعيداً»، تقول، «نحن لا نلقي - بل نتقبّل، ما في دواخلنا».

«وهل سأتقبّل أنا ما في داخلي».

«أجل».

«ثم؟ ماذا يحدث بعد أن أتقبّله؟».

تطأطئ رأسها بخفّة وهي تفكر في حركة عفوية للغاية. فتنزلق خصلات شعرها ثانية. «ثم تصبح نفسك بالكامل»، تقول.

«تعنين إذن أنني حتى الآن لست نفسي بالكامل؟».

«أنت نفسك بالكامل حتى الآن» تقول وتقلّب الأمر في فكرها، «إنما أعني شيئاً مختلفاً، ولكني لا أستطيع أن أشرحه جيداً».

«شيء لا يمكن فهمه حتى يحدث فعلاً؟».

تومئ.

حين تصبح مشاهدتها مؤلمة جداً بالنسبة إليّ، أغمض عينيّ، وأعاود فتحهما لكي أتأكّد من أنها ما زالت أمامي، «أهذا نوع من الكومونة هنا؟».

تفكر في هذا. «بالفعل، الجميع هنا يعيشون معاً ويتشاركون أشياء معينة، كالحمّامات ومحطة الكهرباء والسوق. هناك بعض الاتفاقات الضمنية البسيطة المعينة، ولكن دونما تعقيد. لا تحتاج إلى أن تفكر في شيء أو حتى إلى أن تصوغه في كلمات. ولهذا فلا داعي لأن أعلمك كيف تسير الأمور هنا. الأهم هنا أن الناس يتركون أنفسهم تنغمس في الأشياء. وطالما تفعل ذلك لن تكون هناك أي مشكلات».

«ماذا تقصدين بالانغماس؟».

«أقصد مثلاً عندما تكون في الغابة تصير جزءاً لا يتجزأ منها. وحين تكون في المطر تصير جزءاً من المطر، وحين تكون في الصباح، تصير جزءاً لا يتجزأ منه. وحين تكون معي، تصير جزءاً مني».

«أي أنك حين تكونين معي تصيرين جزءاً مني؟».

«أجل».

«وماذا يكون شعورك حين تكونين نفسك وفي الوقت نفسه جزءاً مني؟».

تنظر إليّ مباشرة وتلمس مشبك شعرها، «شعور طبيعي جداً، حين تعتاد عليه تجده بالغ البساطة. كالطيران».

«أبمقدورك الطيران؟».

«هذا مجرد مثال»، تقول وهي تبتسم ابتسامة بسيطة لا تضمر

معنى خفياً، ابتسامة فحسب، «فأنت لا تستطيع أن تعرف الشعور بالطيران حتى تطير حقاً، هذا مثل ذاك».

«أي أنه أمر طبيعي لا يحتاج حتى إلى التفكير فيه؟».

تومئ. «نعم، أمر طبيعي جداً، وهادئ، بلا ضجة، ولا يحتاج إلى تفكير. جزء لا يتجزأ».

«هل أتعبك بالأسئلة؟».

«إطلاقاً»، تجيب، «فقط كنت أودّ لو في مقدوري أن أفسّر لك بصورة أفضل».

«هل لديك ذكريات؟».

تهز رأسها مرة أخرى وترخي يديها على الطاولة، هذه المرة قالبة كفيها إلى أعلى وناظرة إليهما بثبات.

«لا، ليس لدي ذكريات، في مكان لا يهم فيه الوقت، تغدو الذاكرة أيضاً بلا أهمية. طبعاً أتذكر الليلة الماضية حين جئت وطهوت لك حساء الخضار وأكلته كله، أليس كذلك؟ أما أول أمس، فأتذكر منه القليل، ولكن كل ما هو قبل ذلك، فلا أعلم عنه شيئاً. لقد امتصّ داخلي الوقت، فلا أستطيع التمييز بين شيء وآخر».

«الذاكرة إذن ليست مهمة هنا».

يتهلل وجهها. «تماماً. الذاكرة هنا لا تهمّ كثيراً. المكتبة تهتم بشأنها».

بعد أن تغادر الفتاة أجلس عند النافذة وأبسط يديّ أمام شمس الصباح. يسقط ظلها على النافذة ساكناً، محدداً الأصابع الخمسة. تتوقف النحلة عن الطنين وتحطّ بهدوء على إطار النافذة. يبدو أنها تفكر في أمر مهم. ومثلها أنا.

حين تقترب الشمس من أعلى نقطة في السماء. تأتي هي إليّ. تدق الباب برقة وتفتحه. للحظة لا يمكنني أن أتأكد من هذه الواقفة أمامي -

أهي الفتاة الصغيرة أم هي. تحوّل طفيف في الضوء، أو في مسار الريح، هو كل ما يتطلبه الأمر لتتغير تماماً. وكأنها، في لحظة، تتحول إلى البنت الصغيرة، وفى لحظة بعدها تعود مرة أخرى لتغدو الآنسة سايكي. ليس وكأن هذا يحدث حقاً. فالتي أمامي، هي بلا شك، الآنسة سايكي وليس سواها.

«مرحباً»، تقول باعتيادية، وكأننا نقف على سلّم المكتبة. ترتدي بلوزة زرقاء غامقة طويلة الكمين، وتنورة تصل حتى الركبة، وسلسلة فضة رفيعة وقرطين لؤلؤيين صغيرين - تماماً كعهدي بها. يطرطق كعب حذائها مصدراً دقّات قصيرة جافة فيما تخطو إلى الشرفة، صوت لا يليق ، قليلاً، بهذا المكان. تقف عند المدخل تتأملني. وكأنها تتأكد من أنني حقيقي. بالطبع هذا أنا الحقيقي. تماما كما هي الآنسة سايكي الحقيقية.

«ما رأيك في الدخول وتناول كوب شاي؟»، أقول.

«جميل»، تقول كأنها حسمت أمرها مع نفسها أخيراً، وتدلف.

أذهب إلى المطبخ وأغلي الماء على البوتاجاز محاولاً التقاط أنفاسي.

تجلس إلى المائدة، على الكرسي نفسه الذي كانت البنت جالسة عليه لتوها، «وكأننا عدنا إلى المكتبة، أليس كذلك؟»، تقول.

«بالطبع»، أوافقها. «ما عدا القهوة وأوشيما».

«والكتب»، تضيف.

أُعِدُّ كوبي شاي وأحملهما إلى الطاولة وأجلس قبالتها. الطيور تصدح بالخارج. والنحلة ما زالت غافية على إطار النافذة.

تبادر إلى الكلام. «أريدك أن تعرف أن مجيئي إلى هنا لم يكن سهلاً عليّ. لكن كان يجب أن أراك وأتحدث معك».

أومئ، «يسرني أنك جئت».

تداعب ابتسامتها الشهيرة شفتيها. «يجب أن أخبرك شيئاً».

ابتسامة الفتاة الصغيرة نفسها تقريباً، إنما أعمق قليلاً. هذا الفارق الطفيف يؤثر فيّ.

تحضن كوب الشاي بكفيها. وأتأمل أنا القرطين الصغيرين على أذنيها. تفكر، وتأخذ وقتاً أطول من المعتاد.

«لقد أحرقت كل ذكرياتي»، تقول وهي تنتقي كلماتها بعناية. «تصاعدت دخاناً واختفت في الهواء. فلن أكون قادرة على التذكر لفترة طويلة. كل الأشياء- بما في ذلك أوقاتنا معاً. ولهذا أردت أن أراك وأتحدث معك في أسرع وقت ممكن، بينما ما زلت أتذكر».

أمد عنقي لأتفقد النحلة على النافذة، ظلها الأسود الضئيل نقطة على اللوح الخشبي.

«والمهم الآن»، تقول بهدوء، «أنه عليك أن تخرج من هنا. في أسرع وقت ممكن. غادر، عد إلى قلب الغابة ثم إلى حياتك التي تركتها. سينغلق المدخل قريباً. عدني أن تغادر».

أهزّ رأسي. «لن تفهمي هذا يا آنسة سايبكي، ولكن ليس لدي ما أعود إليه. لم يحبني أحد أبداً، ولم يردني أحد طوال حياتي. وليس لي من سند سواي. بالنسبة إلي، فكرة *الحياة التي تركتها*، ليس لها أي معنى».

«رغم هذا عليك أن تعود».

«حتى لو لم يكن هناك شيء؟ حتى لو لم يعبأ أحد بما إذا كنت هناك أم لا».

«هذا ليس سبباً»، تقول، «هذا ما أريده *أنا*. أريدك أن تكون هناك».

«لكن *أنت* لست هناك. أليس كذلك؟».

تخفض نظرها إلى يديها القابضتين على كوب الشاي. «لا، أنا لست هناك، لم أعد هناك».

«وماذا تريدين مني إن عدت؟».

«فقط شيء واحد»، تقول، وهي ترفع رأسها وتنظر في عيني مباشرة، «أريدك أن تتذكرني، إذا تذكرتني أنت، فلن يهمني إن نسيني الجميع».

يخيم علينا الصمت لوقت. صمت عميق.

ويدور في داخلي سؤال، سؤال كبير يحبس أنفاسي ويضغط حنجرتي، بطريقة ما، أبتلعه، وأخيراً أختار سواه، «هل الذكريات مهمة إلى هذا الحدّ؟».

«هذا يتوقف. . .»، تجيب وتغمض عينيها، «في بعض الحالات تغدو الذكرى أهم ما في الوجود».

«ومع هذا أحرقت ذكرياتك؟».

«لم أعد في حاجة إليها بعد الآن»، تضع كفيها على الطاولة كما فعلت البنت الصغيرة في المرة الأولى، «كافكا؟ أريد منك خدمة. أريدك أن تأخذ معك اللوحة».

«أتقصدين اللوحة التي في غرفتي في المكتبة؟ لوحة الشاطئ؟».

تومئ، «أجل، *كافكا على الشاطئ*. أريدك أن تأخذها، لا يهمّني إلى أين، حيث تذهب أنت».

«ألا تخصّ شخصاً آخر؟».

تهزّ رأسها. «تخصني. أهداها لي قبل أن يغادر إلى طوكيو. وقد ظلّت معي منذ ذلك الحين، وكنت أعلّقها في غرفتي في كل مكان أعيش فيه، وحين بدأت العمل في المكتبة، أعدتها إلى تلك الغرفة، حيث كانت أول مرة، ولكن كان هذا مؤقتا فقط. لقد تركت رسالة لأوشيما على مكتبي في المكتبة أخبره فيها أنني أريدك أن تأخذ اللوحة. وفي نهاية الأمر، اللوحة في الأصل *لوحتك*».

«لوحتي؟».

تومئ. «كنت هناك. وأنا كنت هناك بجوارك، عيني عليك، على

الشاطئ، منذ وقت طويل. كانت هناك رياح وسحب بيضاء ثقيلة، وكان الوقت صيفاً».

أغمض عيني. أنا على الشاطئ، في يوم صيفي، أجلس على كرسي بحري، أشعر بخشونة قماشه على جلدي. أستنشق نسيم البحر بعمق. وحتى وعيناي مغمضتان بسبب الشمس الساطعة، يمكنني سماع صوت الأمواج تتكسر على الشاطئ، تدنو وتنسحب كأنها الزمن. وبالقرب مني أحد ما يرسمني، وبجواره تجلس بنت صغيرة في فستان أزرق فاتح قصير الكمّين وتنظر في اتجاهي. شعرها ينسدل ناعماً، وتعتمر قبعة من القش لها شريطة بيضاء، وتفرك الرمال بيدها. أصابع طويلة - أصابع عازف بيانو. ذراعاها الناعمتان كالبورسلان تلمعان تحت الشمس، وابتسامة من قلب الطبيعة تداعب شفتيها. واقع أنا في حبها. وهي في حبي.

هذه هي الذكرى.

«أريد أن تظلّ تلك اللوحة معك إلى الأبد»، تقول الآنسة سايكي، وتنهض متجهة إلى النافذة وتنظر إلى الخارج. ما زالت الشمس في قبة السماء. وما زالت النحلة غافية. ترفع الآنسة سايكي يدها لكي تحمي عينيها من الشمس وتنظر إلى البعيد، ثم تستدير نحوي، «عليك أن تغادر»، تقول.

أذهب إليها. تداعب أذناها عنقي، وينغرز قرطيها في جلدي. أضع كفيّ على ظهرها وكأنني أفك شيفرة إشارة ما هناك. شعرها يداعب خدي. تحتضنني بقوة وتنحفر أصابعها عميقاً في ظهري. أصابع تتشبث بالجدار الذي هو الزمن. نسيم البحر وصوت الأمواج المتكسرة على الشاطئ، وأحدهم ينادي عليّ من بعيد، بعيد جداً.

«هل أنت أمي؟»، أخيراً أتمكّن من سؤالها.

«أنت تعلم ذلك بالفعل»، تقول الآنسة سايكي.

معها حق - أنا فعلاً أعلم. ولكن لا أنا ولا هي نستطيع لفظ الكلمات. الكلمات ستحطم أي معني.

«رميت، منذ زمن طويل، شيئاً ما كان يجب أن أرميه»، تقول، «كان الأحبّ إلى قلبي، وكنت أخشى أن أفقده ذات يوم، ولذا كان عليّ أن أتخلّى عنه بنفسي... فإذا كان سيسرق مني أو سأفقده في حادث، فمن الأفضل أن أتخلى عنه بنفسي. بالطبع شعرت بغضب لم يبارحني أبداً، وكان هذا جزءاً من قراري. وكان أيضاً خطأً كبيراً، لم يكن علي أن أرميه أبداً».

أصغي بصمت.

«لقد تخلى عنك آخر شخص يجدر به أن يفعل ذلك»، تقول الآنسة سايكي، «كافكا هلا غفرت لي؟».

«وهل يحق لي ذلك؟».

تنظر إلى كتفي وتومئ. «طالما لا يمنعك الغضب والخوف».

«آنسة سايكي، إذا كان يحق لي ذلك، فأجل أسامحك»، أقول لها.

أمي- تقول- أسامحك. وبهذه الكلمات المسموعة يذوب ما قد تجمّد في قلبك.

تدعني بصمت. تنزع مشبك شعرها ودون تردد تغرس حرفه الحاد في لحم ذراعها الأيسر، بعزم. وبيدها اليمني تضغط بقوة على عرق ويبدأ الدم في الخروج منه. القطرة الأولى تصدر صوتاً حين تسقط على الأرض. ودون كلمة تمد لي ذراعها. وتسقط قطرة دم أخرى.

أنحني. أضع شفتي على الجرح الصغير. ألعق دمها بلساني. أغمض عيني وأتلذذ بمذاقه. أبقيه في فمي وأبتلعه بتأن. يذهب دمها في حلقي. وتمتصه الطبقة الخارجية اليابسة من قلبي. الآن فقط أدرك كم أردت هذا الدم. مع أن جسدي يبقى هنا، فذهني أصبح في مكان ما

بعيد جداً - كروح حية. أريد أن أمتص كل قطرة من دمها، ولكن لا يمكنني. أبعد شفتي عن ذراعها وأنظر إلى وجهها.

«وداعاً يا كافكا تامورا»، تقول الآنسة سايكي، «عد إلى حيث تنتمي، وعش».

«آنسة سايكي».

«نعم؟».

«أنا لا أعرف معنى أن أعيش».

تدعني. ترفع وجهها نحوي، وتمد يدها إلى شفتي. «أنظر إلى اللوحة» تقول بصوت خافت وناعم. «انظر إليها باستمرار، مثلما فعلت أنا».

ترحل. تفتح الباب، ودون أن تنظر وراءها، تخرج وتغلقه. أقف عند النافذة وأشاهدها وهي تبتعد عني. تختفي في ظل مبنى. وأظل أحدق لأطول وقت ممكن في المكان الذي اختفت فيه. يداي ثابتتان على ضلفة النافذة الخشبية. لعلها تعود لتقول شيئاً نسيت أن تقوله. لكنها، أبداً، لا تعود. وكل ما تركته لي غياباً يشبه الخواء.

تصحو النحلة الغافية وتطن من حولي لفترة. ثم تندفع من النافذة وكأنها، أخيراً، تذكرت ما الذي عليها فعله. أعود إلى الطاولة. مازال كوبها هناك، فيه بقايا من الشاي. لا أمسه. يبدو مجازاً، مجازاً لذكرى، سرعان ما ستطوى.

أنزع قميصي وألبس كنزتي الخفيفة المضمّخة بالعرق. ثم أرتدي القبعة التي أعطاني إياها أوشيما، بالمقلوب وأضع نظارة الشمس السماوية، وأخيراً ألبس القميص طويل الكمّين. أمضي إلى المغسلة وأشرب كوب ماء من الصنبور ثم أضعه في المغسلة وألقي نظرة أخيرة على الغرفة. طاولة الطعام، الكراسي، الكرسي الذي جلست عليه البنت والآنسة سايكي. كوب الشاي القابع على الطاولة. أغمض عينيّ وآخذ نفساً عميقاً. «أنت تعلم بالفعل».

أفتح الباب. أخرج وأغلقه. أهبط درجات الشرفة. ظلي يسقط على الأرض مميزاً وواضحاً، يبدو وكأنه يتشبث بأقدامي. وما زالت الشمس في قبة السماء.

عند مدخل الغابة يقف الجنديان مستندين إلى شجرة وكأنهما كانا بانتظاري. حين يريانني لا يسألانني شيئاً، وكأنهما يعرفان بالفعل ما أفكر فيه. بندقيتاهما على كتفيهما.

يلوك الجندي الطويل سيقان عشب. «ما زال المدخل مفتوحاً»، يقول، «كان هكذا على الأقل عندما تفقدته قبل ثوان».

«هل تمانع إن سرنا بالسرعة نفسها كما من قبل؟»، يسأل ذو العضلات، «أتستطيع مجاراتنا؟».

«لا مشكلة، أستطيع».

«لكنها ستكون مشكلة إذا ذهبنا ووجدنا المدخل مغلقاً»، يقول الطويل.

«ستضطر عندها إلى البقاء هنا»، يضيف صاحبه.

«أعرف»، أقول.

«ألست نادماً على الرحيل؟»، يسأل الطويل.

«إطلاقاً».

«فلنمضِ إذن».

«يستحسن ألا تنظر وراءك»، يقول ذو العضلات.

«أجل، فكرة سديدة»، يقول الطويل.

ومن جديد، أنطلق إلى قلب الغابة.

لمرة، فيما نسرع صاعدين المنحدر، أنظر خلفي.

حذرني الجنديان، وإنما لا حيلة لي، هذه آخر نقطة يمكنك رؤية البلدة منها، وبعدها سيفصلنا عنها جدار الأشجار، وسيتلاشى هذا العالم إلى الأبد.

لا تزال الطرق خالية تماماً من البشر. نهر جميل يجري بين

الأبنية الصغيرة وعواميد الكهرباء على مسافات متساوية تلقي بظلالها الداكنة على الأرض. للحظة أتجمّد في مكاني. عليّ أن أعود مهما حدث. بوسعي على الأقل أن أبقى حتى المساء حين تزورني البنت بحقيبتها القماش. «إذا احتجتَ إليّ فستجدني هنا». أشعر بغصّة ساخنة في صدري. وقوة مغناطيسية تشدني إلى البلدة خلفي. قدماي تتجمدان في مكانهما. لو تابعت سيري لن أراها مرة أخرى أبداً. أتسمّر. أفقد كل إحساسي بالزمن. أريد أن أنادي الجنديين اللذين يسيران أمامي، وأن أقول لهما إنني لن أعود، سأبقى هنا. لا يصدر مني صوت. تموت الكلمات.

إنني عالق بين فراغين. لم أعد أميّز الخطأ من الصواب. لم أعد أعرف ما الذي أريده حتى. أقف وحيداً وسط عاصفة رملية رهيبة. لا أقدر على الحراك، ولا على رؤية أطراف أصابعي. لا أستطيع الحراك. رمال بيضاء كالعظام المسحوقة تلفني في قبضتها. لكنني أسمعها- الآنسة سابيكي- تكلمني. «ما زال عليك أن تعود»، تقول بحسم، «هذا ما أريده *أنا*. يجب أن تكون هناك».

ينفكّ السحر وأعود إلى ذاتي. يتدفق الدم الدافئ في جسدي من جديد. الدم الذي منتحتني إياه، آخر قطرات دمها. فأتابع طريقي وأسرع خلف الجنديين. أنعطف، ويذهب هذا العالم الصغير في الجبال بلا رجعة. تبتلعه الأحلام. أما الآن فأركز فقط على ألا أضيّع طريقي في قلب الغابة. ألا أشرد عن الدرب. هذا هو المهم الآن. هذا ما عليّ فعله.

لا يزال المدخل مفتوحاً. لا يزال أمامي وقت حتى المساء. أشكر الجنديين. يضعان بندقيتيهما ويقعدان كما في السابق، على الصخرة الكبيرة المسطحة. يعود الجندي الطويل إلى مضغ العشب. لا يلهثان بالمرة بعد هذه الهرولة السريعة في الغابة.

«لا تنسَ ما قلته لك عن الطعن بالحراب»، يقول الجندي الطويل. «حين تطعن العدو، عليك أن تدير وتشق، لتبقر أحشاءه، وإلا قطع هو أحشاءك. هكذا يسير العالم هناك».

«ومع ذلك فهذا ليس كل ما هنالك»، يقول مفتول العضلات.

«بالطبع لا»، يردف الطويل ويتنحنح، «إنني أتحدّث عن الجانب المظلم فحسب».

«وأيضا من الصعب فعلاً أن تميّز الخطأ من الصواب هناك»، يقول مفتول العضلات.

«لكنه شيء عليك أن تفعله»، يضيف الطويل.

«على الأرجح»، يقول مفتول العضلات.

«وهناك أمر آخر»، يقول الطويل، «ما إن ترحل من هنا، لا تنظر خلفك أبداً حتى تصل إلى وجهتك. ولا مرة واحدة، أفهمتَ هذا؟».

«هذا مهم»، يضيف مفتول العضلات.

«لقد نجوت هناك بطريقة ما»، يقول الطويل، ولكن هذه المرة الأمر جاد. حتى تصل إلى المكان الذي تتوجه إليه، لا تنظر خلفك أبداً".

«أبداً»، يؤكد مفتول العضلات.

«فهمت»، أقول لهما. وأشكرهما مرة أخرى وأودّعهما.

يتأهّبان ويؤديان التحية. أعرف أنني لن أراهما مجدداً، وهما أيضاً يعرفان ذلك، فنتبادل تحيات الوداع.

لا أتذكر بوضوح كيف وصلت إلى كوخ أوشيما بعد أن تركت الجنديين. لا بدّ من أنني كنت شارد الذهن وأنا أواصل طريقي في الغابة الكثيفة. ولدهشتي لم أضلّ الطريق. أتذكر بصورة غامضة أنني وجدت الحقيبة التي كنت رمَيتها، والتقطتها دون تردّد، وكذلك البوصلة، والبلطة، وعلبة الصباغ الصفراء. أتذكر أيضاً أنني رأيت العلامات

الصفراء التي رششتها على جذوع الأشجار، مثل حراشف خلفتها وارءها عثة عملاقة.

أقف في الفسحة أمام الكوخ وأمعن النظر في السماء. فجأة تغمر العالم من حولي أصوات رائعة- طيور تصدح، مياه تجري في النهر الصغير، ريح تهزّ أوراق الشجر. أصوات خافتة، وإنما بالنسبة إلي وكأنني استعدت سمعي وصار كل صوت من تلك الأصوات صوتاً حياً، دافئاً للغاية، حميمياً للغاية. تختلط الأصوات معاً، لكنني أستطيع أن أميز بوضوح كل واحد منها. أنظر إلى الساعة في معصمي فأجدها تعمل من جديد. الأرقام تومض على الشاشة الخضراء، تتغير كل دقيقة وكأن شيئاً لم يحدث لها. الساعة 4,16.

أدخل إلى الكوخ وأتمدد بملابسي على السرير. مرهقاً، أنام على ظهري هناك وأغمض عينيّ. على النافذة تقف نحلة. وذراعا الفتاة يلمعان تحت الشمس كالبورسلان. «مجرد مثال»، تقول لي.

«انظر إلى اللوحة»، قالت الآنسة سايكي، «مثلما فعلتُ أنا».

تتسلل رمال الزمن البيضاء من بين أصابع الفتاة النحيلة. وتتكسر الأمواج على الشاطئ برقة. ترتفع، وتنخفض، وتتكسر. ترتفع، وتنخفض وتتكسر. ويغيب وعيي في دهليز معتم موحش.

48

«على مهلك قليلاً»، كرّر هوشينو.

«لا شيء سيهلك هنا سيد هوشينو»، قال القط الأسود مستغرباً. كان له وجه كبير وبدا متقدّماً في السن، «ظننت أنك لا بدّ تشعر بالملل وحدك. تتحدث مع الحجر طوال اليوم».

«كيف تستطيع التحدّث كإنسان؟».

«لا أستطيع».

«لا أفهم. كيف إذن نتحدث معاً الآن؟ إنسان وقط؟».

«نحن على حدود هذا العالم، نتحدث لغة مشتركة. هذا كل ما في الأمر».

فكّر هوشينو في هذا. «حدود هذا العالم؟ لغة مشتركة؟».

«لا بأس إن كنت لا تفهم. يمكنني أن اشرح لك، لكن هذا أمر شرحه يطول»، قال القط ونفض ذيله مرتين.

«انتظر!»، قال هوشينو. «أنت الكولونيل ساندرس، أهذا أنت؟».

«الكولونيل من؟»، قال القط متجهماً، «لا أعلم عن من تتحدث. أنا هو أنا ولستُ سواي. مجرد جارك القط الودود».

«وهل لك اسم؟».

«بالطبع لي اسم».

«وما هو؟».

«تورو»، أجاب القط بتردد.

«تورو؟»، كرر هوشينو، «على اسم الجزء الأثمن من التونة؟».

«صحيح»، أجاب القط، «أنا مُلْك طاهي *السوشي* في المنطقة هنا. ولديهم كلب أيضاً. يسمونه تكّا. على اسم لفائف التونة».

«وكيف تعرف اسمي إذن؟».

«انت مشهور جداً يا سيد هوشينو»، أجاب تورو وابتسم.

هذه المرة الأولى التي يرى فيها هوشينو قطاً يبتسم. لكن ما لبث أن اختفت هذه الابتسامة، واستعاد القط ملامحه الوديعة المعتادة.

«القطط تعرف كل شيء»، قال تورو، «أعرف أن السيد ناكاتا مات بالأمس وأن هناك حجراً قَيِّماً في الداخل. لقد عشت طويلاً وأعرف كل ما يدور هنا».

«ممم»، غمغم هوشينو بانبهار، «وما رأيك يا تورو بالدخول، بدلاً من الوقوف هنا في الهواء؟».

هزّ القط رأسه وهو لا يزال راقداً على الدرابزين. «لا، أنا هنا بخير، ولن استطيع أن أهدأ وأنا في الداخل. ثم إنه يوم لطيف هنا في الخارج، لِمَ إذن لا نتحدث ونحن هنا؟».

«لا مشكلة»، قال هوشينو، «إذن، هل انت جائع؟ أنا متأكد أنه لدينا بعض الطعام».

مرة أخرى هزّ القط رأسه. «شكراً، الطعام ليس مشكلة بالنسبة إلي. في الحقيقة مشكلتي هي إنقاص وزني، حين يكون مالكك مدير مطعم سوشي، تصبح مشكلتك الكوليسترول. يصبح القفز صعباً جداً وأنت تحمل أرطالاً زائدة».

«حسناً، قل لي إذن يا تورو، أمن سبب لوجودك هنا؟».

«أجل»، أجاب القط الأسود، «لقد فكرت أنك بالتأكيد تعاني في التعامل بمفردك مع هذا الحجر».

«أنت مصيب تماماً. بكل تأكيد، أنا في مأزق هنا».

«وفكّرت أنه بإمكاني أن أمدّ لك يد المساعدة».

«سيكون هذا عظيماً»، قال هوشينو. «ولكن في حالتك أن تمد لي مخلباً. هه؟»

«الحجر مشكلة»، قال تورو وهو يهز رأسه ليتخلص من ذبابة تحوم حوله، «وحين تعيده إلى حالته السابقة، فستكون مهمتك قد انتهت. وبعدها لك أن تذهب أينما تشاء. هل كلامي صحيح؟».

«أجل، كلامك صحيح فعلاً. حين أغلق الحجر، ينتهي كل شيء. على رأي السيد ناكاتا حين تفتح شيئاً عليك أن تغلقه. هذه هى القاعدة».

«ولهذا أردت أن أعلمك بما يجب عليك فعله».

«أنت تعرف ما يجب عليّ فعله؟»، سأله هوشينو، بسرور.

«بالطبع، ألم أقل لك؟ القطط تعرف كل شيء. ليست كالكلاب».

«وماذا عليّ أن أفعل إذن؟».

«عليك أن تقتله»، قال القط بجدية.

«أن أقتله؟».

«أجل، يجب أن تقتله؟».

«عمّن نتحدث هنا؟».

«ستعرفه حين تراه»، فسّر القط الأسود، «وقبل أن تراه بعينيك فلن تفهم ما أعنيه. فهو في نهاية الأمر ليس لديه شكل حقيقي، ويغير شكله تبعاً للموقف».

«هل نتحدث عن شخص هنا؟».

«لا، ليس شخصاً، هذا مؤكد».

«ماذا يشبه إذن؟».

«لقد أتعبتني، ألم أقل لك تواً؟ إنك ستعرفه حين تراه، وإنك لن تعرفه قبل أن تراه؟ ما الذي لا تفهمه في هذا تحديداً؟».

تنهد هوشينو، «وما هوية هذا الشيء الحقيقية؟».

«لست فى حاجة إلى معرفة هذا»، قال القط، «ليس من السهل شرحه، أو ربما يجب أن اقول إنه من الأفضل ألا تعرف. عموماً، هو الآن يرقد في مكان مظلم، يتنفس بهدوء، ويرقب وينتظر. لكنه لن يظل منتظراً للأبد. عاجلاً أو آجلاً سيأخذ دوره في التحرك. في تخميني سيكون اليوم. وبالتأكيد سيمرّ بك. وستكون هي اللحظة».

«*اللحظة*؟».

«فرصة من مليون»، قال القط الأسود، «وكل ما عليك فعله أن تنتظره وتقتله. وستكون هذه نهاية الأمر، وعندها تصبح حراً في الذهاب أينما تشاء».

«أليسَ هذا ضدّ القانون؟».

«لا أعرف شيئاً عن القانون»، قال القط، «بما أنني قط. ومع هذا، بما أنه ليس شخصاً، اشك في أن يكون للقانون صلة به. على كل حال، يجب أن يقتل. حتى قط الجيران، أي أنا، يعرف هذا».

«حسناً. لنفترض أنني أريد قتله، فكيف سأفعل ذلك؟ لا فكرة لدي عن حجمه أو شكله. من الصعب أن تخطط لجريمة وأنت لا تعرف الحقائق الأساسية عن الضحية».

«هذا يرجع لك. أسحقه بمطرقة لو أردت. أو اطعنه بسكين حاد. اخنقه، احرقه، عضّه حتى الموت. افعل ما شئت- المهم أن تقتله. أصهره بضغينة خالصة. لقد كنت في قوات الدفاع، أليس كذلك؟ تستخدمون أموال دافعي الضرائب لكي تتعلموا كيف تطلقون الرصاص؟ وكيف تسنون الحربة؟ أنت جندي، استخدم عقلك إذن لتعرف أفضل طريقه لقتله».

«لقد تعلمت في قوات الدفاع كيف أتصرّف خلال الحرب»،

احتج هوشينو بوهن، «لم يعلموني قطّ أن أتربّص بشيء لا أعرف حجمه ولا شكله وأن أقتله بمطرقة، على الأقل».

«سيحاول أن يمرّ عبر المدخل»، تابع تورو متجاهلاً احتجاجات هوشينو، «ولكن لا يمكنك أن تدعه يمرّ - مهما حدث. يجب أن تقتله قبل أن يعبر المدخل. فهمت؟ دعه يمرّ، وسينتهي كل شيء».

«فرصة من مليون».

«تماماً»، قال تورو، «بيد أنه مجرد تشبيه».

«ولكن أليس هذا الشيء خطيراً؟»، سأل هوشينو برعب. «قد يقلب الطاولة عليّ».

«على الأرجح ليس بهذه الخطورة وهو يتحرّك» قال القط، «لكن عليك أن تحترس منه حين يكفّ عن الحركة. عندها يصبح خطيراً. حين يتحرك إذن، لا تدعه يفلت منك. عندها يمكنك أن تجهز عليه».

«على الأرجح؟»، قال هوشينو.

لم يجب القط الأسود على هذا. زمّ عينيه وتمطى وهو واقف على الدرابزين ونهض ببطء. «إلى اللقاء يا سيد هوشينو. تذكر أن تقتله، إن لم تقتله فلن يستريح السيد ناكاتا في رقدته أبداً. لقد كنتَ تحبّ العجوز، أليس كذلك؟».

«بلى، كان رجلاً طيباً».

«ولهذا يجب أن تقتله. امسحه عن وجه الأرض بكراهية خالصة، كما قلت لك. لو كان السيد ناكاتا حياً لأرادك أن تفعل هذا. فافعله إذن لأجله. لقد توليت دوره الآن، لطالما تمتعت بحظ جيد في الحياة، ولم تتحمل أى مسؤوليات في الحياة، أليس كذلك؟ وهذه فرصتك لكي تعوّض عن ذلك. فلا تفسد الأمر إذن، أتفقنا؟ وسأكون معك بكل تأكيد».

«شيء مشجع»، قال هوشينو. «آه، اسمع لقد خطرت لي فكرة».

«ماذا؟».

«لربما يكون الحجر لا يزال مفتوحاً لكي يسمح لهذا الشيء بالعبور؟».

«ربما»، قال تورو بتهيّب. «هناك أمر آخر، هذا الشيء يتحرك ليلاً فقط، فعليك أن تنام بالنهار حتى لا تسقط في النوم ليلاً وتدعه يهرب منك وأنت نائم. سيكون هذا كارثة».

قفز القط الأسود بسلاسة إلى سطح المبنى المجاور، ورفع ذيله وسار مبتعداً. مشى بخفة بالنسبة إلى وزنه. تابعه هوشينو من الشرفة حتى اختفى. ولم ينظر تورو وراءه مرة واحدة.

«يا إلهي»، قال هوشينو، ثم اتجه إلى المطبخ ليبحث عما يمكنه إيجاده من أسلحة. وجد سكين مطبخ ذي نصل حاد للغاية، وآخر ثقيلاً على شكل بلطة. لم يكن بالمطبخ سوى تشكيلة بدائية من الأواني، ولكن مجموعة السكاكين كانت مبهرة حقاً. وزيادة على هذا، وجد مطرقة كبيرة وحبلاً بلاستيكياً ومخرزاً لكسر الثلج أضافها جميعاً لمجموعة أسلحته.

هذا يمكن أن يحلّ محل بندقية، قال في نفسه، وهو يتابع البحث في المطبخ. لقد تدرب في قوات الدفاع على إطلاق النار من بندقية أوتوماتيكية، وكان وقتذاك رامياً لا بأس به. لم يكن يتوقع أن يجد بندقية في أحد أدراج المطبخ بالطبع. فلو أطلق إنسان النار من بندقية في هذه المنطقة الهادئة يكون قد فتح أبواب الجحيم على نفسه.

وضع كل أسلحته على منضدة في غرفة الجلوس- سكينان، مخرز لكسر الثلج، ومطرقة وحبل. ووضع بجانبها مصباحاً يدوياً، ثم جلس قرب الحجر وراح يمسّده. «يا الله» قال هوشينو للحجر، «مطرقة وسكاكين لقتال شيء لا أعرف حتى ماذا يكون؟ ماذا بحق الجحيم هذا الذي أنا فيه؟».

وبالطبع امتنع الحجر عن إبداء رأيه.

«قال تورو أنه على الأرجح ليس خطراً. على *الارجح*؟ وماذا لو ظهر شئ فجأة من الحديقة الجوراسية؟ اللعنة، ماذا سأفعل عندها؟ سينتهي أمري بكل تأكيد».

لا جواب.

أمسك هوشينو المطرقة وأرجحها في يده بضع مرات.

«إذا فكّرت في المسألة فستجد أنه القدر. منذ اللحظة التي اصطحبت فيها السيد ناكاتا معي من الاستراحة وحتى الآن وكأن القدر هو الذي يقرّر كل شئ، وآخر من يعلم هو *انا*. القدر شئ عجيب يا صديقي.. أليس كذلك؟ ما رأيك أنت؟».

بقي الحجر على صمته الحجري.

«حسناً، ماذا بيد البني آدم؟ أنا من جَلَبَ كل هذا على نفسه، لقد اخترت هذه الدرب وعليّ المضي فيها حتى النهاية. ومن الصعب أن أتخيل أى عجائب ستظهر فجأة- ولكنني بخير مع هذا، لابدّ أن أبذل كل ما في وسعي. الحياة قصيرة، وقد عشت أيامي الحلوة. قال تورو إن هذه فرصة من مليون. قد لا يكون الأمر سيئاً جداً أن أحاول وأصل إلى هذه العظمة غير المسبوقة. على الأقل لأجل خاطر العجوز، من أجل السيد ناكاتا».

واظب الحجر على صمته.

فعل هوشينو كما قال له القط وأخذ قليلولة على الكنبة استعداداً لسهر الليل. كان غريباً عليه أن يتبع تعليمات قطّ، ولكن ما إن استلقى، حتى غفا بهناء لمدة ساعة. وفي المساء ذهب إلى المطبخ وأعدّ لنفسه طبق قريدس بالكاري وبعض الأرزّ. وعند مطلع المساء، جلس بجانب الحجرة وفي متناول يده المطرقة والسكينين.

أطفأ كل الأنوار فيما عدا مصباحاً صغيراً. مفكراً بينه وبين نفسه أن هكذا أفضل، فهذا الشيء لا يتحرك إلا في الليل، فلابدّ إذن من أن

أجعل المكان مظلماً قدر الإمكان. أريد أن أنتهي من هذا سريعاً أنا أيضاً- فإذا كنت هنا، هيا أرني وجهك! لننه هذا سريعاً، موافق؟ وما أن ننتهي من كل هذا سأعود إلى ناجويا، إلى شقتي وأتصل بأي فتاة وأفعل ذاك الشيء.

لم يعد يتحدث الآن مع الحجر. فقط قبع هناك منتظرا بصمت، ناظراً إلى الساعة من حين لآخر. وحين يمل، يمسك المطرقة أو أحد السكينين ويؤرجحها في الهواء. خمّن أنه إذا كان سيحدث شيء فسيحدث في منتصف الليل، ولكن بالطبع قد يحدث قبل ذلك، وأراد أن يتأكد من أنه لن يضيع الفرصة - فرصته الواحد في المليون. لم يكن الوقت وقت تَوانٍ. كان من حين لآخر يتناول قطعة مقرمشات وبعض المياه المعدنية.

«أيها الحجر»، قال هوشينو همساً، «إنه بعد منتصف الليل- موعد خروج الشياطين. لحظة الحقيقة. فلنرَ سوياً ماذا سيحدث، ما رأيك؟». مد يده ليلمس الحجر. قد يكون مجرد تهيؤ، لكن سطحه كان أدفأ من المعتاد قليلاً. ظل يمسّده مراراً ليعزز شجاعته. «أريدك أن تدعمني أنت أيضاً، اتفقنا؟»، قال للحجر. «يحق لي ببعض الدعم والتعاطف هنا».

كانت بعد الثالثة بقليل حين تناهى إلى سمعه صوت خشخشة مصدره الغرفة التي يرقد بها جثمان ناكاتا. صوت شيء ما يزحف على التاتامي. ولكن ليس في الغرفة أي تاتامي، فهي مفروشة بالسجاد.

أصاخ هوشينو السمع والنظر. لا ريب في ذلك، قال في نفسه، لا أعرف ما هو، ولكن ثمة شيء في الداخل. أخذ قلبه يدق بقوة. فعلق المطرقة في حزامه، وأمسك السكين الحاد في يده اليمنى، والمصباح اليدوي في اليسرى ونهض.

«ها قد بدأنا. . .»، قال للا أحد على وجه الخصوص.

تسلل ببطء إلى باب غرفة ناكاتا وفتحه. ثم أضاء المصباح اليدوي وسلطه سريعاً على الجثة، فمن هنا بالتأكيد مصدر الخشخشة. وقع الضوء على شيء طويل ورفيع وبلا لون، ويتلوى خارجاً من فم ناكاتا، ذكّره شكله بالقرع. كان بسماكة ذراع إنسان، وطوله، لم يكن قادراً على تحديده بعد، لكنه خمّن أن ما ظهر من فم ناكاتا إنما هو حوالى نصفه فقط. وبدنه لزج كالمخاط. وكان فم ناكاتا مفتوحاً على وسعيه كفم حية ليخرج منه هذا الشيء، لابدّ من أن مفاصل فكه قد انتزعت، فقد كان مفتوحاً على نحو واسع للغاية.

ابتلع هوشينو ريقه بصوت مسموع، وارتعشت يده التي تحمل المصباح اليدوي، فارتعش الضوء قبالته. يا إلهي، كيف سأقتل هذا الشيء؟ سأل نفسه. لا يبدو أن له ذراعين أو قدمين أو عينين أو أنفاً. وهو زلق جداً، فكيف سأمسكه. وكيف إذن سأصهره؟ وما هذا المخلوق الملعون أساساً؟

أيكون كائن طفيلي ما كان يختبئ داخل جسد ناكاتا طوال الوقت؟ أم أنه روح العجوز؟ لا. لا يمكن أن تكون تلك روحه. حدّثه حدسه أن هذا الشيء المقزز لا يمكن أن يأتي من داخل ناكاتا. حتى أنا أعرف هذا. لابدّ أنه جاء من مكان آخر، ويستخدم جسد ناكاتا فقط ليمرّ من خلاله إلى المدخل. لقد ظهر حين أراد واستخدم السيد ناكاتا كمعبر للوصول إلى أغراضه الخاصة. وأنا، لا يمكن أن أسمح بهذا. يجب أن أقتله إذن. كما قال القط، «اصهره بكراهية خالصة».

اتجه هوشينو نحو ناكاتا وطعن ما يبدو أنه رأس الشيء. وسحب السكين وطعن مرة أخرى، وأخرى، وأخرى. لم يلقَ نصل السكين سوى مقاومة ضئيلة جداً، مثل تلك الهشاشة التي تشعر بها وأنت تقطّع الخضروات. لم يكن تحت القشرة الخارجية الزلقة لحم أو عظام. ولا أعضاء، أو دماغ. وكان الجرح يمتلئ فوراً بالمخاط ما إن يسحب منه النصل، لم يتسرّب أي دم أو أي سائل آخر. هذا الشيءلا يشعر. فكر

هوشينو. ومهما طعنه بوحشية، ظلّ يزحف خارجاً من فم ناكاتا، غير عابئ.

رمى هوشينو السكين على الأرض وخرج إلى غرفة الجلوس ليجلب السكين الثقيلة التي تشبه البلطة. وظل يطعن بها جسد الشيء مراراً وتكراراً حتى بقر ما بدا أنه الرأس، ولكن، مثلما ظن، لم يكن هناك شيء بداخله، فقط هذه العجينة البيضاء تماما كجلده الخارجي. ظل يشقه بالسكين عدة مرات حتى فصل جزءاً من الرأس، أخيراً، وتلوى هذا الجزء كالبزاقة العارية على الأرض للحظة ثم توقف عن الحركة وكأنه مات. إلا أن هذا لم يكن له أى تأثير على بقية جسد المخلوق، والذي استمر في التدفق إلى الأمام. سرعان ما كسا المخاط الجرح، إلى أن بدا المخلوق كما كان من قبل. لم يبطئ حركته، بل ظل يتلوى خارجاً من فم الرجل العجوز.

وأخيراً خرج المخلوق كله، معلناً عن شكله بالكامل. كان بطول ياردة، وله ذيل، مما جعل هوشينو يدرك أخيراً أوله من آخره. كان الذيل كذيل السمندر، قصيراً وسميكاً، ينتهى فجأة عند نقطة مستدقة. ليس له قدمان أو عينان أو فم أو أنف. لكنه بالتأكيد يملك إرادة خاصة به. لا. فكر هوشينو، الأحرى أن الإرادة هي كل ما يملكه. لم يكن هوشينو في حاجة إلى أي منطق ليصل إلى هذا الإستنتاج. فقط كان يعرف هذا. عندما يتحرك، فكّر، يصدف فقط أنه يأخذ هذا الشكل. سرت قشعريرة في ظهره. ليكن كيفما كان، قرّر أخيراً، عليّ أن أقتله.

بعد السكين جرّب المطرقة، لكن بلا نتيجة. كان يطرق جزءاً ما في بدن المخلوق فقط ليملأ المخاط هذا الجزء ويعيده إلى حاله السابقة. حمل منضدة صغيرة وراح يضربه بإحدى قوائمها، لكنه استمرّ بزحفه العنيد. كثعبان خبيث كان المخلوق يزحف ببطء وثبات ناحية الغرفة المجاورة، إلى حجر المدخل.

هذا لا يشبه أي كائن رأيته في حياتي، فكر هوشينو. لا يؤثر فيه

السلاح. فليس له قلب يمكن طعنه ولا رقبة يمكن دقّها. ماذا أفعل يا ربي؟ هذا الشيء شر، وبأي ثمن عليّ أن أمنعه من عبور المدخل. قال تورو إنني سأعرفه حين أراه، وهذا القط الملعون كان محقاً. لا يمكنني أن أترك هذا الشيء حياً.

عاد هوشينو إلى المطبخ ليبحث عن شيء آخر يستخدمه كسلاح، ولم يعثر على شيء. فنظر إلى الحجر عند قدميه. حجر المدخل، وجدتها! يمكنني أن أسحقه به. كان للحجر، في الضوء الخافت، ظلّ أكثر احمراراً من المعتاد. انحنى عليه وحاول أن يرفعه، لكنه كان ثقيلاً بشكل فظيع، فلم يستطع أن يزحزحه قيد أنملة. «آه- لقد عدت مدخلاً إذن»، قال هوشينو للحجر. «لو أغلقتك إذن قبل أن يصل إليك هذا الشيء فلن يستطيع المرور».

ناضل هوشينو بكل ما أوتي من عزم لكي يرفع الحجر لكنه لم يستطع.

«إنك لا تتحرك»، قال للحجر وهو يأخذ نفساً عميقاً، «أظن أنك أثقل حتى من السابق. أنت عاهر حقيقي، أتعرف هذا؟».

ومن خلفه كان صوت الخشخشة مستمراً، كان الكائن الأبيض يدنو بثبات شيئاً فشيئاً. لم يكن أمامه الكثير من الوقت.

«محاولة أخرى»، قال هوشينو. ووضع يده على الحجر، وأخذ نفساً عميقاً جداً ليخزّن بعض الهواء في رئتيه. ثم ركز طاقته في نقطة واحدة ووضع يديه على جانبي الحجر. إن لم يرفعه هذه المرة فلن تسنح له فرصة ثانية. «هذا وإلا فلا يا هوشينو، إما الآن وإما أبداً. وسأفعل هذا حتى ولو كان فيه موتي!» وبكل القوة التي استطاع أن يحشدها، زمجر من كل قلبه وهو يحكم قبضته. ارتفع الحجر عن الأرض بوصات قليلة. فزاد آخر ذرة قوة لديه وتمكّن - وكأنه يقتلع الحجر من صلب الأرض - من رفعه.

شعر برأسه يدور وعضلاته تصرخ ألماً، وخصيتيه كأنهما

انفجرتا. لم يستطع رفع الحجر أكثر مما فعل. فكر في ناكاتا، كيف وهب العجوز حياته لفتح الحجر وإغلاقه. وبطريقة ما، وعلى نحو ما أيضاً كان عليه أن يمضي حتى النهاية وحتى آخر نفس لديه. أخبره تورو أيضاً أن المسؤولية آلت إليه هو من بعد ناكاتا. كانت عضلاته تصرخ طلباً لدم جديد، ورئتاه تستغيثان من أجل نفس واحد، لكنه لم يستطع أن يتنفس. كان يدرك أنه بات على حافة الموت، كما لو أن هاوية العدم قد انفتحت مباشرة أمام عينيه، لكنه تجاهلها، ومرة أخرى، استجمع كل قواه وشدّ الحجر نحوه. فارتفع وانقلب، وارتطم بالأرض ارتطاماً مروعاً. اهتزت الأرض وارتج الباب الزجاجي.

جلس هوشينو هناك لاهثاً. «حسناً فعلت»، قال لنفسه بعد دقائق، عندما استطاع أخيراً أن يلتقط أنفاسه.

ما إن أغلق هوشينو المدخل، حتى بات أمر الكائن الأبيض بسيطاً لدرجة مدهشة. فقد انسدّت وجهته، وعرف هو هذا، فتوقف عن تقدمه وراح يزحف في أنحاء الغرفة باحثاً عن مخبأ، أو ربما كان يأمل العودة إلى فم ناكاتا. لكنه لم يستطع الفرار، تبعه هوشينو، ببلطته وقطّعه أشلاء. ثم قطّع تلك الأشلاء إلى أشلاء أصغر. تلوت تلك القطع الصغيرة لفترة على الأرض حتى فقدت قوتها تماماً وتوقفت عن الحركة. وتكوّرت على نفسها في كرات ضئيلة وماتت. وتركت السجادة تلمع بلزوجتها. جمع هوشينو القطع كلها بجاروف وألقاها في كيس قمامة ربطه بإحكام، ثم ألقى الكيس في كيس آخر ربطه أيضاً بإحكام، ثم وضع الكيس الآخر في حقيبة قماشية وجدها في المطبخ.

مستنزَفاً تماماً، جثم على الأرض، يعلو كتفاه وينخفضان بينما يعبّ الهواء عباً ويداه ترتعشان. أراد أن يقول شيئاً لكنه لم يستطع تكوين الحروف في كلمات. وبعد دقائق استطاع أن يقول «لقد قمت بعمل جيد يا هوشينو».

شعر بالقلق من أن تكون ضجة معركته مع الكائن الأبيض وكذلك انقلاب الحجر، قد أيقظا الجيران في الشقق المجاورة، وأن يكونوا قد اتصلوا بالشرطة. ولحسن حظه لم يسمع صفارة الشرطة، ولم يطرق أحد الباب. كان آخر ما يريده الآن أن تدعو الشرطة نفسها إلى الحفلة.

كان يعرف أن أشلاء الكائن الأبيض المحشوة في الأكياس المقفلة بإحكام لن تعود للحياة، فلم يكن أمامها سبيل آخر، هكذا فكر. ولكن من الأفضل أن يطمئن بنفسه فقرر أن ينتظر أول شعاع للصبح ويذهب إلى الشاطئ ويحرقها هناك.

وما إن ينهي هذه المهمة، حتى يقفل عائداً إلى ناغويا. إلى البيت.

كانت الساعة حينذاك حوالى الرابعة، وقد طلع الفجر. حان وقت الذهاب. حشر هوشينو ملابسه في حقيبته، ومعها - فقط من باب الاطمئنان- نظارته الشمسية وقبّعته الشينوشي دراجونز. فإذا اعتقلته الشرطة قبل أن ينهي هذا، سيفسد الأمر كله. أخذ معه زجاجة زيت طهو ليشعل النار. وتذكر أيضا اسطوانة «ثلاثية الأرشيدوق» فوضعها في الحقيبة.

وفي النهاية ذهب إلى الغرفة حيث يرقد ناكاتا على السرير. كان التكييف مازال على أعلى درجة والحجرة مصقعة. «إذن يا سيد ناكاتا» قال، «أنا مستعدّ الآن للرحيل. آسف جداً لكنني لا أستطيع البقاء هنا إلى الأبد. سأتصل بالشرطة من المحطة لكي يأتوا ويهتموا بك. علينا أن نترك ما تبقّى لشرطي طيب، اتفقنا؟ لن نرى بعضنا مرة أخرى، لكنني لن أنساك ما حييت. وحتى لو حاولت، فلا أظن أنني سأستطيع».

توقف التكييف مصدراً رجّة عالية.

«أتعرف يا جدي؟»، تابع هوشينو، «أظن أنني، مهما حدث لي

في المستقبل، سأظل أتساءل: ماذا كان السيد ناكاتا ليقول في هذا؟ ماذا كان السيد ناكاتا ليفعل؟ وسيكون لدي دوماً شخص أعود إليه. وهذا شيء مهمّ جداً إذا فهمت قصدي. وكأنّ جزءاً منك سيظل دوماً حياً في داخلي. بالطبع لستُ أفضل وعاء يمكنك أن تحصل عليه، لكنه أفضل من لا شيء، ما رأيك؟».

بيد أن ما كان يخاطبه لم يكن سوى القشرة الخارجية للسيد ناكاتا. حيث كان الجزء المهم منه قد رحل إلى مكان آخر منذ وقت طويل. وكان هوشينو يستوعب هذا جيداً.

«وأنتَ هناك» قال هوشينو مخاطباً الحجر ومدّ يده ليلمس سطحه، وكان قد عاد إلى كونه مجرد حجر عادي، ملمسه بارد وخشن. «أنا في طريقي إلى ناغويا، وسأترك أمرك للشرطة أمرك أنت أيضاً. أعلم أنه يجب أن أعيدك إلى المعبد الذي أتيت منه، ولكن ذاكرتي فعلاً لا تسعفني ولا أعرف من أي معبد أخذتك. سامحني إذن. ولا تنزل بي أي لعنة، أتفقنا؟ كنت فقط أنفّذ أوامر الكولونيل ساندرس، فإذا كنت تنوي إنزال لعناتك على أحد، فليكن هو إذن. عموماً، كانت فرصة سعيدة، ولن أنساك أبداً أنت ايضاً».

انتعل هوشينو حذاءه النايكي ذا النعل الغليظ وسار خارجاً من الشقة، ولم يقفل الباب بالمفتاح. حمل في يد حقيبة أغراضه، وبالأخرى الحقيبة التي تحمل أشلاء *الشيء* الأبيض.

«سيداتي وسادتي» قال وهو يتأمل الفجر الصاعد من الشرق. «حان وقت إشعال النيران».

49

بعيد التاسعة من صباح اليوم التالي أسمعُ صوت سيارة تقترب. أخرجُ فأرى داتسون صغيرة رباعية الدفع، من ذلك النوع ذي الإطارات الضخمة والهيكل العالي. يبدو أنها لم تغسل منذ ستة شهور على الأقل. وقد علّق عليها من الخلف لوحا ركوب أمواج طويلين ومستهلكين. تتوقف الشاحنة هادرة أمام الكوخ، ويعود السكون حين يتوقف المحرّك. ينفتح الباب ويترجل منها شاب طويل يرتدي «تي شيرت» أبيض فضفاضاً، وقميصاً زيتياً نقش عليه «نو فير»، وسروالاً قصيراً كاكياً وحذاء رياضياً أكل عليه الدهر وشرب. يبدو الشاب في الثلاثينات تقريباً، عريض الكتفين، وبشرة سمراء بفعل الشمس، ولحية متوسطة الطول. شعره طويل بما يكفي لتغطية أذنيه. أخمّن أنه أخو أوشيما الذي يدير محل أدوات الركمجة في كوتشي.

يحييني: «مرحباً».

«صباح الخير».

يمدّ يده ونتصافح على الشرفة. يعرفني بنفسه. هو فعلاً أخو أوشيما الكبير.

«ناديني سادا»، يتكلم بتأن ويختار كلماته بدقة، كأن الوقت كله أمامه، «كلمني أوشيما من تاكاماتسو وطلب مني أن أحضرك، يبدو أن هناك أمراً مستعجلاً».

«أمراً مستعجلاً؟».
«أجل. لكنني لا أعرفه».
«آسف على الإزعاج».
«لا داعي للأسف»، يقول، «هل يمكن أن تستعد بسرعة؟».
«خمس دقائق».
بينما أوضّب أغراضي في الحقيبة، يساعدني على إقفال الكوخ. يفعل كل شيء وهو يصفر طوال الوقت. يغلق النوافذ، ويسدل الستائر، ويتأكد من إقفال الغاز، ويجمع بقايا الطعام، ويمسح المغسلة. حين تراه يفعل كل هذا تتأكد أنه يرى الكوخ امتداداً شخصياً له.
«يبدو أن أخي يحبك فعلاً»، يقول سادا، «أوشيما لا يحبّ أناساً كثراً، فهو صعب قليلاً».
«وطيب جداً».
يومئ سادا موافقاً «فقط حين يريد».
أصعد إلى المقعد الأمامي وأضع حقيبتي عند رجليّ.
يشغّل سادا المحرك، ويحرك ناقل السرعة، ويطل برأسه من النافذة لكي يطمئن مجدداً من أن الكوخ على ما يرام، ثم ينطلق. «هذا الكوخ هو من الأمور القليلة جداً التي نتفق عليها أنا وهو». يقول وهو يناور بالسيارة بمهارة هابطاً الطريق الجبلية، «أحياناً، حين نرغب في ذلك نأتي إلى هنا ونمضي بضعة أيام وحدنا». يفكّر في كلامه ثم يردف «لطالما كان مكاناً مهماً لنا، ولا يزال طبعاً، كأن فيه قوة تعيد لنا طاقتنا. قوة خاصة فعلاً، أتفهمني؟».
«أظن ذلك».
«أخبرني أوشيما بأنك تفهم هذه الأمور» يقول سادا، «أولئك الذين لا يفهمونها لا يستطيعون فهمها مهما حاولوا».
يتناثر على المقاعد البالية شعر كلب أبيض. وتختلط رائحة الكلب برائحة البحر وعبق شمع ألواح الركمجة والسجائر. زر التكييف

معطل، وطفاية السجائر تفيض بالأعقاب، والجيب الجانبي مزدحم بشرائط موسيقى عشوائية.

«دخلت إلى الغابة بضع مرات»، أقول.

«وتعمّقت فيها؟».

«أجل، مع أن أوشيما حذرني».

«لكنك دخلت».

«أجل».

«أنا أيضا فعلت ذلك، منذ نحو عشر سنوات تقريباً». يصمت لفترة مركزاً في القيادة عند منعطف طويل، تنثر إطارات السيارة السميكة الحصى الصغيرة تحتها، وعلى مسافات قصيرة تنتشر الغربان على جانبي الطريق، ولا تطير حين نمر بها، فقط تشاهدنا بتحد بعيونها الفضولية.

« وقابلت الجنديين؟»، يسأل سادا بطريقة عادية جداً كأنه يسألني عن الوقت.

«تقصد الجنديين إياهما؟».

«إذن»، يقول سادا ناظراً إليّ، «لقد تعمّقتَ إلى هذا الحد، أليس كذلك؟».

«أجل صادفتهما».

بالكاد يمسك عجلة القيادة وهو يناور بسلاسة، ولا يعلّق على ما قلته، كما لا تشي تعبيرات وجهه بشيء.

«سادا؟».

«ممم؟».

«ماذا فعلت حين صادفت الجنديين قبل عشر سنين؟».

«ماذا فعلت حين قابلت الجنديين؟»، يكرر سؤالي. وأومئ له في انتظار رده.

يرمق المرآة الجانبية وينظر أمامه مرة أخرى. «لم أخبر أحداً بهذا

الأمر»، يجيب أخيراً «ولا حتى أخي- أخي/ أختي، أياً يكن، أخي تناسبني أكثر- المهم هو أيضاً لا يعرف شيئاً عنهما».

أومئ ولا أقول شيئاً.

«وأشك في أنني سأخبر أحداً. حتى أنت لا أظن أنك ستخبر أحداً بذلك، حتى أنا. أتفهم قصدي؟».

«أظن ذلك».

«ما الذي أحاول قوله؟».

«إنه أمر لا تستطيع الكلمات التعبير عنه. الردّ الحقيقي لا يسع الكلمات التعبير عنه».

«تماماً»، يجيب سادا، «هكذا بالتحديد، وإذا لم تستطع التعبير عنه بالكلمات فالأفضل إذن ألا تحاول».

«حتى مع نفسك؟».

«أجل حتى مع نفسك»، يقول سادا، «الأفضل ألا تحاول أن تشرحه حتى لنفسك».

يناولني علكة بالنعناع، آخذ واحدة وأمضغها.

«هل حاولت ركوب الأمواج مرة؟».

«لا».

«إذا سنحت لنا الفرصة فسأعلّمك. . أعني إذا كنت راغباً في ذلك. الأمواج في شاطئ كوتشي معقولة جداً، وهو غير مزدحم براكبي الأمواج. ركوب الأمواج رياضة أكثر عمقاً مما تبدو عليه. حين تركب الأمواج تتعلم ألا تصارع قوى الطبيعة، حتى حين تصبح عنيفة».

يسحب سيجارة من جيب قميصه، ويضعها في فمه ويشعلها بولاعة السيارة. «وهذا أيضاً شيء آخر لا تعبر عنه الكلمات. أحد الأمور التي لا تختصر الإجابة عنها بنعم أو لا». يزمّ عينيه وينفث الدخان من النافذة. «في هاواي هناك مكان به دوامات ضخمة يدعونه

السيفون. لأنه مكان لقاء المد الداخل والخارج، يتصادمان هناك ويدوران ويدوران وكأنك شددت السيفون. وإذا ركبت الأمواج هناك، ستسحبك الدوامة ولن تطفو مرة أخرى بسهولة. يتوقف الأمر على الأمواج، وقد لا تجد طريقك إلى السطح مرة ثانية أبداً، فتجد نفسك هناك، تحت الماء، تفعل الأمواج بك ما تشاء، وأنت لا تفعل شيئاً، ترفرف بيديك في كل اتجاه، ولا يمكنك فعل شيء. حينها، لن ينفعك سوى قوّتك أنت. لن تشعر في حياتك كلها بمثل هذا الخوف، لكن ما لم تتغلب على هذا الخوف تحديداً فلن تصبح راكب أمواج أبداً. لابد من أن تواجه الموت، أن تتعرف عليه حقاً، ثم تتغلب عليه. وحين تكون في قلب تلك الدوامة، ستفكّر في كل شيء، كأنك تعقد صداقة مع الموت، تجري حواراً صريحاً معه».

عند البوابة، يهبط سادا من السيارة ويشدّ القفل والجنزير عدة مرات ليتأكد من صلابته.

حين يركب السيارة مرة أخرى لا نتحدث كثيراً. يشغل الراديو على محطة «أف أم» ويقود. أنا متأكد أنه لا ينصت إلى الإذاعة. تشغيل الراديو إيماءة ذات مغزى. حتى حين ندخل النفق ويختفي صوت الراديو يظلّ صامتاً. بسبب عطل المكيّف نفتح النوافذ حين نصل إلى الطريق السريعة.

«مُر عليّ متى رغبت بركوب الأمواج»، يقول سادا بينما نقترب من البحر الداخلي، «لدي حجرة إضافية تستطيع البقاء فيها كما يحلو لك».

«شكراً، سأفعل هذا، وإن لم أكن أعرف متى».

«لديك مشاغل كثيرة؟».

«أمور يجب أن أنهيها».

«أنا أيضاً».

لا نتبادل الكلام لوقت طويل. هو يفكر في مشكلاته، وأنا في مشكلاتي. يُبْقي عينيه على الطريق ويده اليسرى على عجلة القيادة،

ومن حين لآخر يدخن سيجارة. عكس أوشيما، يقود بتمهّل، مسنداً كوعه إلى نافذته المفتوحة، ولا يتجاوز السيارات الأخرى إلا إذا كانت بطيئة أكثر مما يلزم.

«أتمارس ركوب الأمواج منذ فترة طويلة؟»، أسأله.

«ممم» يقول ويصمت. لكنه أخيراً، حين أنسى السؤال تقريباً، يردف، «منذ كنت في الثانوية، حينها كانت للمتعة فقط، ولم أصبح جاداً بشأنها حقاً إلا منذ ست سنوات فقط. كنت أعمل في شركة إعلانات كبيرة بطوكيو. ولم أتحمل، فقدمت استقالتي وعدت إلى هنا وبدأت ركوب الأمواج. أخذت قرضاً من البنك وأقترضت من والديّ وفتحت محلاً لأدوات الركمجة. وهكذا بإمكاني أن أفعل ما يحلو لي».

«هل أردت وانت في طوكيو أن تعود إلى شيكوكو؟».

«من ضمن الأسباب» يقول، «لا أعرف، لكنني لا أرتاح تماماً إلا إذا كنت قرب البحر والجبل. الناس عموماً نتاج المكان الذي ولدوا ونشأوا فيه. دائما ما يرتبط شعورك بالدنيا بالأرض ودرجة الحرارة والريح حتى. أين ولدت انت؟».

«في طوكيو. نوغاتا، بحي ناكانو».

«وهل تودّ العودة إلى هناك؟».

أهز رأسي نفياً، «لا».

«لماذا؟».

«ليس هناك ما يدعوني للعودة».

«حسناً»

«لست مرتبطاً جدا بالأرض المسطحة أو بالرياح الدائمة وما إلى ذلك» أقول.

«صحيح؟» يقول.

نصمت مجدداً. يبدو أن الصمت لا يزعجه البتة. ولا أنا أيضاً. فقط أجلس هناك، ذهني صفحة بيضاء، أستمع إلى الموسيقى في

الراديو. وهو ينتبه للطريق أمامه. أخيراً نخرج من الطريق السريعة ونتوجه شمالاً عبر حدود مدينة تاكاماتسو.

قبيل الواحدة ظهراً نصل إلى كوميورا يُنزلني سادا أمام مكتبة كوميورا ويبقى في السيارة. تاركاً المحرّك شغالاً، يبدو أنه سيعود فورا إلى كوتشي.

«شكراً».

«أراك قريباً»، يقول وهو يلوّح لي سريعاً، وينطلق هادراً على إطاراته السميكة. يعود إلى أمواجه الكبيرة، إلى عالمه الخاص، وشؤونه الخاصة.

أضع حقيبتي على ظهري وأدخل. أشمّ رائحة العشب المروي حديثاً في الحديقة. كأنني غبت عنها لشهور، وليس لأربعة أيام فقط.

أوشيما جالس وراء المكتب. للمرة الأولى أراه بقميص أبيض وربطة عنق مقلمة بالأخضر والأصفر الحنطي. يطوي كمي القميص حتى كوعيه ولا سترة. وأمامه، قطعاً، كوب قهوة وقلمَيْ رصاص مبريين بأناقة.

«ها أنت»، يحييني بابتسامته المعتادة.

«مرحباً».

«توصيلة هائلة؟».

«بكل تأكيد».

«أراهن أنه ظلّ صامتاً طوال الوقت».

«لا، في الواقع تحدّثنا قليلاً».

«انت محظوظ إذن. الأمر يعتمد على الشخص الذي معه. أحيانا لا يقول كلمة واحدة».

«هل حدث شيء؟» أسأله، « قال لي سادا إن هناك أمراً مستعجلاً».

يومئ أوشيما برأسه. «هناك أمران يجب أن تعرفهما. أولاً،

الآنسة سايبكي توفيت، انتابتها أزمة قلبية يوم الثلاثاء بعد الظهر، وجدتها فوق على مكتبها، حدث كل شيء فجأة ويبدو أنها لم تتألم».

أضع حقيبتي على الأرض وأجلس على كرسي. «الثلاثاء بعد الظهر؟»، أسأله، «اليوم الجمعة، صح؟».

«أجل، ماتت بعد الجولة الأسبوعية، كان عليّ أن أتصل بك قبل هذا، لكن ذهني كان مشوَّشاً قليلاً».

أغرق في الكرسي، غير قادر على الحركة. نجلس صامتين لوقت طويل. أنظر إلى السلم المؤدي إلى الطابق الأول، ودرابزينه الخشبي اللامع، وزجاجه المبرقش عند بسطته. كان لهذا السلم معنى خاصاً، كان يقود إليها، إلى الآنسة سايبكي. والآن، وهي لم تعد هنا، صار مجرد سلم بلا معنى.

«كما قلت لك، أظن أن الأمر كان مقرراً سلفاً»، يقول أوشيما، «كنت أعرف، وهي أيضاً، ومع هذا، عندما حدث، بالطبع كان من الصعب تحمّله».

حين يصمت أشعر أنه عليّ أن أقول شيئاً، لكن الكلمات لا تطاوعني.

«وجدنا وصيتها في درج مكتبها، أوصت ألا تقام لها جنازة فأحرقنا جسدها بهدوء، وخصصت أملاكها كلها لمؤسسة المكتبة وتركت قلمها المون بلان كتذكار منها. ولوحة لك. لوحة الفتى على الشاطئ. ستأخذها.. أليس كذلك؟».

أومئ.

«إنها ملفوفة وجاهزة هناك».

«شكراً» أخيرا أتمكن من التكلم.

«قل لي يا كافكا تامورا.» يقول أوشيما وهو يلتقط قلم رصاص ويبرمه بيده كعادته، «أتمانع لو سألتك سؤال؟».

أومئ.

«كنت تدري، أليس كذلك؟ لم يكن من داع لأخبرك.»

أومئ مرة أخرى. «أظن أنني كنت أعرف فعلاً».

«هذا ما ظننته»، يقول أوشيما ويتنفّس بعمق. «أتود ماء أو شيئاً آخر؟ أقول لك الحق، تبدو كالصحراء».

«بعض الماء فقط». أنا عطشان فعلاً ولا أُدرِكُ هذا إلا بعد أن قاله أوشيما.

أشرب بسرعة الماء المثلج الذي أحضره حتى أن رأسي يلتمع متصدعاً. أضع الكوب الفارغ على الطاولة.

«أتريد المزيد؟».

أهزّ رأسي نفياً.

«ما خططك الآن؟»، يسألني أوشيما.

«سأعود إلى طوكيو».

«وماذا ستفعل هناك؟».

«سأذهب أولاً للشرطة وأقول ما أعرفه، فما لم أفعل، سيلاحقونني بقية حياتي، ثم على الأرجح سأعود للمدرسة، ليس لأن هذا ما أريده، لكن عليّ أن أنهي دراستي. وإذا تحملتها لأشهر قليلة وتخرجت، سيكون بإمكاني أن أفعل بعدها ما يحلو لي».

«معقول جداً»، يقول أوشيما ويزمّ عينيه محدقاً فيّ. «تبدو الخطة الأفضل».

«كلما فكرت فيها اقتنعت بها أكثر».

«يمكنك أن تهرب لكن لا يمكنك أن تختبئ؟».

«أظن ذلك»، أقول.

«لقد كبرت».

أهز رأسي. لا أستطيع أن أقول شيئاً.

يطرطق أوشيما طرف القلم الرصاص على صدغه أكثر من مرة.

يرن جرس الهاتف لكنه يتجاهله.

وبعد أن يتوقف رنين الجرس يقول «كل منا يفقد شيئاً عزيزاً عليه، فرصاً، إمكانيات، مشاعر لا يمكننا استعادتها أبداً. كل هذا جزء من معنى كوننا نعيش. ولكن في داخل رؤوسنا - أو هذا ما أتصوّره أنا- نخزن الذكريات في غرفة صغيرة هناك. غرفة كالرفوف في هذه المكتبة، ولنعي الأعمال التي كتبتها قلوبنا، علينا أن نصنّفها وننظّمها ببطاقات، ونزيل عنها الغبار من حين لآخر، ونجدّد لها الهواء، ونغير الماء في أواني الزهور، بكلمات أخرى، ستعيش إلى الأبد في مكتبتك الخاصة بك».

أتأمل القلم الرصاص في يده، يؤلمني النظر إلى هذا القلم، لكن عليّ أن أكون أقوى فتى في الخامسة عشرة في العالم، على الأقل لمدة أطول قليلاً. أو أن أتظاهر بهذا. آخذ نفساً عميقاً لأملأ رئتيّ بالهواء وأتدبّر أمر إخراج هذا الكم من العواطف. «هل لديك مانع في أن أعود إلى هنا يوماً ما؟».

«بالطبع لا»، يقول أوشيما ويضع القلم الرصاص على المكتب، ويشبك يديه خلف رأسه وينظر إليّ مباشرة. «اتفقت معهم على أنني سأكون مسؤولاً عن المكتبة لفترة، وأتصور أنني سأحتاج إلى مساعد. وما أن تتحرر من الشرطة والمدرسة، وأيا كان ما لديك - وبشرط أن تكون لديك الرغبة في ذلك طبعاً - فسيسعدني جداً أن تعود. لا أنا ولا المدينة سنذهب إلى أي مكان، ليس في الوقت الراهن. الناس يحتاجون إلى مكان ينتمون إليه».

«شكراً»، أجيبه.

«على الرحب والسعة».

«وأخوك عرض عليّ أن يعلمني ركوب الأمواج».

«عظيم. إنه لا يعرض هذا على الكثيرين»، يقول، «إنه صعب بعض الشيء».

أومئ وأبتسم. هذان الأخان يشبهان بعضهما فعلاً.

«كافكا»، يقول أوشيما وهو ينظر في عيني. «قد أكون مخطئاً، ولكنني أظن أن هذه هي المرة الأولى التي أراك فيها تبتسم».

«ربما تكون محقاً»، أقول. أنا بالتأكيد أبتسم. وأحمرّ خجلاً.

«ومتى ستعود إلى طوكيو؟».

«حالاً، على ما أظن».

«ألا تنتظر حتى المساء؟ أستطيع أن أقلك إلى المحطة بعد أن أغلق المكتبة».

أفكّر في هذا قليلاً ثم أهزّ رأسي. «شكراً، أعتقد أنه من الأفضل أن أغادر فوراً».

يومئ أوشيما، ويذهب إلى غرفة خلفية ليجلب اللوحة الملفوفة جيداً. ويضع أيضاً نسخة من اسطوانة «كافكا على الشاطئ» في كيس ويناولها لي، «هدية صغيرة منّي»

«شكرا لك»، أقول. «أتمانع إن صعدت إلى مكتب الآنسة سايكي لألقي نظرة أخيرة على الغرفة؟».

«تفضل».

«أتأتي معي؟».

«بالطبع».

نذهب إلى غرفتها. أقف قبالة مكتبها وألمس سطحه بخفّة مفكراً في كل ما امتصّه منها. أتصورها منبطحة بوجهها عليه. كيف كانت تجلس دوماً هنا، ووراءها النافذة، منشغلة عن العالم بالكتابة. كيف كنت أحضر لها القهوة، وكيف كانت ترفع رأسها حين كنت أفتح الباب وأدلف. كيف كانت دوماً تبتسم لي.

«ماذا كانت تكتب هنا؟»، أسأل.

«لا أعرف»، يجيبني أوشيما «ما أعرفه هو أمر واحد مؤكد، وهو أنها رحلت عن هذا العالم ومعها الكثير من الأسرار»

والكثير من النظريات أيضا، أقول لنفسي.

النافذة مفتوحة، ونسيم يونيو يداعب الستارة البيضاء. ويحمل رائحة البحر. أتذكر شعور الرمال بين يدي وأنا على الشاطئ. أسير مبتعداً عن المكتب ناحية أوشيما، وأحضنه بقوة. جسده النحيل يحمل إليّ كل ذكريات الحنين.

يلعب بأصابعه في شعري برقة. «ما العالم سوى مجاز يا كافكا تامورا»، يهمس في أذني. «وإنما لك ولي، هذه المكتبة فقط ليست مجازا. إنها دائماً هذه المكتبة فقط. أريد أن أتأكد أننا نتفق على هذا».

«طبعاً».

«إنها مكتبة فريدة وخاصة، ولا شئ سيحل محلها أبداً».

أومئ.

«وداعاً كافكا».

«وداعاً أوشيما»، أقول، «أتعرف؟ تبدو لطيفاً بربطة العنق هذه».

يفلتني وينظر إلى وجهي ويبتسم. «كنت أنتظر أن تقول هذا».

أعلق حقيبتي على كتفي، وأمشي حتى المحطة وآخذ القطار إلى محطة تاكاماتسو. أشترى تذكرة لطوكيو. سيصل القطار إلى طوكيو في المساء، وأوّل ما عليّ فعله أن أجد مكانا أبيت فيه الليل، وفي اليوم التالي سأتجه إلى منزلي بنوغاتا. سأكون وحدي تماماً في ذلك المنزل الواسع الخالي. لا أحد ينتظر عودتي إلى المنزل. ولكن ليس لي مكان غيره لأعود إليه.

اتصل بساكورا على موبايلها من تليفون عمومي بالمحطة. أجدها مشغولة في العمل، لكنها تقول إنها تستطيع التحدّث معي بضع دقائق. لا بأس. أقول لها.

«أنا عائد إلى طوكيو الآن»، أخبرها، «إنني أكلمك من محطة تاكاماتسو. أردت فقط أن أعلمك بذلك».

«انتهت إذن مسألة الهروب من البيت؟».

«على ما أظن».

«عموماً 15 سنة، عمر مبكر قليلاً على الهروب»، تقول، «ولكن ماذا ستفعل في طوكيو؟».

«سأعود إلى الدراسة».

«قد تكون فكرة جيدة».

«أنت أيضاً ستعودين إلى طوكيو. أليس كذلك؟».

«أجل، على الأرجح في سبتمبر. قد أذهب في رحلة إلى مكان ما خلال الصيف».

«وهل سأراك في طوكيو؟».

«بالطبع»، تقول، «ما رقمك؟».

أعطيها رقم هاتف المنزل وتسجّله.

«حلمت بك»، تقول.

«وأنا أيضاً حلمت بكِ».

«أراهن أنه كان حلماً قذراً جداً».

«ربما»، أعترف لها، «ولكنه مجرد حلم. وماذا عن حلمك أنتِ؟».

«حلمي لم يكن كحلمك. كنت تسير في أنحاء بيت كبير يشبه المتاهة، وتبحث عن غرفة خاصة لكنك لم تجدها، وكان هناك شخص آخر في المنزل يبحث عنك. وحاولت أن أصيح بك لكي أحذرك، ولكنك لم تسمعني. كان حلماً مرعباً، وحين صحوت كنت مرهقة فعلاً من كل هذا الصياح، ومن حينها وأنا بالي مشغول عليك»

«أقدر لك هذا»، أقول، «لكنه مجرد حلم أيضاً».

«ألم يحدث لك شيء سيء؟».

«لا. لا شيء سيئاً».

لا. لا شيء سيئاً. أقول لنفسي.

«وداعاً كافكا»، تقول، «علي العودة للعمل، وإن أردت أن تتحدث في أي وقت، فقط اتصل بي. اتفقنا؟».

«وداعاً»، أقول «يا أختاه».

أعلى الجسر ومن فوق الماء نعبر، وأبدّل في محطة أوكاياما إلى القطار المباشر. أغرق في مقعدي وأغمض عيني. بالتدريج يتكيف جسدي مع اهتزازات القطار. بجانب قدمي لوحة «كافكا على الشاطئ» الملفوفة بحرص. أشعر بها هناك.

«أريدك أن تتذكرني»، تقول الآنسة سايبكي وتنظر في عيني مباشرة، «إذا تذكرتني أنت، فلا يهمني إن نسيني الجميع».

يثقل عليك الزمن كحلم قديم غامض. وتستمر أنت في التحرك، محاولاً اختراقه. ولكن حتى لو ذهبت إلى أخر الأرض، فلن تتمكن من الفرار منه، عليك أن تذهب إلى هناك- إلى حافة العالم. هناك ما لن يمكنك فعله ما لم تذهب إلى هناك.

يبدأ المطر في الهطول ما أن أصل إلى ناغويا. أتأمل القطرات التي تخبط النافذة المظلمة. كانت تمطر، أيضاً، يوم غادرت طوكيو. أتخيل المطر وهو يهطل على كل الأماكن- الغابة، البحر، الطريق السريعة، المكتبة. والمطر الهاطل على حافة العالم.

أغمض عينيّ وأسترخي، مرخياً عضلاتي المتوترة. أصيخ السمع لهمهمة القطار الثابتة. ثم، ودون مقدمات، تسقط دمعة دافئة من عيني، تسيل على خدّي، وبعد فترة، تجف. لا يهم، أقول لنفسي. إنها دمعة واحدة لا غير. أنا حتى لا أشعر أنها دمعتي، على الأرجح هى قطرة من المطر الذي يهطل في الخارج.

هل فعلت الصواب؟

«أجل. لقد فعلت الصواب»، يقول الفتى المدعو كرو، «لقد فعلت الأفضل. ما من أحد كان ليفعل أفضل مما فعلت أنت. رغم كل شيء أنت الفتى الأصلي: أقوى فتى في الخامسة عشرة في العالم».

«لكنّني ما زلت لا أعرف شيئاً عن الحياة»، أقول محتجاً.

«انظر إلى اللوحة»، يقول، «واستمع إلى الرياح».

أومئ.

«أعرف أنك قوي».

أومئ مجدداً.

«من الأفضل أن تنام قليلاً»، يقول الفتى المدعو كرو، «وحين تصحو، ستغدو جزءاً من عالم جديد تماماً».

تغفو أخيراً. وحين تصحو تجد هذا حقيقياً.

لقد غدوتَ جزءاً من عالم جديد تماماً.

هاروكي موراكامي

كافكا على الشاطئ

هذه الرواية، هي الأكثر إمتاعاً بين أعمال موراكامي حتى الآن.
(**مات ثورن**، ذي إندبندنت)

تمنح قراءة موراكامي تجربة مسلّية من الطراز الرفيع، وفي الوقت نفسه فإنها توسّع آفاق الوعي بصورة مذهلة...
(**ألن شوز**، شيكاغو تريبيون)

إن مقدرة موراكامي على جعل قصة محيّرة كهذه، جذّابة ومؤثرة إلى هذا الحدّ، هي شهادة على عبقريته. وكما في أعماله الأخرى فإن جزءاً من الروعة يأتي من الإحساس بأن الكاتب لا يعرف إلى أين تمضي أحداث روايته، مثل القارئ تماماً.
(**تشارلز فوران**، ذي غلوب أند مايل)

بينما يستطيع أي كاتب أن يخبر قصة تشبه الحلم، وحده الفنان النادر، مثل موراكامي، يجعلنا نشعر أننا نحلم هذه القصة بأنفسنا.
(**لورا ميلر**، ذي نيويورك تايمز بوك ريفيو)

كعادته يدخلنا موراكامي في أجواء غرائبية، وبقدر ما هي غرائبية فإنها بسيطة تحتفل بسحر الحياة وتدافع عنها، وذلك من خلال حكايتين متوازيتين متقاطعتين، حكاية عجوز يبحث عن نصف ظله الضائع، وفتى في الخامسة عشرة هارب من لعنة أبيه السوداء، وبينهما عوالم ومدن وشخصيات ورحلات شبه ملحمية تدور جميعها حول البحث عن الحب، ومعنى الموت، وقيمة الذكريات. رواية تدفع كل واحد منا إلى تأمّل الحياة، وبدء رحلة البحث عن بوصلته الضائعة.



المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com



ISBN 978-9953-68-283-9
9789953682839